

شرح القصيد لا النونية

المسماة
الكافية الشافية في الانتصار
للفرقة الناجية

للإمام ابن القسيم الجوزية

شرحها وحققتها
الدكتور محمد خليل فراس

الجزء الثاني

منشورات
محمد عيسى بيضون
لشركتہ السنۃ والجماعۃ
دار الكتب العلمیة
بکیروت - لبنان

منشورات دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale
d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur
cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production
écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée
de l'éditeur.

الطبعة الثالثة

٢٠٠٢ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ١٣/١١/٨٠٤٨١٠ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-0986-3



9 782745 109866

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

فصل
في شهادة أهل الإثبات
على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إله يعبد
ولا لله بيننا كلام ولا في القبر رسول الله

إننا تحملنا الشهادة بالذي
ما عندكم في الأرض قرآن كلا
كلا ولا فوق السموات العلى
كلا ولا في القبر أيضاً عندكم
هاتيك عورات ثلاث قد بدت
فالروح عندكم من الاعراض قا
وكذا صفات الحي قائمة به
فاذا انتفت تلك الحياة فينتفى
ورسالة المبعوث مشروط بها
فاذا انتفت تلك الحياة فكل مش
قلتم نؤديها لى الرحن
م الله حقاً يا أولي العدوان
رب يطاع بواجب الشكران
من مرسل والله عند لسان
منكم فغطوها بلا روغان
ئمة بجسم الحي كالألوان
مشروطة بحياة ذي الجثمان
مشروطها بالعقل والبرهان
كصفاته بالعام والإيمان
رروط بها عدم لذي الاذهان

الشرح: كما حَمل المؤلف هؤلاء المعطلة شهادة يشهدون بها عند الله على أهل
الإثبات بما يعتقدونه من عقائد الحق والايان، فهو يحمل أهل الإثبات شهادة
يشهدون بها على هؤلاء البغاة بما يقولونه من أقوال الزيغ والكفران، فسيشهدون
عليهم عند الله بأنه ليس عندهم في الأرض قرآن هو كلام الله، لأن كلام الله
عندهم لا يكون بحرف وصوت، والقرآن الذي بين دفتي المصحف هو حروف
وألفاظ متلوة مسموعة، فلا يكون هو عين كلام الله، بل يقولون أنه عبارة أو
حكاية عنه.

وسيشهدون عليهم كذلك بأنهم لا يؤمنون بأن فوق السموات العلى ربّاً تجب على العباد طاعته والقيام بحق الشكر له على سابغ نعمته وموفور كرمه، وذلك لأن الوجود في الجهة عندهم من لوازم الاجسام والله ليس بجسم فلا يوصف عندهم بفوق ولا تحت وشيهدون عليهم أيضاً بأنهم ينكرون أن يكون في القبر رسول الله لأن الروح عندهم عرض من الأعراض القائمة بالحي كالسواد والبياض وغيرهما من الألوان ووجودها مشروط ببقاء البنية المخصوصة فاذا فسدت تلك البنية وانحل التأليف زالت الحياة.

وكذلك الصفات القائمة بالحي من العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر، وغيرها تكون مشروطة ببقاء الحياة فهي متوقفة في وجودها عليها فاذا انتفت الحياة انتفى مشروطها عقلاً اذ لا يعقل قيام تلك الصفات بغير الحي - ولا شك أن رسالة الرسول هي من الصفات التي تعتبر الحياة شرطاً فيها كسائر صفاته من العلم والايمان ونحوهما - فاذا انتفت عنه الحياة التي هي عرض قائم به انتفى كل مشروط بها من الصفات وصار في حكم العدم الذي لا وجود له. وبذلك يمتنع أن يوصف في القبر بأنه رسول الله.

هذه عورات ثلاث قد كشفت عنها ولزمتكم عارها فحاولوا سترها دون أن تروغوا وروغان الثعالب والا ظلت ملصقة بكم لا يحوها عنكم هذا التمويه والروغان.

فصل

في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم
قال الرسول بقبره حيّ كما
من فوقه أطباق ذاك التراب واللبن
ترقيعه يا كثرة الخلقان
قد كان فوق الأرض والرجان
ات قد عرضت على الجدران

أو كان حيا في الضريح حياته
 ما كان تحت الأرض بل من فوقها
 أتراه تحت الأرض حياً ثم لا
 ويريح أمته من الآراء
 أم كان حيا عاجزاً عن نطقه
 وعن الحراك فما الحياة اللات قد
 قبل الممات بغير ما فرقان
 والله هذي سنة الرحمن
 يفتيهم بشرائع الايمان
 والخلف العظيم وسائر البهتان
 وعن الجواب لسائل لطفان
 أثبتموها أوضحوا ببيان

الشرح: ولأجل ما لزم هؤلاء المعطلة من انتفاء الرسالة بانتفاء الحياة حاول أنصار هذا المذهب أن يرقعوه بما اختلقوا من مفتريات ليدفعوا عنه هذه الالزامات فزعموا أن الرسول ﷺ حي في قبره، كما كان فوق الأرض تماماً رغم وجوده تحت أطباق التراب واقامة الجدران المبنية باللبن عليه، وهذا زعم باطل لا أساس له، فانه لو كان عليه السلام حيا في ضريحه كحياته قبل موته من غير فارق بينها لما ساغ بقاءه تحت الأرض، بل يجب أن يعيش فوقها. فهذه سنة الله في خلقه ان الموتى هم الذين يدفنون تحتها، وأما الأحياء فيعيشون على ظهرها. وكيف يكون تحت الأرض حيا، ثم لا يفتي أصحابه فيما أشكل عليهم من شرائع الايمان ويريجهم مما وقع بينهم من خلاف وينبهم على ما جد بينهم من بدع ومفتريات وقد اختلف أصحابه بعد موته في كثير من المسائل التي كانوا يحتاجون فيها الى قوله الحاسم. أم تقولون أنه كان حياً ولكنه كان عاجزاً عن النطق وعن رد الجواب لمن سأله متلهفا على سماع ذلك منه. وكان كذلك عاجزاً عن الحركة والنهوض. فما هي اذا تلك الحياة التي أثبتموها له اذا لم تقتض حساً ولا حركة ولا كلاماً؟ دلونا على كنهها ان كنتم صادقين.

★ ★ ★

هذا ولم لا جاءه أصحابه
 اذ كان ذلك دأبهم ونبيهم
 هل جاءكم أثر بأن صحابه
 يشكون بأس الفاجر الفتان
 حَيّ يشاهدهم شهود عيان
 سألوه فتيا وهو في الأكفان

فأجابهم بجواب حي ناطق
هلا أجابهم جواباً شافياً
هذا وما شدت ركائبه عـ
مع شدة الحرص العظيم له على
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم
ان قلم سبق البيان صدقتم

الشرح: واذا كان حياً في قبره كما زعمتم فلم لم يجئه أصحابه شاكين اليه ما يلقونه من بأس عدوهم، وقد كان ذلك دأبهم حين كان نبيهم حياً بينهم يشاهدهم ويشاهدونه وهل بلغكم من أثر بأن أحداً من أصحابه جاءه مستفتياً اياه وهو مدرج في أكفانه وأنه أجابهم بما يجب به الحي الناطق من سأله ان كان عندكم شيء من ذلك فأتوا به ليكون برهاناً على صدق دعواكم. فهلا ان كان حياً قادراً على الكلام يجيبهم عما سألوا بما يشفى نفوسهم ويزيل حيرتهم.

هذا وما رأيناه صلوات الله وسلامه عليه قد شد ركائبه متجاوزاً للحجرات التي هي بيوت أزواجه ذاهباً الى أقاصي البلدان مع شدة حرصه على الهداية والارشاد والبيان. وهل يظن به عليه السلام أن يرى اختلاف أصحابه من بعده، ثم يكتم عنهم ما يحتاجون اليه من بيان، وان قيل ان البيان قد وقع فيما سبق فهذا حق، ولكن التكرار مع ذلك لا يخلو من فائدة ويكون به ذا احسان وفضل.

★ ★ ★

هذا وم من أمر اشكل بعده
أو ما ترى الفاروق ود بأنه
بالجد في ميراثه وكلاله
قد قصر الفاروق عند فريقكم
اتراهم يأتون حول ضريحه
ونبيهم حي يشاهدهم ويسـ

أعنى على علماء كل زمان
قد كان منه العهد ذا تبيان
وبعض أبواب الربا الفتان
اذ لم يسله وهو في الاكفان
لسؤال امهم أعز حصان
معهم ولا يبأتي لهم بيان

أفكان يعجز أن يجيب بقوله أن كان حيا داخل البنيان
يا قومنا استحيوا من العقلاء والمبعوث بالقرآن والرحمن
والله لا قدر الرسول عرفتم كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان

الشرح: هذا وكم من مشكلات جدت بعد موته عليه السلام والتبس أمرها
على العلماء في سائر القرون ولم يهتدوا الى وجه الصواب فيها حتى أن الفاروق
عمر رضي الله عنه ودّ لو كان الرسول ﷺ قد عهد اليهم بشيء واضح في
ميراث الجد والكلالة وفي بعض أبواب الربا وفيمن يكون خليفة بعده.

روى الحاكم باسناده عن عمر بن دينار قال: سمعت محمد بن طلحة بن يزيد
ابن ركانة يحدث عن عمر بن الخطاب قال لأن أكون سألت رسول الله ﷺ عن
ثلاث أحب الى من حر النعم: من الخليفة بعده؟ وعن قوم قالوا نقر بالزكاة
ولا نؤديها اليك أيجل قتالهم؟ وعن الكلالة. ثم روى هذا الاسناد عن سفيان بن
عيينة عن عمر بن مرة عن عمر قال (ثلاث لأن يكون النبي ﷺ بينهن لنا
أحب الى من الدنيا وما فيها، الخلافة والكلالة والربا) فعلى رأيكم يكون
الفاروق رضي الله عنه قد قصر اذ لم يطلب من الرسول ﷺ بيان هذه الأمور
وهو في أكفانه ما دتم تعتقدون أنه حي يسمع ويجب، وقد كان الصحابة رضي
الله عنهم يأتون الى بيت عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ليسألوها
عما أشكل عليهم حتى يقول في ذلك أبو موسى الأشعري رضي الله عنه (ما
أشكل علينا نحن أصحاب رسول الله ﷺ أمر فسالنا عنه عائشة الا وجدنا
عندها منه علما).

فلو كان نبيهم عليه السلام حيا يشاهدهم ويسمعهم وهم حول ضريحه في
بيت أمهم الحصان المرأة من السماء انما كان ينبغي أن يجيبهم عما سألوا عنه بدلا
من احوالهم على من يحتمل قولها الخطأ والصواب. أم كان عاجزاً وهو حي
داخل قبره أن يسعفهم بالجواب؟ يا قوم ألا تستحيون من هذا الكلام الذي لا
يقره عقل ولا يرضى عنه الله ولا رسوله.

والذي يدل على جهلكم الفاضح بقدر الرسول ﷺ وبحقيقة النفس الانسانية، وكيف تفارق البدن عند الموت فتزول عنه الحياة ولا تعود اليه الا عند البعث، فمن كان هذا القدر من المعرفة هو مبلغ علمه فليستحي من نفسه وليلد بالصمت والكتمان حتى لا يظهر للناس جهله فيكون كلامه مثاراً للسخرية والازدراء من جميع العقلاء.

★ ★ ★

ولقد أبان الله أن رسوله أفجاء أن الله باعثه لنا أثلاث موتات تكون لرُسله اذ عند نفخ الصور لا يبقى أمرؤ أفهل يموت الرسل أم يبقوا اذا فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيب أو لم يقل من قبلكم للرافعي الأ لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده قد كان يمكنهم يقولوا أنه لكنهم بالله أعلم منكم ولقد أتوا الى العباس يست هذا وبينهم وبين نبيهم فنيهم حي ويستسقون غ

ميت كما قد جاء في القرآن في القبر قبل قيامة الأبدان ولغيرهم من خلقه موتان في الأرض حياً قط بالبرهان مات الورى أم هل لكم قولان وا بالدليل فنحن ذو أذهان صوات حول القبر بالنكران ميتا كحرمة لدى الحيوان حي فغضوا الصوت بالاحسان ورسوله وحقائق الايمان سقون من قحط وجذب زمان عرض الجدار وحجرة النسوان ير نبيهم حاشا أولي الايمان

الشرح: ولقد أخبر الله في كتابه أن رسوله ﷺ بشر يموت كما يموت البشر، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وإذا صح الخبر بموته عليه السلام فهل جاء ما يفيد أن الله يبعثه لنا في القبر قبل يوم القيامة؟ لم يرد ذلك في كتاب ولا سنة، مع أنه يقتضي محالا، وهو أن يكون للرسل عليهم الصلاة والسلام ثلاث موتات ولغيرهم من الناس موتتان اثنتان، لأنه عند النفخ في الصور النفخة الأولى لا يبقى أحد ممن هو على ظهر الأرض حيا، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وحينئذ يقال لكم: هل يموت الرسول عند تلك النفخة مع من يموت؟ أم يبقون أحياء؟ أم لكم في هذه المسألة قولان؟ أجبوا بعلم ان كنتم صادقين، وتكلموا بالدليل والبرهان لا بالظن والتخمين، فان مناظريكم من ذوي العقول التي لا يروج عندها ادعاء المكابرين ولا سفسطة المشاغبين.

هذا وقد كان السلف رضي الله عنهم ينهون عن رفع الأصوات حول قبره الشريف، ويقولون لمن يفعل ذلك ان الله قد أمرنا بغض الصوت عند رسوله ﷺ، وأن حرمة ميتا كحرمة حيا، فهلا قالوا لهم بدلا من ذلك ان رسول الله ﷺ حي فغضوا أصواتكم عنده؟ لكن حاشا لهم أن يقولوا ذلك، فانهم أعلم بالله وبرسوله وبحقائق الايمان من أولئك الأدعياء الجاهلين الذين يهرفون بما لا يعرفون، ويقولون على الله وعلى رسوله ما لا يعلمون.

ولقد كان الصحابة من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم يستسقون بالعباس عم رسول الله ﷺ اذا نزل بهم قحط واحتبس عنهم المطر، وقد استسقى به عمر رضي الله عنه عام الرمادة وقال وهو يقدمه (اللهم انا كنا اذا أجدبنا توسلنا اليك بنبينا في حياته فتسقيننا، ونحن نتوسل اليك الآن بعم نبينا فاسقنا) فلو كان النبي ﷺ حيا في قبره كما زعمتم وليس بينهم وبينه الا جدار القبر ومحجرة زوجه عائشة رضي الله عنها، فكيف يليق بهم وهم أكمل هذه الأمة علما وايمانا أن يعدلوا الى الاستسقاء بغير رسول الله ﷺ أيا كان وهو حي بينهم يملك الدعاء ويقدر على الكلام باللسان، أن هذا الا محض افتراء وبهتان.

فصل

فيا احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فان احتجتم بالشهيد بأنه
والرسل أكمل حالة منه بلا
فلذا كانوا بالحياة أحق من
وبأن عقد نكاحه لم ينسخ
ولأجل هذا لم يحل لغيره
أفليس في هذا دليل أنه
أو لم ير المختار موسى قائما
أفميت يأتي الصلاة وان ذا
أو لم يقلل أني أرد على الذي
أيرد ميت السلام على الذي
هذا وقد جاء الحديث بأنهم
وبأن أعمال العباد عليه تع
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي

الشرح: يذكر المؤلف في هذا الفصل حجج القائلين بحياته صلى الله عليه وسلم في قبره أما
الحجة الأولى فهي ما ثبت بصريح القرآن من أن الشهداء أحياء في قبورهم كما
قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وكما قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] ولا شك أن الرسل
عليهم الصلاة والسلام أكمل حالة من الشهداء، وهذا أمر ظاهر لا يحتاج الى
بيان، فاذا كان الشهداء أحياء في قبورهم فالرسل عليهم السلام أحق منهم بهذا
عقلا وبرهاناً.

وأما الحجة الثانية فان عقد نكاحه لأزواجه أمهات المؤمنين باق بعده لم

ينفسخ، ولهذا بقيت نساؤه معصومات مصونات من قربان الغير لهن، فلا يحل لأحد من الناس أن يتزوج بواحدة منهن أبد الدهر لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الاحزاب: ٥٣] وبقاء عقد النكاح وعدم انفساخه وحرمة تزوج غيره بواحدة من نسائه دليل حياته وعدم موته .

وأما الحجة الثالثة فهي ما رواه أنس رضي الله عنه في حديث الاسراء من أنه مر بموسى ليلة أسرى به وهو قائم بقبره يصلي، ولا شك أن الصلاة حركات وأقوال لا يعقل أن تحصل الا من حي، ونسبتها الى الميت عين المحال .

وأما الحجة الرابعة فهي ما روى عنه صلى الله عليه وسلم من قوله « ما من أحد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روي حتى أرد عليه السلام » ولا شك أن رد السلام من شأن الأحياء لا من شأن الأموات .

وأما الحجة الخامسة فهي ما جاء به الحديث من أن الرسل عليهم السلام أحياء في أجدانهم، ومن أن أعمال أمتهم تعرض عليه في يومي الخميس والاثنين من كل جمعة. هذه جملة ما احتج به القبوريون على حياته صلى الله عليه وسلم في قبره، وقد تدرجوا من ذلك الى أثبات الحياة في القبر لغيره أيضاً من الأولياء والصالحين، وسيأتي الرد عليهم في الفصل الذي يلي هذا، ولكننا نجمل الرد عليهم بأن حياة الشهداء ليست حياة في قبورهم، ولكن عند الله عز وجل، كما قال عند ربهم يرزقون وبأن بقاء عقد نكاحه عليه السلام بأزواجه وحرمتهن على غيره لا يقتضي حياته بل هي خصوصية اختصه الله بها، فان أزواجه أمهات المؤمنين، أي كأمهاتهم في الحرمة ووجوب التوقير .

وأما حديث أنس فلم يصح رفعه، بل هو موقوف، ولو صح لم يقتض حياة موسى في قبره، بل يحمل على التمثيل كما تحمل رؤيته له في السماء السادسة ومخاطبته له بقوله (فرض الله عليك وعلى أمتك؟ وقوله له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف) الخ، فإن ذلك كله من أمور الغيب التي تؤمن بها ولا نعلم

كيفيتها، ولكننا نعم يقيناً أن موسى قد مات، وعلى هذا النحو نحمل بقية الأحاديث إذا فرض صحتها، وإلا فدون ذلك خرط القتاد.

★ ★ ★

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجتنا عليكم وهي ذات بيان إن الشهيد حياته منصوصة لا بالقياس القائم الأركان هذا مع النهي المؤكد أننا ندعوه ميتاً ذاك في القرآن ونساؤه حل لنا من بعده وهذا وأن الأرض تأكل لحمه لكنه مع ذاك حيٌّ فارح فالرسل أولى بالحياة لديه مع وهي الطرية في التراب وأكلها ولبعض أتباع الرسول يكون ذا فانظر إلى قلب الدليل عليهم

المال مقسوم على السهمان وسباعها مع أمة الديدان مستبشر بكرامة الرحمن موت الجسوم وهذه الأبدان فهو الحرام عليه بالبرهان أيضاً وقد وجدوه رأي عيان حرفاً مجرف ظاهر التبيان

الشرح: فيقال لهؤلاء أن ما جعلتموه أصلاً لدليلكم وهو حياة الشهداء قد أصبح حجة عليكم لا لكم، وبيان ذلك أن حياة الشهيد ثابتة بالنص في قوله تعالى ﴿بل أحياء﴾ وليس ثبوتها بالقياس المستوفى لأركانه، كما ورد النهي الصريح في القرآن عن تسمية الشهيد ميتاً في قوله تعالى ﴿ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيلِ الله أموات﴾ [البقرة: ٥٤] ومع ذلك فلم تقتض هذه الحياة شيئاً مما جعلتموه دليلاً على حياة الرسول ﷺ في قبره، فإن نساءه - أي الشهيد - حلال لنا بعد موته وماله مقسوم بين ورثته ولحمه تأكله الأرض وسباع الوحش والطيور وجاعة الديدان. ومع ذلك فهو حي كما أخبر الله، فرح مستبشر بكرامة الله

ورضوانه . فدل ذلك على أن حياة الشهداء التي نص عليها القرآن ليست هي تلك الحياة الجسدية في القبر ، ولكنها حياة لأرواحهم عند الله ، وقد فسرها الرسول ﷺ بأن أرواحهم تجعل في حواصل طير خضر تسرح في الجنة فتأكل من ثمارها وتشرب من أنهارها ، ولا شك أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أولى بتلك الحياة عند الله مع موت جسومهم وقد ورد أن أرواحهم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش . بل أن لجسومهم مع موتها مزية كذلك على سائر الأبدان وهي بقاؤها طرية لا تأكلها الأرض . فقد جاء في المسند والسنن من حديث أوس بن أوس عن النبي ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ ، قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعني قد بليت - قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » ورواه الحاكم في المستدرک وابن حبان في صحيحه وكذلك أخرجه النسائي وابن ماجه .

على أن هذه المزية ثابتة أيضاً لبعض أتباع الأنبياء ، وقد ثبت هذا بالمشاهدة فقد وجد بعضهم بعد موته بزمان طويل سليماً لم تنقص منه الأرض شيئاً ولم يسر فيه البلى والتعفن ، فانظر كيف انقلب هذا الدليل عليهم حرفاً بحرف وصار الذي أرادوه حجة لهم حجة ظاهرة عليهم ، وهكذا أهل الباطل دائماً لا يأتون بدليل إلا كان فيه ما يفسد قولهم ويأتي على دعواهم من القواعد والله في خلقه شئون .

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| لكن رسول الله خص نساؤه | بخصيصة عن سائر النسوان |
| خيرن بين رسوله وسواه فا | خترن الرسول لصحة الإيمان |
| شكر الإله هن ذاك وربنا | سبحانه للعبد ذو شكران |
| قصر الرسول على أولئك رحمة | منه بهن وشكر ذي الإحسان |

وكذاك أيضاً قصرهن عليه مع لوم بلا شك ولا حسان
 زوجاته في هذه الدنيا وفي الأخ رى يقيناً واضح البرهان
 فلذا حرمهن على سواه بعده إذ ذاك صون عن فراش ثمان
 لكن أتين بعبدة شرعية فيها الحداد وملزم الأوطان

الشرح: وأما ما ذكرتم من بقاء عقد نكاحه على أزواجه وحرمتهن على غيره بعد موته، فليس فيه دليل على حياته في قبره، فإن تلك خصوصية اختص الله بها نساء نبيه ﷺ حيث خيرن بين الرسول وبين غيره فاخترته لقوة إيمانهن، والسبب في التخيير أنهن تظاهرن على الرسول ﷺ يسألته النفقة ورغد الحياة بعد أن فتح الله عليه خبير، فلما أكثرن عليه في ذلك آلى أن لا يقربهن شهراً وأشيع أنه طلقهن، ثم نزلت آية التخيير وهي قوله تعالى من سورة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجَكُ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَعَلَّيْنَّ أَمَّا تُرِيدْنَ الْآخِرَةَ فإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢٨: ٢٩] فخيرهن ﷺ فكلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فشكر الله لهن هذا الصنيع وكافأهن عليه وهو سبحانه شكور لأعمال عباده، فقصر الرسول ﷺ عليهن رحمة بهن وشكراً لإحسانهن فقال له ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وكذلك قصرهن عليه معلوم لا شك فيه، فقد جعلهن أمهات للمؤمنين، ونهى المؤمنين عن نكاحهن بعده بقوله ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فهن زوجات له في الدنيا وفي الآخرة جميعاً، ولهذا حرمهن على غيره من بعده صيانة لهن عن الدخول في فراش ثمان حتى يلحقن به في الفردوس الأعلى رضي

الله عنهن ، لكنهن مع ذلك قد أتين بعدة شرعية احتددن فيها ولزمن بيوتهن ،
 كما تفعل كل متوفى عنها زوجها امثالاً لقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُمُ
 وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

فأين في هذا ما يدل أو ما يصح أن يكون شبه دليل على حياته ﷺ في
 قبره .

★ ★ ★

هذا ورؤيته الكليم مصلياً في القلب منه حسيكة هل قاله
 ولذلك أعرض في الصحيح محمد والدارقطني الإمام أعلسه
 أنس يقول رأى الكليم مصلياً فرواه موقوفاً عليه وليس بالمد
 بين السياق إلى السياق تفاوت لكن تقلد مسلماً وسواه مم
 فرواته الإثبات أعلام الهدى لكن هذا ليس مختصاً به
 فروى ابن حبان الصدوق وغيره فيه صلاة العصر في قبر الذي
 فتمثل الشمس الذي قد كان ير عند الغروب يخاف فوت صلاته
 حتى أصلي العصر قبل فواتها هذا مع الموت المحقق لا الذي
 هذا وثابت البناني قد دع- أن لا يزال مصلياً في قبره

في قبره أثر عظيم الشان فالحق ما قد قال ذو البرهان
 عنه على عمد بلا نسيان برواية معلومة التبيان
 في قبره فأعجب لذا الفرقان رفوع أشواقاً إلى العرفان
 لا تطرحه فما هما سيان من صحّ هذا عنده ببيان
 حفاظ هذا الدين في الأزمان والله ذو فضل وذو إحسان
 خيراً صحيحاً عنده ذا شان قد مات وهو محقق الإيمان
 عاها لأجل صلاة ذي القربان فيقول للملكين هل تدعاني
 قالوا ستفعل ذاك بعد الآن حكيت لنا بشوته القولان
 ما الرحمن دعوة صادق الإيقان إن كان أعطي ذاك من إنسان

الشرح: وأما احتجاجهم بما رواه أنس من أنه ﷺ مر ليلة أسري به على موسى بن عمران عليه السلام وهو قائم يصلي في قبره، فقد روي الحديث مرفوعاً وموقوفاً، ففي رواية مسلم وأبي داود يرفع أنس الحديث إلى رسول الله ﷺ أنه قال « مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره » وأبو يعلى الموصلي يرويه في مسنده موقوفاً على أنس مرة بلفظ أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر على موسى وهو يصلي في قبره. ومرة عن أنس قالت سمعت أنساً أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره، ولهذا وقع في القلب حسكة، أي شك منه، هل قاله الرسول ﷺ أم لم يقله، فإن كان قاله فالحق ما قاله صاحب البرهان عليه السلام، ولذلك أيضاً عرض الإمام محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه عن روايته في صحيحه عمداً بلا نسيان، وأعله بذلك الدارقطني حيث رواه موقوفاً على أنس، وليس بالرفوع وما كان أشد شوقنا إلى معرفة الحق من هذه الروايات، فإن بينها تفاوتاً في السياق، لكن الأولى قبول رواية مسلم وغيره ممن صح عندهم رفعه، فإن رواه كلهم ثقات، وكلهم أعلام هدى، وهم القائمون على حفظ الدين في جميع العصور، لكن هذا المعنى وهو قيام الكليم مصلياً في القبر ليس مختصاً به وحده حتى ينهض دليلاً لكم على حياة الأنبياء في قبورهم فقد روى ابن حبان وغيره خبراً صحيحاً مؤداه أن المؤمن الذي مات محققاً لإيمانه تمثل له الشمس التي كان يرقبها في الدنيا يتحين بها أوقات الصلاة فيراها قد مالت للغروب، فيخاف فوت صلاة العصر فيستأذن الملكين اللذين هما منكر ونكير قائلاً لهما: هل تدعاني حتى أصلي العصر قبل خروج وقتها، فيقولان له ستفعل ذلك بعد الآن. فإذا جازت الصلاة في القبر ممن كان موته محققاً لا ريب فيه، فجوازها ممن وقع النزاع في حياته أو موته أولى. ولقد كان ثابت البناني رحمه الله - وهو أحد رواة حديث أنس - يدعو الله عز وجل بلسان صدق أن يجعله مصلياً في قبره إن كان قد أعطى ذلك لغيره من الناس، والله سبحانه وتعالى أعلم.

★ ★ ★

لكن رؤيته لموسى ليلة الم
 يرويه أصحاب الصحاح جميعهم
 ولذاك ظن معارضاً لصلاته
 وأجيب عنه بأنه أسرى به
 فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا
 هذا ورد نينا التسليم من
 ما ذاك مختصاً به أيضاً كما
 من زار قبر أخ له فأتى بتس
 رد الإله عليه حقاً روحه
 وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
 فانظر إلى الإسناد تعرف حاله

راج فوق جميع ذي الأكوان
 والقطع موجبة بلا نكران
 في قبره إذ ليس يجتمعان
 ليراه ثم مشاهداً بعيان
 بتناقض إذ أمكن الوقتان
 يأتي بتسليم مع الإحسان
 قد قاله المبعوث بالقرآن
 ليم عليه وهو ذو إيمان
 حتى يرد عليه رد بيان
 لما يصح وظاهر النكران
 إن كنت ذا علم بهذا الشأن

الشرح: وإذا لم يصح حديث رؤيته عليه السلام لموسى قائماً يصلي في قبره
 للاختلاف في واقفه ورفع، فإن رؤيته له في السماء السابعة ليلة المعراج متفق عليه
 فقد رواه جميع أصحاب الصحاح، ولذلك كان مفيداً للقطع بدون تكبير.

وقد ظن بعض الناس أنه معارض لصلاته في قبره، إذ لا يعقل ان يكون في
 ليلة واحدة قد رآه في قبره يصلي، ثم رآه بعد ذلك في السماء، وأجيب عن هذا
 بأنه لا تناقض بين رؤيته له في قبره وبين رؤيته له بعد ذلك في السماء لاختلاف
 الوقتين. وقد صلى الرسول ﷺ في بيت المقدس، ثم عرج به بعد ذلك إلى السماء
 ولم يقل أحد أن صلاته في بيت المقدس تناقض وجوده في السماء، فإن هذا بعد
 هذا لا معه، وإنما التناقض وقوع الأمرين جميعاً في وقت واحد بعينه.

وأما احتجاج القائلين بحياته ﷺ في قبره برده السلام على من يسلم عليه من
 أمته فهو إن صح (١) حجة عليهم، فقد جاء في الحديث « ما من أحد يسلم عليَّ
 إلا رد الله عليَّ روحي فأرد عليه السلام » فقله إلا رد الله علي روحي يدل على

(١) أخرجه أبو داود والبيهقي عن أبي هريرة، وذكر له صاحب اللآلئ شواهد كثيرة.

أن روحه لم تكن في بدنه، فلم يكن حينئذ حياً، ويدل أيضاً على أن رد الروح إليه إنما هو بقدر ما يرد السلام فقط على من يسلم عليه، على أن ذلك ليس مختصاً به ﷺ، بل ورد في مسند أحمد وغيره أنه ما من رجل يزور قبر رجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام، وإذا انتفى اختصاصه عليه السلام بذلك، وكان ثابتاً في حق غيره ممن هو مقطوع بموته لم يصلح حينئذ أن يكون دليلاً على حياته.

وأما الحديث الذي ذكر فيه حياة الأنبياء في قبورهم ولفظه « ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحاً حتى ترد إليه روحه » فقد رواه ابن حبان عن أنس مرفوعاً وقال عنه أنه باطل، كما ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وقد أخرجه أيضاً الطبراني وأبو نعيم في الحلية، ورواه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء، وروى له عدة شواهد، ولم يصح من ذلك كله شيء، ومن نظر إلى إسنادها، وكان ذا علم بأحوال الأسانيد والرجال عرف حال هذه الأحاديث.

★ ★ ★

هذا ونحن نقول هم أحياء لـ
والترب تحتهم وفوق رؤوسهم
مثل الذي قد قلتموه معاذنا
بل عند ربهم تعالى مثل ما
لكن حياتهم أجل وحالهم
هذا وأما عرض أعمال العبا
وأتى به أثر فإن صح الحد
لكن هذا ليس مختصاً به
فعلى أبي الإنسان يعرض سعيه
إن كان سعيًا صالحاً فرحوا به

كن عندنا كحياة ذي الأبدان
وعن الشائل ثم عن أيمان
بالله من أفك ومن بهتان
قد قال في الشهداء في القرآن
أعلى وأكمل عند ذي الإحسان
د عليه فهو الحق ذو إمكان
ديث به فحق ليس ذا نكران
أيضاً بآثار روين حسان
وعلى أقتاربه مع الأخوان
واستبشروا يا لذة الفرحان

أو كان سعيًا سيئاً حزنوا وقا
ولذا استعاذ من الصحابة من روى
يا رب إني عائد من خزينة
ذاك الشهيد المرتضى ابن روا
لكن هذا ذو اختصاص والذي
لوا رب راجعه إلى الإحسان
هذا الحديث عقيبه بلسان
أخزي بها عند القريب الداني
حة المحبّو بالغفران والرضوان
للمصطفى ما يعمل الثقلان

الشرح: هذا ونحن لا ننكر أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أحياء لكن لا
نثبت لهم حياة بدنية محسوسة في قبورهم كحياتهم قبل الموت مع إحاطة التراب
بهم من كل جانب ومع بطلان الحس والحركة عنهم، مثل الذي يزعمه هؤلاء
المخرفون، فنحن نعوذ بالله أن نفتري على الله الكذب ونقول ما لا علم لنا به من
هذا الافك والبهتان، بل نحن نثبت لهم حياة عند الله كحياة الشهداء التي أخبر
عنها القرآن، لكن حياة الرسل هناك أعظم مما للشهداء، وهم أعلى منهم حالاً
وأكمل عند الله صاحب الفضل والإحسان.

وأما حديث عرض أعمال العباد عليه فقد ورد بألفاظ لا يشك من تأملها أنه
باطل موضوع، ولم يروه أحد من أصحاب الصحاح، بل رواه صاحب الفردوس
بسند فيه انقطاع، وفي بعض الروايات روى موقوفاً على أنس واليك نص
الحديث:

« حياتي خير لكم ومماقي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فإن وجدت خيراً
حدت الله وإن وجدت شراً استغفرت لكم » فحياته كانت خيراً لأمته بلا
نزاع، يهديها إلى الرشd ويقودها إلى مواطن الفلاح والخير، ولكن كيف يكون
موته خيراً لها، وقد أدرك أصحابه عظم الفجيرة فيه واستهولوا الخطب، حتى أن
أشدهم شكيمة وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد غشي عليه من هول
المصاب، وما من شك في أن فقده صلى الله عليه وسلم كان أعظم ما أصيبت به هذه الأمة من
أرزاء.

ثم ما فائدة عرض الأعمال عليه وهو ليس مسئولاً عنها ولا مكلفاً بإحصائها

وكتابتها ولا برفعها إلى الله، فإن لذلك كله ملائكة موكلين به، وكيف يعقل ان يسوء الله عز وجل نبيه ويجزن قلبه وينغص عليه ما هو فيه من أنواع النعيم بعرض حصائد الناس من الشرور والمعاصي عليه. أما يكفي ما تحمله في حياته من أنواع المشقات وكبار التضحيات. والحديث فيه كذلك إغراء بالمعاصي ودعوة إليها، فإنه إذا كان الرسول ﷺ سيستغفر لعصاة أمته كلما عرضت عليه أعمالهم، ولا شك أن استغفاره موجب للمغفرة لم يضر أحد ما يرتكبه من ذنب. وهو معارض للأحاديث الصحيحة التي تدل على أنه لا يدري بعد موته شيئاً من أحوال أمته، فقد جاء في حديث الحوض (أنه يرد عليه أناس من أمته الحوض، وأنه بهم ليسقيهم فتجيء الملائكة وتذودهم عن الحوض، فيقول الرسول ﷺ: هؤلاء أصحابي أعرفهم، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيقول: سحقاً وبعداً لمن أحدث بعدي، ويتلو قوله تعالى ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

ولو فرض صحة هذا الأثر فإن عرض الأعمال عليه ﷺ من شئون الغيب التي نؤمن بها ولا نعلم كيفيتها، مع علمنا يقيناً أنه ليس عرضاً حسياً يقتضي رؤية أو سماعاً أو غير ذلك مما هو من شئون الحي. وهو أيضاً ليس مختصاً به حتى يكون دليلاً على حياته في قبره، بل قد ورد في عدة آثار حالها في الإسناد على ما فيه أحسن من هذا الحديث أن الإنسان يعرض سعيه على أبيه الميت وأقاربه وأخوانه فإن كان سعيًا صالحًا فرحوا به واستبشروا، وإن كان سعيًا سيئًا حزنوا وتكدروا ودعوا الله عز وجل ان يرده عن غيه ويوفقه للصالحات. ولهذا استعاذ راوي هذا الحديث - وهو الصحابي الجليل عبدالله بن رواحة الذي استشهد في غزوة مؤتة - بالله من كل عمل يخزيه عند أهله وأقربائه الميتين.

والفرق بين الأمرين أن هذا عرض خاص بالنسبة للأهل والاخوان، وأما الرسول فيعرض عليه ما يعمله الثقلان.

واعلم أن المؤلف رحمه الله قد تساهل في قبوله هذه الآثار، وكان الأولى به أن ينبه على ضعفها وأنها لا يمكن أن تقوم بها حجة، لا سيما في هذه المسائل التي يجب الاحتياط فيها حتى لا يفتح الباب للدعوى العريضة والاختلاقات الباطلة، كما فعل المتصوفة بالنسبة إلى مشايخهم المقبورين، فقد رووا عنهم بعد الموت ما لا يصدقه عقل، والسبب في ذلك طبعاً هو التساهل في قبول مثل هذه الآثار من غير روية ولا تمحيص، والله سبحانه وتعالى أعلم.

★ ★ ★

في ذا المقام الضنك صعب الشأن
ل بني الزمان لغلظة الأذهان
وصفاتها للألف بالأبدان
أتريد تنقض حكمة الديان
أعلى الرفيق مقيمة بجنان
أتباعه في سائر الأزمان
ردت لهم أرواحهم للآن
كن لست تسمعه بنذي الأذنان
مسكنها لدى الجنات والرضوان
تظلمه واعذره على النكران
تهمله شأن الروح أعجب شأن
يعرفه غير الفرد في الأزمان
بادرت بالإنكار والعدوان
ذاك الرفيق جريت في الميدان
وحدوثها المعلوم بالبرهان
قد قال أهل الإفك والبهتان
عنا كما قالوه في الديان

هذي نهايات لأقدام الورى
والحق فيه ليس تحمله عقو
ولجهلهم بالروح مع أحكامها
فأرض الذي رضي الإله لهم به
هل في عقولهم بأن الروح في
وترد أوقات السلام عليه من
وكذاك إن زرت القبور مسلما
فهم يردون السلام عليك لـ
هذا وأجواف الطيور الخضر
من ليس يحمل عقله هذا فلا
للروح شأن غير ذي الأجسام لا
وهو الذي حار الورى فيه فلم
هذا وأمر فوق ذا لو قلته
فلذاك أمسكت العنان ولو أرى
هذا وقولي أنها مخلوقة
هذا وقولي أنها ليست كما
لا داخل فينا ولا هي خارج

والله لا الرحمن أثبتتم ولا أرواحكم يا مدعي العرفان
عظمت الأبدان من أرواحها والعرش عظمت من الرحمن

الشرح: بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله بعض ما تضمنته هذه الآثار من شئون الروح وأحوالها، قال إن هذا هو نهاية ما بلغت مدارك البشر في هذا المقام الخطر والأمر الجليل. ولكن الحق الكامل فيه لا تطيق حمله عقول بني العصر لغلظ أذهانهم وشدة جهلهم بأحكام الروح وصفاتها لقوة الألف بالأبدان والتعلق بالمحسوسات. فيجب أن نقنع منهم بهذا الذي رضي الله لهم من يسير العلم بهذه الشئون حيث أجاب سبحانه السائلين عن الروح بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وتلك حكمته سبحانه أن لا يخاطب عباده إلا بمقدار ما تحتمله عقولهم. وليس في عقول الناس أن الروح إذا كانت في الرفيق الأعلى مقيمة في روضات الجنات ترد إلى البدن لرد السلام كلما سلم عليه أحد من أمته في جميع الأوقات.

وليس في العقول كذلك أننا إذا زرنا القبور مسلمين على من بها من إخواننا وأقاربنا ترد إليهم أرواحهم لرد السلام علينا، وإن كنا لا نسمع ذلك بأذاننا. مع وجود أرواحهم في حواصل الطير الخضر تسرح في مجبوحة الجنان. فمن لا يحمل عقله مثل هذه المعاني فيجب أن نعذره ولا نكلفه ما لا يطيقه من ذلك. فإن للروح نواميسها العجيبة وشئونها الغريبة التي تخالف قوانين الأجسام فلا تهمل هذه الشئون التي حار الورى في فهمها، فلم يعرفه منهم إلا الفرد بعد الفرد في الأزمان المتطاولة. هذا وأن للروح من العجائب والأسرار ما لو أبديته لبادر الجهلاء إلى إنكاره ومقابلته بالعدوان فلهذا كبحت جراح القلم، ولو وجدت من يفهم ذلك لأطلقت له العنان وجريت في الميدان.

وخلاصة القول في الروح أنها مخلوقة وحادثة، وذلك ثابت بالبراهين القاطعة وليست قديمة كما يقول الفلاسفة المارقون. وأنها كذلك قابلة للحلول في البدن والانفصال عنه وللصعود والنزول، وليست كما يقول الفلاسفة المارقون. وأنها

كذلك قابلة للحلول في البدن والانفصال عنه وللصعود والنزول، وليست كما يقول الفلاسفة الضلال ليست بداخلة فينا ولا خارجة عنا. كما قالوا ذلك في حق الرب جل شأنه، فلا هم أثبتوا ربهم ولا أثبتوا أرواحهم، بل عطلوا أبدانهم عن أرواحها حين قالوا أن الروح ليست حالة في البدن، كما عطلوا العرش عن وجود الرحمن فوقه حين أنكروا استواءه عليه.

★ ★ ★

فصل

في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلاً بعد جيل

لا يفزعنك قعاقع وفراقع
ما عندهم شيء يهولك غير ذا
وهو الذي يدعونه التركيب من
أرأيت هذا المنجنيق فإنهم
بلغت حجارته الحصون فهدت الش
للهم كم حصن عليه استولت ال
والله ما نصبوه حتى عبروا
ومن البلية أن قوماً بين أه
ورموا به معهم وكان مصاب أه
فتركبت من كفرهم ووافق من
وجرت على الإسلام أعظم محنة
والله لولا أن تدارك دينه
لكن أقام له الإله بفضل
فرموا على ذا المنجنيق صواعقاً

وجعاجع عريت عن البرهان
ك المنجنيق مقطع الأفضاخ والأركان
صوباً على الأثبات منذ زمان
نصبوه تحت معاقل الإيمان
رفات واستولت على الجدران
كفار من ذا المنجنيق الجاني
قصدا على الحصن العظيم الشأن
ل الحصن واطوهم على العدوان
ل الحصن منهم فوق ذي الكفران
في الحصن أنواع من الطغيان
من ذين تقديراً من الرحمن
الرحمن كان كسائر الأديان
يزكما من الأنصار والأعوان
وحجارة هدته للأركان

تفسير المفردات: القعاقع: جمع قعقة وهي صوت الطبل. والفراقع: جمع

فرقعة وهي صوت السياط، والجعاجع: جمع جعجة وهي صوت الرحا. عريت: تجردت، يهولك: يفزعك، المنجنيق: آلة توضع فيها الحجارة لترمى بها الحصون، والينزك: الشهب التي ترمي بها الشياطين.

الشرح: لا يجد أهل التعطيل حجة يشغبون بها على أهل الإثبات ويغيرون بها في وجه الحق إلا حجة التركيب، والأصل في هذه الحجة هم الفلاسفة فإن مذهبهم أن واجب الوجود واحد من كل وجه بسيط لا تكثر فيه لا ذهنياً ولا خارجاً، ولهذا نفوا جميع الصفات الثبوتية من العلم والقدرة والإرادة ونحوها، ولم يثبتوا إلا السلوب والإضافات، ولكن فريقاً من المتكلمين جاروهم في هذه الفرية وواطؤوهم عليها وصاروا إلماً واحداً على أهل الإثبات، ونصبوا من هذا التركيب منجنيقاً يرمون منه معاقل الإثبات من زمان بعيد.

والمؤلف رحمه الله يحذر من الاغترار بما يجعجع به هؤلاء من سفسفات ليس لها سنة من دليل، ويحذر أنه ليس عندهم ما يهولون به غير هذا المنجنيق المتداعي الأركان الذي يسمونه التركيب، ناصبين له تحت معاقل الإيمان، وأخذوا يرمونها به حتى بلغت حجارتها لقوة رميها مواقع الحصون، فأسقطت شرفاتها واستولت على الجدران، فكم من حصن استولوا عليه بواسطة هذا المنجنيق وهم ما نصبوه إلا ليعبروا من خلال هذه الحصون إلى الحصن الأكبر الذي هو حصن الإيمان. ومما زاد الأمر سوءاً والبلاء شدة أن جماعة من أهل الحصن قد انهضموا إلى هؤلاء الأعداء ووافقوهم على العدوان، ورموا معهم بالمنجنيق حصن الإيمان، وكان ما لقيه أهل الحصن من هؤلاء المنافقين أشد مما لقوه من أهل الكفران، وتركب من كفر هؤلاء وموافقة بعض أهل الحصن لهم طغيان شديد على أهل الحق وجرت منها على الإسلام محنة قاسية، وكان ذلك بتقدير الله جل شأنه، ولولا أنه سبحانه تدارك دينه بلطفه ورحمته لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله من الفساد والضياع، ولكنه أقام له بفضل جنداً من أهل الحق ينصرونه ويحمونه ويرمون منجنيق أهل التعطيل بصواعق محرقة من أدلة الإثبات حتى أتوا

عليه من القواعد وجعلوا أركانه كثيراً مهياً .

★ ★ ★

فاسألهم ماذا الذي يعنون
إحدى معانيه هو التركيب من
من هذه الأعضاء كذا أعضاؤه
أفلازم ذا للصفات لربنا
ولعل جاهلكم يقول مباحثاً
فالبهت عندهم رخيص سعره
هذا وثانيها فتركيب الجوا
كالجسر والباب الذي تركيبه
والأول المدعو تركيب امتزا
أفلازم ذا من ثبوت صفاته

بالتركيب فالتركيب ست معان
متباين كتركيب الحيوان
قد ركب من أربع الأركان
وعلوه من فوق كل مكان
ذا لازم الإثبات بالبرهان
حسوا بلا كيل ولا ميزان
ر وذاك بين اثنين يفترقان
بجواره لمحلة من بان
ج واختلاط وهو ذو تبيان
أيضاً تعالى الله ذو السلطان

الشرح: فاسأل هؤلاء الذين يتعللون بحجة التركيب ويرونها مانعة من إثبات الصفات، ماذا تقصدون بالتركيب؟ فإنه لفظ مجمل يقع في الاصطلاح على ست معان، إحداها التركيب من أمور متباينة، كتركيب الحيوان من أعضائه المختلفة وأجهزته المتعددة، وتركيب أعضاء الحيوان من الاسطقسات الأربعة التي هي الماء والهواء والتراب والنار، وكان قدماء الطبيعيين يعتقدون أن كل واحد من هذه الأربعة عنصر بسيط حتى كشف العلم الحديث عن تركيبها من عناصر أبسط منها كالأوكسجين والأيدروجين والآزوت وغيرها، وقد بلغ ما اكتشف منها حتى الآن نحواً من مائة عنصر .

فهل هذا النوع من التركيب لازم على القول بثبوت الصفات لله وعلوه فوق جميع خلقه؟ لعل جاهلاً منكم يقول على سبيل البهت والمكابرة أن ذلك التركيب من أمور متغايرة لازمة على إثبات الصفات بالبرهان، فإنها غير الذات قطعاً، لأن الصفة لا تكون عين الموصوف وكذلك هي متغايرة فيما بينها، فإذا فرض

أنها أمور موجودة لزم التركب من أمور متغايرة. وهذا محض مكابرة. فإن الموصوف بصفات الكمال اللازمة لذاته لا يكون مركباً من أشياء متباينة، كتركب الحيوان من أجزائه، فإن صفاته ليست غيره، إذ ليس لها وجود خاص بها، بل هي تابعة له في وجوده وقدمه وبقائه، فهي لازمة له لا يعقل وجوده بدونها ولا يوجد إلا وهو متصف بها من غير افتقار منه إليها، بل هي المفتقرة إليه لكونها قائمة به. وأما الثاني من أنواع التركيب فهو التركب من متجاوزين يمكن افتراق احدهما عن الآخر، وضرب المؤلف لذلك مثلاً بتركب المحلة من الجسر والباب المجاور له، والأمثلة عليه كثيرة، فهل يمكن أن يقال أيضاً أن هذا النوع من التركيب لازم على ثبوت الصفات، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

★ ★ ★

| | |
|---|---|
| <p>يدعى الجواهر فردة الأكوان لاه وصورته لذي اليونان د الفيلسوف وذاك ذو بطلان م وذاك أيضاً واضح البطلان زعموه أصل الدين والإيمان ولهم خلاف وهو ذو ألوان من أربع أو ستة وثمان عري لذي مقالات على التبيان وعلوه سبحان ذي السبحان</p> | <p>والثالث التركيب من متماثل والرابع الجسم المركب من هيو والجسم فهو مركب من ذين عن ومن الجواهر عند أرباب الكلا فالمشبتون الجوهر الفرد الذي قالوا بأن الجسم منه مركب هل يمكن التركيب من جزءين أو أو ست عشرة قد حكاه الأش أفلازم ذا من ثبوت صفاته</p> |
|---|---|

الشرح: والثالث من أنواع التركيب هو التركب من أجزاء صغيرة غير قابلة القسمة تسمى بالجواهر الفردة، وهذا مذهب سائر المتكلمين، فإن الأجسام عندهم مركبة من هذه الجواهر المتماثلة، وإنما تميز الأجسام بما يخلقه الله فيها من الأعراض، وقد غلا المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة في التعويل على نظرية

الجواهر الفردة، وهي في الأصل نظرية يونانية قديمة، قال بها ديموكريتيوس: الفيلسوف الطبيعي اليوناني، وقد بنوا عليها كثيراً من الأصول الإيمانية، فجعلوها عمدتهم في الاستدلال على حدوث العالم ووجود المحدث له، حتى أن أحد كبار الأشاعرة، وهو القاضي أبو بكر الباقلاني قد أوجب الإيمان بوجود الجوهر الفرد، بناء على أن الإيمان بوجود الله متوقف على ثبوته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما بنوا على تلك النظرية ما يترتب على حدوث العالم من أن الله فاعل بالاختيار لا موجب بالذات كما يقوله الفلاسفة، وأنه لا تأثير لشيء من الأسباب في مسيبتها، بل يخلق الله الأشياء عند وجود أسبابها لا بها.

وهكذا انحرف المتكلمون عن الجادة واعتمدوا في استدلالهم على وهم كاذب وربطوا به مصير العقائد الإيمانية كلها، مما جعل السلف الصالح المتمسكين بالكتاب والسنة يذمون الكلام وأهله ويرمونهم بالفسوق والابتداع والمروق عن الملة، ومما جعل أعداءهم من الفلاسفة ينتصرون عليهم ويتمكنون من مقاتلتهم، فلا هم للإسلام نصرؤ ولا للفلاسفة كسروا، وهكذا يفعل الصديق الجاهل من الأذى والضرر ما لا يفعله العدو العاقل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد أن اتفق المتكلمون على تركيب الأجسام من تلك الجواهر الفردة اختلفوا في أقل ما يتركب منه الجسم، فقال الأشاعرة أقله جوهران، فإذا انضم جوهر فرد إلى آخر حصل من مجموعهما الجسم عندهم، وحدوا الجسم بأنه الجوهر القابل للقسمة ولو في جهة واحدة فقط.

وأما المعتزلة فاعتبروا في الجسم أن يكون قابلاً للقسمة في الجهات الثلاث، وعرفوه بأنه الطويل العريض العميق، ولكنهم اختلفوا في أقل ما يتركب منه الجسم، فقال النظام: يتركب من أجزاء غير متناهية بالفعل، وقال الجبائي من ثمانية أجزاء، وقال أبو الهذيل العلاف من ستة أجزاء إلى آخر ما حكاه عنهم الإمام الأشعري في كتابه (مقالات الإسلاميين).

والرابع من أنواع التركيب هو تركيب الجسم من هيولي هي محل وصورة حالة فيها، ويعرفون الهيولي بأنها جوهر في الجسم قابل لما يعرض له من الاتصال والانفصال ومحل للصور الجسمية والنوعية. وأما الصورة فهي ما به يكون الشيء بالفعل أو بعبارة أخرى هي جوهر في الجسم مقوم لمادته ومخرج لها من القوة إلى الفعل.

وهذا مذهب أرسطو الفيلسوف اليوناني وتبعه عليه الفارابي وابن سينا وغيرهما من فلاسفة المسلمين، وهو مذهب أشد بطلاناً من مذهب المتكلمين، فهل يلزم واحد من هذين النوعين من التركيب على القول بثبوت الصفات لله وعلوه على خلقه؟ سبحانه وحاشاه، فهو المنزه عن كل هذه الأنواع من التركيبات التي لا تليق بذاته المقدسة، وإنما تتصف بها المحدثات الناقصة.



| | |
|---|--|
| والحق أن الجسم ليس مركباً والجوهر الفرد الذي قد أثبتوا لو كان ذلك ثابتاً لزم المحال من أوجه شتى ويعسر نظمها لتكون خردلة تساوي الطود في الأجزاء إذ كان كل منها اجزائه وإذا وضعت الجوهريين وثالثاً فلأجله افترقا فلا يتلاقيا ما مسه إحداها منه هو المحال هذا محال أو تقول بغيره | من ذا ولا هذا هما عدمان ه في الحقيقة ليس ذا إمكان ل لواضح البطلان والبهتان جداً لأجل صعوبة الأوزان جزاء في شيء من الأذهان لا تنتهي بالعد والحسبان في الوسط وهو الحاجز الوسطاني حتى يزول إذاً فيلتقيان سوس للثاني بلا فرقان فهو انقسام واضح التبيان |
|---|--|

الشرح: والحق أن الجسم ليس مركباً لا من الجواهر الفردة كما يقول المتكلمون، ولا من الهيولي والصورة كما يقول الفلاسفة، بل لا وجود لشيء من

ذلك في واقع الأمر، وإنما هي فروض وتخمينات لم تثبتها تجربة ولم يقم عليها دليل.

والجوهر الفرد الذي زعمه أهل الكلام ونصبوه صنماً لهم تدور حوله كل أفكارهم ومذاهبهم قامت أدلة كثيرة على بطلانه. وكان الذي قام بإبطاله هم الفلاسفة انتصاراً لمذهبهم الهيوولي والصورة، وقد قام المتكلمون من جانبهم بإبطال نظرية الفلاسفة، وهكذا ضرب الله بعض المبطلين ببعض، وبقي أهل الحق والإيمان بمنجى من هذا الإفك والبهتان، فما أورد على نظرية الجوهر الفرد أنه يلزم عليه أن تكون الخردلة مركبة من عدد من الجواهر الفردة يساوي ما تركب منه الجبل الضخم، إذ كان كل منها مركباً من أجزاء غير متناهية العدد.

وهذا الإيراد إنما يتوجه على مذهب النظام الذي يقول بتركيب الجسم، أي جسم من أجزاء غير متناهية، فلزمه أن تكون الخردلة مساوية للجبل. وقد أورد عليه أيضاً أن النملة إذا مشت بين نقطتين على جسم فإنها لا تستطيع قطع المسافة بينها لعدم تناهيتها إذ كانت مركبة من أجزاء غير متناهية، وقد أجاب بأنها تمشي بعضاً وتطفر بعضاً، فذهبت طفرة النظام مثلاً، وما أحسن قول الشاعر:

مما يقال ولا حقيقة عنده معقولة تدنو الى الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال عند الهاشمي وطفرة النظام

ومما أورد على الجوهر الفرد أيضاً أنك اذا وضعت جوهراً فرداً بين جوهرين فردين وجعلته وسطاً بينهما، فإنها لا يتلاقيان ما دام هذا الوسط قائماً، وحينئذ يقال: اما أن يكون ما مسه أحدهما من هذا الوسط هو عين ما مسه الآخر بلا فارق أصلاً، وهذا محال لأنه يؤدي الى انعدام الوسط نفسه ويقتضي تلاقيها حال وجوده بينهما، وأما أن يكون ما مسه أحدهما منه غير ما مسه الآخر، وهذا يقتضي قبوله للانقسام، فيبطل ما زعموه من عدم هذه الجواهر الفردة للقسمة أصلاً، وهذا دليل بين على فساد هذه الخرافة التي نسجتها أوهام

المتكلمين ومن العجيب أنهم تلقوها عبر الأعصار والقرون جيلا بعد جيل وكلهم مصر عليها محافظ على قدسيتها وجلالها لأنهم يعلمون أنها اذا انهارت زال بنيانهم كله من القواعد وطار كل ما بنوه عليها من خرافات وأوهام.

والخامس التركيب من ذات من ال
سموه تركيبا وذلك وضعهم
لسنا نقر بلفظة موضوعه
أو من تلقى عنهم من فرقة
من وصفه سبحانه بصفاته العلي
والعقل والفطرة أيضاً كلها
سموه ما شئتم فليس الشأن في الاس
هل من دليل يقتضي ابطال ذا الترك
والله لو نشرت شیوخم لما

أوصاف هذا باصطلاح ثان
ما ذاك في عرف ولا قرآن
في الاصطلاح لشيعه اليونان
جهمية ليست بذي عرفان
ا ويترك مقتضى القرآن
قبل الفساد ومقتضى البرهان
باء بالالقباب ذات الشان
يب من عقل ومن فرقان
قدروا عليه لو أتى الثقلان

الشرح: والخامس من أنواع التركيب عندهم هو التركيب من الذات مع صفاتها وهذا اصطلاح ثان للفلاسفة في مفهوم التركيب حملهم على نفي الصفات الوجودية فكما يستحيل عندهم تركب ذاته تعالى من هيولي وصورة، كذلك يستحيل تركبه من ذات وصفات زائدة عليها لأن ذلك في زعمهم يؤدي الى الكثرة في الذات، وينافي ما يجب لواجب الوجود من البساطة والوحدة المطلقة.

ولكننا ننازعهم في تسمية هذا تركيباً، فإنه اصطلاح لهم لا سند له من عرف ولا نقل، فقد جرى العرف على ان الشيء قد يطلق عليه اسم الواحد مع وجود صفات كثيرة له. والقرآن الكريم يقول في شأن الوليد بن المغيرة ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر: ١١] فسماه وحيداً مع أنه موصوف بأنه له سمعاً وبصراً وعلماً وقدرة وارادة الى غير ذلك من الصفات.

فاذا كنتم معشر الفلاسفة قد اصطلحتم على تسمية هذا تركيباً، فلسنا نقر

اصطلاحكم هذا ولا نوافقكم عليه ولا من تلقى عنكم هذه الاصطلاحات من الجهمية الجهلة الضلال الذين عطلوا الذات عن صفاتها العليا جريا وراء هذه الاصطلاحات الكاذبة تاركين ما دل عليه القرآن من ثبوت هذه الصفات لله. ودل عليه كذلك العقل والفطرة الانسانية السليمة والبراهين القاطعة. فلسنا نترك ذلك كله من أجل تسميتكم اياه تركيباً، فسموه ما شئتم فليست العبرة بالأسماء والألقاب، فانكم لا تستطيعون ان تقيموا دليلاً واحداً على بطلان هذا التركيب لا عقلياً ولا قرآنيًا حتى ولو بعث شيوخكم وطولبوا بذلك ما قدروا عليه. بل ولن يستطيع الانس والجن جميعاً أن يأتوا بدليل واحد على بطلان ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

★ ★ ★

والسادس التركيب من ماهية
الا اذا اختلف اعتبارهما فذا
فهناك يعقل كون ذا غيرا لذا
أما اذا اتحدا اعتبارا كل نفس وجـ
من قال شيء غير ذا كان الذي
ووجودها ماها هنا شيئان
في الذهن والثاني ففي الأعيان
فعلى اعتبارهما هما غيران
ودها هو ذاتها لا ثان
قد قاله ضرب من الفعلان

★ ★ ★

هذا وكم خبط هنا قد زال بالتفصـ
وابن الخطيب وحزبه من بعده
بل خبطوا نقلا وبجثا أوجبا
هل ذات رب العالمين وجوده
فيكون تركيبا محالا ذاك أن
واذا نفينا ذاك صار وجوده
وحكوا أقاويلا ثلاثا زين
الثالث التفريق بين الواجب الأ
يل وهو الأصل في العرفان
لم يهتدوا لمواقع الفرقان
شكا. لكل ملدد حيران
أم غيره فهما اذا شيئان
قلنا به فيصير ذا امكان
كالملطق الموجود في الأذهان
ك القولين اطلاقا بلا فرقان
على وبين وجود ذي الامكان

وسطوا عليها كلها بالنقض والا
حتى أتى من أرض آمد آخر
قال الصواب الوقف في ذا كله
هذا قصارى بحثه وعلومه

بطال والتشكيك للانسان
ثمور كبير بل حقير الشان
والشك فيه ظاهر التيان
أن شك في الله العظيم الشان

الشرح: والسادس من أنواع التركيب التركيب من الماهية التي هي بالذات ووجودها، فان لكل شيء ذاتا أي ماهية هو بها هو، وهذه الماهية يعرض لها الوجود في الخارج فيكون الشخص في الخارج مركبا من الماهية ومن الشخص هكذا قالوا والحق أنه ليس هناك في الخارج شيان ماهية ووجودها، بل ليس هناك الا الشخص الموجود في الخارج. وانما تعرض زيادة الوجود للماهية في الذهن، وذلك لأن الذهن يستطيع تصور الماهية معرفة من الوجود، ثم يضيف إليها الوجود، وأما في الخارج فلا مغايرة بين الماهية ووجودها. فالماهية المطلقة معنى كلي لا وجود له الا في الازهان، وما يوجد في الخارج لا يكون الا جزئيا متعينا. فاذا اعتبر الذهن ماهية من حيث هي بقطع النظر عن الوجود، واعتبر الوجود عارضا لها حكم مغايرة كل منها للآخر ضرورة مغايرة العارض للمعروض أما في الخارج فليس هناك عارض ولا معروض بل الذات ووجودها شيء واحد فالفصل بين الماهية ووجودها هو من عمل الذهن وحده.

وبهذا يتضح أن ما يدعيه هؤلاء من تركيب الأشخاص من الماهية والوجود في الخارج باطل، وزال بهذا التفصيل الذي قدمناه كثير مما تخبط فيه القوم في هذه المسألة والتفصيل دائما هو الاساس الذي تبنى عليه كل معرفة صحيحة. ولهذا ترى ابن الخطيب المعروف بالفخر الرازي هو وحزبه من المتفلسفين لما لم يهتدوا لمواقع الفرق بين الوجود في الذهن والوجود في الخارج أخذوا يخبطون خبط عشواء حتى بلبلوا الافكار وأثاروا الشكوك حين أخذوا يتساءلون: هل ذات الباري جل وعلا عين وجوده أم غيره؟

فان قلنا أنها غيره كان هناك شيان متغايران فيكون الباري مركبا منها

فيكون مفتقراً الى كل واحد منها والمفتقر الى غيره ممكن فيلزم أن يكون الباري ممكناً. وان قلنا أن ذاته عين وجوده، ومعلوم أن الذات أي الماهية أمر كلي صار وجوده وجوداً مطلقاً لا تحقق له الا في الازهان، ثم أضافوا الى هذين القولين قولاً ثالثاً وهو التفريق بين الواجب جل وعلا وبين الممكن، فالواجب لا تركب فيه بل وجوده عين ماهيته، وأما الممكن فوجوده زائدة على ماهيته، ثم سطوا على كل هذه الأقوال بالنقد والتفنيد والابطال، وبذلك حكموا على وجود ربهم بأنه عين المحال حتى جاء أحد المتأخرين من الاشاعرة وهو المعروف بالآمدي صاحب كتاب (أبكار الافكار) في علم الكلام وما هو الا أبعاد الافكار، فاختر الوقف في هذه المسألة لأن الأقوال فيها متضاربة محيرة فصار قصارى بحثه وعلمه أن شك في وجود ربه فبئس ما سولت لهؤلاء شياطينهم أن يفتروا على الله الكذب ويقولون عليه ما لا يعلمون.

فصل

في أحكام هذه التراكيب الستة

فالأولان حقيقة التركيب لا وكذلك الاعيان أيضا انما الترك والاوسطان هما اللذان تنازعا العقول ولم أقاويل ثلاث قد حكينا والآخران هما اللذان عليها أنتم جعلتم وصفه سبحانه وصفاته العليا التي ثبتت له من جملة التركيب ثم نفيت فجعلتم المرقاة للتعطيل ه

تعدوها في اللفظ والاذهان ييب فيها ذلك النوعان لاء في تركيب ذي الجثمان هاهنا وبيننا أتم بيان دارت رحى الحرب التي تريان بعلوه من فوق ذي الأكوان بالعقل والمنقول ذي البرهان مضمونها من غير ما برهان اذا الاصطلاح وذا من العدوان

الشرح: يناقش المؤلف رحمه الله هؤلاء النافين للصفات بحجة التركيب في معاني التركيب الستة السابقة، وأيها يصح أن يسمى تركيباً وأيها لا يصح، فيقول ان المعنيين الأولين للتركيب، وهما التركب من أمور متباينة أو أمور متجاوزة لا ينازع أحد في صدق مفهوم التركيب عليهما لفظاً وعقلاً، وجميع الأعيان الخارجية انما يرجع التركيب فيها الى واحد من هذين النوعين.

وأما الاوسطان، أعنى التركب من جواهر فردة غير قابلة للقسمة أو من هيوولي وصورة، فهما اللذان تنازع الفلاسفة والمتكلمون في تركيب الجسم منها، فذهب المتكلمون الى الاول والفلاسفة الى الثاني، وذهب النظام من المعتزلة الى تركبه من أجزاء غير متناهية، وأما المعنيان الآخران للتركيب، أعنى التركب من الذات والصفات أو من الماهية ووجودها، فهما اللذان دارت رحى الحرب عليهما بيننا وبين المعتزلة النفاة، فهم جعلوا وصفه سبحانه بالعلو على خلقه، ووصفه كذلك بجميع صفاته العليا التي ثبتت له بالعقل والنقل القطعيين من جملة التركيب المحال ثم نفوا مضمونها من غير برهان ولا دليل، فجعلوا اصطلاحهم في تسمية هذا المعنى تركيباً سلباً لهم الى النفي والتعطيل، ونحن ننازعهم في تسمية هذا المعنى تركيباً، اذ لا يدل على ذلك شيء من نقل ولا لغة، ولئن سلمنا لهم اصطلاحهم في تسميته تركيباً، فلا نسلم لهم أنه تركيب محال، فان التركب، من ذات واحدة وصفات لا ينافي التوحيد بأي حال.

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| لا حجر في هذا على انسان | لكن اذا قيل اصطلاح حادث |
| ح صفاته هو أبطل البطلان | فنقول نفيكم بهذا الاصطلاح |
| فوق السماء وفوق كل مكان | وكذاك نفيكم به لعلوه |
| بالوحي كالتوراة والقرآن | وكذاك نفيكم به لكلامه |
| يوم المعاد كما يرى القمران | وكذاك نفيكم لرؤيتنا له |
| في النقل من وصف بغير معان | وكذاك نفيكم لسائر ما أتى |

كالوجه واليد والأصابع والذي
وبودكم لو لم يقله ربنا
ورسوله المبعوث بالبرهان
وبودكم والله لما قالها
أبدا يسوءكم بلا كتمان
أن ليس يدخل مسمع الانسان

الشرح: فاذا كنتم قد اصطلحتم على تسمية هذا تركيباً، فسموا كيف شئتم اذ لا مشاحة في الاصطلاح. وأما أن تتخذوا من هذا الاصطلاح الحادث لكم ذريعة الى نفي صفاته فهذا محض الباطل وعين الافتراء. وكذلك نفيكم به لعلوه بذاته فوق جميع خلقه، ونفيكم به لكلامه بالوحي المنزل على رسله، كالتوراة والقرآن وغيرهما من كتبه. ونفيكم به لرؤية المؤمنين له يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرى القمران، أي الشمس والقمر.

وكذلك نفيكم به لسائر ما أتى به النقل من صفات الذات التي ليست معاني، كالوجه واليد والأصبع والقدم والساق وغيرها، مما لا تستطيعون كتمان ما يعلمكم من الكآبة والحزن عند تلاوة الآيات والأحاديث المثبتة لها، وتتمنون بجدع الأنف أن لو لم يقله الله ورسوله، أو تتمنون اذ قالها أن تئيف مسامعكم حتى لا يصل اليها شيء من هذه الصواعق المحرقة التي تأتي على تعطيلكم من القواعد وتحيله رماداً تطير به الرياح.

قام الدليل على استناد الك
ما قام قط على انتفاء صفاته
هو واحد في وصفه وعلوه
فلأي معنى تجحدون علوه
هذا وما المحذور الا أن يقال
أو أن يعطل عن صفات كماله
أما اذا ما قيل رب واحد
وهو القديم فلم يزل بصفاته
ون أجمعه الى خلاقه الرحمن
وعلوه من فوق ذي الأكوان
ما للورى رب سواه ثان
وصفاته بالفشر والهذيان
مع الاله لنا اله ثان
هذان محذوران محظوران
أوصافه أربت على الحسبان
متوحداً بل دائم الاحسان

فبأي برهان نفيتم ذا وقل - تم ليس هذا قط في الامكان

الشرح: ثم ما هو دليلكم الذي تعتمدون عليه في نفي الصفات؟ والدليل انما قام على استناد الوجود كله، علوه وسفله الى خلاقه المبدع المصور الرحمن الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه، ولم يبق دليل قط على انتفاء صفاته التي لا بد منها في الخلق ولا على انتفاء علوه فوق خلقه الثابت له بالعقل والنقل والفطرة. ولم يلزم قط من اثبات صفاته وعلوه أن يتعدد رب العباد أو يتكرر، بل هو واحد في وصفه وعلوه ليس للعباد رب سواه ينازعه في شيء مما هو مختص به من شؤون الربوبية المطلقة، فلأي سبب اذا تنكرون صفاته وعلوه بالكذب والبهتان من غير دليل ولا برهان. هذا وليس المحذور المخوف الا أن يقال ان هناك الها مع الله يشاركه الهيته ويستحق العبادة معه. أو أن يعطل عن أوصاف كماله التي يعتبر الخلو عنها نقصاً، فهذان هما المحذوران أي المخوفان، والمحذوران أي ممنوعان. أما اذا قيل أنه رب واحد له من الصفات ما لا يدخل تحت حصر ولا يضبطه حساب، وأنه لم يزل بصفاته كلها الها واحداً قديم الاحسان دائم الجود والامتنان، فبأي برهان من عقل أو نقل يمكنكم نفي هذا أو دعوى أنه محال ليس في الامكان.

★ ★ ★

| | |
|---|---------------------------|
| فلئن زعمتم أنه نقص فذا | بهت فما في ذاك من نقصان |
| النقص في أمرين سلب كماله | أو شركة بالواحد الرحمن |
| أ تكون أوصاف الكمال نقيصة | في أي عقل ذاك أم قرآن |
| أن الكمال بكثرة الاوصاف لا | في سلبها ذا واضح البرهان |
| ما النقص غير السلب حسب وكل نقص أصله سلب وهذا واضح التبيان | |
| فالجهل سلب العلم وهو نقيصة | والظلم سلب العدل والاحسان |
| متنقص الرحمن سالب وصفه | والحمد والتمجيد كل أو ان |

ولذلك أعلم خلقه أدراهم بصفاته من جاء بالقرآن
وله صفات ليس يحصيها سوا ه من ملائكة ولا انسان
ولذلك يثني في القيامة ساجداً لما يراه المصطفى بعيان
بثناء حمد لم يكن في هذه الدني ا ليحصيه مدى الازمان
وثناؤه بصفاته لا بالسلو ب كما يقول العادم العرفان

الشرح: فاذا ادعيتم أن في اثبات صفات الكمال له سبحانه ما يقتضي لحوق نقص به، فتلك دعوى مجردة من الدليل، بل هي محض البهت والمكابرة فليس في ذلك شائبة نقصان أصلاً، لأن النقص مرجعه الى أمرين اثنين: أما سلب الكمال الواجب له، واما نسبة الشريك اليه، وأما أن يعد ثبوت أوصاف الكمال له نقصاً فذلك مما لا يسانده عقل ولا يشهد له نقل، بل العكس هو الصحيح وهو أن الكمال انما يكون بكثرة الصفات الوجودية لا في سلبها، فسلبها هو النقص، اذ الكمال وجود والنقص عدم، فمن فقد صفة من صفات الكمال يكون قد لحقه من النقص بقدر ما فقد من تلك الصفة، لأنه حينئذ يكون متصفاً بضعها، وخذ الكمال النقص.

فاذا كان العلم صفة كمال فسلبه وهو الجهل يكون نقصاً، وكذلك الظلم نقص لأنه سلب لصفة الكمال التي هي العدل والاحسان، وهكذا في جميع صفات الكمال من القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام وغيرها، يكون سلبها نقصاً، فالمتنقص للرحمن جل جلاله هو الذي يسلبه أوصاف الكمال الثابتة له، تعالى الله عما يقوله المعطلة النافون لكمال.

وأما المثني عليه فهو الذي يذكره بأوصاف الكمال التي أثني على نفسه بها، وأعلم خلقه أنه موصوف بها، ويمجده عليها ويمجده في كل وقت وحين. ولذلك كان أعلم خلقه به سبحانه هو أكثرهم علماً بصفاته، وهو محمد ﷺ وله مع ذلك من الصفات ما لا يحصيه أحد من خلقه، كما قال الرسول ﷺ « سبحانك لا نخصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولذلك ورد في حديث الشفاعة

(أنه ﷺ حين يستأذن على ربه فيؤذن له، ويرى الرب سبحانه، يخر ساجداً عن يمين العرش، ويفتح الله عز وجل عليه من الشئاء في ذلك الوقت ما لم يكن يحسنه في هذه الدنيا، فيقال له: ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع) وثناؤه على ربه في هذا الوقت انما يكون طبعاً بذكر أوصاف الكمال المستوجبة لحمده لا بالسلوب والاعدام، كما يقوله هؤلاء الجهلة الفاقدون لكل معرفة بالله وصفاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

★ ★ ★

| | |
|--|------------------------------|
| والعقل دل على انتهاء الكون أجمعه إلى رب عظيم الشان | وثبت أوصاف الكمال لذاته |
| لا يقتضي إبطال ذا البرهان | والكون يشهد أن خالقه تعا |
| لى ذو الكمال ودائم السلطان | وكذاك يشهد أنه سبحانه |
| فوق الوجود وفوق كل مكان | وكذلك يشهد أنه سبحانه الم |
| عبود لا شيء من الأكوان | وكذاك يشهد أنه سبحانه |
| ذو حكمة في غاية الإتيان | وكذاك يشهد أنه سبحانه |
| ذو قدرة حي علم دائم الإحسان | وكذاك يشهد أنه الفعال ح |
| قماً كل يوم ربنا في شان | وكذاك يشهد أنه المختار في |
| أفعاله حقاً بلا نكران | وكذاك يشهد أنه الحي الذي |
| ما للممات عليه من سلطان | وكذاك يشهد أنه القيوم قا |
| م بنفسه ومقيم ذي الأكوان | وكذاك يشهد أنه ذو رحمة |
| وإرادة ومحببة وحنان | وكذاك يشهد أنه سبحانه |
| متكلم بالوحي والقرآن | وكذاك يشهد أنه سبحانه ال |
| خلاق باعث هذه الأبدان | لا تجعلوه شاهداً بالزور والت |
| عطيل تلك شهادة البطلان | |

الشرح: وقد دل دليل العقل على أن الكون كله مستند في وجوده إلى الرب جل شأنه، فإن العالم بجميع أجزائه ممكن، ولا شيء من الممكنات يمكن أن

يحدث بنفسه من غير شيء لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده، فإن الممكن لا وجود له ولا عدم من ذاته، فإذا وجد لم يكن وجوده من ذاته بل بسبب خارج عنه يرجح وجوده على عدمه إذ لو وجد بنفسه لكان واجب الوجود، وهذا خلاف الغرض، وإذا ثبت أن الكون كله ينتهي في وجوده إلى واجب الوجود لذاته وهو الرب جل شأنه، فليس في ثبوت أوصاف الكمال لذاته ما يقتضي بطلان هذا البرهان القطعي، بل بالعكس تشهد الموجودات جميعها بأن باريها وفاطرها سبحانه متصف بكل كمال يمكن أن يتصف به إذ لو خلا من ذلك لم يكن واجب الوجود بل كان ممكناً محتاجاً مثلها. وكذلك تشهد له بدوام القهر والتدبير والعزة والسلطان، وبأنه العلي فوق جميع خلقه إذ لا يجوز أن يحصره ولا يحيط به شيء منها فإن الحادث لا يجوز أن يكون محلاً للقديم لأن ذلك يقتضي حدوثه وجميع ما سوى الله تعالى حادث فلا يجوز أن يكون ظرفاً حاوياً له وأما ما فوق العرش فإنه خلاء صرف وعدم محض فإذا قيل أن الله عز وجل هناك، كما أخبر عن نفسه فليس في هذا ما يقتضي انحصاره في شيء من خلقه إذ العدم لا يكون مخلوقاً. وكذلك تشهد الكائنات بأنه هو وحده المعبود بحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، فإن العبادة إنما يستحقها من كان رباً خالقاً ومالكاً مدبراً، وليس ذلك إلا لله جل شأنه ولهذا يعيب القرآن على المشركين أنهم مع إقرارهم بانفراده سبحانه بالربوبية وشئونها والخلق والرزق والملك والتدبير يعبدون معه غيره ويجعلون له أنداداً من خلقه.

وكذلك تشهد له بكمال الحكمة والاتقان بما اشتملت عليه من غايات ومقاصد تتجلى في جميع ما خلق وفي كل ما أمر به. وتشهد له بتمام القدرة التي لا تعجز عن شيء من الممكنات إتاؤه وبدوام البر والإحسان إلى خلقه، وبدوام الفعل فهو سبحانه لم يزل ولا يزال فعلاً، كما قال تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] وكما قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ١٩] فما دام حياً فهو فعال إذ الفعل لازم الحياة، وتشهد له بأنه المختار في فعله فلا يصدر عنه الفعل عن قهر ولا إكراه، ولا يفيض عنه من غير قصد ولا اختيار كما

تقوله الفلاسفة، ويشهد له بالاختيار تنوع الأشياء وتكثر الموجودات وكذلك تشهد له بأنه الحي الذي الحياة صفة ذاته فلا يطرأ عليها عدم ولا فناء، فإن ما بالذات لا يسلب. وبأنه القيوم القائم بنفسه المستغني عن كل ما سواه وكل ما سواه فإنه لا قيام له إلا به، وبأنه ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل خلقه. والإرادة النافذة التي لا يعوقها عن مرادها عائق، وبأنه ذو محبة وحنان ولطف وامتنان، وبأنه متكلم سبحانه بكلام يسمعه من يشاء من خلقه فهو متكلم بالوحي والقرآن، وبأنه الخلاق العليم الذي يبعث الناس ويخرجهم من قبورهم أحياء للجزاء والحساب حسبما تقتضيه حكمته وعدالته.

هكذا تشهد الموجودات لربها جل شأنه بأنه موصوف بكل صفات الكمال فويل للمعطلة الذين يشهدون على ربهم شهادة الزور، ويجعلون كونه رباً للموجودات مقتضياً للتعطيل ونفي الصفات.

★ ★ ★

وإذا تأملت الوجود رأيت
 بشهادة الاثبات حقا قائماً
 وكذلك رسل الله شاهدة به
 وكذلك كتب الله شاهدة به
 وكذلك الفطر التي ما غيرت
 وكذا العقول المستنيرات التي
 أترون أنا تاركو ذا كله
 هذي الشهود فإن طلبتم شاهدا
 إذ ينجلي هذا الغبار فيظهر ال
 فإذا نفيتم ذا وقلتم أنه
 إن قلت لا عقل ولا سمع لكم
 هل يجعل الملزوم عين اللازم ال

إن لم تكن من زمرة العميان
 لله لا بشهادة النكران
 أيضاً فسل عنهم عليم زمان
 أيضاً فهذا محكم القرآن
 عن أصل خلقتها بأمر ثان
 فيها مصابيح الهدى الرباني
 لشهادة الجهمي واليوناني
 من غيرها سيقوم بعد زمان
 حق المبين مشاهداً بعيان
 ملزوم تركيب فمن يلحاني
 وصرخت فيما بينكم بأذان
 منفي هذا بين البطلان

فالشئ ليس لنفسه ينفى لدى عقل سليم يا ذوي العرفان

الشرح: فأنت إذا تأملت الوجود كله سمأواته وأرضه، ونظرت فيما اشتمل عليه من عجائب الخلق وأحكام الصنع ولطيف التدبير وكيف ربط الله بين أجزائه حتى غدت منسجمة متناغمة. وصار الوجود كله كأنه جسد واحد لرأيته (إن لم تكن ممن أعمى الله أبصارهم) خير شاهد بثبوت الصفات لله تعالى، فإنه أثر لها دليل عليها إذ المفعولات دالة على الأفعال والأفعال دالة على الصفات، فإن المفعول يدل على فاعل فعله وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيئته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة.

ثم ما في المفعولات من التخصيصات المتنوعة دال على إرادة الفاعل، وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودة دال على حكمته تعالى وما فيها من النفع والإحسان والخير دال على رحمته، وما فيها من البطش والعقوبة والانتقام دال على غضبه. وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دال على محبته إلخ.

وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام قد شهدوا لربهم بثبوت صفات الكمال له وأثنوا عليه بها، كما نطق بذلك محكم القرآن.

وكذلك شهدت له به الفطرة المستقيمة التي لم تفسدها العوامل الخارجية من تلقين الأبوين أو تأثير البيئة أو نحو ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] وقال عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، وكذلك شهدت له به العقول المستنيرة التي انتفعت بما ألقى الله فيها من آيات الهدى ولم تزغ بتأثير الأهواء والأوهام المزلّة.

أفتظنون أنا تاركو هذه الشهادات كلها وهي أقوم الشهادات وأعد لها من أجل شهادة جهمي مأفون لا يرجع في شهادته إلى صريح عقل ولا إلى صحيح

نقل، بل يهرف بما يشاء له هواه ويقول على الله بغير علم. إذ من أجل شهادة فيلسوف مارق قد اتخذ من فلاسفة اليونان أساتذة له في الضلال. وقدم جهلياتهم التي يسميها معقولاً على ما نطقت به صريح الآيات، فأين شهادة هذين الأحقن من شهادة الوجود والرسول والعقول والفطر وأيها أولى أن يقدر ويعتبر. فإن لم تكفكم هذه الشهود وطلبتم شاهداً غيرها، فإنه سيأتكم حين ينكشف الغطاء ويظهر لكم الحق صريحاً بلا خفاء وتشاهدون بأعينكم ما لا تملكون إلا التسليم والإذعان بلا جدال ولا وراء.

فإذا أصررتم بعد ذلك على نفي صفات الإثبات وقلتم إنها تستلزم التركيب في الذات فمن يلومنا إذاً إذا نحن اتهمناكم بأنكم لا أسماع لكم ولا عقول، وإذا نحن صرحنا فيكم بأنكم خرجتم على قوانين منطقتكم حيث جعلتم الملزوم عين اللازم المنفى وهذا من أوضح الباطل. فإن الإثبات عندهم إن كان هو التركيب فكيف تنفون الإثبات من أجل التركيب الذي هو نفسه مع مما هو معروف لدى كل عاقل من أن الشيء لا ينفي من أجل نفسه مما يشهد بتخبطكم وحيرتكم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| قلم نفينا وصفه وعلوه | من خشية التركيب والإمكان |
| لو كان موصوفاً لكان مركباً | فالوصف والتركيب متحدان |
| أو كان فوق العرش كان مركباً | فالفوق والتركيب متفقان |
| فنفيتم التركيب بالتركيب مع | تغيير إحدى اللفظتين بثان |
| بل صورة البرهان أصبح شكلها | شكلاً عقياً ليس ذا برهان |
| لو كان موصوفاً لكان كذاك مو | صوفاً وهذا حاصل البرهان |
| فإذا جعلتم لفظة التركيب بال | معنى الصحيح أمارة البطلان |
| جئنا إلى المعنى فخلصناه من | ها وأطرحناها أطراح مهان |
| هي لفظة مقبوحة بدعية | مدمومة منا بكل لسان |

واللفظ بالتوحيد نجعله مكا ن اللفظ بالتركيب في التبيان
واللفظ بالتوحيد أولى بالصفنا ت وبالعلو لمن له أذنان
هذا هو التوحيد عند الرسل لا أصحاب جهنم شيعة الكفران

الشرح: فأنتم تقولون إنما نفينا الصفات ونفينا علوه على المخلوقات خوفاً من التركيب المستلزم للافتقار الذي هو أمانة الامكان، فتركيب الدليل عندكم هكذا (لو كان موصوفاً لكان مركباً) مع أن الوصف والتركيب متحدان مفهوماً أو هكذا (لو كان فوق العرش كان مركباً) مع أن الفوق والتركيب متحدان متفقان، فيؤول دليلكم إلى نفي التركيب بالتركيب، أي إلى نفي الشيء بنفسه مع تغيير إحدى اللفظتين بأخرى، وبذلك يصبح برهانكم عقياً من حيث الشكل غير منتج، لأن الملزوم فيه عين اللازم، فكأنكم قلتم: لو كان موصوفاً لكان موصوفاً. هذا حاصل برهانكم، وحينئذ نقول لكم: ماذا تعنون بقولكم (لكان مركباً) فإن عنيتم به معنى صحيحاً، وهو أن يكون موصوفاً، وجعلتم ذلك دليلاً على إبطال الصفات، عمدنا إلى هذا المعنى الصحيح وخلصناه من هذه الكلمة ونبذناها نبد النواة، فهي لفظة بدعية قبيحة توسل بها إلى غرض فاسد وهو نفي صفات الحق تبارك وتعالى، وأخذنا لفظة التوحيد وجعلناها مكان تلك اللفظة البدعية في الخطاب ولا شك أن لفظة التوحيد أولى من تلك الكلمة التي تموهون بها، فإن لفظة التوحيد تتفق مع إثبات الصفات لله وإثبات علوه على خلقه عند من يسمع ويعقل. وهذا هو التوحيد الذي جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا توحيد الجهمية أهل التعطيل والكفران.

فصل

في أقسام التوحيد

والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

فاسمع إذا أنواعه هي خمسة قد حصلت أقسامها ببيان
توحيد أتباع ابن سينا وهو مند سوب لأرسطو من اليونان

غير الوجود المطلق الواحدان
لكن وجود حسب ليس بفان
د المطلق المسلوب كل معان
علم ولا قول من الرحمن
وإرادة لوجود ذي الأكوان
تنفك عنه قط في الأزمان
هذا له أبداً بذي إمكان
ق ذي الأفلام يوم قيامة الأبدان
تأ ما من الموجود في الأعيان
وكذا النجوم وذاتك القمران
كلا وليس يراه رأي عيان
صيلاً من الطاعات والعصيان
أوراق أو بمنابت الأغصان
عين المحال ولازم الإمكان

ما للاله لديهم ماهية
مسلوب أوصاف الكمال جميعها
ما أن له ذات سوى نفس الوجود
فلذا لا سمع ولا بصر ولا
ولذا قالوا ليس ثم مشيئة
بل تلك لازمة له بالذات لم
ما اختار شيئاً قط يفعل له ولا
وبنوا على هذا استحالة خر
ولذا قالوا ليس يعلم قط شيء
لا يعلم الأفلاك كم أعدادها
بل ليس يسمع صوت كل مصوت
بل ليس يعلم حالة الإنسان تف
كلا ولا علم له يتساقط ال
علما على التفصيل هذا عندهم

الشرح: يذكر المؤلف هنا أنواع التوحيد التي اصطلحت عليها الفرق المختلفة
من فلاسفة ومتصوفة ومتكلمين، تمهيداً لذكر التوحيد الذي جاءت به الرسل
عليهم الصلاة والسلام حتى يستبين الفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال،
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

وقد بدأ من هذه الأنواع بذكر توحيد ابن سينا وشيعته من المتفلسفة الذين
يدينون بفلسفة أرسطو اليوناني وغيره من فلاسفة اليونان، ويعتقدون فيها
العصمة من الخطأ، ويقومونها على الشريعة، والمشهور عن أرسطو أنه كان يؤمن
بآله وراء العالم، ويسميه العلة الأولى أو المحرك الأول، ويصفه بأنه جوهر مجرد
عن المادة بسيط، وأنه صورة محضة وفعل محض، ولكنه يرى أنه لا صلة له بهذا
العالم، فهو لم يخلقه ابتداءً، وليس له فيه فعل ولا تدبير ولا علم له بما يجري فيه

من حركات وأحوال، وكل ما بين الله وبين العالم من صلة أنه هو مبدأ حركته وحتى هذه الحركة ليست فعلاً منه في العالم، ولكنها حركة شوقية، أي أنها من قبيل الدافع الذاتي الذي يحاول به العالم القرب من هذه الصورة المحضة ومحاداتها بقدر الإمكان.

ولما كان مذهب أرسطو في الصورة المحضة المجردة عن المادة يجعلها أقرب إلى المعاني المعقولة منها إلى الذات الموجودة، كان القول به مفضياً إلى نفي وجود الله عز وجل وجعله أمراً تقديرياً صرفاً.

ولما كان ابن سينا وأشياعه من متفلسفة الإسلام قد دانوا بمذهب أرسطو في بساطة المبدأ الأول وتجرده، فقد نفوا عنه كل صفة وجودية، ولم يثبتوا له إلا سلوباً وإضافات، وانتهى بهم الأمر إلى أن جعلوه وجوداً مطلقاً لا تعين له إذ يستحيل عندهم أن يكون مركباً من ماهية وتعين، لأن ذلك يقتضي تركبه من أمرين متباينين، فلم يثبتوا له إلا ماهية مطلقة بشرط الإطلاق، وإلا وجوداً مطلقاً غير فان، كما يقول ابن سينا في كتابه النجاة (فإذا حقيقت تكون الصفة الأولى لواجب الوجود أنه أن وموجود) ومعلوم أن الوجود المطلق لا يمكن وجوده في الخارج، فإن كل ما في الخارج لا بد أن يكون متعيناً، وأما الأمر المطلق أو الكلي فلا وجود له إلا في الأذهان.

ومعلوم أيضاً أن المطلق لا يمكن أن يتصف بالصفات الوجودية التي تقتضي تعيينه وهويته، فلهذا نفوا عنه سبحانه كل ما أثبتته العقل والسمع من صفات الكمال، فلا سمع له عندهم يسمع به ما يخلقه من الأصوات والألغاز، ولا بصر له يبصر به ما يخلقه من الأجسام والأكوان، ولا علم له عندهم بالجزئيات المتغيرة، ولا بما يجري في العالم من أحداث وحركات، بل لا يعلم إلا ذاته ثم يلزم من علمه بذاته أن يعلم ما يصدر عنها من معلولات، لكنه لا يعلمها عندهم إلا على وجه كلي غير متغير.

وكذلك لا قول له عندهم ولا كلام هو مؤلف من حروف وأصوات

يسمعها من يشاء من خلقه، بل كلامه في زعمهم هو ما سبقت الإشارة إليه من إفاضة المعاني على قلوب الأنبياء، ثم تجسم تلك المعاني في نفوسهم بواسطة القوة المتخيلة حروفاً وألفاظاً.

وكذلك نفوا إرادته ومشيئته لإيجاد العالم لأنه عندهم علة، والعلة يصدر عنها معلولها بطريق الإيجاب دون مشيئة أو اختيار، فهو سبحانه عندهم لم يقصد إلى خلق شيء ولا اختاره، ولكن الأشياء تصدر عنه كصدور الحرارة عن النار.

وبما أن العالم معلول له والمعلول لا ينفك عن علته، فهو لازم له بالذات لا ينفك عنه في وقت من الأوقات، فإن العلة ما دامت باقية فمعلولها باق ببقائها لا يجوز عليه العدم والفناء، ومن هنا حكموا ببقاء الأفلاك بقاء سرمدياً لا انتهاء له، وأنكروا ما وردت به النصوص الصريحة من انشقاق السماء وتناثر الكواكب يوم القيامة، لأنها عندهم غير قابلة للخرق والإلتئام.

وكذلك قالوا أن الله عز وجل لا يعلم الأشياء الموجودة في هذا العالم بأعيانها، ولا يعلم ما يطرأ عليها من أحوال وتغيرات، فهو لا يعلم أعداد الأفلاك ولا مواقع النجوم ولا منازل الشمس والقمر، ولا يسمع أصوات المصوتين ولا يرى أشخاصهم، ولا يعلم أحوال الناس على التفصيل ولا سعيهم فيما يكسبونه من طاعات أو معاص، وكذلك لا علم له عندهم بما يتساقط من أوراق الأشجار أو بما ينبت فيها من أغصان، فعلم ذلك على التفصيل هو عندهم على الله مستحيل، وحجتهم في ذلك قائمة على التشعيب والتضليل، فإنهم قالوا كما قال أرسطو من قبل أن علمه بهذه الجزئيات المتغيرة المتكثرة يؤدي إلى التكثر والتغير في ذاته، لأن العلم عندهم هو حصول المعلومات في نفس العالم بوجود ظلي مطابق للوجود الخارجي ومعلوم أن التغير والتكثر إمارة الإمكان، وهذا ينافي ما ثبت له من وجوب الوجود.

ولا شك أن إنكار الفلاسفة لعلم الله عز وجل بالجزئيات جحد صريح للنصوص القرآنية التي تخبر عن سعة علمه وشموله، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة

في الأرض ولا في السماء ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . ولهذا كانت هذه المسألة إحدى المسائل التي كفرهم بها أبو حامد الغزالي في كتابه (تهافت الفلاسفة) كما كفرهم كذلك بقولهم بقدوم العالم وإنكارهم لحشر الأجسام .

بل نفس آدم عندهم عين المحال ما زال نوع الناس موجوداً ولا هذا هو التوحيد عند فريقهم قالوا وألجأنا إلى ذا خشية التذلل ولذا قلنا ما له سمع ولا وكذا قلنا ليس فوق العرش جسم على جسم كلا الجسمين فبذاك حقاً صرحوا في كتبهم ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى والشرك عندهم ثبوت الذات والأشياء غير الوجود فصارت ثلاثاً نفى الوجود فلا يضاف إليه شيء

ل ولم يكن في سالف الأزمان يفنى كذاك الدهر والملوان مثل ابن سينا والنصير الثاني مركب والتجسيم ذي البطلان بصر ولا علم فكيف يدان إلا المستحيل وليس ذا إمكان محدود يكون كلاهما صنوان وهم الفحول أئمة الكفران إلى الكفران ينحازوا ولا الإيمان وصاف إذ يبقى هناك اثنتان فلذا نفينا اثنتين بالبرهان غيره فيصير ذا إمكان

الشرح: يعني أن الفلاسفة كما قالوا بقدوم العالم قدماً زمانياً لأنه معلل لعلة قديمة ، وعندهم أن المعلول يجب أن يقارن علته في الوجود ، قالوا بقدوم العقول والنفوس الناطقة والأفلاك وقدام العناصر الأصلية التي هي في زعمهم بسيطة ، وهي الماء والهواء والتراب والنار ، وكذا قدم الأنواع المركبة منها ، لأنها تنشأ عندهم من أفاضة العقل الفعال الذي هو عقل القمر بحسب الاستعداد ، الموجود في المادة ، ويسمون هذا العالم الأرضي عالم الكون والفساد ، لأنه هو الذي تجري فيه التغيرات من انعدام صور ووجود أخرى ، والتحلال مركب ونشوء آخر .

وإذا كانت الأنواع الأرضية من حيوانات ونباتات قديمة عندهم فهم لا يبتنون إنساناً يكون أول البشر بل ذلك عندهم عين المحال ، فما من إنسان إلا

وقبله إنسان لا إلى أول. وكما أن النوع الإنساني قديم لا أول له، فهو كذلك باق أبد الآباد بلا فناء ولا انقطاع بل يظل ينسلسل في الوجود شيئاً بعد شيء إلى غير نهاية، وهذا هو توحيد ابن سينا وأشياعه مثل الخوجة نصير الدين الطوسي شارح الإشارات، قالوا وإنما ألقأنا إلى نفي الصفات الوجودية عن الله عز وجل والحكم عليه فقط بالسلوب والإضافات هو الخوف من الإفضاء إلى التركيب والتجسيم المستلزم للإمكان، ولذلك نفينا عنه السمع والبصر والعلم، وأولى من ذلك نفي الديدن اللتين هما جارحتان وكذلك نفينا استواءه على العرش وحكمنا باستحالته لأن الاستواء من خواص الأجسام، فلو كان مستويآ على العرش لكان جسمآ ولكان محدودآ على محدود فيكون هو والعرش سواء.

هذا هو ما صرح به هؤلاء الفلاسفة الذين هم أساطين الكفر في كتبهم فلم يفعلوا كما فعل مخانيثهم من المعتزلة ومتأخري الأشعرية الذين لم يعرف اتجاههم، فلا هم صرّحوا بالكفر وانحازوا إلى أهله كما فعل هؤلاء الفلاسفة ولا هم اتبعوا سبيل المؤمنين، وإذا كان توحيد هؤلاء الفلاسفة يقوم على الاعتقاد ببساطة الذات وتجردها ونفي كل صفة عنها، فالشرك عندهم هو إثبات الصفات للذات فإن ذلك يقتضي وجود ثلاثة أشياء متغايرة هي الذات والصفات والوجود، وذلك يفضي إلى الكثرة وينافي البساطة. ولهذا نفوا اثنين منها وهما الذات والصفات ولم يبقوا إلا الوجود من غير إضافة شيء إليه حتى لا يصير وجوداً ممكناً فال بهم الأمر كما قدمنا إلى القول بوجود مطلق بشرط الإطلاق، وهذا معناه أنه ليس هناك إله موجود في الخارج وإنما هو فكرة منحوتة في الأذهان.

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد

هذا وثانيها فتوحيد ابن سب عین وشيعته أولي البهتان
كل اتحادی خبیث عنده معبوده موطوؤه الحقاني

د المطلق المبثوث في الأعيان
رب وعبد كيف يفترقان
في ذي المظاهر دائماً يلجان
فابن الطبيعة ظاهر النقصان
وخياله بل ثم تجريدان
عقل لا يدينه من ذا الشأن
وهما وحسباً ثم عقل وإن
والعلم والمعقول في الأذهان
لا كنت محجوباً عن العرفان
معقول ذاك صاحب الفرقان
هذا الوجود حقيقة الديان
د وقولنا أن الوجود اثنان
شخص فقالوا الشرك في القرآن
بالاتحاد فهم أولو العرفان
موجود فرد ماله من ثان

توحيدهم أن الآله هو الوجود
هو عينها لا غيرها ما هنا
لكن وهم العبد ثم خياله
فلذاك حكمها عليه نافذ
فإذا تجرد علمه عن حسه
تجريده عن عقله أيضاً فإن ال
بل يخرق الحجب الكثيفة كلها
فالوهم منه وحسه وخياله
حجب على ذا الشأن فأخرقها وإل
هذا وأكتفها حجاج الحس وال
فهنالك صرت موحداً حقاً ترى
والشرك عندهم فتتويع الوجود
واحتج يوماً بالكتاب عليهم
لكننا التوحيد عند القائلين
رب وعبد كيف ذاك وإنما ال

الشرح: والثاني من أنواع التوحيد هو توحيد أصحاب مذهب وحدة الوجود
كابن سبعين وأضرابه من الاتحاديين الخبيثاء الذين يعبدون ما ينكحون من النساء
ويقوم مذهبهم في التوحيد على أن الإله سبحانه هو الوجود المطلق المنبث في
هذه الأعيان الخارجية، وأنه هو عينها لا غيرها، فليس هناك رب وعبد ولا خالق
ومخلوق، فإن ذلك يقتضي اثنية الوجود، والوجود كله عندهم شيء واحد في
إطلاقه أو في تعيينه.

قالوا والسبب في رؤية هذا الوجود الواحد أشياء كثيرة هو ما ركب في خلقه
الإنسان من الوهم والخيال، فإنها قوتان ضاربتان في المحسوسات، فالوهم يحكم
على ما ليس بمحسوس حكمه على المحسوس، والخيال هو قوة التركيب والتحليل

في تلك الصور الخارجية. فذلك كان حكمها على الإنسان نافذاً وكان نقص الإنسان بسبب سيطرة هاتين القوتين عليه ظاهراً، فإذا استطاع ان يجرد علمه عن تأثير الحس والخيال بل وعن عقله أيضاً، فإن العقل لا يقربه من شهود الحقيقة لأنه لا يحكم إلا في نطاق المحسوسات، وإذا استطاع ان يمزق كل هذه الحجب الغليظة التي تمنعه من إدراك الحقيقة من الوهم والحس والخيال، وما في ذهنه من علوم ومعقولات فهناك يصير موحداً التوحيد الحق حيث يشهد أن هذا الوجود كله بشتى مظاهره وصنوف تعيناته هو حقيقة الديان، سبحانه وتعالى عن هذا الهذيان، والشرك عندهم هو ضد هذا الشهود من تنوع الموجودات واعتقاد كثرتها جرياً مع الوهم والخيال، وقد خصمهم في هذا بعض العلماء واحتج عليهم بما في القرآن من التفرقة بين وجود الخالق ووجود المخلوق فردوا عليه بأن القرآن كتاب شرك وأما التوحيد الحق فهو ما نحن عليه من نفي كل فرق وكل اثنيانية في الوجود، فليس هناك رب وعبد، وإنما هناك موجود واحد فرد لا ثاني له. ومن العجب أنهم مع هذا الخلط والبهتان يزعمون لأنفسهم أنهم هم أولو التحقيق والعرفان فلله في خلقه شؤون.

فصل

في النوع الثالث من التوحيد لأهل الإلحاد

مد الجهم تعطيل بلا إيمان
س كلامه بالوحي والقرآن
لكنه خلو من الرحمن
له للورى من خالق رحمن
منه كحظ الأسفل التحتاني
وعن الكلام وعن جميع معان
مبدأ القصيد حكاية التبيان

هذا وثالثها هو التوحيد عند
نفي الصفات مع العلو كذاك نف
فالعرش ليس عليه شيء بتة
ما فرقة رب يطاع ولا علي
بل حظ عرش الرب عند فريقهم
فهو المعطل عن نعوت كماله
وانظر إلى ما قد حكينا عنه في

هذا هو التوحيد عند فريقهم تلك الفحول مقدمي البهتان
والشرك عندهم فإثبات الصفا ت لربنا ونهاية الكفران
إن كان شرك ذا وكل الرسل قد جاؤوا به يا خيبة الإنسان

الشرح: والثالث من أنواع التوحيد الباطل هو توحيد الجهم بن صفوان
وشيعته، وهو يقوم على التعطيل المحض وعدم الإيمان بثبوت شيء من الصفات
لله عز وجل لأن ذلك يقتضي في زعمهم مشابهة الله لخلقه فهو عندهم ليس حياً
ولا عالماً ولا مريداً ولا سمياً ولا بصيراً الخ، وهم كذلك ينفون علوه تعالى على
خلقه واستواءه على عرشه، كما أخبر بذلك نفسه وينفون حقيقة كلامه بالوحي
والقرآن ويقولون أن معنى كونه متكلماً أنه خالق للكلام. وبناء على زعمهم
الفاقد يكون العرش خالياً ليس عليه شيء فليس فوقه رب يقصد ولا إله خالق
يعبد، بل يكون حظ العرش منه الذي هو أعلى الموجودات كحظ الحضيض
الذي هو أسفل الأمكنة عند مركز الأرض.

وبالجملة فهم يعطلون الرب سبحانه عن جميع ما يجب له من نعوت الكمال من
كلام وغيره، ومن أراد أن يعرف مذهبهم على التفصيل فليرجع إلى ما حكى
عنهم في صدر هذه القصيدة، فقد أشبع المؤلف رحمه الله الكلام في هذا الباب بما
لا مزيد عليه.

هذا هو توحيد هؤلاء الجهمية أئمة الكفر والضلال ومؤسسو البهتان لمن جاء
بعدهم وقلدهم فيه من العميان.

والشرك عندهم بل ونهاية الكفر هو ما يضاد مذهبهم وينافيه من إثبات
الصفات لله، وقد رد المؤلف عليهم بأن هذا الإثبات إن كان شركاً، ومعلوم أن
جميع الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه قد جاؤوا به وصرحوا في غير
خفاء ولا كتمان فقد باء الناس بالخيرية والحرمان حيث لم يتعلموا من معلمي
الإنسانية وأساتذة العرفان والإيمان إلا ما هو ضلال وبهتان.

★ ★ ★

فصل في النوع الرابع من أنواعه

جبريهم هو غاية العرفان
ترى هو فعل ذي السلطان
ومن فسوق وسائر العصيان
ليست بفعل قط للإنسان
أفعاله كالميت في الأكفان
فيه وداخل جاحم النيران
في صورة العبد الظلوم الجاني
في نفسه أدباً مع الرحمن
من كل جبري خبيث جنان
ما ثم في التحقيق من عصيان
غير الإله المالك الديان
فيه من الإشراك والكفران
هاتيك كتبهم بكل مكان
من خالق ثان لذي الأكوان
هو وحده الخلاق للإنسان
حيد صار الشرك ذا بطلان
هو وحده الخلاق ليس اثنان
بأن الشر خالقه إله ثان

هذا ورابعها فتوحيد لدى
العبد ميت ما له فعل ولكن ما
والله فاعل فعلنا من طاعة
هي فعل رب العالمين حقيقة
فالعبد ميت وهو مجبور على
وهو الملموم على فعال إلهه
يا ويجه المسكين مظلوم يرى
لكن نقول بأنه هو ظالم
هذا هو التوحيد عند فريقهم
الكل عند غلاتهم طاعات
والشرك عندهم اعتقادك فاعلاً
فانظر إلى التوحيد عند القوم ما
ما عندهم والله شيء غيره
أترى أبا جهل وشيعته رأوا
أم كلهم جمعاً أقروا أنه
فإذا ادّعيت أن هذا غاية التو
فالناس كلهم أقروا أنه
إلا المجوس فإنهم قالوا

الشرح: والرابع من أنواع التوحيد المخالف لتوحيد الرسل عليهم الصلاة
والسلام هو توحيد أصحاب المذهب الجبر الذين يزعمون أنه نهاية التحقيق وغاية
المعرفة وهو يقوم على أن العبد في حقيقته ميت أو جماد لا حس فيه ولا حركة
ولا فعل له، بل كل ما يصدر عنه من أفعال هو فعل الله الذي هو القادر وحده

وغيره لا قدرة له على شيء فهو الذي يخلق في العبد الطاعات من صلاة وصيام وحج وجهاد الخ، ويخلق فيه الفسوق وجميع المعاصي من شرك وزنى وقتل وسرقة الخ، فهذه كلها أفعال الله على الحقيقة لا يصح نسبتها إلى العبد إلا على وجه من المجاز، كما يقال هبت الريح وجرى النهر وطلعت الشمس، فالعبد لا قدرة له على فعل شيء ولا اختيار له، بل هو مجبور على أفعال كالميت أدرج في أكفانه.

ومع ذلك فهو يلام على ما يخلقه الله فيه من ذنوب ويدخل بسببها نار الجحيم وهو في الحقيقة مظلوم لا ذنب له وإن بدا في صورة الظلم الجاني، ولكننا مع ذلك نقول أنه ظالم لنفسه على جهة التأدب فقط مع الله عز وجل حتى لا ننسب إليه الظلم هذا هو التوحيد عند عامة هؤلاء الجبرية الذين خبثت طويتهم وساءت بالله ظنونهم وأما من غلا منهم وزعم شهود الحقيقة الكونية من زنادقة الصوفية، فيرى أن أعمال العباد كلها طاعات لا معصية فيها، لأنها تنفيذ للإرادة الإلهية الشاملة، كما يقول في ذلك شاعرهم:

أصبحت منفعلاً لما يختاره مني ففعلي كله طاعات

فانظر إلى هذا التوحيد عند هؤلاء القوم وما فيه من أنواع الشرك والكفر بل هو في حقيقته يبطل كل شرك وكفر، فإن الناس كلهم إلا قليلاً منهم يقرون بأن الله هو خالق كل شيء، وإن شئت دليلاً على ذلك فاسأل أبا جهل وشيعته في الشرك والضلال، هل يعتقدون بوجود خالق مع الله لهذه الأكوان؟ فستجدهم جميعاً مقرين بأن الله هو وحده الخلاق للإنسان وغيره من الموجودات.

فإذا ادعيت أيها الجبرية الضلال أن الاعتقاد بانفراد الله بالخلق هو غاية التوحيد فقد أبطلتم وجود الشرك في العالم، لأن الناس كلهم يقرون بأن الله هو وحده الخلاق لا خالق غيره، اللهم إلا المجوس الثنوية الذين قالوا بإلهين، إله للخير وهو النور، وإله للشر وهو الظلمة.

فصل

في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين

فاسمع إذاً توحيد رسل الله ثم اجـ عله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان
توحيدهم نوعان قولي وفعـ لي كلا نوعيه ذو برهان
فالأول القولي ذو نوعين أيـ ضاً في كتاب الله موجودان
إحداهما سلب وذا نوعان أيـ ضاً فيه حقاً فيه مذكوران
سلب النقائص والعيون جميعها عنه هما نوعان معقولان

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من بيان أنواع التوحيد المبتدعة التي اصطلحت عليها فرق الزيغ والضلال من فلاسفة وصوفية وجمهية وجبرية وغيرها، شرع في بيان التوحيد الحق الذي لا يستحق هذا الاسم غيره، وهو التوحيد الذي بعث الله به جميع رسله، وأنزل لأجله كتبه، وخلق الخلق وشرع الشرائع لإقامته، وأقام الأدلة العقلية والنقلية على وجوبه وصحته، وهو كذلك التوحيد الذي آمن به ودعا إليه خيار خلق الله من الأنبياء والمرسلين الذين هم أكمل الناس عقولاً وأزكاهم نفوساً.

فتوحيد الأنبياء مشتمل على الحق والصدق المزكي للنفوس المطهر للأخلاق، وهو مؤيد بصريح العقل الموافق لصحيح النقل. وأما توحيد الملاحدة والمعطلة فمشتمل على أكذب الكذب، وقائم على شبهة وخيالات تدل على جهل أصحابها وفساد عقولهم، وإنما ذكر هذا النوع بعدما سبقه، لأن الشيء يتميز بضده، فمن عرف هذا التوحيد ووقف على حقيقته تبين له فساد تلك المقالات، وظهر له شناعتها وقبحها، فيتمسك به أعظم التمسك، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥] وفي الأثر «من لم يعرف الجاهلية لم يعرف الإسلام».

فمن جعل هذا التوحيد في كفة ميزان وجعل هذه الأنواع الأخرى في الكفة الأخرى ظهر له أيها أرجح وزناً وأعظم شأنًا وأحق بالعناية والاتباع.

وهذا النوع من التوحيد ينقسم إلى قسمين: أولهما **توحيد قولي اعتقادي**، لأنه متعلق بأقوال القلوب الذي هو اقرارها واعتقادها، وأقوال اللسان من الشناء على الله وتمجيده، ويسمى أيضاً بالتوحيد العلمي الخبري، لأن المقصود منه مجرد العلم والمعرفة، **وتوحيد الأسماء والصفات**، لأن مداره على إثباتها لله، ويدخل فيه توحيد الربوبية.

والثاني: **توحيد فعلي** لأنه متعلق بأفعال القلوب والجوارح، ويسمى أيضاً بالتوحيد الإرادي الطلبي، لأن المقصود منه إرادة الله بأنواع العبادة والإخلاص له فيها. ويسمى كذلك **بتوحيد الإلهية والعبادة**، لأنه توحيد الله بأفعال العبيد، وأن لا يتخذ من دونه شريك ولا نديد.

وكلا نوعي هذا التوحيد من القولي والعملي ثابت بالأدلة والبراهين النقلية والعقلية، فأيات القرآن الكريم وسوره كلها متضمنة لهذين النوعين من التوحيد لأنها إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهذا هو التوحيد العلمي الخبري، وإما أمر بعبادته وحده وإخلاص الدين له سبحانه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي.

والتوحيد القولي ينقسم أيضاً الى قسمين كل منهما وردت به آيات الكتاب العزيز، **القسم الأول منها سلب أي نفي للنقائص والعيوب عن الله تعالى، والثاني إثبات صفات الكمال له سبحانه وسيأتي**، وإنما بدأ بالسلب لأنه وسيلة ومقصود لغيره، فإن السلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمنه من إثبات الكمال، فكل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من صفات النقص فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضد ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة. وهذا السلب على قسمين ذكرهما المصنف بقوله:

★ ★ ★

سلب متصل ومنفصل هما نوعان معروفان أما الثاني
وكذاك سلب الزوج والولد الذي نسبوا اليه عاببدو الصلبان
سلب الشريك مع الظهر مع الش فبيع بدون اذن الخالق الديان
وكذاك نفى الكفو أيضا والولي لنا سوى الرحمن ذي الغفران

الشرح: يعني أن التوحيد القولي الذي يرجع الى سلب النقائص والعيوب

نوعان:

١ - سلب متصل وضابطه نفى كل ما يناقض صفة من صفات الكمال التي
وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ، كنفى الموت المنافي للحياة،
والعجز المنافي للقدرة، والسنة والنوم المنافي لكمال القيومية، والاكراه المنافي
للاختيار، والذل المنافي للعزة، والسفه المنافي للحكمة الخ.

٢ - وسلب لمنفصل وضابطه تنزيه الله سبحانه عن أن يشاركه أحد من الخلق
في شيء من خصائصه التي لا تنبغي الا له، وذلك كنفى الشريك له في ربوبيته،
فانه متفرد بتمام الملك والقوة والتدبير، وفي الهيته، فهو وحده الذي يجب أن يأله
الخلق ويفردوه بكل أنواع العبادة والتعظيم، وفي اسمائه الحسنى وصفاته العليا،
فليس لغيره من المخلوقين شركة معه سبحانه في شيء منها.

وكذلك نفى الظهر الذي يظاهاه، أي يعاونه على خلق شيء أو تدبيره،
وذلك لكمال قدرته وسعة علمه ونفوذ مشيئته، وغيره من المخلوقين عاجز فقير
لا حول له ولا قوة الا بالله، فالشريك والظهر منفيان عنه باطلاق، وأما الشفيع
فانه لكمال عظمتة وتمام غناه وسعة ملكه منزه أن يشفع عنده أحد الا بأذنه،
فالمنفى عنه سبحانه هو تلك الشفاعة المطلقة التي كان يزعمها المشركون
وأشباهم من أهل الكتاب لآلهتهم وأنبيائهم وقديسيهم.

وأما الشفاعة عنده بأذنه فانها ثابتة بالنصوص الكثيرة من الكتاب والسنة
وذلك لأنها دالة على سعة رحمته وكمال احسانه، فانها من رحمته بالشافع والمشفوع
له، فالشافع ينال بها الأجر والثناء من الله ومن خلقه، والمشفوع له يرحمه الله على

يد من أذن له بالشفاعة، ومع هذا فلا يأذن سبحانه لأحد أن يشفع الا فيمن رضي قوله وعمله من أهل الاخلاص والمتابعة، كما في قوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة « اسعد الناس بشفاعتي من قال: لا اله الا الله خالصة من قلبه ».

وقد نزه الله سبحانه نفسه عن مشاركة أحد له في واحد من هذه الأمور الثلاثة التي هي الملك والشركة معه فيه والمعاونة له والشفاعة عنده بغير اذنه، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] فقطع بهذه الآية كل سبب يتوسل به المشركون لدعوة غيره.

وكذلك ينفي عنه سبحانه اتخاذ الصاحبة والولد الذي نسبه اليه النصرى عابدو الصلبان والصابئة الذين يقولون ان الملائكة بنات الله. وقد رد الله عز وجل على كل من زعم أن له ولداً في غير آية من كتابه، فقال في سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ التي تعدل ثلث القرآن: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص: ٣، ٤].

وقال في آخر سورة بني اسرائيل: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ ﴾ [الإسراء: ١١١].

وفي أول سورة الكهف: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [٥، ٤].

وفي آخر سورة مريم عليها السلام ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا ﴾ [٨٨، ٩٣] الى غير ذلك من

الآيات التي تنفى عن الله ما لا يليق به من اتخاذ الصاحبة والولد والشريك ، لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد ، الغني الذي لا يحتاج الى أحد من خلقه بوجه من الوجوه ، وكل الخلق مملوكون له وفقراء اليه .

وكذلك يجب أن ينفى عنه أن يكون أحد مكافئا ، أي مساويا له في كماله وفيما يجب له من حقوق ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾ [البقرة : ٢٢] فليس لأحد صفات تقارب صفات الله سبحانه ولا افعال تشبه أفعاله ، بل ليس لأحد من خلقه استقلال بفعل شيء أصلا حتى يعينه الله عليه . ولهذا كانت أفعال العباد تابعة لمشيئة الله تعالى مع وقوعها منهم بقدرهم واراداتهم ، فان خالق القدرة والارادة خالق ما يكون بها كما قال تعالى ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾ وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ [التكوير : ٢٨ ، ٢٩] .

ومما ينفى عن الله وينزهه عنه أيضاً أنه ليس لنا ولي سواه يلي أمورنا ، فهو وحده المتولي لأمر خلقه في الخلق والرزق والتدبير وأنواع التربية العامة والخاصة ، وولايته تعالى نوعان :

ولاية عامة شاملة للبر والفاجر ، وهي ولاية الخلق والتدبير ، كما قال تعالى ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾ [السجدة : ٤] ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [الشورى : ٤٤] .

وولاية خاصة ، وهي ولايته تعالى للمؤمنين المتقين يخرجهم بها من ظلمات الكفر والجهل والمعصية الى نور العلم والايان والطاعة ، قال تعالى ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] وقال ﴿ أَلَا أَنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿ [يونس : ٦٤] .

وكذلك لم يتخذ سبحانه من خلقه وليا من الذل لكمال اقتداره وغناه وعظمته وانما يتخذ منهم اولياء رحمة بهم واحسانا اليهم ، يحبهم ويحبونه .

وبالجمله فليس أحد مساويا لله تعالى أو مماثلا أو معينا أو مشيراً أو محتاجا إليه بوجه من الوجوه.

والأول التنزيه للرحمن عن وصف العيوب وكل ذي نقصان كالموت والاعياء والتعب الذي ينفى اقتدار الخالق الديان والنوم والسنة التي هي أصله وعزوب شيء عنه في الأكوان

الشرح: هذا هو القسم الأول من قسمي السلب المنفى عن الله، وهو السلب المتصل الذي يقوم على تنزيهه سبحانه عن الاتصاف بكل ما يصاد كماله من النقائص والعيوب، والغرض من هذا السلب كما قدمنا انما هو ثبوت صفات الكمال له على أكمل وجه وأتمه، فسلب الموت والاعياء عنه مستلزم لثبوت كمال حياته وقدرته، قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] وقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] فانه لو اتصف بشيء من هذا النقص لكان ناقص القدرة، وكذلك سلب النوم والسنة التي هي النعاس عنه يستلزم اثبات كمال حياته وقيوميته، قال الله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه «ان الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام» وكذلك سلب الجهل، والنسيان عنه يقتضي اتصافه بالعلم الكامل المحيط بكل ما في السموات والأرض وبما يسر العباد ويعلمون فلا يعزب عنه مثقال ذرة من ذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

وكما قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وكذلك العيب الذي تنفيه حكمته ه وحمد الله ذي الاتقان
وكذاك ترك الخلق أهلاً سدى لا يبعثون الى معاد ثان
كلا ولا أمر ولا نهى عليهم من اله قادر ديان

الشرح: يعني كما يجب تنزيهه عما ذكر من الموت والاعياء والنوم والسنة
والجهل يجب تنزيهه عن العيب في خلقه وأمره المنافي لكمال حكمته وحده، فلم
يخلق شيئاً عبثاً ولا باطلاً ولا شرع لعباده الا ما فيه حكمة ومصلحة لأنه حكيم
حميد، فمن تمام حكمته وحده أنه أحسن كل شيء خلقه وأحكم وأتقن صنعه،
فلا يرى فيه خلل ولا فطور. وكذلك أحكم شرائعه التي شرعها لعباده فجعلها
في غاية العدل والمصلحة وضمنها كل ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

ومن تمام حكمته كذلك أنه لم يترك خلقه هملاً بلا أمر ولا نهى ولا ثواب
ولا عقاب بل حكمته وحده دالان اعظم الدلالة على أنه خلق للمكلفين لينفذ
فيهم أحكامه الشرعية ويبتليهم بالأوامر والنواهي. ثم بعد ذلك يبعثهم الى الدار
الآخرة التي تجري عليهم فيها أحكامه الجزائية من الثواب والعقاب.

والآيات الدالة على تمام حكمته سبحانه في خلق المكلفين للابتلاء بأنواع
التكليف ليلوهم أيهم أحسن عملاً كثيرة منها قوله في آخر سورة (المؤمنون):

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ * فَتَعَالَى اللَّهُ
الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ [١١٥ ، ١١٦] وقوله:
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلًا
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص : ٢٧ ، ٢٨] .

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:

[٢١] .

وكذاك ظلم عباده وهو الغنى فما له والظلم للانسان
وكذاك غفلته تعالى وهو علا م الغيوب فظاهر البطلان
وكذاك النسيان جل الهنا لا يعتريه قط من نسيان
وكذاك حاجته الى طعم ورز ق وهو رازق بلا حسابان

الشرح: ومما يجب أن ينزه الله عنه أن يقع منه ظلم لعباده بزيادة في سيئاتهم أو نقص من حسناتهم أو عقوبتهم على ما لم يفعلوا من الذنوب أو أخذ أحد منهم بجريرة غيره الى غير ذلك من صور الظلم التي حرمها سبحانه على نفسه، فان الظالم لا يفعله الا من هو محتاج اليه لعجزه وفقره أو من كان الجور وصفا له، والله سبحانه هو الغنى عن خلقه من كل وجه، وهو الموصوف بكمال الحكمة والعدل فما له اذا ولظلم العباد، قال تعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤] وقال ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

وكذلك ينزه عن الغفلة التي هي الذهول عن الشيء وعن النسيان الذي هو ضد الذكر لان علمه محيط بالاشياء كلها من غيب أو شهادة، فلا يطرأ عليه ما يطرأ على علوم المخلوقين من ذهول أو نسيان، كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام في خطابه لفرعون حين قال له ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ [طه: ٥٢].

وكذلك ينزه سبحانه عن احتياجه الى الطعام والرزق، فانه هو الرازق لجميع الخلق يوصل اليهم أقاتهم ويطعمهم ويسقيهم مع غناه عنهم قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ [الذاريات: ٥٥، ٥٨].

وقال ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

هذا وثاني نوعي السلب الذي تنزيه أوصاف الكمال له عن التشبُّه
لنا نشبهه وصفه بصفاتنا كلا ولا نخليه من أوصافه
من مثل الله العظيم بخلقه أو عطل الرحمن من أوصافه
هو أول الانواع في الاوزان سببه والتمثيل والنكران
ان المشبه عابد الاوثان ان المعطل عابد البهتان
فهو النسيب لمشرك نصراني فهو الكفور وليس ذا ايمان

الشرح: بعد ان فرغ المؤلف من بيان النوع الاول من أنواع السلب الذي هو سلب النقائص والعيوب عن الله عز وجل وقسمه الى متصل ومنفصل شرع في بيان النوع الثاني من هذا السلب، الذي هو أول أنواع التوحيد القولي في هذه القصيدة.

وهذا النوع يقوم على تنزيه أوصاف الكمال الثابتة له سبحانه عن مماثلة صفات المخلوقين لها، فلا يقال علمه كعلمهم ولا قدرته كقدرتهم ولا رحمته كرحمتهم ونحو ذلك، فمن شبه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عابداً لله في الحقيقة، وانما يعبد وثنا صورته له خياله ونحته فكره، فهو من عباد الاوثان لا من عباد الرحمن، فهو نسيب، أي مشابه ومشاكل لهؤلاء النصارى الذين عبدوا المسيح ابن مريم وجعلوه المهيم. وأما رب العالمين فهو فوق ما يظنون وأعلى مما يتوهمون، فانه كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين فصفاته لا تشبهها صفاتهم.

وكذلك يقوم هذا النوع على عدم التعطيل والجحد لصفات الكمال كما فعلت ذلك الجهمية ومن تبعهم من المتكلمين، فان من نفى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فانه في الحقيقة لا يعبد شيئاً موجوداً، وانما يعبد عدماً مفقوداً، لما توهم أن ظاهر النصوص يدل على التشبيه أخذ ينفيها بوهمه الفاسد. فآل به النفي للصفات الى نفى حقيقة الذات اذ لا يعقل وجود ذات في الخارج مجردة عن الصفات، فصار قلبه متعبداً للعدم المحض. وهذا كفر بآيات الله

وتكذيب للرسل، ورد لما جاءوا به من اثبات نعوت الكمال، ولهذا قال المصنف (فهو الكفور وليس ذا ايمان).

يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن آل سعدي رحمه الله:

وبالجمله فالناس في هذا المقام ثلاثة أقسام: مؤمن موحد ومشبه ومعطل، فالمؤمن الموحد يصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الكمال على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تحريف ولا تعطيل لشيء من أوصاف الله.

والمشبه هو الذي يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين أو يتعرض لمعرفة كنهها وحقيقتها التي لا يعلمها غير الله.

والمعطل هو من نفى شيئاً من صفات الله.

وكل من المعطل والمشبه قد حرم الوصول الى معرفة الله على وجهها وابتلى بالتكلف والتحريف لنصوص الوحي.

وكما أنه مناقض للوحي فهو مناقض لما دلت عليه العقول والفطر التي لم يطرأ عليها التغير فلا معقول لديهم ولا منقول. وهدى الله أهل السنة والجماعة لاتباع الحق المنقول عن الله وعن رسله، والمعقول لذوي الألباب، وذلك يظهر بتدبر ما عليه هذه الطوائف في المسائل والدلائل وتحقيقها. ١ هـ.

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت

هذا ومن توحيدهم اثبات أو صاف الكمال لربنا الرحمن

الشرح: سبق أن ذكر المصنف أن التوحيد القولي ينقسم الى ثبوت وسلب وبعد أن فرغ من ذكر السلب بجميع أقسامه شرع في بيان القسم الثبوتي الذي

يقوم على اثبات كل صفة الله وردت في الكتب الالهية أو جاءت على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

فمن توحيد الأنبياء والمرسلين أنهم يثبتون أوصاف الكمال كلها لله عز وجل لا ينفون منها شيئاً ولا يعطلون ربهم عن شيء من صفات كماله ، بل يؤمنون بها كلها ويتعرفون معناها ويتعبدون لله تعالى بعلمها واعتقادها ، ويعملون بما تقتضيه كل صفة من الاحوال القلبية والمعارف الالهية .

فأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوبهم هيبة لله وتعظيماً له وتقديساً ، وأوصاف العز والقهر والقدرة والجبروت تملأها ذلاً وانكساراً وخضوعاً بين يدي الرب جل شأنه ، وخوفاً من بطشه وعذابه .

وأوصاف الرحمة والبر والجود والكرم تملأها أملاً واستبشاراً وطمعاً في فضله واحسانه وجوده وامتنانه .

وأوصاف العلم والخبرة والاحاطة والشهود توجب للعبد مراقبة ربه في جميع حركاته وسكناته ، والاستحياء منه أن يراه حيث نهاه ، أو يفقده حيث أمره ، وأوصاف الجمال والقرب والود والاكرام تملأ القلوب محبة لله وشوقاً اليه . وهكذا كل من تحقق بمعاني أسمائه سبحانه ووعاها بقلبه ووجدانه ، فانه يجد لها من التأثيرات المختلفة على قلبه وروحه ما يصير به كأنه في روضة من الجنة ، ويحق له أن يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام « ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » .

★ ★ ★

كعلوه سبحانه فوق السماوات العلى بل فوق كل مكان
فهو العلي بذاته سبحانه اذ يستحيل خلاف ذا بيان
وهو الذي حقا على العرش استوى ي قد قام بالتدبير للأكوان

الشرح: فما يثبتته الرسل والأنبياء لربهم من صفات كماله علوه على جميع

مخلوقاته ومباينته لها، وهذا أمر تشهد له العقول والفطرة التي لم يفسدها التقليد الأعمى والعصبية لمذاهب الشيوخ والرؤساء. فضلاً عما ورد من النصوص الكثيرة القاطعة التي لا يملك المبطلون لها إنكاراً ولا تأويلاً، وقد أشبع المصنف رحمه الله الكلام في هذا الباب في الفصول السابقة من منظومته، وأثبت صفة العلو من واحد وعشرين وجهاً، وذكر تضافر العقل والنقل والفطرة على ذلك، فليرجع إليها من يريد زيادة اطمئنان لقلبه.

وأعلم أن الثابت لله عز وجل من تلك الصفة هو العلو المطلق الذي يشمل علو الذات وعلو القهر وعلو القدر، وإنما نص على علو الذات لوقوع النزاع فيه، وقال يستحيل أن يكون خلاف ذلك، أي أن لا يكون سبحانه عالياً على جميع خلقه، فإنه لو لم يكن فوق المخلوقات مبايناً لها لكان إما عينها كما يقوله أصحاب الوحدة، أو حالاً فيها كما يقوله الحلولية، وكل منها باطل بالضرورة فتعين علوه عليها ومباينته لها.

وأما استواؤه سبحانه على عرشه العظيم فيستفاد من النقل (الكتاب والسنة) قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ذكر ذلك في سبعة مواضع من القرآن العظيم. وأعلم أن استواؤه تعالى على العرش إنما هو على الكيفية التي يعلمها مما يليق بعظمته وجلاله. وهكذا يقال في جميع ما أخبر الله به عن نفسه، نؤمن بها كما جاءت دون أن نبحت عن كنهها أو عن كيفية قيامها به مع اعتقاد تنزيهه عن مماثلة المخلوقين.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| حي مريد قادر متكلم | ذو رحمة وإرادة وحنان |
| هو أول هو آخر هو ظاهر | هو باطن هي أربع بوزان |
| ما قبله شيء كذا ما بعده | شيء تعالى الله ذو السلطان |
| ما فوقه شيء كذا ما دونه | شيء وذا تفسير ذي البرهان |
| فانظر إلى تفسيره بتدبر | وتبصر وتعقل لمعان |

وأنظر إلى ما فيه من أنواع مع رفة لخالقنا العظيم الشان

الشرح: تضمنت هذه الآيات جملة من الأسماء الحسنى الدالة على ما اشتملت عليه من صفات الكمال، فهو حي متصف بالحياة الكاملة اللازمة لذاته أزلاً وأبداً فلم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء، وقد سبق أن قلنا أن جميع صفات الكمال الذاتية ترجع إلى صفة الحياة التي تعتبر شرطاً فيها كلها، فإنه لا يصح اتصافه بشيء منها إلا كان حياً، ويكون كمال حياته مستوجباً لكمال هذه الصفات وهو مريد بإرادة قائمة بذاته تتعلق بكل ما أراد إيجاداً واحداً، فلا يشذ عنها شيء من المكونات، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وليس معنى ذلك أن له إرادة واحدة قديمة تعلقت بجميع المرادات في الأزل، كما يقول بذلك من لا عقل له، وإنما تنشأ في ذاته سبحانه إرادات جزئية على وفق علمه وحكمته، فحدث عنها المرادات بلا مهلة ولا توان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] أي فيحدث عقب إرادته وتكوينه له، لا مع الإرادة ولا متراخياً عنها.

وهو كذلك قادر بقدرته تامة لا يعجزها شيء. فمهما أراد شيئاً من الممكنات أبرزه بقدرته لا يلحقه من ذلك تعب ولا اعياء، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤].

وهو أيضاً متكلم بكلام هو صفة له قائمة بذاته، فإنه لا معنى للمتكلم إلا من قام به الكلام. وكلامه تعالى من صفات الفعل التابعة لمشيئته وقدرته، فهو يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام هو حروف وأصوات، يسمعها من يختصه من خلقه بتكليمه.

وهو ذو رحمة وسعت كل شيء في الدنيا، وبلغت حيث بلغ علمه، واختص بها عباده المؤمنين في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية.

ورحمته سبحانه صفة له على ما يليق به، تقتضي إحسانه إلى خلقه وإيصال

النفع إليهم. وهو ذو إرادة عامة شاملة يخصص بها كل ممكن ببعض ما يجوز عليه من الأوصاف والأحوال، وهو ذو حنان، بمعنى شفقة عظيمة على خلقه، ورأفة بالغة بهم تقتضي كمال بره وجوده.

وأما قوله: هو أول هو آخر الخ الأبيات، فهو بيان لمعنى أسمائه الأربعة الواردة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وقد التزم المصنف في تفسيرها ما ورد به الحديث الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام « أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء » ولذا قال: (وذا تفسير ذي البرهان).

وقد سبق أن بينا ضرورة الأخذ بهذا التفسير لهذه الأسماء الأربعة حيث أنه ورد على لسان المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وهو أعلم الخلق بربه وبمعاني أسمائه. يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن آل سعدي غفر الله له: (فتدبر هذه المعاني الجليلة الدالة على تفرد الرب العظيم بالكمال المطلق والإحاطة المطلقة الزمانية في قوله: ﴿الأول والآخر﴾ والمكانية في ﴿الظاهر والباطن﴾).

فالأول يدل على أن كل ما سواه حادث كائن بعد أن لم يكن، ويوجب للعبد أن يلحظ فضل ربه في كل نعمة دينية أو دنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى.

والآخر يدل على أنه هو الغاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتأهلها ورغبتها ورهبتها وجميع مطالبها.

والظاهر يدل على عظمة صفاته واضمحلال كل شيء عند عظمته من ذوات وصفات وعلى علوه. والباطن يدل على إطلاعه على السرائر والضمائر والخبائيا والخبائيا ودقائق الاشياء، كما يدل على قربه ودنوه، ولا يتنافى الظاهر والباطن، لأن الله ليس كمثله شيء في كل النعوت اهـ.

★ ★ ★

وهو العلي فكل أنواع العلو هو له فثابتة بلا نكران
وهو العظيم بكل معنى يوجب التّعظيم لا يخصه من انسان

الشرح: ومن أسمائه الحسنی سبحانه (العليّ والعظيم) وقد ختم الله بهما آية الكرسي التي هي سيدة آي القرآن قال تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد ذكرا كذلك معاً مقترنين في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].

أما العلي فهو دال على وصف العلو الثابت له بالعقل والنقل والفطرة، وقد ذكرنا أن الثابت له سبحانه من ذلك الوصف هو العلو المطلق الذي يشمل علو الذات فهو موجود بذاته فوق جميع خلقه. وعلو القهر فالمخلوقات جميعاً في قبضة قهره، وعلو القدر فليس يدانيه أحد في نفاسة قدره، وأما العظيم فهو دال على وصف العظمة التي هي الكبر والاتساع.

ومعاني التعظيم الثابتة له سبحانه نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعها بحيث لا يكون وراءه كمال أصلاً، فله العلم الواسع المحيط والقدرة التامة والإرادة الشاملة والحكمة البالغة، وله الكبرياء والعظمة اللذان لا يقدر أحد قدرهما ولا يبلغ كنههما، كما قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل «الكبرياء ردائي والعظمة أزاري فمن نازعني واحداً منها عذبتة».

والنوع الثاني من معاني عظمته: أنه المستحق لكل أنواع التعظيم التي يعظم بها عباده، فهو يستحق منهم أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبته والذل والانكسار له والخضوع لكبريائه وأعمال اللسان في الثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. ومن تعظيمه أن يتقى حق ثقاته فيطاع ولا يعصى. ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

ومن تعظيمه تعظيم امره ونهيه وكل ما شرعه من زمان ومكان وأعمال.

ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه .

★ ★ ★

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان
وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان
من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان
فجماله بالذات والأوصاف والد افعال والأسماء بالبرهان
لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن افك ذي بهتان

الشرح: قال الراغب في مفرداته: (الجلالة عظم القدر والجلال بغير الهاء التناهي في ذلك وخص بوصف الله تعالى فقيل ذو الجلال والاكرام، ولم يستعمل في غيره والجليل العظيم القدر، ووصفه تعالى بذلك، أما لخلقه الأشياء العظيمة والمستدل بها عليه أو لأنه يجلب عن الاحاطة به أو لأنه يجلب عن أن يدرك بالحواس).

وفي النهاية لابن الأثير (ومن أسماء الله تعالى: الجليل، وهو الموصوف بنعوت الجلال والحاوي جميعها هو الجليل المطلق، وهو راجع إلى كمال الصفات، كما أن الكبير راجع إلى كمال الذات، والعظيم راجع إلى كمال الذات والصفات) أ هـ .
وأوصاف الجلال الثابتة له سبحانه مثل العزة والقهر والكبرياء والعظمة والسعة والمجد كلها ثابتة له على التحقيق لا يفوته منها شيء .

وأما الجميل فهو اسم له سبحانه من الجمال وهو الحسن الكثير، والثابت له سبحانه من هذا الوصف هو الجمال المطلق الذي هو الجمال على الحقيقة، فإن جمال هذه الموجودات على كثرة ألوانه وتعدد فنونه، هو من بعض آثار جماله فيكون هو سبحانه أولى بذلك الوصف من كل جميل، فإن واهب الجمال للموجودات لا بد أن يكون بالغاً من هذا الوصف أعلى الغايات، وهو سبحانه الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

أما جمال الذات فهو ما لا يمكن لمخلوق أن يعبر عن شيء منه أو يبلغ بعض كنهه وحسبك أن أهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم وأفانين اللذات والسرور التي لا يقادر قدرها إذا رأوا ربهم وتمتعوا بجماله نسوا كل ما هم فيه، واضمحل عندهم هذا النعيم وودوا لو تدوم لهم هذه الحال ولم يكن شيء أحب إليهم من الاستغراق في شهود هذا الجمال، واكتسبوا من جماله ونوره سبحانه جالاً إلى جالهم وبقوا في شوق دائم إلى رؤيته حتى أنهم يفرحون بيوم المزيد فرحاً تكاد تطير له القلوب.

وأما جمال الاسماء فإنها كلها حسنى بل هي أحسن الاسماء وأجلها على الاطلاق فكلها دالة على كمال الحمد والمجد والجمال والجلال ليس فيها أبداً ما ليس بحسن ولا جميل، وأما جمال الصفات فإن صفاته كلها صفات كمال ومجد ونعوت ثناء وحمد، بل هي أوسع الصفات وأعمها وأكملها آثاراً وتعلقات، لا سيما صفات الرحمة والبر والكرم والجود والإحسان والإنعام.

وأما جمال الأفعال فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويشكر وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقها للحكمة والحمد فليس في أفعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم، بل كلها خير ورحمة ورشد وهدى وعدل وحكمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

ولأن كمال الأفعال تابع لكمال الذات والصفات، فإن الأفعال أثر الصفات، وصفاته كما قلنا أكمل الصفات، فلا غرو أن تكون أفعاله أكمل الأفعال.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

(وجمع المؤلف بين الجليل والجميل، لأن تمام التعبد لله هو التعبد بهذين الاسمين الكريمين، فالتعبد بالجليل يقتضي تعظيمه وخوفه وهيبته وإجلاله، والتعبد باسمه الجميل يقتضي محبته والتأله له، وأن يبذل العبد له خالص المحبة وصفو الوداد، بحيث يسبح القلب في رياض معرفته وميادين جماله ويبتهج بما

يحصل له من آثار جماله وكماله ، فإن الله ذو الجلال والاكرام).

★ ★ ★

وهو المجيد صفاته أوصاف تعظيم فشان الوصف أعظم شان
الشرح: قال صاحب النهاية:

(المجد في كلام العرب الشرف الواسع ، ورجل ماجد مفضل كثير الخير شريف ، والمجيد فعيل منه للمبالغة ، وقيل هو الكريم الفعال ، وقيل إذا قارن شرف الذات حسن الفعال سمي مجداً ، وفعيل ابلغ من فاعل ، فكأنه يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم) اهـ .

وقد فسر المؤلف هذا الاسم الكريم بما ينبىء عن عظمة الصفات وسعتها ، وأن كل وصف من أوصافه سبحانه عظيم شأنه متناه في كماله ، فهو العليم الكامل في علمه ، والرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، والتقدير الذي لا يعجزه شيء ، والحليم الكامل في حلمه ، والحكيم الكامل في حكمه ، إلى آخر ما له سبحانه من الأسماء والصفات ، بلغت غاية المجد والعظمة فليس في شيء منها قصور أو نقصان .

★ ★ ★

وهو السميع يرى ويسمع كل ما ولكل صوت منه سمع حاضر والسمع منه واسع الأصوات لا وهو البصير يرى دبيب النملة الس ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى خيانات العيون بلحظة في الكون من سر ومن إعلان فالسر والإعلان مستويان يخفى عليه بعيدها والداني ووداء تحت الصخر والصوان ويرى نياط عروقها بعيان ويرى كذاك تقلب الأجنان

الشرح: في هذه الآيات يشرح المؤلف معنى هذين الإسمين الكريمين (السميع والبصير) ويجيء ذكرهما في القرآن كثيراً مقترنين ، لأن كلا منهما صفة

إدراك فمعنى السميع المدرك لجميع الأصوات، سرها وعلنها، فلا يخفى عليه شيء منها مهما خفت، بل جميع الأصوات بالنسبة إلى سمعه سواء، كما أن بعيدها والداني، أي القريب سواء، فسمعه سبحانه حاضر عند كل صوت منها، لا تشبهه عليه ولا يختلط بعضها ببعض، ولا يتميز بعضها عن بعض بوضوح أو خفاء .

ومعنى البصير المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا يؤثر على رؤيته بعد المسافات والأقطار، ولا تحول دونها الحواجز والاستار، فهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، بل ويرى مسالك الغذاء من أمعائها وأربطة مفاصلها وعروقها بعينه التي لا تنام، ويرى خيانات الأعين، وهي اختلاس النظر إلى محاسن النساء .

قال ابن عباس رضي الله عنهما (هو الرجل يدخل على أهل البيت وفيهم المرأة الحسنة، أو تمر به وبهم المرأة الحسنة، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غص بصره عنها، فإذا غفلوا لحظ، فإذا فطنوا غص).

وقال الضحاک (خائنة الأعين) هي الغمز وقول الرجل رأيت ولم ير أو لم أر وقد رأى .

ويرى سبحانه كذلك تقلب الأجفان، أي حركتها بين الإطباق والتفتيح والمقصود أن بصره سبحانه محيط بجميع الأشياء، جليلها وحقيرها، صغيرها وكبيرها، كثيفها ولطيفها، لا يستتر عنه شيء منها .

روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه .

ومعنى الحديث أنه سبحانه يسمع بسمع ويرى بعين، فهو حجة على المعتزلة وبعض الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات

ولا شك أنه تفسير خاطيء ، فإن كلا من السمع والبصر معنى زائد على العلم قد يوجد العلم بدونه ، فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها ، وكذلك الأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها .

وأعجب من هذا قول الأشاعرة أن كلا من السمع والبصر متعلق بجميع الموجودات ، فكيف تعلق السمع بما لا يسمع من الأشخاص والألوان ، وكيف تعلق البصر بما لا يرى من الأصوات المسموعة بالأذان .

وأعلم أن سمعه تعالى نوعان: أحدهما عام ، وهو سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية وإحاطته التامة بها ، والثاني خاص وهو سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين ، فيجيبهم ويشيهم ، ومنه قوله تعالى على لسان أم مريم عليها السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران : ٣٥] وقوله على لسان ابراهيم خليله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [ابراهيم : ٣٩] ومنه قول المصلي (سمع الله لمن حمده) أي استجاب له وقبل منه .

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| وهو العليم أحاط علماً بالذي | في الكون من سر ومن إعلان |
| وبكل شيء علمه سبحانه | فهو المحيط وليس ذا نسيان |
| وكذاك يعلم ما يكون غدا وما | قد كان والموجود في ذا الآن |
| وكذاك أمر لم يكن لو | كان كيف يكون ذا إمكان |

الشرح: هذا تفسير لاسمه العليم بأحسن وجه وأجمعه ، فقد ذكر إحاطة علمه تعالى بجميع المعلومات من الواجبات والممتنعات والممكنات ، أما الواجبات فإنه سبحانه يعلم ذاته الكريمة ونوعته المقدسة التي لا يجوز في العقل انتفاؤها بل يجب عنده ثبوتها ووجودها ، وأما الممتنعات فإنه يعلمها حال امتناعها ، ويعلم ما يترتب على وجودها لو وجدت كما أخبر عن الآثار المترتبة على وجود آلهة معه في قوله

تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فهذا فساد لم يقع لأنه مترتب على ممتنع وهو وجود إله مع الله، فلو وقع هذا الممتنع لوقع هذا الفساد، كقوله سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فذهاب كل بما خلق وعلو بعضهم على بعض كان يترتب على وجود إله مع الله الذي هو ممتنع بحيث لو حصل لحصل.

فهذا إخبار منه سبحانه بما ينشأ عنها لو وجدت على سبيل الفرض والتقدير، وأما الممكنات وهي التي يجوز في العقل وجودها وعدمها، فهو يعلم ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده، وعلمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان، فهو يعلم الغيب والشهادة، والظاهر والباطن، والجلي والخفي، ولا يطرأ على علمه غفلة ولا نسيان، كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢].

وكما أن علمه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي وما فيه من المخلوقات بذواتها وأوصافها وأفعالها وجميع أمورها، فهو يعلم أيضاً ما كان في الماضي وما يكون في المستقبل الذي لا نهاية له، ويعلم ما لم يكن لو كان، أي لو قدر كونه كيف وعلى أي حال يكون.

ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعدها يميتهم وبعدها يحييهم، قد أحاط علمه بأعمالهم كلها، خيرا وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل ذلك في دار القرار.

والدليل العقلي على علمه تعالى أمور.

أولها: أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، لأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم العلم بالمراد، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. وثانيهما: ما في المخلوقات من الأحكام والإتقان

وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة، يشهد بعلم الفاعل لها لامتناع صدور ذلك في العادة عن غير ذي علم. وثالثها: في المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال، فلو لم يكن سبحانه عالماً لكان في مخلوقاته من هو أكمل منه. ورابعها: كل علم في المخلوق إنما استفادة من خالقه، وواهب الكمال أحق به، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

★ ★ ★

فصل

وهو الحميد فكل حد واقع أو كان مفروضاً مدى الأزمان
ملاً الوجود جميعه ونظيره من غير ما عد ولا حسابان
هو أهله سبحانه وبجمده كل المحامد وصف ذي الاحسان

الشرح: قال الراغب (الحمد لله تعالى : الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ، ومما يكون منه وفيه بالتسخير ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعمله ، والحمد يكون في الثاني دون الأول ، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكراً ، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمداً ويقال : فلان محمود إذا حمد ، ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومحمد إذا وجد محموداً ، وقوله عز وجل : إنه حميد مجيد ، يصح أن يكون في معنى المحمود وأن يكون في معنى الحامد) .

والتحقيق أن الحمد وإن كان أعم من الشكر متعلقاً ، فإن الشكر أعم منه من جهة الآلة ، فإن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري نعمة كان أو غيرها ، وأما الشكر فيكون بالقلب واليد واللسان ، ويكون على النعمة خاصة ، والحميد إسم من أسماؤه الحسنی ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، ومعناه المستحق لجميع المحامد ما كان واقعاً منها أو كان مقدر الوقوع ، فجميع أفراد الحمد المحققة

والمقدرة ثابتة له سبحانه، يستحقها بما له من نعوت الكمال وصفات الجلال والجمال، ومن هنا كان الأرجح في (ال) من قولنا الحمد لله إنها لاستغراق الأفراد.

وقد ذكر المؤلف أن اسمه (الحميد) يأتي على وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، بل وكل حمد لم يقع وإنما كان مفروضاً مقدراً في آتات الزمان المتتابعة بحيث يملأ الوجود كله علويه وسفليه، بل ويملاً مثله من غير عد ولا إحصاء فإنه سبحانه يستحقه على خلقه حيث كان هو خلقهم ورزقهم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة دينية ودنيوية ودفع عنهم النقم والمكاره، فليس بالعباد من نعمة إلا وهو موليا ولا يدفع الشر عنهم سواء فيستحق منهم أن يثنوا عليه بما هو أهله ثناء لا فتور له ولا انقطاع.

والثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له فله كما قدمنا صفات الكمال كلها بحيث لا يجوز خلوه عن أي كمال ممكن له، وله من كل صفة غاية كمالها الذي لا ينتظر كمال بعده، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء فكيف بجميع صفاته المقدسة.

فله الحمد لذاته وله الحمد لصفاته وله الحمد لأفعاله لأنها دائرة بين أفعال الفضل والإحسان، وبين أفعال العدل والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية الكونية، وعلى أحكامه القدرية الكونية، وعلى أحكامه الشرعية التكليفية. وعلى أحكامه الجزائية في الأولى والآخرة.

وتفاصيل حمده وما يحمد هو عليه سبحانه لا تحيط بها الأفكار ولا تحصيها الأقلام.

فصل

وهو المكلم عبثه موسى بتكليم الخطاب وقبله الأبوان
كلماته جلت عن الإحصاء والتعداد بل عن حصر ذي الحسبان
لو أن أشجار البلاد جميعها أقلام تكتبها بكل بنان
والبحر تلقى فيه سبعة أجر لكتابة الكلمات كل زمان
نفدت ولم تنفذ بها كلماته ليس الكلام من الآله بفان

الشرح: سبق الكلام على صفة الكلام بما يغني هنا عن إعادته، ولكن وفاء
بحق الشرح نجمل ذلك في أن الله تبارك وتعالى متكلم متى شاء وكيف شاء، لم
يزل ولا يزال موصوفاً بصفة الكلام، وأن كلامه من صفاته الذاتية الفعلية غير
مخلوق كسائر صفات أفعاله المتعلقة بمشيئته وقدرته، وأنه كلم عبده موسى بن
عمران كفاحاً من غير واسطة بكلام سمعه موسى وناداه وقربه نجياً، كما ورد
بكل ذلك آيات الكتاب العزيز. وأنه كلم من قبله الأبوان آدم وحواء حين أزلها
الشيطان بالأكل من الشجرة فقال سبحانه معاتباً لها: ﴿أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَّا
الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢] وأن
كلماته لا حصر لها ولا عد إذ كان ما تعلقت به لا يدخل تحت حصر وعد.

فهو يتكلم بما يتعلق بذاته وصفاته وأفعاله، وبما يتعلق بجميع مخلوقاته
وأحكامه القدرية والشرعية والجزائية وكلماته كلها صدق وعدل صدق في
الخبار وعدل في الأوامر والنواهي والأحكام، كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ
رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وأما قوله (لو أن أشجار البلاد جميعها) إلخ الأبيات فهو إشارة إلى قوله
تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةٌ
أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

(واعلم أن صفة الكلام من صفاته الذاتية من حيث تعلقها بقيامها بذاته واتصافه بها، ومن صفاته الفعلية من حيث تعلقها بقدرته ومشئته. فإذا كان من المعلوم أن الله لم يزل ولا يزال كامل القدرة نافذ المشيئة علم أنه لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء لأن الكلام من أعظم صفات الكمال التي يستحيل نفيها عن الله تعالى وكلماته غير متناهية فلا تفنى ولا تبيد.

ولم يقدر الله حق قدره من زعم أن كلامه مخلوق في جملة المخلوقات التي تنتهي وتصور هذا القول كاف في رده) أهـ.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ما رام شيئاً قط ذو سلطان | وهو القدير وليس يعجزه إذا |
| لى الله ذو الأكوان والسلطان | وهو القوي له القوى جمعاً تعاً |
| قي له كالجود والإحسان | وهو الغني بذاته فغناه ذا |
| أنى يرام جناب ذي السلطان | وهو العزيز فلن يرام جنابه |
| يغلبه شيء هذه صفتان | وهو العزيز القاهر الغلاب لم |
| فالعز حينئذ ثلاث معان | وهو العزيز بقوة هي وصفه |
| من كل وجه عادم النقصان | وهي التي كملت له سبحانه |

الشرح: ومن أسمائه الحسنی سبحانه (القوي والعزيز) وقد وردا كذلك مقترنين في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

أما القوي فهو ذو القوة وقوته سبحانه لا يطرأ عليها ما يطرأ على القوى المخلوقة من وهن وفتور أو تلاش وزوال، فهو لا يعيا بخلق شيء ولا يمسه من ذلك نصب ولا لغوب. وجميع القوى المخلوقة هي له سبحانه فهو الذي أودع

المخلوقات ما فيها من قوة ولو شاء لسلبها، ولهذا جاء في الحديث أن « لا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة ».

وفي قصة صاحب الجنتين المذكورة في سورة الكهف يقول له أخوه وهو يعظه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] وفي سورة البقرة ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [١٦٥].

وأما العزيز: فهو الموصوف بالعزة وقد ذكر المؤلف لها ثلاث معان:

١ - العزة: بمعنى الامتناع على من يرومه من أعدائه فلن يصل إليه كيدهم ولن يبلغ أحد منهم ضره وأذاه، كما في الحديث القدسي: « يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني » وإلى هذا المعنى أشار بقوله (فلن يرام جنباه) أي لن يقصد أحد حماه الأقدس فيقهره أو يغلبه، والعزة بهذا المعنى من عز يعز بكسر العين في المضارع، قال الشاعر:

لنا جبل يحتله من نجيره يعز على من رامه ويطول

٢ - والثاني العزة: بمعنى القهر والغلبة وهي من عز يعز بضم العين في المضارع يقال: عزه إذا غلبه، فهو سبحانه القاهر لأعدائه الغالب لهم، ولكنهم لا يقهرونه ولا يغلبونه، وهذا المعنى هو أكثر معاني العزة استعمالاً.

٣ - والثالث العزة بمعنى القوة والصلابة من عز يعز بفتحها، ومنه قولهم أرض عزاز للصلبة الشديدة، وهذه المعاني الثلاثة للعزة ثابتة كلها لله عز وجل على أم وجه وأكملة وأبعده عن العدم والنقصان.

★ ★ ★

وهو الغني بذاته فغناه ذا تي له كالجود والإحسان

الشرح: ومن أسمائه الحسنی (الغني) فله سبحانه الغني التام المطلق من كل وجه، بحيث لا تشوبه شائبة فقر وحاجة أصلاً، وذلك لأن غناه وصف لازم له لا

ينفك عنه لأنه مقتضى ذاته، وما بالذات لا يمكن أن يزول، فيمتنع أن يكون إلا غنياً كما يمتنع أن يكون إلا جواداً محسناً برأً رحماً كريماً.

وكما أن غناه ذاتي له لا يمكن أن يطرأ عليه ما ينافيه من ذل واحتياج، فكذلك فقر المخلوقات إليه هو فقر ذاتي بحيث لا يمكنها أن تستغني عنه لحظة من اللحظات، فهي مفتقرة إليه في إيجادها وفي استمرار وجودها، وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه.

ومن سعة غناه أن خزائن السموات والأرض كلها بيده ينفق منها ما يشاء، وأن إنعامه على عباده متصل دائم الفيض لا ينقطع في لحظة من اللحظات، كما في الحديث «إن يمين الله ملامى سحاء الليل والنهار لا تغيضها نفقة ألا ترون إلى ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض مما بيده».

ومن كمال غناه وكرمه أنه يبسط يده بالإجابة لمن سأله فيقضي حاجته ويكشف ضره، ولا يتبرم بالخاص السائلين، بل يغضب على من لم يسأله، ويؤتي عباده من فضله ما سألوه وما لم يسألوه. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر».

ومن تمام غناه عن خلقه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأنه لم يكن له شريك في الملك ولا ولي من الذل، فهو الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه، وهو المغني لجميع مخلوقاته.

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| نوعان أيضاً ما هما عدمان | وهو الحكيم وذاك من أوصافه |
| نوعان أيضاً ثابتا البرهان | حكم وأحكام فكل منهما |
| يتلازمان وما هما سيان | والحكم شرعي وكوني ولا |

بل ذاك يوجد دون هذا مفرداً
لن يخلو الربوب من إحداها
لكنها الشرعي محبوب له
هو أمره الديني جاءت رسله
لكنها الكوني فهو قضاؤه
هو كله حق وعدل ذو رضى
فلذاك نرضى بالقضاء ونسخط الـ
فالله يرضى بالقضاء ويسخط الـ
فقضاؤه صفة به قامت وما
والكون محبوب ومبغوض له
هذا البيان يزيل لبسا طالما
ويحل ما قد عقدوا بأصولهم
من وافق الكوني وافق سخطه
فلذاك لا يعدوه ذم أو فوا
وموافق الديني لا يعدوه أجـ

والعكس أيضاً ثم يجتمعان
أو منهما بل ليس ينتفیان
أبدا ولن يخلو من الأكوان
بقيامه في سائر الأزمان
في خلقه بالعدل والإحسان
والشأن في المقضي كل الشأن
مقضيّ حين يكون بالعصيان
مقضي ما الأمران متحدان
المقضي إلا صنعة الرحمن
وكلاهما بمشيئة الرحمن
هلكت عليه الناس كل زمان
وبحوثهم فافهمه فهم بيان
إن لم يوافق طاعة الديان
ت الحمد مع أجر ومع رضوان
ر بل له عند الصواب اثنان

الشرح: ومن أسمائه الحسنی سبحانه (الحكيم) وهو إما فعيل بمعنى فاعل،
أي ذو الحكم، وهو القضاء على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا، وأما فعيل بمعنى
مفعل، وهو الذي يحكم الأشياء ويتقنها.

وقيل الحكيم ذو الحكمة، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال
لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم. فاسمه تعالى الحكيم متضمن لوصفين
كل منهما بالغ غاية الكمال ونهاية التمام، وهما الحكم والأحكام، وكل منهما أيضاً
نوعان ثابتان بالبرهان ومذكوران في القرآن.

أما الحكم فهو إما شرعي تكليفي، وهو الذي يعرفه علماء الأصول بأنه

(خطاب الله المتعلق بأعمال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو الندب أو التخيير) ويقسمونه إلى واجب ومندوب ومحرم ومكروه ومباح، فهذا الحكم هو متعلق إرادته الدينية الشرعية، ويتناول كل ما كلف الله به عباده على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام من أفعال وتروك. وأما حكم كوني قدرتي يتعلق بكل ما شاء الله كونه مما سبق به قدره، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وفي الحديث «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» ولا تلازم بين الحكمين الشرعي والقدرتي، وليس أحدهما مساوياً للآخر في مفهومه ولا في متعلقه، بل قد يوجد كل منهما بدون الآخر، كما أنها قد يوجدان معاً، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالحكم الكوني القدرتي ينفرد في مثل كفر الكافر ومعصية العاصي، فهو مراده بالإرادة الكونية دون الشرعية. والحكم الشرعي ينفرد في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي، فهو مراد بالإرادة الشرعية دون الكونية، ويجتمع الحكمان معاً في مثل إيمان المؤمن وطاعة المطيع، فهو مراد بالإرادتين معاً. والإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما هو واقع مما لا يجب الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بما ليس بواقع مما يجب الله ويرضاه من إيمان الكفار وطاعة العصاة.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تتعلق بكل ما يجب الله ويرضاه واقعاً كان أو غير واقع. وأخص من جهة أنها لا تتعلق بما هو واقع من الكفر والمعاصي المرادة بالإرادة الكونية وعلى كل فلا يمكن أن يخلو المربوب عن أحد الحكمين، بل لا بد أن يوجد فيه أحدهما أو هما معاً فلا يمكن ارتفاعها عنه، لكن الحكم الشرعي يتعلق كما قلنا بما يجب الله ويرضاه دائماً، ولم يخل عنه الوجود في وقت من الأوقات، بل لم يزل الله أمراً ناهياً متعبداً عباده بما يشاء. فالحكم الشرعي هو أمره الديني الذي بعث به رسله وأمرهم بإقامته في جميع الأزمان.

وأما حكمه الكوني فهو قضاؤه في خلقه بالعدل والإحسان، فأفعاله كلها في خلقه دائرة بين الرحمة والفضل، وبين الحكمة والعدل، فقضاؤه سبحانه حق كله

وعدل كله ومرضى كله، لأن قضاءه هو صفته التي قامت به، فلا يمكن أن يسخط ولا أن يلحقه الذم، وإنما الكلام في المقضى على العبد الذي هو أثر القضاء والذي هو خلق الله وصنعتة فأحياناً يكون مرضياً حين يكون طاعة وإيماناً، وأحياناً يكون مسخوطاً حين يكون كفراً وعصياناً.

والحاصل أنه لا بد من الفرق بين القضاء الذي هو صفة الرب وبين المقضى الذي هو مخلوقه، كما يجب الفرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق ونحو ذلك، فإن الأول صفة الرب التي لا يمكن أن يلحقها نقص أو ذم، والثاني قد يكون فيه ما يعاب أو يذم، وبهذا البيان يزول أشكال كبير طالما أورد الناس موارد الهلكة، حيث لم يهتدوا إلى الفرق بين القضاء والمقضى، حتى آل أمر كثير منهم إلى استحسان الكفر وسائر المعاصي، وزعموا أن كل ما قضاه الله فهو محبوب مرضى، وأن العاصي مطيع لله بتنفيذ قضائه، كالمطيع له سواء، وفي ذلك يقول شاعرهم:

أصبحت منفِعلاً لما يختاره مني ففعلني كله طاعات

وكل هذا كان بسبب الخلط بين المعاني وعدم الاهتمام إلى الفرق بينها، فالأمر الشرعي والكوني عندهم سواء، والقضاء والمقضى سواء، والإرادة الكونية والشرعية سواء، والخلق والاختيار سواء، وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى الفرق بين هذه المعاني كلها فرضوا بقضاء الله، ولكنهم سخطوا مقضية من الكفر والمعاصي التي لا يجبها ولا يرضاها. وعلموا أن من وافق حكمه الكوني القدري إن لم يوافق حكمه الشرعي، فهو موافق لسخطه، فلا يمكن أن يخلو من استحقاق ذم أو فوات حمد أو حرمان أجر ورضوان. وأما من وافق أمره الديني الشرعي فإن أصاب في اجتهاده فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، والله تعالى أعلم.

★ ★ ★

فصل

والحكمة العليا على نوعين أي
إحداها في خلقه سبحانه
احكام هذا الخلق إذ إيجاد
وصدوره من أجل غايات له
والحكمة الأخرى فحكمة شرعه
غاياتها اللائي حمدن وكونها
ضاً حصلاً بقواطع البرهان
نوعان أيضاً ليس يفترقان
في غاية الإحكام والإتقان
وله عليها حمد كل لسان
أيضاً وفيها ذانك الوصفان
في غاية الإتقان والإحسان

الشرح: يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله في شرحه لهذه
الآيات.

وحكمته نوعان: أحدهما الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق ومشملاً
على الحق، وكان غايته والمقصود به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام،
ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء
من أجزاء المخلوقات، وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى
أحد في خلقه خللاً ولا نقصاً ولا فطوراً، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم
إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من
الحسن والانتظام والإتقان لم يقدروا، وأتى لهم القدرة على شيء من ذلك،
وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه ويطلعوا على بعض ما
فيها من الحسن والإتقان. وهذا أمر معلوم قطعاً بما يعلم من عظمته وكمال صفاته
وتتبع حكمه في الخلق والأمر.

وقد تحدى عباده أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل، هل يجدون في خلقه
خللاً أو نقصاً، وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الانتقاد على شيء
من مخلوقاته.

(النوع الثاني) الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع وأنزل الكتب

وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه، فأبي حكمة أجل من هذا؟ وأي فضل وكرم أعظم من هذا؟ فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العمل له وحده وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجل الفضائل لمن يمين الله عليه بها وأكمل سعادة وسرور للقلوب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعم الدائم فلو لم يكن في شرعه وأمره هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات وأكمل اللذات، ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء، وخلقت الجنة والنار لكانت كافية شافية.

هذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علماً و يقيناً وإيماناً وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها، وتثمر كل خلق جميل، وعمل صالح وهدى ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا، فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ولا ينهى إلا عما مضرتة خالصة أو راجحة.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه الغاية لصلاح القلوب والأخلاق والأعمال والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا، فلا تصلح أمور الدنيا صلاحاً حقيقياً إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل، فإن أمة محمد لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح.

ولما انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم.

وكذلك أنظر إلى الأمم الأخرى التي بلغت في القوة والحضارة والمدنية مبلغاً هائلاً، لكن لما كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله كان ضررها أعظم من نفعها، وشرها أكبر من خيرها، وعجز علماءؤها وحكامؤها وساستها عن تلافي الشرور الناشئة عنها، ولن يقدرروا على ذلك ما داموا على حالهم ولهذا كان من حكمته تعالى أن ما جاء به محمد ﷺ من الدين والقرآن أكبر البراهين على صدقه

وصدق ما جاء به لكونه محكماً كاملاً لا يصلح الصلاح إلا به. اهـ.

وما أظني بحاجة إلى أن أزيد شيئاً على هذا الشرح الرائع الذي دمج يراع هذا العالم النحرير رحمه الله وأجزل مثوبته، ورفع بين العلماء العاملين درجته آمين.



وهو الحي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران

الشرح: ورد في السنة وصفه تعالى بالحياء، كقوله ﷺ: «إن الله حي يستحي من عبده إذا مد يديه إليه أن يردهما صفراً» وكقوله عليه السلام في شأن نفر الثلاثة الذين وقفوا على مجلسه: «أما أحدهم فأقبل فأقبل الله عليه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله عز وجل منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عز وجل عنه».

وحياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه. فالعبد يجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهبؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر، كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن الله عز وجل يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ثم يسأله فيما بينه وبينه: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه قد هلك قال له سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

وكذلك يستحي سبحانه من ذي الشبهة في الإسلام أن يعذبه، ويستحي ممن يدعوه ويمد إليه يديه أن يردهما خاليتين، وهو من أجل أنه حي ستر يحب أهل

الحياء والستر من عباده، فمن ستر مسلماً ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، ويكره المجاهرة بالفسوق والإعلان بالفاحشة، وأن من أمقت الناس عنده من بات على معصية والله يستره، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه. وقد توعد الذين يجبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا بأن لهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، وفي الحديث « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ».

★ ★ ★

وهو الخليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان وهو العفو فعفوه وسع الورى لولاه غار الأرض بالسكان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (الخليم والعفو) فالخليم الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة رجاء ان يتوبوا ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ، وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر: ٤٥].

وأما العفو فهو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو ويجب من عباده ان يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه، كما قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولولا كمال عفوه وسعة حلمه سبحانه لغارت الأرض بأهلها لكثرة ما

يرتكب من المعاصي على ظهرها ، فنسأله سبحانه أن يعفو عنا بمنه وكرمه .

★ ★ ★

وهو الصبور على أذى أعدائه شتموه بل نسبوه للبهتان
قالوا له ولد وليس يعيدنا شتماً وتكذيباً من الإنسان
هذا وذاك بسمعه وبعلمه لو شاء عاجلهم بكل هوان
لكن يعافهم ويرزقهم وهم يؤذونه بالشرك والكفران

الشرح: ومن أسمائه الحسنی (الصبور) وهو مبالغة من صابر، ومعنى الصبر حبس النفس على ما تكره، وضده الجزع، وهو في حق الله تعالى معناه حلمه على أعدائه مع ارتكابهم ما يوجب غضبه، من شتمه وتكذيبه وتكذيب رسله ومعاندتهم لآياته ومحاربتهم لدينه وشرعه، وهو لا يزال يتابع عليهم نعمه ويدر عليهم أخلاف رزقه، وصبره تعالى أكمل صبر، لأنه عن كمال قدرة، وكمال غنى عن الخلق، وكمال رحمة وإحسان.

وقد فسر المؤلف هذا الاسم الكريم بما ورد به الحديث الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله: « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يجعلون له الولد، وهو يعافهم ويرزقهم ».

وبما ثبت أيضاً في الصحيح من قوله تعالى في الحديث القدسي: « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقولته: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته . وأما شتمه إياي فقولته: إن لي ولداً، وأنا الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ».

ومن أجل أنه سبحانه صبور فهو يجب الصابرين من عباده ويعينهم في كل أمورهم، وسيوفهم أجرهم بغير حساب.

★ ★ ★

وهو الرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالأفعال بالأركان

الشرح: ومن أسمائه الحسنى (الرقيب) وهو واسمه الشهيد مترادفان كلاهما يدل على حضوره مع خلقه يسمع ما يتناجون به ويرى ما يخوضون فيه ويعلم حركات خواطرهم وهو اجس ضمائرهم وتقلب لواظهم، لا يغيب عنه من أمرهم شيء يقولونه أو يفعلونه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَغْرِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وكقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَ مَا تُوسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

وفي الحديث الصحيح: «صريح الإيمان ان تعلم أن الله معك حيث كنت»

ولهذا كانت المراقبة التي هي من أجل أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد، فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

وقول المؤلف رحمه الله: كيف بالأفعال بالأركان، معناه أنه إذا كان الله عز وجل رقيباً على دقائق الخفيات، مطلعاً على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان، أي الجوارح.

★ ★ ★

وهو الحفيظ عليهم وهو الكفيـل بل بحفظهم من كل أمر عان
الشرح: ومن أسائه سبحانه الحفيظ، وله معنيان:

أحدهما أنه يحفظ على العباد ما عملوه من خير وشر، وعرف ونكر، وطاعة
ومعصية، بحيث لا يفوته من ذلك مثقال ذرة، وحفظه لهذه الأعمال بمعنى ضبطه
لها وإحصائه إياها، فهو محيط علماً بجميع أعمالهم، ظاهرها وباطنها، وهو قد
كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يبرأها، بل قبل أن يخلق السموات والأرض،
وهو وكل بها ملائكة حافظين، كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، قال تعالى:
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]
وقال: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ
اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] وقال: ﴿وَوُضِعَ
الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّمْ
رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزَّبْرِ * وَكُلَّ
صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرًّا﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

فهذا المعنى من حفظه سبحانه يقتضي إحاطة علمه بأحوال العباد كلها
ظاهرها وباطنها وكتابتها في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي بأيدي الملائكة كما
يقتضي علمه بمقاديرها في كمالها ونقصها ومقادير جزائها في الثواب والعقاب ثم
مجازاتهم عليها بفضله وعدله.

والمعنى الثاني من معني الحفيظ أنه تعالى الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون.
وبلى هذا أشار المؤلف بقوله «وهو الكفيل بحفظهم من كل أمر عان» أي مشق
مكروه.

وحفظه لخلقه نوعان: عام وخاص:

فالعام هو حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيها ويحفظ بنيتها وإلهامها
تدبير شئونها والسعي فيما يصلحها كل حسب خلقته كما قال تعالى ﴿أَعْطَى كُلَّ

شَيْءٌ خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿ طه : ٥٠ ﴾ يعني هدى كل مخلوق إلى ما قدر له من ضروراته وحاجاته وأعطاه من الوسائل والآلات ما يتمكن معه من تحصيل ما كله ومشربه ومنكحه والسعي في أسباب ذلك ولا شك أن هذا أمر يشترك فيه البر والفاجر بل الحيوانات وغيرها فهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا وهو الذي يحفظ الخلائق بنعمه . وهو الذي وكل بالآدمي حفظة من الملائكة معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي يدفعون عنه من الضر والأذى ما لم يقدره الله مما هو بصدد أن يضره لولا حفظ الله .

والنوع الثاني حفظه الخاص لأوليائه حفظاً زائداً على ما تقدم يحفظهم عما يضر إيمانهم ويزلزل يقينهم من الفتن والشبهات والشهوات فيعافهم منها ويخرجهم منها بسلامة وحفظ وعافية : ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع كيدهم عنهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج : ٧٨] وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم .

فعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه ، كما في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنه « احفظ الله يحفظك ، أحفظ الله تجده تجاهك » .

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| واللطف في أوصافه نوعان | وهو اللطيف بعبده ولعبده |
| واللطف عند مواقع الإحسان | إدراك أسرار الأمور بخبرة |
| والعبد في الغفلات عن ذا الشأن | فيريك عزته ويبيدي لطفه |

الشرح : قال صاحب النهاية :

(في أسماء الله تعالى اللطيف هو الذي اجتمع له الرفق في الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدرها له من خلقه ، يقال لطف به وله بالفتح يلطف لطفاً إذا رفق به ، فأما لطف بالضم يلطف فمعناه صغر ودق) أ هـ .

وقال الراغب في المفردات :

(وقد يعبر باللطائف عما لا تدركها الحاسة، ويصح أن يكون وصف الله تعالى به على هذا الوجه، وأن يكون لمعرفته بدقائق الأمور، وأن يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩] ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي يحسن الاستخراج تنبيها على ما أوصل إليه يوسف حيث ألقاه أخوته في الحب) أ هـ .

فهو سبحانه يلفظ بعبد في أموره الداخلية المتعلقة بنفسه، ويلطف له في الأمور الخارجة عنه، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر، وهذا من آثار علمه ورحمته وكرمه . وقد ذكر المؤلف لهذا الاسم معنيين :

أحدهما: أنه الخبير الذي أحاط علمه بالأسرار وخفيات الأمور ومكونات الصدور وما لطف ودق من كل شيء، فهو يعلم جميع الوجوه الممكنة له، بحيث لا يشذ شيء منها عن علمه وخبرته .

والثاني: لطفه بعبد ووليه الذي يريد أن يمن عليه ويشمله بلطفه وكرمه ويرفعه إلى المنازل العالية ويسره ليسرى ويحبه العسرى، فهو يجري عليه من أصناف المحن وألوان البلاء، ما علم أن فيه صلاحه وسعادته وحسن العاقبة له في الدنيا والآخرة، كما امتحن الأنبياء بأذى قومهم لهم، وبالجهاد في سبيله، وكما يمتحن أوليائه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون، وهذا معنى قول المصنف (فيريك عزته) أي بامتحانك بما تكره (ويبدي لطفه) أي في العواقب الحميدة والنهايات السارة .

يقول العلامة الشيخ السعدي رحمه الله :

(وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا، من ولاية أو رياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه رحمة به، لئلا تضره في دينه فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه، ولو علم ما ذخر له في

الغيب وأريد إصلاحه فيه لحمد الله وشكره على ذلك ، فإن الله بعباده رؤوف
رحيم لطيف بأوليائه) أ هـ .

★ ★ ★

فصل

وهو الرفيق يجب أهل الرفق بل يعطيهم بالرفق فوق أمان
الشرح: ومن أسماؤه سبحانه (الرفيق) وهو مأخوذ من الرفق الذي هو التأنى
في الأمور والتدرج فيها وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال .

وتفسير المصنف لهذا الاسم الكريم مأخوذ من قوله ﷺ في الحديث الصحيح
« إن الله رفيق يجب أهل الرفق وأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على
العنف » .

فالله تعالى رفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً
بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة .
وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه ، فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة واحدة
بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم وتأنس إليها طباعهم ، كما
فعل ذلك سبحانه في فرضية الصيام وفي تحريم الخمر والربا ونحوها .

فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة اتباعاً لسنن الله في الكون واقتداء
بهدي رسول الله ﷺ تتيسر له الأمور وتذلل الصعاب . لا سيما إذا كان ممن
يتصدى لدعوة الناس إلى الحق فإنه مضطر إلى استشعار اللين والرفق ، كما قال
تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

★ ★ ★

وهو القريب وقربه المختص بالد اعني وعابده على الإيمان

الشرح: من أسماؤه سبحانه (القريب) وهو من القرب الذي هو ضد البعد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال على لسان صالح عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وقربه تعالى من عباده نوعان:

١ - قرب عام وهو إحاطة علمه بهم ونفوذ إرادته فيهم، وإحاطة سمعه وبصره بجميع أقوالهم وأفعالهم، وهو بمعنى معيته العامة.

٢ - وقرب خاص وهو وقربه من الداعين والعاบدين. وهو قرب يقتضي المحبة والنصر والتأييد في الحركات والسكنات والإجابة للداعين والإثابة للعاбدين وإذا فهم القرب بهذا المعنى في العموم والخصوص لم يكن هناك تعارض أصلاً بينه وبين ما هو معلوم من وجوده تعالى فوق عرشه، فسبحان من هو عليٌّ في دنوه ودان في علوه.

★ ★ ★

وهو المجيب يقول من يدعو أجب له أنا المجيب لكل من ناداني وهو المجيب لدعوة المضطر إذ يدعوه في سر وفي إعلان

الشرح: ومن أسماؤه سبحانه (المجيب) وهو اسم فاعل من الإجابة وإجابته تعالى نوعان: إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة.

فدعاء العبادة هو الذي يقصد منه الثناء على الله بما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا، من غير أن يقترن ذلك بطلب حاجة من الحاجات، كسعة رزق أو نصر على عدو، أو هداية قلب أو غفران ذنب ونحو ذلك، وإلى هذا الدعاء الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] وهو لا يقع إلا من العابدين أهل المعرفة بالله عز وجل.

وأما دعاء المسألة فهو أن يقول العبد : اللهم أعطني كذا أو ادفع عني كذا ، فهذا يقع من الناس كلهم برهم وفاجرهم ، والله يستجيب فيه لمن يشاء ممن يدعوه بحسب ما تقتضيه حكمته لا تختص الإجابة فيه بأهل الإخلاص والتقوى ، فإن إحسانه تعالى عام يشمل البر والفاجر ، ورحمته وسعت كل شيء ، ولهذا كانت الإجابة لمثل هذا الدعاء لا تدل على حسن حال الداعي الذي أجيبت دعوته إن لم يقترن بذلك ما يدل على صدقه وتعين الحق معه ، وذلك كسؤال الأنبياء ودعائهم لقومهم أو على قومهم ، فيجيبهم الله ، فتدل إجابته لهم على صدقهم فيما أخبروا به وكرامتهم على ربهم .

وأما الإجابة الخاصة فلها أسباب عديدة ، منها أن يكون الداعي مضطراً قد وقع في كربة وشدة ، فيدعو الله فيستجيب له ويفرج كربته ، كما قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢] ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

وسبب ذلك شدة افتقاره إلى الله وقوة انكساره بين يديه وانقطاع تعلقه بالمخلوقين . ومن أسباب الإجابة أيضاً طول السفر والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته . وكذلك دعوة المريض والمظلوم والصائم ، وفي الأوقات والأحوال الشريفة ، مثل إدبار الصلوات وأوقات السحر وعند النداء ونزول المطر واشتداد البأس ونحوه لورود الأحاديث بذلك .

★ ★ ★

وهو الجواد فجوده عم الوجو د جميعه بالفضل والإحسان
وهو الجواد فلا يخيب سائلاً ولو أنه من أمة الكفران

الشرح : الجواد المتصف بالجود ، وهو كثرة الفضل والإحسان ، وجوده تعالى أيضاً نوعان ، جود مطلق عم الكائنات جميعاً لم يخل عنه موجود من الموجودات ، فكلها قد عمها فضله وإحسانه .

وجود خاص بالسائلين والطالبين، سواء سألوه بلسان المقال أو بلسان الحال
وسواء كان السائل مؤمناً أم كافراً، براً أم فاجراً، فمن سأل الله صادقاً في
سؤاله طامعاً في نواله، مستشعراً الذلة والفقر بين يديه، أعطاه سؤاله وأناله ما
طلب، فإنه هو البر الرحيم، الجواد الكريم.

ومن جوده الواسع سبحانه ما أعده لأوليائه في دار كرامته ومستقر رحمته،
مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

★ ★ ★

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب إغائة اللهفان

الشرح: المغيث اسم فاعل من الغوث، وهو تفريج الكرب وإزالة الشدة فهو
سبحانه المغيث لجميع المخلوقات عندما تتعسر أمورها وتقع في الشدائد
والكربات. وفي الحديث «يعجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره، ينظر اليكم
أزليين قنطين يظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب».

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته.

وهو الذي يجيب إغائة اللهفان، أي دعوة من دعاه في حال اللهف والشدة
والاضطرار، فمن استغاث به سبحانه أغائته من لهفته وأنقذه من شدته.

★ ★ ★

فصل

وهو الودود يجبههم ويجبه
وهذا الذي جعل المحبة في قلوبهم
هو هو الإحسان حقاً لا معاً
لكن يجب شكورهم وشكورهم
وهو الشكور فلن يضيع سعيهم
أحبابه والفضل للمنان
بهم وجزاهاهم بجز ثمان
وضمة ولا لتوقع الشكران
لا لاحتياج منه للشكران
لكن يضاعفه بلا حسابان

الشرح: هذا تفسير لاسميه الكريمين (الودود والشكور) وقد ورد كل منهما في الكتاب العزيز، فالودود ورد مرة مقترناً باسمه الرحيم في قوله تعالى من سورة هود على لسان شعيب عليه السلام يا قوم: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [٩٠].

وورد مرة أخرى مقترناً باسمه الغفور في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

والودود مأخوذ من الود بضم الواو بمعنى خالص المحبة. وهو أما من فعول بمعنى فاعل، فهو سبحانه الواو أي المخب لأنبيائه وملائكته وعباده الصالحين وأما من فعول بمعنى مفعول، فهو سبحانه المودود المحبوب لهم، بل لا شيء أحب إليهم منه، ولا يمكن أن يعدلوا بمحبته غيره من جميع المحبوبات، لا في أصل المحبة ولا في كيفيتها، ولا في متعلقاتها، وهذا هو الواجب أن تكون محبة الله في قلب العبد سابقة لكل محبة وغالبة لها ويتعين أن تكون بقية المحاب تابعة لها.

يقول العلامة الشيخ السعدى رحمة الله:

« ومحبة الله هي روح الأعمال، وجميع العبودية الظاهرة والباطنة ناشئة عن محبة الله ومحبة العبد لربه فضل من الله وإحسان، ليست بحول العبد ولا قوته، فهو تعالى الذي أحب عبده، فجعل المحبة في قلبه، ثم لما أحبه العبد بتوفيقه جازاه الله بحب آخر، فهذا هو الإحسان المحض على الحقيقة، إذ منه السبب ومنه المسبب. ليس المقصود منها المعاوضة، وإنما ذلك محبة منه تعالى للشاكرين من عباده ولشكرهم، فالمصلحة كلها عائدة إلى العبد، فتبارك الذي جعل وأودع المحبة في قلوب المؤمنين، ثم لم يزل ينميها ويقويها حتى وصلت في قلوب الاصفياء إلى حالة تتضاءل عندها جميع المحاب وتسليمهم عن الأحباب، وتهون عليهم المصائب وتلذذ لهم مشقة الطاعات وتثمر لهم ما يشاءون من أصناف الكرامات التي أعلاها محبة الله والفوز برضاه والأنس بقربه.

فمحنة العبد لربه مخوفة بمحبتين من ربه، فمحنة قبلها صار بها محباً لربه، ومحنة بعدها شكراً من الله له على محبة صار بها من أصفائه المخلصين وأعظم سبب يكتسب به العبد محبة ربه التي هي أعظم المطالب الإكثار من ذكره والثناء عليه وكثرة الانابة إليه وقوة التوكل عليه، والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وتحقيق الإخلاص له في الأقوال والأفعال ومتابعة النبي ﷺ ظاهراً وباطناً كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] أهـ.

وأما الشكور فورد كذلك مقترناً باسمه الغفور في قوله تعالى على لسان أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ومقترناً باسمه الحليم في قوله: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] ومعنى الشكور الذي يتقبل أعمال عباده ويرضاها ويثيبهم عليها ويضاعفها لهم أضعافاً كثيرة على قدر إخلاصهم فيها واتقانهم لها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقد ضرب الله في كتابه مثلاً للنفقة التي تنفق في سبيله محبة أنبت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] إيذاناً بأن المضاعفة قد تتجاوز هذا الدر لمن يشاء. وفي الحديث الصحيح «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتلقاها بيمينه فيريها له كما يري أحدكم فلوله حتى تصير مثل الجبل العظيم».

فسبحان من وفق عباده المؤمنين لمرضاته ثم شكرهم على ذلك بحسن ثوابه وجزيل عطائه، منة منه وتفضلاً لا حقاً عليه واجباً، بل هو الذي أوجبه على نفسه جوداً منه وكرماً.

ما للعباد عليه حق واجب هو أوجب الأجر العظيم الشأن
 كلا ولا عمل لديه ضائع إن كان بالإخلاص والإحسان
 ان عذبوا فبعدله أو نعموا ففضله والحمد للمنان

الشرح: قال أهل السنة والجماعة: إنه لا يجب على الله شيء، لأن الوجوب معناه أن أحداً أوجب عليه، وليس فوقه سبحانه من يوجب عليه شيئاً، قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] فلا يجب عليه سبحانه ائابة المطيع ولا عقاب العاصي، بل الثواب محض فضله وإحسانه، والعقاب محض عدله وحكمته، ولكنه هو سبحانه الذي يوجب على نفسه ما يشاء، فيصير واجباً عليه بمقتضى وعده الذي لا يخلف، كما قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤] وكما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال المعتزلة بناء على أصولهم العقلية الفاسدة انه يجب على الله عقلاً ائابة المطيع وعقاب العاصي، بحيث لو لم يفعل لكان في زعمهم مذموماً، فارتكبوا بذلك أكبر حماقة، حيث حكموا على ربهم بعقولهم وقاسوه على الحكام من خلقه، بل جرى العرف على أن الحاكم إذا عفا عن المسيء كان ذلك منه حسناً يستحق عليه المدح، وهو يوجبون على ربهم عقاب المذنب بحيث لا يجوز منه العفو أصلاً، لأن وعيده عندهم كوعده، كل منها واجب التحقيق، وفاتهم أن القبيح هو خلف الوعد، وأما خلف الوعيد فكرم، كما قال الشاعر:

واني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف ابعادي ومنجز موعدي

وفي هذه الآيات الثلاثة بيان لمذهب أهل السنة في أنه ليس للعباد حق واجب على الله، وإنه مها يكن من حق فهو الذي أحقه وأوجبه، ولذلك لا يضع عنده عمل قام على الإخلاص والمتابعة، فإنها الشرطان الأساسيان لقبول الأعمال، فإذا توفرا في عمل ما كان مقبولاً بمقتضى وعده سبحانه وإيجابه، واستحق

صاحبه الأجر المقدر له ، فهو إن عذب العباد فبعده ، فإنه لا يجزي على السيئة إلا سيئة مثلها ، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ، وإن نعم وأثاب فبفضله ، فله الحمد أولاً وآخراً .

★ ★ ★

فصل

وهو الغفور فلو أتى بقراهاها من غير شرك بل من العصيان
لاقاه بالغفران ملء قراهاها سبحانه هو واسع الغفران
وكذلك التواب من أوصافه والتواب في أوصافه نوعان
إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمنة المنان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (الغفور والتواب) ومعناها متقاربان .

فالغفور مبالغة من غافر ومعناه الكثير الستر لذنوب عباده مأخوذ من الغفر ،
بمعنى الستر ، ومنه سمي المغفر الذي يلبس على الرأس عند الحرب لأنه يسترها
بمعنى الستر ، ويقيها من الضرب .

وهو من أكثر الأسماء الحسنی وروداً في القرآن الكريم مطلقاً في بعضها كقوله
تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ
اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] ومقيداً في
بعضها كقوله تعالى من سورة طه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] .

ومذهب أهل السنة أن جميع الذنوب ما عدا الشرك يجوز أن يغفرها الله
سبحانه ولو لم يتب منها صاحبها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ١١٦] والقول بأن المغفرة في الآية

مقيدة بالتوبة من الذنب يلغى التقييد بالمشيئة، فان الله قد وعد كل تائب بقبول توبته.

وقول المؤلف رحمه الله (فلو أتى بقرابها... الخ) البيتين الأولين اشارة الى قوله سبحانه في الحديث القدسي «يا بن آدم انك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

وأما التواب فهو الكثير التوب بمعنى الرجوع على عبده بالمغفرة وقبول التوبة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وقال: ﴿غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣].

ولا يزال الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر أو تطلع الشمس من مغربها، فاذا ظهرت أمارات القيامة الصغرى بالغرغرة أو الكبرى بطلوع الشمس من المغرب أغلق باب التوبة.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا﴾ [النساء: ١٨].

وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وفي الحديث الصحيح: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها».

وتوبته سبحانه على عبده نوعان:

أحدهما أنه يلهم عبده التوبة اليه ويوفقه لتحصيل شروطها من الندم والاستغفار والاقلاع عن المعصية والعزم على عدم العود اليها واستبدالها بعمل الصالحات.

والثاني: توبته على عبده بقبولها واجابتها ومحو الذنوب بها، فان التوبة
النصوح تجب ما قبلها لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].

★ ★ ★

فصل

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت اليه الخلق بالاذعان
الكامل الأوصاف من كل الوجوه ه كماله ما فيه من نقصان
الشرح: قال صاحب النهاية: (الصمد هو السيد الذي انتهى اليه السؤدد،
وقيل هو الدائم الباقي، وقيل هو الذي لا جوف له، وقيل هو الذي يصمد في
الحوائج اليه أي يقصد).

وهذا تفسير جامع لكل معاني هذا الاسم الكريم، وقد اختار المصنف اثنين
من هذه التفسيرات، لأنها أشهر من غيرها:

أولها: أنه الذي تصمد اليه الخلائق وتفزع اليه في جميع حاجاتها لكمال غناه
وشدة فقرها اليه.

والثاني: أنه الذي كملت جميع أوصافه من كل الوجوه فلا تشوبها شائبة
نقص أصلاً: فهو السيد الذي كمل في سؤدده، والعليم الذي كمل في علمه،
والحليم الذي كمل في حلمه، والغني الذي كمل في غناه الخ.

★ ★ ★

وكذلك القهار من أوصافه فالخلق مقهورون بالسلطان
لو لم يكن حيا عزيزاً قادراً ما كان من قهر ومن سلطان

الشرح: ومن اسمائه سبحانه القهار ولم يرد في القرآن الا مقروناً باسمه
الواحد كقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام في خطابه لصاحبي السجن: ﴿يَا

صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿﴾ [يوسف: ٣٩].

وكقوله سبحانه: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

وكقوله عز شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

وكقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] فدل هذا على توحده وانفراده بالقهر لجميع الخلق وأنهم جميعاً مقهورون تحت سلطانه فهو سبحانه الذي قهر جميع الكائنات وذلت له جميع المخلوقات، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء اليه عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً، ولا خيراً ولا شراً، وقهره تعالى لجميع خلقه مستلزم لكمال حياته وعزته واقتداره اذ لولا هذه الأوصاف الثلاثة لا يتم له قهر ولا سلطان.

★ ★ ★

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه نوعان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان
والثاني جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العدم لو فليس يدنو منه من إنسان
من قولهم جبارة للنخلة العلية التي فاتت لكل بنان

الشرح: قال صاحب النهاية: (في أسماء الله تعالى الجبار ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهى يقال جبر الخلق وأجبرهم وأجبر أكثر، وقيل هو العالی فوق خلقه وفعال من أبنية المبالغة ومنه قولهم نخلة جبارة وهي العظيمة التي

تفوت-ييد المتناول) ١ هـ. وقال الراغب في المفردات (أصل الجبر اصلاح الشيء بضرب من القهر يقال جبرته فانجبر واجتبر وقد قيل جبرته فجبر، فأما في وصفه تعالى نحو العزيز الجبار المتكبر فقد قيل سمي بذلك من قولهم جبرت الفقير، لأنه هو الذي يجبر الناس بفائض نعمه، وقيل لأنه يجبر الناس أن يقهرهم على ما يريد) ١ هـ.

وقد ذكر المؤلف هنا لاسمه (الجبار) ثلاثة معان كلها داخلة فيه، بحيث يصح ارادتها منه. أحدها أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده، ويجبر كسر القلوب المنكسرة من أجله الخاضعة لعظمته وجلاله، فكم جبر سبحانه من كسير وأغنى من فقير وأعز من ذليل وأزال من شدة ويسر من عسير. وكم جبر من مصاب فوفقه للثبات والصبر، وأعاضه من مصابه أعظم الأجر، فحقيقة هذا الجبر هو اصلاح حال العبد بتخليصه من شدته ودفع المكاره عنه.

المعنى أنه القهار الذي دان كل شيء لعظمته وخضع كل مخلوق لجبروته وعزته، فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته ومشئته، فلا يستطيعون الفكاك منه. والثالث أنه العلي بذاته فوق جميع خلقه، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو منه.

وقد ذكر العلامة الشيخ السعدي رحمه الله أن له معنى رابعاً، وهو أنه المتكبر عن كل سوء ونقص، وعن مماثلة أحد، وعن أن يكون له كفو أو ضد أو سميّ أو شريك في خصائصه وحقوقه.

★ ★ ★

وهو الحسيب حاية وكفاية والحسب كافي العبد كل أوان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه الحسيب، وهو بالمعنى العام الذي يكفي العباد جميع ما يهيمهم من أمر دينهم ودنياهم، فيوصل اليهم المنافع ويدفع عنهم المضار. وبالمعنى الأخص الذي يكفي عبده المتقي المتوكل عليه كفاية خاصة يصلح

بها ، المعنى الثاني أنه القهار دان كل شيء لعظمته وخضع كل مخلوق لجبروته بها دينه ودنياه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] فقله ومن اتبعك ، عطف على الكاف في حسبك ، أي حسبك ومن اتبعك الله ، ولا يجوز عطفها على لفظ الجلالة ، لأن الحسب بمعنى الكافي من خصائص الرب جل شأنه لا يجوز أن يكون له ند فيه ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] فجعل الإيتاء لله ورسوله ، وجعل الحسب والرغبة لله عز وجل وحده ، وقال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر : ٣٦] فجعل الكفاية وهي بمعنى الحسب لله وحده ، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به من متابعة الرسول ظاهراً وباطناً وقيامه بعبودية الله تعالى ، ومن الحسيب أيضاً أنه الذي يحفظ أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها ، كما في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦] ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

★ ★ ★

وهو الرشيد فقله وفعاله رشد وربك مرشد الحيران
وكلاهما حق فهذا وصفه والفعل للارشاد ذاك الثاني

الشرح : قال العلامة السعدي رحمه الله في شرحه لهذا الاسم الكريم : (يعني أن (الرشيد) هو الذي قوله رشد وفعله كله رشد ، وهو مرشد الحيران الضال ، فيهديه الى الصراط المستقيم بيانا وتعلما وتوفيقا) .

فالرشد الدال عليه اسمه الرشيد وصفه تعالى ، والارشاد لعباده فعله .

فأقواله القدريية التي يوجد بها الأشياء ويدبر بها الأمور كلها حق لاشتمالها على الحكمة والحسن والاعتقان . وأقواله الشرعية الدينية هي أقواله التي تكلم بها في كتبه وعلى أسنة رسله المشتملة على الصدق التام في الأخبار والعدل الكامل في الأمر والنهي ، فإنه لا أصدق من الله قبيلا ولا أحسن منه حديثاً ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

صِدْقًا وَعَدْلًا ﴿ [الأنعام : ١١٥] في الأمر والنهي ، وهي أعظم وأجل ما يرشد بها العباد ، بل لا حصول للرشاد بغيرها ، فمن ابتغى الهدى من غيرها أضله الله ، ومن لم يسترشد بها فليس برشيد ، فيحصل بها الرشد العلمي وهو بيان الحقائق والأصول والفروع والمصالح والمضار الدينية والدنيوية ، ويحصل بها الرشد العملي ، فأنها تزكي النفوس وتطهر القلوب وتدعو الى أصلح الأعمال وأحسن الأخلاق ، وتحث على كل جميل وترغب عن كل ذميم رذيل ، فمن استرشد بها فهو المهتدى ، ومن لم يسترشد بها فهو ضال ، ولم يجعل لأحد عليه حجة بعد بعثته للرسول وإنزاله الكتب المشتملة على الهدى المطلق ، فكم هدى بفضله ضالا وأرشد حائراً ، وخصوصاً من تعلق به وطلب منه الهدى من صميم قلبه ، وعلم أنه المنفرد بالهداية) ١ هـ .

★ ★ ★

والعدل من أوصافه في فعله ومقاله والحكم في الميزان
فعل الصراط المستقيم إلهنا قولاً وفعلًا ذاك في القرآن

الشرح: ومن أسماؤه سبحانه أنه (العدل) وهو في الأصل مصدر وصف به للمبالغة ، وأصل العدل والمعادلة المساواة ، يقال هذا عدل ذلك ، وعديله أي نظيره ، ومساويه .

وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله ، فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة ، ليس فيها شائبة جور أصلاً ، فهي دائرة كلها بين الفضل والرحمة ، وبين العدل والحكمة كما قدمنا ، وما ينزله سبحانه بالعصاة والمكذابين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة ، فانما فعل بهم ما يستحقونه ، فانه لا يأخذ الا بذنب ، ولا يعذب الا بعد اقامة الحجة . وأقواله كلها عدل ، فهو لا يأمرهم الا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة ، ولا ينهاهم الا عما مضرتهم خالصة أو راجحة . وكذلك حكمه بين عباده يوم فصل القضاء ووزنه لأعمالهم عدل لا جور فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

فهو سبحانه على صراط مستقيم في قوله وفعله وحكمه .

★ ★ ★

فصل

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن وهو السلام على الحقيقة سالم من كل تمثيل ومن نقصان الشرح: هذا تفسير لاسميه الكريمين (القدوس والسلام) ومعناها متقاربان فان القدوس مأخوذ من قدس بمعنى نزاهة وأبعده عن السوء مع الاجلال والتعظيم والسلام مأخوذ من السلامة، فهو سبحانه سالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقصان، ومن كل ما ينافي كماله، فهذا ضابط ما ينزه عنه. ينزه عن كل نقص بوجه من الوجوه. وينزه ويعظم عن أن يكون له مثل أو شبهة أو كفو أو سمي أو نديد أو مضاد وينزه عن نقص صفة من صفاته التي هي أكمل الصفات وأعظمها وأوسعها، ومن تمام تنزيهه عن ذلك أثبات صفات الكبرياء والعظمة له فان التنزيه مراد لغيره ومقصود به حفظ كماله عن الظنون السيئة، كظن الجاهلية الذين يظنون به غير ما يليق بجلاله، فاذا قال العبد مثنياً على ربه (سبحان الله) أو (تقدس الله) أو (تعالى الله) كان مثنياً عليه بالسلامة من كل نقص واثبات كل كمال.

★ ★ ★

والبر في أوصافه سبحانه هو كثرة الخيرات والاحسان صدرت عن البر الذي هو وصفه فالبر حينئذ له نوعان وصف وفعل فهو بر محسن مولى الجميل ودائم الاحسان

وكذلك الوهاب من أسمائه فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السموات العلى والأرض عن تلك المواهب ليس ينفكان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (البر والوهاب) أما البر فقد ورد ذكره مرة
واحدة في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾
[الطور: ٢٨] والبر هو الموصوف بالبر، وهو كثرة الخير والاحسان، فالبر
وصفه سبحانه، وآثار هذا الوصف جميع النعم الظاهرة والباطنة فلا يستغني مخلوق
عن احسانه وبره طرفه عين، واحسانه سبحانه عام وخاص، فالعام هو المذكور
في مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] فانه يشترك فيه البر
والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض، والمكلفون وغيرهم لا ينفك عنه موجود
من الموجودات.

وأما الخاص فهو رحته التي كتبها للمتقين يرحمهم بها في الدنيا بالتوفيق
للهداية والايان والأعمال الصالحة وصلاح أحوالهم كلها، ويرحمهم بها في الآخرة
فينجيهم من عذاب السموم ويورثهم جنات النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ
قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وأما الوهاب فقد ورد كثيراً في
القرآن، كقوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾
[ص: ٩] وكقوله على لسان الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وكقوله على لسان سليمان بن داود عليها السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

والوهاب مبالغة من واهب وهو الكثير الهبات والعطايا التي يتقلب فيها أهل
سمواته وأرضه، والتي لا تنفك عنهم طرفة عين منذ أن خلق السموات والأرض
كما قال ﷺ: «إن يمين الله ملامى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، ألم تروا

الى ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يفض مما بيده».

★ ★ ★

وكذلك الفتح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع هنا والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذيّن كليهما عدلاً وإحساناً من الرحمن

قال صاحب (النهاية): (في أسماء الله تعالى الفتح: هو الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، وقيل معناه الحاكم بينهم، يقال فتح الحاكم بين الخصمين اذا فصل بينهما، والفتاح الحاكم والفتح من أبنية المبالغة) فالفتاح هو الحكم المحسن الجواد وفتحه تعالى نوعان. (١) أحدهما فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي (٢) والثاني فتحه بحكمه القدري. ففتحه بحكمه الديني هو هدايته لعباده وشرعه لهم على السنة رسله جميع ما يحتاجون اليه ويستقيمون به على صراطه المستقيم.

وأما فتحه الجزائي فهو فتحه لأنبيائه وأتباعهم باكرامهم ونجاتهم وإهانة أعدائهم وعقوباتهم وكذلك فتحه بين الخلائق يوم القيامة حين يوفى كل إنسان جزاء عمله من خير أو شر.

وأما فتحه القدري فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]. فالرب تعالى هو الفتح العليم الذي يفتح بعنايته كل منغلق ويهديته يكشف كل مشكل ومفاتيح الغيب والرزق كلها بيده وهو الذي يفتح لعباده الطائفين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضلته وعدله.

★ ★ ★

وكذلك الرزاق من أسمائه والرزق من أفعاله نوعان

رزق على يد عبده ورسوله
رزق القلوب العلم والإيمان
هذا هو الرزق الحلال وربنا
والثاني سوق القوت للأعضاء في
هذا يكون من الحلال كما يكو
والله رازقه بهذا الاعتبار
نوعان أيضاً ذان معروفان
والرزق المعد لهذه الأبدان
رزاقه والفضل للمنان
تلك المجاري سوقه بوزان
ن من الحرام كلاهما رزقان
ر وليس بالإطلاق دون بيان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (الرزاق) وهو مبالغة من رازق للدلالة على
الكثرة مأخوذ من الرزق: بفتح الراء الذي هو المصدر. وأما الرزق بكسرها فهو
اسم لنفس الشيء الذي يرزق الله به العبد. فمعنى الرزاق الكثير الرزق لعباده
الذي لا تنقطع عنهم أمداده وفواضله طرفة عين، والرزق كالحلق صفة من
صفات الفعل، وهو شأن من شئون ربوبيته عز وجل، لا يصح أن ينسب إلى
غيره، فلا يسمى غيره رازقاً، كما لا يسمى خالقاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] فالأرزاق كلها بيد
الله وحده، فهو خالق الأرزاق والمرتقة وموصلها إليهم وخالق أسباب التمتع
بها، فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها فهو موليا وواهبها.

ورزقه تعالى لعباده نوعان: عام وخاص.

فالعام: إيصاله لجميع خلقه كل ما يحتاجون إليه في معاشهم وقيامهم فيسهل
لهم سبيل الأرزاق ويدبرها في أجسامهم ويسوق إلى كل عضو صغير وكبير ما
يحتاجه من القوت، فهذا عام للبر أو الفاجر، والمسلم والكافر بل للإنس والجن،
والحيوانات كلها.

وهذا الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون
من الحرام، ولكنه يسمى رزقاً بهذا الاعتبار الذي هو سوقه للأعضاء وهدايتها
لامتصاصه والانتفاع به، فيصح أن يقال: رزقه الله بهذا الاعتبار سواء ارتزق
من حلال أم من حرام. وهذا يقال له مطلق الرزق.

وأما النوع الثاني: فهو الرزق المطلق أو الرزق الخاص وهو النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو الذي يحصل على يد الرسول ﷺ وهو نوعان:

١ - أحدهما رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألمة لله، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

٢ - والثاني رزق الأبدان بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه، فإن الرزق الذي خص به المؤمنين والذين يسألونه منه شامل للأمرين.

فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فإذا قال مثلاً (اللهم ارزقني) أراد ما يصلح به قلبه من العلم والهدى، والمعرفة والإيمان، وما يصلح به بدنه من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه، ولا تبعة تعتريه.

فصل

هذا ومن أوصافه القيوم وال
إحداها القيوم قام بنفسه
فالأول استغناؤه عن غيره
والوصف بالقيوم ذو شأن كذا
والحي يتلوه فأوصاف الكما
فالحي والقيوم لن تتخلف ال

قيوم في أوصافه أمران
والكون قام به هما الأمران
والفقر من كل إليه الثاني
موصوفه أيضاً عظيم الشأن
ل هما لأفق سماؤها قطبان
أوصاف أصلاً عنها بيان

الشرح: ومن أسمائه الحسنی سبحانه (القيوم) وهو مبالغة من قائم وله معنيان:

١ - أحدهما: أنه القائم بنفسه المستغني عن جميع خلقه فلا يفتقر إلى شيء

أصلاً لا في وجوده، ولا في بقائه، ولا فيما اتصف به من كمال، ولا فيما يصدر عنه من أفعال، فإن غناه كما قدمنا ذاتي له فلا يطرأ عليه فقر أو حاجة.

والثاني: أنه الكثير القيام بتدبير خلقه، فكل شيء في هذا الوجود مفتقر إليه فقراً ذاتياً أصيلاً لا يمكن أن يستغني عنه في لحظة من اللحظات، فهو مفتقر إليه في وجوده أولاً وفي بقائه بعد الوجود، فهو الذي يمهده بأسباب البقاء، فلا يقوم شيء في الوجود كله إلا به، فهو دائم التدبير والرعاية لشئون خلقه، لا يمكن أن يغفل عنهم لحظة وإلا اختل نظام الكون وتحطمت أركانه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

فهذا الوصف من أوصافه سبحانه ذو شأن عظيم كشأن موصوفه، إذ هو متضمن بمعناه الأول لكمال غناه وعظمته، ومتضمن بمعناه الثاني لجميع صفات الكمال في الفعل، إذ لا تمام لها إلا بقيوميته.

ومن أسمائه الحسنی كذلك (الحي) وقد ورد مقترناً باسمه القيوم في ثلاثة مواضع من القرآن:

١ - في آية الكرسي من سورة البقرة قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢٥٥].

٢ - في أول سورة عمران، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَلَمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [٢، ١].

٣ - في سورة طه، قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [١١١].

ومعنى الحي الموصوف بالحياة الكاملة الأبدية التي لا يلحقها موت ولا فناء، لأنها ذاتية له سبحانه، وكما أن قيوميته مستلزمة لسائر صفات الكمال الفعلية فكذلك حياته مستلزمة لسائر صفات الكمال الذاتية من العلم والقدرة والإرادة

والسمع والبصر والعزة والكبرياء والعظمة ونحوها، فالحي والقيوم متضمنان لصفات الكمال كلها وهما القطبان لأفق سمائهما فلا تتخلف عنهما صفة منها أصلاً ولهذا ورد أنها اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب. وإنما كان هذان الإسمان العظيمين لسائر صفات الكمال لأن الحياة تعتبر شرطاً للاتصاف بجميع الكمالات في المذات من العلم والقدرة، والإرادة والسمع والبصر والكلام إلخ، فإن غير الحي لا يتصف بهذه الصفات، فمن كملت حياته كان أكمل في كل صفة تكون الحياة شرطاً لها وأما القيوم فلما كان أحد معانيه أنه الكثير القيام بشئون خلقه، بحيث لا يغفل عنهم لحظة، كان ذلك مستلزماً لكمال أفعاله ودوامها.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|-------------------------|
| هو قابض هو باسط هو خافض | هو رافع بالعدل والإحسان |
| وهو المعز لأهل طاعته وذا | عز حقيقي بلا بطلان |
| وهو المذل لمن يشاء بذله الداء | رين ذل شقاء وذل هوان |
| هو مانع معط فهذا فضله | والمنع عين العدل للمنان |
| يعطي برحمته ويمنع من يشاء | ء بحكمة والله ذو سلطان |

الشرح: هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يفرد أحدها عن قرينه، ولا أن يثنى على الله عز وجل بواحد منها إلا مقروناً بمقابله، فلا يجوز أن يفرد القابض عن الباسط، ولا الخافض عن الرافع، ولا المذل عن المعز، ولا المانع عن المعطي إلخ، لأن الكمال المطلق إنما يحصل بمجموع الوصفين، فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء ويبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبضه عن يشاء حتى لا تبقى طاقة، ويقبض القلوب فيضيئها حتى تصير حرجاً كأنما تصعد في السماء، ويبسطها بما يفيض عليها من معاني بره ولطفه وجماله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ

يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ﴿ [الأنعام: ١٢٥]. وهو سبحانه الخافض الرافع، يخفض الكفار بالأشقاء والإبعاد، ويرفع أوليائه بالتقرب والإسعاد، ويداول الأيام بين عباده، فيخفض أقواماً، يجل شأنهم، ويذهب عزهم، ويرفع آخرين فيورثهم ملكهم وديارهم.

وهو سبحانه المعز المذل، يعز أهل طاعته بالعز الحقيقي الذي لا يبطله شيء، فإن المطيع لله عزيز وإن تخالفت عليه كل أسباب الذل والشقاء. ويذل أهل معصيته ذل شقاء وحرمان، وذل خزي وخذلان، فإن العصي لله وإن ظهر بمظهر العز فحشو قلبه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه فيما هو فيه من الشهوات.

فالعز كل العز في طاعة الله، والذل كل الذل في معصيته.

وهو سبحانه المانع المعطي، فلا معطي لما منع، ولا مانع لما أعطى، ولا ينفع ذا الجد منه الجد.

قال العلامة السعدي رحمه الله:

(وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده، فإن له الحكمة في خفض من يخفضه ويذله ويحرمه، ولا حجة لأحد على الله، كما له الفضل المحض على من رفعه وأعطاه وبسط له الخيرات، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه.

وكما أنه هو المنفرد بهذه الأمور وكلها جارية تحت أقداره، فإن الله جعل لرفعه وعطائه وإكرامه أسباباً، ولضد ذلك أسباباً، من قام بها ترتبت عليها مسبباتها، وكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة.

وهذا يوجب للعبد القيام بتوحيد الله والاعتماد على ربه في حصول ما يجب ويجتهد في فعل الأسباب النافعة، فإنها محل حكمة الله) أهـ.

★ ★ ★

فصل

والنور من أسمائه أيضاً ومن
قال ابن مسعود كلاماً قد حكا
ما عنده ليل يكون ولا نها
نور السموات العلى من نوره
من نور وجه الرب جل جلاله
فيه استنار العرش والكرسي مع
وكتابه نور كذلك شرعه
وكذلك الإيمان في قلب الفتى
وحجابه نور فلو كشف الحجا
وإذا أتى للفصل يشرق نوره
وكذاك دار الرب جنات العلى

أوصافه سبحانه ذي البرهان
ه الدارمي عنه بلا نكران
ر قلت تحت الفلك يوجد ذان
والأرض كيف النجم والقمران
وكذا حكاه الحافظ الطبراني
سبع الطباق وسائر الأكوان
نور كذا المبعوث بالفرقان
نور على نور مع القرآن
ب لأحرق السبحات للأكوان
في الأرض يوم قيامة الأبدان
نور تلاً لاً ليس ذا بطلان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (النور) وهو أيضاً صفة من صفاته، فيقال الله نور فيكون اسماً مخبراً به على تأويله بالمشتق، ويقال ذو نور، فيكون صفة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وقال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يستيقظ من الليل يقول: « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ».

وقد روى الدارمي والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال « إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه » وذلك لأن الليل والنهار سببها طلوع الشمس وغروبها، وهذا إنما يوجد تحت الفلك لا فوقه.

فهو سبحانه الذي استنارت به جميع الكائنات من العرش والكرسي والسموات السبع وغيرها، وكتابه سبحانه وهو القرآن نور، لأنه يهدي القلوب

من العمي وبيصرها طريق الرشد ، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ ، ١٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وكذلك شرعه الذي شرّعه لعباده نور ، ورسوله محمد ﷺ الذي بعثه بالقرآن نور ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

وكذلك الإيمان في قلب المؤمن مع القرآن نور على نور ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ * يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور : ٣٥] .
فهو مثل ضربه الله لنوره في قلب عبده المؤمن وهذا النور هو الذي يسعى بين يدي العبد وعن يمينه يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [الحديد : ١٢] . وحجابه سبحانه النور كما ورد في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . قال : « قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات ، قال : إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور ، أو قال النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » والمراد بالسبحات جمع سبحة وهو لألأ الوجه وإشراقه ، وهو سبحانه حين يحيي يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، تشرق الأرض بنوره ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ [الزمر : ٦٩] .

وكذلك داره سبحانه التي أعدها للطيبين من عباده، وهي الجنات العلا، نور
تزهو، كما ورد في الحديث.

★ ★ ★

والنور ذو نوعين مخلوق ووصد
وكذلك المخلوق ذو نوعين مح
إحذر تزلّ رجلك هوة
من عابد بالجهل زلت رجله
لاحت له أنوار آثار العبا
فأتى بكل مصيبة وبليّة
وكذا الحلوي الذي هو خدنه
ويقابل الرجلين ذو التعطيل وأل
ذا في كثافة طبعه وظلامه
والنور محجوب فلا هذا ولا

ف ما هما والله متحدان
سوس ومعقول هما شيان
كم قد هوى فيها على الأزمان
فهوى إلى قعر الحضيض الداني
دة ظنها الأنوار للرحمن
ما شئت من شطح ومن هذيان
من ههنا حقها هما أخوان
حجب الكثيفة ما هما سيان
وبظلمة التعطيل هذا الثاني
هذا له من ظلمة يريان

الشرح: قال العلامة الشيخ السعدي رحمه الله (والنور نوعان: حسي كهذه
العوامل التي لم يحصل لها نور إلا من نوره، ونور معنوي يحصل في القلوب
والأرواح بما جاء به محمد ﷺ من كتاب الله وسنة نبيه، فعلم الكتاب والسنة
والعمل بهما ينير القلوب والأسباع والأبصار ويكون نوراً للعبد في الدنيا
والآخرة: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] لما ذكر أنه نور
السموات والأرض وسمى الله كتابه نوراً ورسوله نوراً ووحيه نوراً. ثم أن
المؤلف حذر من اغترار من اغتر من أهل التصوف الذين لم يفرقوا بين نور
الصفات، وبين أنوار الإيمان والمعارف، فإنهم لما تألهوا وتعبدوا من غير فرقان
وعلم كامل ولاحت أنوار التعبد في قلوبهم لأن العبادات لها أنوار في القلوب
فظنوا أن هذا النور هو نور الذات المقدسة، فحصل منهم من الشطح والكلام
القبيح ما هو أثر هذا الجهل والاغترار والضلال. وأما أهل العلم والإيمان

والفرقان. فإنهم يفرقون بين نور الذات والصفات، وبين النور المخلوق الحسي منه والمعنوي فيعترفون أن نور أوصاف الباري ملازم لذاته لا يفارقها، ولا يحل بمخلوق، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما النور المخلوق فهو الذي تتصف به المخلوقات بحسب الأسباب والمعاني القائمة بها والمؤمن إذا كمل إيمانه أنار الله قلبه، فانكشفت له حقائق الأشياء، وحصل له فرقان يفرق به بين الحق والباطل، وصار هذا النور هو مادة حياة العبد وقوته على الخير علماً وعملاً وانكشفت عنه الشبهات القادحة في العلم واليقين والشهوات الناشئة عن الظلمة والغفلة، وكان قلبه نوراً وكلامه نوراً وعمله نوراً والنور محيط به من جهاته، والكافر أو المنافق أو المعارض أو المعرض الغافل، كل هؤلاء يتخبطون في الظلمات، كل له من الظلمة بحسب ما معه من موادها وأسبابها والله الموفق وحده) أهـ.

ويظهر من هذا النص أن الشيخ السعدي قد تابع المؤلف في القول بأن أهل الاغترار والجهل حين تلوح في قلوبهم أنوار آثار العبادة تحملهم على الشطح والهديان بكلمات تفهم الوحدة كقول أبي يزيد البسطامي قبحه الله: (سبحاني ما أعظم شاني) وقوله (انسلخت عن نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت فإذا أنا هو) أو تفهم معنى الحلول كقول الحلاج: (أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا).

وهذه غفلة من الشيخين غفر الله لها وإسراف في حسن الظن بهؤلاء الصوفية قبحهم الله، فإنهم لم يعبدوا الله عبادة صحيحة حتى تظهر عليهم أنوارها، فإن شرط العبادة الصحيحة معرفة المعبود المعرفة الحقبة بأسبائه وصفاته، وهؤلاء الصوفية إنما عرفوه على الصورة التي رسمتها لهم شياطينهم؛ وهو أنه ملك خليع يجب الرقص ويولع بالغناء وعاشق ولهان يبيح لمحبيه السكر والفجور ومضاجعة الغلمان، فلم يزدادوا بعبادته إلا خبالاً، ولو كانوا قد عرفوه حق معرفته لهدتهم هذه المعرفة إلى سبيل الرشاد، ولما وقعوا عند ظهور أنواره لهم في بوائق الكفر

والإلحاد فإن من يحصل له نور العبادة الحققة لا يمكن أن يضل به، كيف وقد جعله الله فرقاناً في قلب العبد يبصره بمواطن الرشد ويجنبه مواضع الزلل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، فكيف يكون هذا النور الهادي هو سبب الضلال؟

والعجب من رجل لقب بحجة الإسلام يقال له الغزالي كفر الفلاسفة لقولهم بقدم العالم وإنكارهم علم الله بالجزئيات وحشر الأجساد. وهو مع ذلك يعتذر عن أسلافه في التصوف فيما نطقوا به من الكفر البواح، ويحاول جاهداً أن يجعل لكلامهم مساعفاً من التأويل كأنما كلامهم وحي وتنزيل، ولكن الأء كما قيل (حبك الشيء يُعمي ويصم) ومن يضل الله فما له من سبيل.

فصل

وهو المقدم والمؤخر ذانك الص
وهما صفات الذات أيضاً إذ هما
ولذا قد غلط المقسم حين ظ
إن لم يرد هذا ولكن قد أرا
والفعل والمفعول شيء واحد
فلذاك وصف الفعل ليس لديه إلا
فجميع أسماء الفعال لديه لي
موجودة لكن أمور كلها
هذا هو التعطيل للأفعال

فتان للأفعال تابعتان
بالذات لا بالغير قائمتان
من صفاته نوعان مختلفان
د قيامها بالفعل ذي الإمكان
عند المقسم ما هما شيئان
نسبة عدمية ببيان
ست قط ثابتة ذوات معان
نسب ترى عدمية الوجدان
كالتعطيل للأوصاف بالميزان

الشرح: ومن أسمائه سبحانه (المقدم والمؤخر) وهما من الأسماء المتقابلة التي لا يجوز إفراد أحدها عن مقابله كما قدمنا ذلك في المعز والمذل والخافض والرافع

والقابض والباسط والمانع والمعطي ونحوها ، فهو سبحانه المقدم لبعض الأشياء على بعض ، إما تقديماً كونياً كتقديم بعض المخلوقات في الوجود على بعض وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها ، وإما تقديماً شرعياً معنوياً كتفضيل الأنبياء عليهم السلام على سائر البشر وتفضيل بعض النبيين على بعض ، وتفضيل العباد كذلك بعضهم على بعض وهو سبحانه المؤخر لبعض الأشياء عن بعض أما بالزمان أو بالشرع كذلك .

والتقديم والتأخير صفتان من صفات الأفعال التابعة لمشيئته تعالى وحكمته وهما أيضاً صفتان للذات إذ قيامها بالذات لا غيرها ، وهكذا كل صفات الأفعال هي من هذا الوجه صفات ذات حيث أن الذات متصفة بها ، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال .

ولهذا غلط علماء الكلام من الأشاعرة حين ظنوا أن هناك نوعين مختلفين من الصفات أحدهما قائم بالذات لازم لها ، كصفات المعاني السبعة التي هي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام ، والثاني صفات أفعال لا تقوم عندهم بالذات ، بل هي نسب إضافية عدمية تنشأ من إضافة المفعول لفاعله ، ولا يعقل لها وجود إلا بتلك الاضافة فوجودها أمر سلمي ، وليس لها وجود في نفسها ، فليس ثمت عندهم موجود الا المفعولات ، وأما الأفعال فنسب وإضافات .

وهذا قول باطل مخالف كما قدمنا لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، بل والعقل أيضاً الذي يقضي بأن تكون صفات الأفعال قائمة بمن فعلها ، ويكون متصفاً بها من قالها أو عملها ، إذ لا يتصور في العقل مفعول من غير فعل ، ولا مخلوق من غير خالق ، كما لا يتصور أحد اسماً مشتقاً ولا يكون دالاً على صفة في المحل المسمى به .

والذي أوقعهم في هذا الغلط الشنيع أن صفات الأفعال عندهم لا تكون إلا حادثة لتعلقها بالمفعولات الحادثة ، فيستحيل عندهم قيامها بذاته تعالى ، لأن قيام

الحوادث به مستلزم لحدوثه، فارتكبوا بهذه الأكذوبة أعظم جناية على الدين، حيث نفوا كل الصفات الفعلية التي جاء بها الكتاب والسنة من الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا وتكليمه لبعض عباده في بعض الأزمنة، وحبه ورضاه وغضبه ومقتته الخ. كما نفوا أفعاله التي يوجد لها شيئاً بعد شيء تبعاً لحكمته وأقواله التي يتكلم بها شيئاً بعد شيء كذلك. ولا شك أن هذا التعطيل لأفعاله هو كتعطيل الجهمية والمعتزلة لصفات ذاته بلا فرق أصلاً، فإذا كان هذا التعطيل لصفاته الذاتية باطلاً بإقرار هؤلاء أنفسهم، فيجب أن يكون التعطيل لصفاته الفعلية باطلاً كذلك.

★ ★ ★

| | |
|----------------------------------|---------------------------|
| فالحق أن الوصف ليس بمورد التقسيم | سُمي هذا مقتضى البرهان |
| بل مورد التقسيم ما قد قام | بالذات التي للواحد الرحمن |
| فهي إذا نوعان أوصاف وأفعال | ال فهذي قسمة التبيان |
| فالوصف بالأفعال يستدعي قيا | م الفعل بالموصوف بالبرهان |
| كالوصف بالمعنى سوى الأفعال ما | أن بين ذينك قط من فرقان |

الشرح: يعني أن هؤلاء النافين لصفات الأفعال ممن اعتبروها نسباً وإضافات لا تقوم بالذات، جعلوا مورد التقسيم هو الوصف، فقالوا أن الوصف إما وصف معنى قائم بالذات، وإما وصف فعل لا يقوم بها، وذلك ليتأتى لهم على هذا التقسيم اعتبار بعض الصفات قائماً بالذات، وبعضها غير قائم بها.

ولكن الحق أن مورد القسمة هو نفس ما يقوم بالذات، فيقال أن ما يقوم بالذات ويكون وصفاً لها، إما أن يكون صفة معنى لازماً للذات، وإما أن يكون صفة فعل، والوصف بالفعل يستدعي قيام الفعل بالموصوف، كالوصف بالمعنى سواء بسواء، فإذا كان وصفه سبحانه بأنه علم قد يرحى الخ يقتضي قيام العلم والقدرة والحياة به، فكذلك وصفه بأنه خالق أو رازق أو مقدم أو مؤخر يقتضي قيام هذه الأفعال من الخلق والرزق والتقديم والتأخير ونحوها به. وهذا

ما لا ينبغي أن يشك فيه عاقل، فإن إطلاق المشتق على شيء يؤذن بثبوت مأخذ الاشتقاق له.

ومن العجائب أنهم ردوا على قامت بمن هي وصفه هذا محا وأتوا إلى الأوصاف باسم العقل قا فانظر إليهم أبطلوا الأصل الذي إن كان هذا ممكناً فكذلك قو والوصف بالتقديم والتأخير كوني وكلاهما أمر حقيقي ونسب والله قدر ذاك أجمعه بإحـ

من أثبت الأسماء دون معان ل غير معقول لذي الأذهان لو لم تقم بالواحد الديان ردوا به أقوالهم بوزان ل خصومكم أيضاً فذو إمكان ني وديني هما نوعان سي ولا يخفى على الأذهان كام وإتقان من الرحمن

الشرح: يعجب المؤلف من هؤلاء الأشاعرة في تناقضهم واضطرابهم، حيث يفرقون بين المتماثلين ويسوون بين المختلفين، فهم ينكرون على المعتزلة في إثباتهم الأسماء دون الصفات، ويقولون أن ثبوت الاسم لمن لم يقم به معناه محال عند العقل. ثم هم يعمدون إلى صفات الأفعال فينفونها عن الله عز وجل رغم أنهم يثبتون له الأسماء المأخوذة من هذه الأفعال، وبذلك أبطلوا الأصل الذي ردوا به على المعتزلة بعينه وصح لخصومهم أن يقولوا لهم إن كان ممكناً عندكم أن يسمى الله خالقاً ولا يكون الخلق وصفاً له، فلم أنكرتم علينا أن نسميه عالماً بلا علم وقادراً بلا قدرة الخ، مع أنه لا فرق أصلاً بين ما أثبتموه وبين ما نفيتموه، فأما أن تثبتوا في الكل كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وأما أن تنفوا في الكل كما هو مذهبنا، أما أن تثبتوا في البعض وتنفوا في البعض فهذا تناقض لا يليق بالعقلاء.

★ ★ ★

هذا ومن أسائه ما ليس يفرد بل يقال إذا أتى بقران

وهي التي تدعى بمزدوجاتها
 إذ ذاك موهم نوع نقص جل رب
 كالمانع المعطى وكالضار الذي
 ونظير هذا القابض المقرون با
 وكذا المعز مع المذل وخافض
 وحديث افراد اسم منتقم فمو
 ما جاء في القرآن غير مقيد
 أفرادها خطر على الإنسان
 العرش عن عيب وعن نقصان
 هو نافع وكماله الأمان
 سم الباسط اللفظان مقترنان
 مع رافع لفظان مزدوجان
 قوف كما قد قال ذو العرفان
 بالمجرمين وجا بذو نوعان

الشرح: سبق أن قلنا أن هذه الأسماء المزدوجة المتقابلة لا يجوز أن يفرد
 أحدها عن قرينه، فإنها إذا أفردت أوهمت نقصاً في حقه تعالى عن كل عيب
 ونقص، بل الكمال في ذكرهما جميعاً، فيقال: يا معطى يا مانع، يا ضار يا نافع،
 يا مقدم يا مؤخر، يا معز يا مذل، يا خافض يا رافع الخ.

وأما أفراد اسمه (المنتقم) عن قرينه وهو (العفو) فلم يرد إلا في حديث
 موقوف، ولم يستعمل في القرآن إلا على نوعين: أما أن يكون مقيداً بالمجرمين
 كقوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ [الروم: ٤٧] وكقوله: ﴿إِنَّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢] وأما أن يكون مضافاً إلى ذو كقوله:
 ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] وكقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ
 مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥] الخ.

فصل

ودلالة الأسماء أنواع ثلا
 دلت مطابقة كذاك تضمننا
 أما مطابقة الدلالة فهي أن
 ذات الاله وذلك الوصف الذي
 لكن دلالتة على إحداها
 لكن دلالتة على الصفة التي
 ث كلها معلومة ببيان
 وكذا التزاماً واضح البرهان
 الاسم يفهم منه مفهومان
 يشتق منه الاسم بالميزان
 يتضمن فافهمه فهم بيان
 ما اشتق منها فالتزام دان

وإذا أردت لذا مثلاً بينا
ذات الاله ورحمة مدلولها
فمثال ذلك لفظة الرحمن
فهذا لهذا اللفظ مدلولان
هي تضمن ذا واضح التبيان
لكن وصف الحي لازم ذلك المـ
معنى لزوم العلم للرحمن
فلذا دلالتة عليه بالتزا
م بين الحق ذو تبيان

الشرح: يقسم المناطقة دلالة اللفظ الموضوع لمعنى إلى ثلاثة أقسام: مطابقة وتضمن والتزام، وذلك لأنه إن قصد باللفظ الدلالة على تمام المعنى فمطابقة لتطابق اللفظ والمعنى، أي توافقهما، وإن قصد به الدلالة على جزء ذلك المعنى فتضمن، لأن ذلك الجزء داخل في ضمن المعنى الموضوع له، وإن قصد به الدلالة على لازم ذلك المعنى فالتزام. وهذا التقسيم جار في دلالة الأسماء الحسنى على معانيها، فكل منها يدل بالمطابقة على مجموع الذات والصفة التي اشتق منها، فعلم دال بالمطابقة على ذات ثبت لها العلم، وحي دال بالمطابقة على ذات وحياء وهكذا.

وأما دلالتة على الذات وحدها أو على الصفة وحدها فتضمن، لأن كلا منها جزء لمعنى الاسم داخل في ضمنه. وأما دلالتة على صفة للذات غير الصفة التي اشتق هو منها فدلالة التزام دان، أي قريب من متناول العقل، وضرب المؤلف لذلك مثلاً بلفظة الرحمن، فإنها تدل مطابقة على الذات والرحمة، وتدل على أحدهما بالتضمن، وتدل على الحياة الكاملة والعلم المحيط والقدرة التامة ونحوها دلالة التزام، لأنه لا توجد رحمة دون حياة الراحم وعلمه وقدرته الخ.

هذا وكثير من أسمائه الحسنى سبحانه يستلزم عدة أوصاف، فالملك مثلاً مستلزم لجميع صفات الملك، والرب مستلزم لصفات الربوبية، والله لصفات الألوهية، وهي صفات الكمال كلها.

ومنها كذلك الكبير والعظيم والمجيد والحميد، والواسع والصمد وغيرها فتحت كل منها الكثير من صفات الكمال.

فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلحاد فيها أنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها المي ل بالإشراك والتعطيل والنكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائف فعليهم غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموها بها أو ثابهم قالوا إله ثان
هم شبهوا المخلوق بالخلق عك س مشبه الخلاق بالإنسان

الشرح: يعني أن أسماءه سبحانه كلها حسنى دالة على أوصاف الكمال التي
يمدح بها ويثنى عليه بها، وليست أعلاماً جامدة خالية من المعاني، كما يزعم ذلك
ابن حزم فإنها لو كانت كذلك لم تكن حسنى، بل هي أعلام وأوصاف معاً،
وإذا كان الاسم محتملاً للمدح وغيره، كالمريد والصانع والفاعل ونحوها لم يدخل
بمطلقه في أسماء الله عز وجل، بل لا بد أن يقيد بما يجعله متمحضاً للمدح
والثناء، إذ صفاته سبحانه كلها صفات كمال محض، فهو موصوف بأكمل
الصفات، وله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه.

والواجب في أسماؤه الحسنى. وصفاته العليا أن تثبت على ما جاء به الكتاب
والسنة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته، فلا ينفي منها اسم، ولا ينفي من
معانيها صفة ولا تشبه بصفات المخلوقين، فإن ذلك كله الحاد في أسماؤه سبحانه
وهو كفر نعوذ بالله منه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والملحدون في أسماؤه سبحانه ثلاث طوائف عليهم غضب الله ومقته.

الأولى: من يجعل لله شريكاً في أسماؤه فيسمي بها بعض المخلوقات، وذلك
كتسمية المشركين آلهتهم اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

والثانية: من يمثل صفاته سبحانه بصفات المخلوقين فيعتقد أن علمه كعلمهم
وقدرته كقدرتهم، وحياته كحياتهم الخ.

والثالثة: من ينفي معاني أسمائه الحسنى، أو ينفي الأسماء والمعاني جميعاً كما
يفعل الجهمية ومن تبعهم من كل معطل جاحد لصفات الله كلها أو بعضها.

★ ★ ★

وكذلك أهل الاتحاد فإنهم أخوانهم من أقرب الأخوان
أعطوا الوجود جميعه أسمائه إذ كان عين الله ذي السلطان
والمشركون أقل شركاً منهم هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذا كانوا أهل شرك عندهم لو عمموا ما كان من كفران

الشرح: ومن أعظم الملحدين في أسمائه سبحانه أصحاب مذهب الاتحاد
القائلين بوحدة الوجود، كابن عربي وابن سبعين وأضرابهما. وهم أخوان لأهل
الشرك يشبهونهم في تسمية المخلوق باسم الخالق إلا أن الفرق أن هؤلاء الاتحادية
يعطون أسمائه سبحانه لكل شيء في الوجود إذ كان وجود الأشياء عندهم هو
عين وجوده ما ثمة فرق إلا بالاطلاق والتقييد، ولهذا كانوا أعظم شركاً من
المشركين لأن المشركين خصصوا أسمائه سبحانه بألتهتهم، ولم يجعلوها أسماء لكل
شيء كما فعل هؤلاء الملاحدة وهم يعيرون المشركين على هذا التخصيص ويرونه
سبب إشراكهم فلو أنهم عمموا وعبدوا كل مظاهر الوجود وسموها بأسماء الحق
سبحانه ما كانوا في نظرهم كفاراً ولا مشركين.

★ ★ ★

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالقصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وأنفها واقذف بتجسيم وبالكفران

للمثبتين حقائق الأسماء والأ
فإذا هم احتجوا عليك فقل لهم
فإذا غلبت على المجاز فقل لهم
أنى وتلك أدلة لفظية
وصاف بالأخبار والقرآن
هذا مجاز وهو وضع ثان
لا يستفاد حقيقة الايقان
عزلت عن الايقان منذ زمان

الشرح: ومن أهل الإلحاد في أسائه سبحانه طوائف التعطيل من معتزلة
وفلاسفة وأشعرية فإنهم ينفون حقائق الأسماء ودلالاتها على معانيها الحققة التي
تفهم منها بوضع اللغة نفيًا بلا حجة ولا دليل ويقولون أن هذه الأسماء لم يقصد
منها هذه المعاني المتبادرة عند إطلاقها، فإنها في نظرهم مستحيلة على الله
لإفضائها إلى التشبيه والتجسيم فالواجب في زعمهم هو تأويلها بما ينفي حقائقها
ويقول بعضهم لبعض متواصين بهذا النفي والتعطيل أن مقصودنا الأول هو دفع
النصوص عن إفادة الحقيقة فالواجب الاجتهاد في ذلك بكل فنون القول
وأساليب البيان بأن نعطل هذه النصوص ونحرفها عن مواضعها ونؤولها بما
يصرفها عن معانيها الحققة إلى ما يتفق مع مناهجنا في التعطيل أو نفيها وننكر
ورودها إن كانت نصوص آحاد ليست من التنزيل، ثم نرمي المثبتين لحقائق هذه
الأسماء والصفات بأدلة الكتاب والسنة بالتجسيم والتشبيه، فإذا هم احتجوا علينا
بهذه الأدلة قلنا أنه لم يرد منها حقائقها، بل مجاز واللفظ يفيد بالوضع الثاني.
فإذا غلبنا على دعوى المجاز ولم نستطع إثباتها حيث لا قرينة تدل عليه، قلنا لهم
أن هذه النصوص لا تفيد اليقين لأنها أدلة لفظية، ولا يستفاد اليقين إلا من
البرهان العقلي.

★ ★ ★

فإذا تضافرت الأدلة كثرة
فعليك حينئذ بقانون وض
ولكل نص ليس يقبل أن يؤو
قل عارض المنقول معقول وما الأ
وغلبت عن تقرير ذا بيان
عناه لدفع أدلة القرآن
ل بالمجاز ولا بمعنى ثان
مران عند العقل يتفقان

ما ثم الا واحد من اربع متقابلات كلها بوزان
 اعمال ذين وعكسه أو تلغى المعق ول ما هذا بذي أمكان
 العقل أصل النقل وهو أبوه أن تبطله يبطل فرعه التحتاني
 فتعين الاعمال للمعقول والا لغاء للمنقول بالبرهان
 أعماله يفضى الى الغائه فاهجره هجر الترك والنسيان

الشرح: فاذا تظاهرت أدلة الأثبات، وكانت من الكثرة بحيث تعجز أيها المعطل عن ردها بكل أساليب البيان، وكان منها نصوص لا تقبل التأويل ولا ينفع معها دعوى المجاز فما عليك الا أن تلجأ الى هذا القانون الذي وضعناه لك لتدفع به في صدر هذه النصوص، وهو أنه اذا تعارض العقل والنقل واستحال التوفيق بينهما عند العقل وجب اعمال دليل العقل وإهمال دليل النقل، لأن الامر لا يخرج عن واحد من أربع أمور متقابلة، فاما أن نعمل الدليلين معاً فننفع في التناقض أو نلغيها معاً، وهذا أيضاً باطل لأنه رفع للنقيضين أو نلغى المعقول، وهذا مستحيل لأنه يؤدي الى ابطال الشرع، فان الشرع لم يثبت الا بالعقل، فالعقل هو أصله وأبوه والغاء الاصل مستلزم لالغاء الفرع فلم يبق الا الأمر الرابع وهو اعمال المعقول والغاء المنقول الذي يقضي اعماله الى الغائه فالواجب حينئذ هجره هجر ترك ونسيان والايان به ألفاظاً مجردة بدون معان.

★ ★ ★

والله لم نكذب عليهم أننا وهم لدى الرحمن مختصمان
 وهناك يجزي الملحدون ومن نفى الا لحاد يجزي ثم بالغفران
 فاصبر قليلا انما هي ساعة يا مثبت الاوصاف للرحمن
 فلسوف تجنى أجر صبرك حـ ين يجنى الغير وزر الاثم والعدوان
 فالله سائلنا وسائلهم عن الا ثبات والتعطيل بعد زمان
 فأعد حينئذ جوابا كافيا عند السؤال يكون ذا تبيان

الشرح: يقسم المؤلف بالله أنه لم يتجن على القوم فيما رواه عنهم من التلاعب

بالنصوص بالتحريف والتأويل والدفع في صدورهم بأدلة العقول، فان كتبهم
مملوءة من هذه الاباطيل وهم يذكرونها بلا خجل ولا حياء، بل أن هذا عندهم
هو مسلك المحققين من العلماء .

ويذكر المصنف أن الفريقين من أهل الاثبات والتعطيل سيختصمان يوم
القيامة بين يدي الملك الجليل، وهناك يلقي الملحدون المعطلون جزاء هذا الاحاد
والتعطيل وأما المثبتة للصفات النافون عنها تشغيب أهل التعطيل والاحاد
فسيجزئهم ربهم بمغفرة لذنوبهم، فما عليك أيها المثبت للصفات الا أن تعتم
بالصبر، فانما هي ساعة تعيشها في هذه الدنيا، ثم ينقضى العمر حتى اذا لقيت
ربك وفاك أجز صبرك مغفرة منه ورضوانا على حين يجنى غيرك من أهل الزور
والبهتان جزاء ما قدموا لانفسهم من اثم وعدوان.

واعلم أن الله سائلك عن اثباتك، كما هو سائلهم عن تعطيلهم، فأعد لذلك
السؤال جواباً كافياً يكون ذا وضوح وتبيان تنجو به من النيران وتنال به المغفرة
والرضوان.

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| في ما تدل عليه بالبهتان | هذا وثالثهم فنافيها ونا |
| بخالق أبداً ولا رحمن | ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر |
| ل الله أن ينجيك من نيران | هذا هو الاحاد فاحذره لع |
| أوى مع الغفران والرضوان | وتفوز بالزلفى لديه وجنة الم |
| فالناس كالأموات في الحساب | لا توحشك غربة بين الورى |
| الغريباء حقاً عند كل زمان | أو ما علمت بأن أهل السنة |
| والتابعون لهم على الاحسان | قل لي متى سلم الرسول وصحبه |
| ومحارب بالبغى والطغيان | من جاهل ومعاند ومنافق |
| ذقت الأذى في نصرة الرحمن | وتظن أنك وارث لهم وما |
| في الله لا يبيد ولا بلسان | كلا ولا جاهدت حق جهاده |

مَتَّكَ وَاللَّهِ الْمَحَالِ النَّفْسِ فَاسْ — تتحدث سوى ذا الرأي والحسبان
لو كنت وارثه لآذاك الألى ورثوا عداه بسائر الألوان

الشرح: وأما ثالث الطوائف من أهل التعطيل والاحاد فهو الذي ينفي
الأسماء وينفى ما تدل عليه من المعاني بالكذب والبهتان، وذلك مثل الجهمية
أتباع الجهم بن صفوان، والفلاسفة أشياخ مذهب أرسطو، وغيره من حكماء
اليونان. وهؤلاء في الحقيقة جاحدون لوجود الخالق الرحمن، فانه لا يعقل وجود
ذات في الخارج بلا اسم ولا صفة، وانما يقدر وجودها في الأذهان.

وبعد أن فرغ المؤلف من ذكر معاني الاحاد الثلاثة في أسماء الرب التي هي
تسمية المخلوق بها، أو نفى ما دلت عليه من المعاني، أو نفيها ونفى المعاني
جميعاً. حذر من الوقوع في بوائق هذا الاحاد اخوانه من أهل السنة لكي ينجوا
بذلك من النيران ويفوزوا بالقرب من الله في جنة المأوى التي أعدها لأوليائه
ويظفروا بمغفرته ورضوانه.

ثم أوصاهم أن لا يستوحشوا من قتلهم وكثرة أعدائهم، فان الناس كلهم
موتى وأهل السنة وحدهم الأحياء، وقد وردت الآثار بأن أهل السنة يكونون
آخر الزمان غرباء. قال عليه السلام «بدأ الاسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ،
فطوبى للغرباء، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال الذين يصلحون اذا فسد
الناس، وفي رواية الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي».

ثم يسائل اخوانه من أهل السنة الذين يضيقون ذرعاً بما يلقون من أذى
اعدائهم فيقول: متى سلم الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون لهم باحسان من أهل
الجهل والعناد والنفاق حتى تطمعوا أنتم في السلامة منهم، وكيف تطمعون أن
تكونوا وراثاً لهم دون أن تذوقوا ما ذاقوه من الأذى في نصرة الرحمن وان
تجاهدوا في سبيله حق الجهاد باليد واللسان، فهذه أماني كواذب تحددكم بها
أنفسكم، فاستحدثوا لكم رأياً غير هذا، واعلموا أن هذه الورثة الكريمة لهؤلاء

الأخيار لا تكون الا لمن وطن النفس على احتمال كل ما يلقاه من أذى هؤلاء
المجرمين الأشرار .

فصل

في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد المشركين والمعطلين

هذا وثاني نوعي التوحيد تو
أن لا تكون لغيره عبداً ولا
فتقوم بالإسلام والإيمان وأل
والصدق والإخلاص ركنا ذلك الت
وحقيقة الاخلاص توحيد المرا
لكن مراد العبد يبقى واحدا
ان كان ربك واحدا سبحانه
أو كان ربك واحدا أنشاك لم
فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا
حيد العبادة منك للرحمن
تعبد بغير شريعة الايمان
إحسان في سرّ وفي إعلان
وحيد كالركنين للبينان
د فلا يزاحمه مراد ثان
ما فيه تفريق لدى الانسان
فاخصه بالتوحيد مع احسان
يشركه اذ أنشاك رب ثان
تعبد سواه يا أخا العرفان

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من بيان توحيد الأسماء والصفات الذي يقوم
على تنزيه الله سبحانه عن كل مالا يليق بجلاله من النقائص والعيوب، متصلة أو
منفصلة، واثبات أوصاف الكمال كلها له، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا
تكليف ولا تمثيل، شرع في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد، وهو توحيد
الالهية أو العبادة الذي يقوم على أن الله هو وحده الاله المألوه الذي ينبغي أن
يأله الخلق، أي يعبدوه، تعظيماً ومحبة وذلاً، ومحافة، وتوكلاً، واستعانة وتوبة
وانابة الى آخره .

وهذا النوع من التوحيد هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل عليهم الصلاة

والسلام، بل كان هو خلاصة رسالاتهم ومفتح دعواتهم، فما منهم من رسول الا كان التوحيد أول ما يدعو اليه قومه، كما دل على ذلك القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

بل هذا التوحيد هو الذي خلق الله الخلق لأجله وشرع الجهاد لاقامته وجعل الثواب في الدنيا والآخرة لمن قام به وحققه، وجعل العقاب على من كفر به وتركه، وجعله الفيصل بين أهل السعادة القائمين به وأهل الشقاوة التاركين له.

وقد فسر المؤلف هذا التوحيد بأن لا يجعل العبد لغير الله شركة مع الله في شيء من عبادته، بل يصرف عبادته كلها لله، سواء كانت عبادة بالقلب، كالحب والذل والخوف والرجاء والتعظيم والانابة، أو كانت عبادة باللسان، كالتمجيد والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد وكل أنواع الشناء التي لا تنبغي الا لله.

وكذلك السؤال والدعاء والاستعاذة والاستغاثة والحلف والتسمية وغير ذلك أو كانت عبادة بالأبدان، كالصلاة والصيام والحج والجهاد، أو عبادة بالمال كالصدقات والנדور والذبائح والحبوس وجميع أبواب البر التي تنفق فيها الأموال. وان لا يعبد الله الا بما شرعه هو على لسان رسوله ﷺ، فلا يزيد عليه شيئاً ولا ينقص منه شيئاً، ولا يغير فيه ولا يبدل، فان كل ذلك بدعة ضلالة لا يقبلها الله عز وجل، بل يردها على صاحبها ويمقتها عليها. قال ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود على صاحبه لا ثواب له عليه، لأنه عبادة بالهوى وتشريع ما لم يأذن به الله، وانما يعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

فاذا عرف العبد ذلك معرفة حقة أفرد الله بالعبادة كلها، الظاهرة منها والباطنة فيقوم بشرائع الاسلام الظاهرة، كالصلاة والزكاة والصوم والحج

والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين وصلة الأرحام والاحسان الى الجار وأداء الأمانات والوفاء بالعهود والقيام بحقوق الله وحقوق خلقه .

ويقوم كذلك بأصول الايمان، فيؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، ويقوم بمقتضى الاحسان الذي هو أعلى مقامات الدين فيعبد الله كأنه يراه، فان لم يكن يراه فإنه يراه، كما فسره النبي ﷺ بذلك في حديث جبريل، ويقوم بهذه المقامات الثلاثة مخلصاً في كلها لله لا يقصد به غرضاً من الأغراض غير رضا ربه وثوابه، ومتابعاً فيها رسول الله ﷺ، فيقف عندما حده له .

ولهذا التوحيد أيضاً ركنان هما له كالأساس للبينان، وهما الصدق والاخلاص أما الاخلاص فهو توحيد الله بقصده وارادته بأن يعمل العمل لا ينبغي به الا وجه الله والا طلب ثوابه ورضاه، بحيث لا يزاحمه مراد ثان من حب محمداً أو رغبة في شهرة أو غير ذلك من حظوظ النفس العاجلة، وكذلك لا يريد به التقرب الى غير الله عز وجل، فانه اذا كان رب العبد الذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، وأجرى عليه رزقه، وأسغ عليه نعمه، ظاهرة وباطنة، واحداً، وهو الله عز وجل، ولم يشركه في خلقه ولا في رزقه ولا في تدبير شؤونه أحد، فيجب أن يخصه بالتوحيد والعبادة، وأن لا يشرك بعبادة ربه أحداً .

★ ★ ★

والصدق توحيد الارادة وهو بذ
والسنة المثلى لسالكها فتو
فلواحد كن واحداً في واحد
هذي ثلاث مسعدات للذي
فاذا هي اجتمعت لنفس حرة
ل الجهد لا كسلا ولا متوان
حيد الطريق الأعظم السلطاني
أعنى سبيل الحق والايامن
قد نالها والفضل للمنان
بلغت من العلياء كل مكان

الشرح: فاذا كان الاخلاص هو توحيد المراد بالعبادة وهو الله عز وجل بحيث لا يبقى في القلب مراد آخر يزاحمه، فالصدق هو توحيد الارادة وهو بذل الجهد في طلب المراد والتفاني في خدمته سبحانه بلا كسل ولا فتور، وتوحيد الطريق وهو المتابعة للسنة القويمية بلا تزييد ولا ابتداع.

وهذا معنى قول المصنف (فلواحد كن واحداً في واحد) أي فلواحد وهو الله عز وجل، وهذا هو توحيد المراد «كن واحداً» في عزمك وصدقك وارادتك وهذا هو توحيد الارادة في واحد، وهو متابعة الرسول الذي هو طريق الحق والايمان. فمن اجتمعت له هذه الثلاثة نال كل كمال وسعادة وفلاح، ولا ينقص من كماله وسعادته الا بقدر نقصه من واحد منها.

وهذا النوع من التوحيد وهو توحيد الالهية متضمن للنوع الأول الذي هو توحيد الأسماء والصفات الداخلة فيه توحيد الربوبية، لأن الله هو الذي له صفة الالهية، وهي صفات الكمال كلها، ولهذا كلما قوى ايمان العبد ومعرفته بأسماء الله وصفاته قوى توحيدة وتم ايمانه.

ثم أخذ بعد ذلك في بيان ما يناقض هذا التوحيد وينافيه فقال:

فصل

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| والشرك فاحذره فشرک ظاهر | ذا القسم ليس بقابل الغفران |
| وهو اتخاذ الند للرحم | من أيا كان من حجر ومن انسان |
| يدعوه أو يرجوه ثم يخافه | ويجبه كمحبة الديان |
| والله ما ساووههم بالله في | خلق ولا رزق ولا احسان |
| فالله عندهم هو الخلاق والر | زاق مولى الفضل والإحسان |
| لكنهم ساووههم بالله في | حسب وتعظيم وفي إيمان |

الشرح: بعد أن بين المؤلف توحيد العبادة وأركانه التي يقوم عليها من

الاخلاص والصدق والمتابعة للسنة، شرع في بيان ما ينافيه من الشرك، فقسمه الى ظاهر جلي، وهو ما يسمى بالشرك الأكبر، وهذا النوع لا يغفره الله عز وجل، كما أخبر بذلك في قوله في موضعين من سورة النساء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقد فسر المؤلف هذا الشرك بأنه اتخاذ ند للرحمن من أي شيء كان من خلقه بأن يجعله مساويا لله في ما يستحقه، ولا ينبغي الاله من أنواع العبادة والتعظيم فيدعوه كما يدعو الله عز وجل، سواء كان دعاء عبادة أو دعاء مسألة، أو يرجوه كما يرجو الله، بأن يتوقع عنده من النفع والخير ما لا يملكه الا الله، أو يخافه كذلك كما يخاف الله، بأن يعتقد أنه يملك من أنواع العذاب والبطش ما لا يملكه الا الله أو يحبه كما يحب الله عز وجل.

فهذه هي الندية التي كان يؤمن بها العرب وسموا بسببها مشركين، وهي التي أمر رسول الله ﷺ بقتالهم عليها، لأنها منافية لكلمة التوحيد (لا اله الا الله).

وأما ندية الخلق والرزق والتدبير والملك وغير ذلك من شؤون الربوبية، فإنهم لم يساوا آلهتهم بالله في شيء منها، بل ولا جعلوا لهم شركة مع الله فيها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١] وكقوله: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ يَدَّ يَدَهُ مَلَكَتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٩].

فالقوم لم ينددوا في هذه الناحية، وانما كانت نديتهم أنهم ساواوا آلهتهم بالله في الحب والتعظيم وفي الايمان بالاھيتهم واستحقاقهم للعبادة مع الله، فكان هو مناط شركهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ

مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٢﴾ .

وقال في نفس السورة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا
يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

ولهذا كانت كلمة التوحيد التي يدخل بها في الإسلام هي (لا إله إلا الله)
لأنها هي التي تنفي الشرك في الألوهية وتثبت استحقاقه سبحانه للعبادة وحده .
وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ : أي
الذنب أعظم؟ قال: « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . الحديث .

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول الله تعالى: « إني والإنس والجن في نبأ
عظيم ، أخلق ويُعبد غيري ، وأرزق ويشكر غيري » .

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| جعلوا المحبة قط للرحمن | جعلوا محبتهم مع الرحمن ما |
| عادوا أحبته على الإيمان | لو كان حبهم لأجل الله ما |
| محبوبه ومواقع الرضوان | ولما أحبوا سخطه وتجنبوا |
| تحب على محبته بلا عريان | شرط المحبة أن توافق من |
| فك ما يجب فأنت ذو بهتان | فإذا ادعيت له المحبة مع خلا |
| حباً له ما ذاك في إمكان | أتحب أعداء الحبيب وتدعي |
| أين المحبة يا أبا الشيطان | وكذا تعادي جاهداً أحبابه |

الشرح: يعني أن هؤلاء المتخذين للأنداد أشركوا أندادهم مع الله في المحبة
فأحبوهم مع الله ، أي ساووهم بالله في المحبة ، فإن هذا مقتضى المعية ، ولكنهم لم
يجبوهم قط لله وفي الله ، إذ لو كان حبهم لأجل الله ما امتلأت قلوبهم بالعداوة
لأهل محبته المؤمنين به ، فإن من أحب أحداً أحب من يحبه ، فكراهيتهم لأحباب

الله دليل على بغضهم له ، وفي الحديث الصحيح: « صريح الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله » وفي الحديث الآخر: « من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان » وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: « اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقرب إليك » .

وكذلك لو كان حبهم أندادهم لأجل الله لما أحبوا مساخطه ومكروهاته وتجنّبوا مراضيه ومحبوّاته، فإن شرط المحبة أن يوافق المحب محبوبه فيما يجب ويبغضه، فيحب ما يجب ويبغض ما يبغضه، وأن لا يتوخى عصيانه ومخالفته، فإن هو أبغض ما يجب محبوبه أو أحب ما يبغضه وعصاه ولم يطعه، فهو كاذب في دعوى المحبة كما يقول الشاعر:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

فلا يمكن أن يستقيم ادعاء المحبة لأحد مع حبه لأعداء محبوبه وما يبغضه من الأشخاص والأفعال والأقوال، ومع بذله الجهد في عداوة أحبابه كذلك، فأين هو دليل المحبة إذاً؟ إن هو إلا تليس الشيطان ومحض الكذب والبهتان.

والخلاصة أنه لا يجوز لأحد أن يحب مع الله أحداً، فإن تلك هي الندية التي حكاها القرآن عن المشركين، ولكنه يجب في الله ولله، فيكون حبه لغير الله تابعاً لحبه له، كما في الحديث: « وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله » .

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: « ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » .

★ ★ ★

ليس العبادة غير توحيد المحب مع خضوع القلب والأركان
والحب نفس وفاقه فيما يجب بـ وبغض ما لا يرتضي بجنان
ووفاقه نفس اتعاك أمره والقصد وجه الله ذي الإحسان

هذا هو الإحسان شرط في قبو ل السعي فافهمه من القرآن
والاتباع بدون شرح رسوله عين المحال وأبطل البطلان
فإذا نبذت كتابه ورسوله وتبعت أمر النفس والشيطان
واتخذت أنداداً تحبهم كح سب الله كنت بجانب الإيمان

الشرح: يعني أن ركني العبادة التي لا قوام لها إلا بهما، هما كمال الحب لله،
بأن لا تشرك في محبته أحداً، بل تحب فيه وله كما قدمنا، وكمال الذل والخضوع
له بالقلب والأركان، أي الجوارح، فمن لم يجتمع له هذان الأمران لا يسمى
عابداً فالإنسان يجب زوجته وأولاده ولكنه لا يذل لهم، فلا يكون هذا الحب
بمجردة عبادة، وكذلك قد يذل لغيره مع بغضه وكراهته له، فلا يكون ذله
عبادة.

ومعنى حبك لله أن توافقه فيما يحبه ويرضاه، وتبغض بقلبك كل ما لا يحبه
ولا يرضاه، وهذه الموافقة هي نفس اتباعك لأمره، سواء كان أمر إيجاب أو
ندب فإنه ما أمر إلا بما يجب، وأن تكون مخلصاً له في الاتباع، بحيث لا تقصد
به إلا وجهه، فهذا هو الإحسان الذي جعله الله شرطاً لقبول العمل، كما دل
على ذلك القرآن، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]، فالمراد من
إسلام الوجه لله الانقياد لأمره وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ جملة حالية تفيد أنه لا بد
أن يكون هذا الانقياد مع الإحسان الذي هو إخلاص القصد لله بحيث لا يبتغى
إلا وجهه.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقوله: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢] ولا يتحقق الاتباع لأمر الله إلا بالتزام الشريعة التي جاء
بها رسوله ﷺ، فإنها هي المتضمنة لكل ما أمر الله عز وجل به، وكل ما

خالفها فليس مما أمر الله به، فمن أحل المحال وأبطل الباطل أن يدعي أحد أنه متبع لأمر الله وهو محاد لله ورسوله ومتبع غير سبيل المؤمنين، فمن نبذ كتاب الله وستة رسوله ﷺ وراءه ظهرياً، وجرى مع أهواء نفسه ووساوس شيطانه واتخذ له من دون الله أنداداً يحبهم كحب الله ويطيعهم في معصية الله، فإنه يكون مجانِباً للإيمان قد باء بالخيبة والخسران، نعوذ بالله من الخذلان.

★ ★ ★

| | |
|---|---|
| ولقد رأينا من فريق يدعي الا جعلوا له شركاء والوهم وسو والله ما ساووههم بالله بل والله ما غضبوا إذا انتهكت مح حتى إذا ما قيل في الوثن الذي فأجارك الرحمن من غضب ومن وأجارك الرحمن من ضرب وتع | سلام شركاً ظاهر التبيان وهم به في الحب لا السلطان زادوا لهم حباً بلا كتمان رم ربهم في السر والإعلان يدعونه ما فيه من نقصان حرب ومن شتم ومن عدوان زير ومن سب ومن تسجان |
|---|---|

الشرح: يقصد المؤلف بهذا الفريق طوائف القبوريين عباد الأضرحة، الذين يدعون الإسلام كذباً وزوراً، مع أن شركهم ظاهر مفضوح لا يستطيعون ستره ولا كتمانهم، وإن شئت دليلاً على ذلك فاذهب إلى أحد هذه الأضرحة لترى العجب، ترى أسراباً من الناس، رجالاً ونساء يطيفون به كما يطوف الحجاج بيت الله، وتراهم قد تعلقوا بالمقصورة يوسعونها تقبيلاً ولثماً وينتزعون من بين فراغها البركة انتزاعاً، وتتم شفاهم بكلمات الاستغاثة والدعاء ذلة وتضرعاً وكم جادت منهم الجيوب ببدر الأموال توضع في صناديق النذور، وكم سقت الذبائح وحلت الأطعمة وشدت الرحال، يتسابق في ذلك النساء والرجال، والشيخ والأطفال، ليشهدوا ما يقام عند هذه الأضرحة من مهرجانات وأحفال، وكم خرت أذقان على العتبات، وكم ضجت بالبكاء والدعاء أصوات، هذا يطلب النظرة والمدد، وهذا يستمنح النسل والولد، وهذا يطلب النصر على الخصم الألد،

وهذه عانس طال على تعنيسها الأمد، فجاءت للشيخ مفرج الكروب وحلال العقد. وكم وكم مما لا أستطيع حصره ومما يذيب القلوب أسي وحسرة على ما أصاب الإسلام ممن يدعي محبته ونصره، وهو لم يترك له منجنيقاً إلا كسره، فلا حول ولا قوة إلا بالله إليه المشتكى وهو المستعان وبه المستغاث وعليه التكلان.

فهؤلاء القبوريون قد جعلوا أصحاب هذه الأضرحة شركاء لله يوالونهم ويتقربون إليهم بأنواع القرابين من الذبائح والنذور ويسوونهم بالله عز وجل في المحبة بل هم لهم أشد حباً، وبهم أكثر تعلقاً، كما تدل على ذلك أحوالهم وتنبؤ عنه فعالهم، فإن أحدهم لا يغار ولا يغضب إذا انتهكت حرمت الله وعمل بمعصيته في السر والعلانية، ولكنه إذا سمع من أحد الموحدين أنه يتعرض لوثنه الذي يدعوه ويعكف عليه، وأنه يصفه بما هو فيه من عجز ونقص حتى ولو كان هذا الوصف مأخوذاً من القرآن، استشاط لذلك غضباً وأخذته حمية الجاهلية وهباً للانتقام والأخذ بالثأر، ولم يرع في هذا الموحد إلا ولا ذمة بل ولا حسن جوار، فلا تسل عما يناله من هذا المجرم الأثيم من أنواع الأذى، والكيد والعدوان اللئيم حيث تنهال عليه الأيدي باللكز والضرب، وتنال عليه الألسنة بالشتم والسب ولا سيما إذا كان هذا المجرم من أصحاب النفوذ والسلطان، فإنه يعنى في التنكيل ويسرف في العدوان ويلقى بذلك الموحد في غيابات السجون.

وبعد فما أشبه الليلة بالبارحة، فإن ما يحدثنا عنه هذه الإمام الجليل مما كان يقع به وبأمثاله من العذاب والتنكيل حين يقومون بالدعوة لتجريد التوحيد وإخلاص العبادة للملك الجليل لا يزال يقع مثله وأشد منه بالدعاة إلى الحق في هذا الزمان ولكن لا نقول إلا كما قال القرآن: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بِلُ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣]. فنسأل الله النجاة من كيد اللثام وفتنة الطغام.

★ ★ ★

والله لو عذبت كل صفاته ما قابلوك ببعض ذا العدوان

والله لو خالفت نص رسوله
وتبعت قول شيوخهم أو غيرهم
حتى إذا خالفت آراء الرجا
نادوا عليك ببدعة وضلالة
قالوا تنقصت الكبار وسائر ال
هذا ولم نسلبهم حقاً لهم
وإذا سلبت صفاته وعلوه
لم يغضبوا بل كان ذلك عندهم
والأمر والله العظيم يزيد فو
وإذا ذكرت الله توحيد رأي
بل ينظرون إليك شزراً مثل ما
وإذا ذكرت بمدحه شركاءهم
والله ما شمووا روائح دينه

نصاً صريحاً واضح التبيان
كنت المحقق صاحب العرفان
ل لسنة المبعوث بالقرآن
قالوا وفي تكفيره قولان
علماء بل جاهرت بالبهتان
ليكون ذا كذب وذا عدوان
وكلامه جهراً بلا كتمان
عين الصواب ومقتضى الإحسان
ق الوصف لا يخفى على العميان
ت وجوههم مكسوفة الألوان
نظر التيوس إلى عصا الجوبان
يتباشرون تباشر الفرحان
يا زكمة أعييت طيب زمان

الشرح: يعني أن هؤلاء القبوريين لا يعرفون من أمر دينهم إلا العكوف على
هذه الأوثان وأرجاء المديح لها والنقمة من يسبها ويشتمها ويكشف عن حالها في
عجزها وهوانها، ولكنك لو شتمت ربك عندهم وعطلته عن صفات كماله كلها
ما وجدت منهم من نكران ولما واجهوك ببعض ما ينزلونه بشاتم آلهتهم من أذى
وعدوان. وكذلك لو خالفت سنة رسوله ﷺ الصريحة الواضحة، وتبعت رأي
فلان وفلان من شيوخهم أو من غيرهم، فأنت عندهم صاحب التحقيق والعرفان
أما إذا خالفت آراء الرجال إلى سنة المبعوث بالقرآن شنوا عليك الغارة وأسرفوا
في الطعن والتشهير، فأحسن أحوالك عندهم أنك مبتدع ضال، ومنهم من يسارع
إلى الرمي بالتكفير، لأنك في نظرهم وقح جريء تنتقص من قدر الكبار وتعتمد
إلى مخالفتهم وتقول بغير قولهم، هذا مع أنك لم تسلبهم حقاً هو لهم إذ ليس لهم
على أحد حق الاتباع، حتى يرمى مخالفتهم بالكذب والعدوان والابتداع.

فهؤلاء الذين حوا لشيوخهم وصبوا جام غضبهم على من خالفهم في رأيهم،

وعدوا ذلك تنقيصاً من أقدارهم لو سلبت صفات الله كلها عندهم، ونفي علوه وكلامه جهاراً بلا كتمان لما غضبوا على من فعل ذلك، بل لأقروه عليه وصوبوا كلامه، ومهما قيل في وصفهم فالأمر يزيد على كل وصف، وهو أشهر من أن يخفى حتى على العميان.

وكذلك إذا ذكرت ربك توحيداً فرددت إليه الأمور كلها ونفيت عنه الظهر والمعين والوسيط والشفيع، وقلت أنه يفعل ما يريد لا مغير لإرادته، ولا مكره له على خلاف مشيئته اشمأزت منهم القلوب، وعلت وجوههم الكآبة، وكسفت منهم الألوان، ونظروا إليك بأعين ملؤها الحقد والغضب أما إذا ذكرت آلهتهم بالخير وأطريتها في المديح فرحوا بذلك واستبشروا وهنا بعضهم بعضاً. فهم كمن قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥، ٤٦] أز

فهل تحسب أن أمثال هؤلاء قد شموا لدين الله رائحة أو ذاقوا له طعماً، كلا بل قد زكمت منهم القلوب زكمة أعيت كل طيب وحر فيها كل مصلح أريب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فصل

في صف العسكريين وتقابل الصفيين

واستدارة رحي الحرب العوان وتساؤل الأقران

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| يا من يشب الحرب جهلاً ما لكم | بقتال حزب الله قط يدان |
| أنى تقوم جنودكم لجنودهم | وهم الهداة وناصرو الرحمن |
| وجنودكم ما بين كذاب ودج | ال ومحتال وذو بهتان |
| من كل أرعن يدعي المعقول وهـ | و مجانب للعقل والإيمان |

أو كل مبتدع وجهمي غدا في قلبه حرج من القرآن
أو كل من قد دان دين شيوخ أهـ ل الاعتزال البين البطلان
أو قائل بالاتحاد وأنه عين الإله وما هنا شيئان
أو من غدا في دينه متحيراً أتباع كل ملدد حيران

الشرح: يخاطب المؤلف فريق المعطلة النفاة الذين يسعون في إشعال نار الخصومة بينهم وبين فريق أهل الإثبات جهلاً منهم بقوة خصمهم واغتراراً بما لديهم من شبهات زائفة يسمونها حججاً عقلية، وما هي إلا جهليات، فيقول لهم لا طاقة لكم بقتال حزب الله من أهل الاثبات، وكيف تستطيع جنودكم منازل جنودهم وهم ليسوا أقرانهم؟ فإنهم أعلام الهدى وعسكر الإيمان وجنود الرحمن الذابتون عن دينه بالسيف واللسان، وأما جنودكم فما بين كذاب معروف بالكذب والاختلاق، ودجال مموه يغطي وجه الحق بما يظهر من منطق طلي وأسلوب براق، ومحتال ماكر قد مرد على الخداع والنفاق، وباهت مكابر يجحد الحق وهو أجلى من الشمس تملأ الآفاق من كل أحق جاهل يزعم التمرس بالعقليات وهو لا علم به بمعقول ولا منقول ومن كل ذي بدعة جهمي يضيق صدره حرجاً كلما وردت عليه نصوص الإثبات من القرآن، ومن كل معزلي مارق يدين بمذهب الاعتزال الواضح البطلان أو اتحادى خبيث يزعم أن هذا العالم هو ربه، وأنه ليس ثم موجودان أو متردد في دينه لا يدري أين يتجه، قد استهوته الشياطين في الأرض حيران، فهؤلاء هم جنودكم يا أنصار الشيطان فأنى لهم بمناجزة أنصار الرحمن؟.

★ ★ ★

وجنودهم جبريل مع ميكال مع باقي الملائك ناصري القرآن
وجميع رسل الله من نوح إلى خير الورى المبعوث من عدنان
فالقلب خستهم أولو العزم الأولى في سورة الشورى أتوا ببيان
في أول الأحزاب أيضاً ذكرهم هم خير خلق الله من إنسان

ولوأوهم بيد الرسول محمد
 وجميع أصحاب الرسول عصابة الا
 والتابعون لهم بإحسان على
 أهل الحديث جميعهم وأئمة ال
 العارفون برهم ونبههم
 صوفية سنية نبوية
 والكل تحت لواء ذي الفرقان
 سلام أهل العلم والإيمان
 طبقاتهم في سائر الأزمان
 فتوى وأهل حقائق العرفان
 ومراتب الأعمال في الرجحان
 ليسوا أولي شطح ولا هذيان

الشرح: وأما أهل الإثبات فجنودهم جبريل أمين الوحي وميكال خازن
 الرزق، ومعها باقي الملائكة أنصار الحق، وإنما خص جبريل وميكال أولاً
 بالذكر لأنها الأميران المطاعان، ومن عداها من الملائكة تبع لها، ولهذا خصا في
 القرآن بالذكر بعد دخولها في عموم الملائكة في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
 وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

وجنودهم كذلك جميع الرسل من البشر من أولهم نوح إلى آخرهم محمد
 صلوات الله عليهم أجمعين، وأولو العزم منهم وهم الخمسة الذين ذكرهم الله في
 موضعين من كتابه، أولها في سورة الشورى في قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ
 الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
 وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [١٣].

والثاني في سورة الأحزاب وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
 وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا
 غَلِيظًا﴾ [٧]. فهؤلاء الخمسة الكبار هم القلب في ذلك الجيش وغيرهم في
 الميمنة والميسرة، ولوأوهم بيد سيدهم ومقدمهم محمد ﷺ وكلهم تبع له وتحت
 لوائه.

ومن جنودهم كذلك جميع الصحابة الذين أكرمهم الله سبحانه بصحبة نبيه
 والجهاد معه وتلقى الدين عنه غضاً طرياً، والذين هم عصابة الإسلام وأكمل
 الناس بعد النبيين في العلم، ثم من بعدهم التابعون لهم بإحسان على اختلاف

مراتبهم وطبقاتهم في سائر الأزمان، الذين هم حفاظ الحديث وأرباب الفتوى وأهل المعرفة الحقة بالله وبرسوله، والعلم بمراتب الأعمال وتفاوتها في الخفة والرجحان، فيقدمون أهمها وأثقلها في الميزان، وهم جميعاً سنية ينتسبون إلى سنة نبيهم ﷺ، ليس فيهم مبتدع ولا ذو هوى ولا قائل برأيه بل كلهم على ما كان عليه الرسول ﷺ هو وأصحابه.

وهم كذلك نبوية مستضيئون بنور النبوة ومقتبسون من مشكاتها، ليسوا من أولئك الصوفية الرعن المخاييل الذين ينطقون بالهراء والهديان، ويزعمون أنهم هم أولو العرفان، وما عرفوا إلا سبيل الشيطان، نعوذ بالله من الخذلان.

وأما قول المؤلف في أول البيت الأخير صوفية، فنحن لا نوافق على إطلاق هذا اللقب على أهل الحق والجماعة، فإنه لفظ مبتدع ويحمل من المعاني الخبيثة ما نزهه القوم عنه، بل نسيمهم بما ساهم الله به المسلمين المؤمنين عباد الله.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| من غير ما كذب ولا كتمان | هذا كلامهم لدينا حاضر |
| هم أملياء هم أولو امكان | فاقبل حوالة من أحال عليهم |
| ت العسكر المنصور بالقرآن | فاذا بعثنا غارة من أخرياً |
| حتى صرتم كالبعير في القيعان | طحنتكم طحن الرحي للحب حـ |
| أو تنكلوشا أو أخو اليونان | أنى يقاوم ذي العساكر طمطم |
| ذاك الكفور معلم الألحان | أعني أرسطو عابد الأوثان أو |
| باني لصوت بثست العلمان | ذاك المعلم أولاً للحروف والثـ |
| وضعوا أساس الكفر والهديان | هذا أساس الفسق والحرف الذي |
| إلحاد ذاك خليفة الشيطان | أو ذلك المخدوع حامل راية الـ |
| أديان أهل الأرض ذا الكفران | أعني ابن سينا ذلك المحلول من |
| أعداء رسل الله والإيمان | وكذا نصير الشرك في اتباعه |

الشرح: يعني أن كلام هؤلاء السادة الأخيار في إثبات صفات الله عز وجل

موجود عندنا بالنقل الصحيح عنهم لم يفتروا فيه على الله الكذب ولم يكتنوا منه شيئاً، فإذا أحلت على أحد منهم فأقبل تلك الحوالة ولا ترفضها فإنها حوالة على غني مليء، وقد قال صلى الله عليه: «إذا أحيل أحدكم على مليء فليتبع».

وقد حشد المؤلف رحمه الله جملة كبيرة من كلام هؤلاء الأئمة الكبار في كتابه الذي أسماه: (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) وقد سبقه إلى ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (فتواه الحموية) كما فعل مثل ذلك أيضاً الحافظ الذهبي في كتابه: (العلو للعلي الغفار) فمن أراد أن يعرف منهج القوم في عقيدتهم، ويقف على ما خلفوه في هذا الباب من آثار وأقوال فليرجع إلى هذه الكتب وأمثالها.

ثم يقول المؤلف: إننا لو بعثنا بغارة على أهل التعطيل لا من قلب هذا الجيش المنصور ومقدمته، بل من ساقته ومؤخرته لمزقتهم شر ممزق ولضرتهم بأنبيائها حتى تذرهم كعصف مأكول، أو كعبر بعثرته الإبل في القيعان، جمع قيعه، وهي الأرض المستوية السبخة التي يترأى فيها السراب وكيف يستطيع ان يقاوم هذا العسكر المتسلح بأسلحة النصوص من السنة والقرآن، والمترس بتروس العلم والإيمان. هؤلاء الأوباش من التتار أتباع هولوكو وجانكيز خان، ممن يسمى بطمطم أو تنكلوشا ونحو ذلك من أسماء أهل الجهل والعدوان، أم كيف يستطيع مقاومتهم أخو اليونان الذي هو أرسطو عابد الأوثان الملقب عندهم بالمعلم الأول وما فلسفته الإلهية كلها إلا كذب وبهتان، فأين صورته المحضة أو محرکه الأول الذي لا نعت له ولا صفة من الله الرحيم الرحمن.

أو هذا المعلم الثاني الذي هو الفارابي معلم الأحن، والذي تغذى بلبان الصابئة في بلده حران، فجاءت فلسفته تنضح بما في عقائد الصابئة من عبادة للنجوم والأوثان، حيث وضع عقوله العشرة ونسب إليها كل ما لا ينسب إلا للحق القيوم، لا سيما عقله العاشر الذي سماه بالعقل الفعال أو عقل القمر، وهو أقرب العقول إلى عالم العناصر، فقد جعل له التصرف في هذا العالم بالكون

والفساد، فهو عنده مفيض الحياة على الأحياء، وواهب الصور للأنواع، وأساس المعارف والعلوم.

فالعلم الأول أرسطو هو معلم الحرف، أي المنطق، والمعلم الثاني الفارابي هو معلم الموسيقى والصوت، ويئس العلم هذان العلمان، فإن هذا الثاني هو أساس الفسق والفجور، وأما الأول فهو أساس الضلال والزندقة.

ويجيء بعد هذين المعلمين ذلك القرمطي الخبيث حامل راية الإلحاد الملقب عندهم بالشيخ الرئيس، ذلك هو ابن سينا المارق الضليل الذي تحلل من جميع الأديان واتخذ ديناً له مذاهب فلاسفة اليونان، وأخذ يصانع أهل الإسلام بمحاولة التوفيق بينها وبين عقائد الإيمان، فأتى في هذا الباب بأنواع من الكفر والهديان.

ومن العجيب أن تروج حماقات هذا الرجل وتمتلىء بها كتب أهل الإسلام وتدرس في معاهدهم وجامعاتهم على أنها إنتاج عقلي رفيع وتشغل بتحليلها وتحقيقها عقول الأساتذة والطلبة، كأنها وحي وتنزيل، بل ربما قدموها على قول الله ورسوله لزعمهم أنها حجج وبراهين قائمة على أصول منطقية وبدهيات عقلية، وهي لا تخرج عن كونها جهالات قامت على خيال فاسد وظنون كاذبة.

ثم يجيء بعد ابن سينا ذلك الخواجة حامل لواء فلسفته ونصير إفكه وزندقته المسمى بنصير الدين الطوسي، وما نصر إلا أعداء الدين، ويمكن لهم من رقاب المؤمنين، وكان حرباً على كل من ينتسب إلى السنة والقرآن، ويتبع سبيل أهل الإيمان، فتباً له من مارد شيطان.

★ ★ ★

نصروا الضلالة من سفاهة رأيهم
فجرى على الإسلام منهم محنة
أو جعداً وجهم وأتباع له
وغزوا جيوش الدين والقرآن
لم تجر قط بسالف الأزمان
هم أمة التعطيل والبهتان

أو حفص أو بشراً والنظام ذا
والجعفران كذاك شيطان ويد
وكذلك الشحام والعلاف والت
والله ما في القوم شخص رافع
وخيار عسكري فذاك الأشعر
لكنكم والله ما أنتم على
هو قال أن الله فوق العرش، واستولى مقالة كل ذي بهتان
في كتبه طراً وقرر قول ذي ال
لكنكم أكفـرتموه وقلتم
فخيار عسكري فأنتم منهم

ك مقدم الفساق والمجان
عى الطاق لا حييت من شيطان
جار أهل الجهل بالقرآن
بالوحي رأساً بل برأي فلان
ي القرم ذاك مقدم الفرسان
إثباته والحق ذو برهان
إثبات تقريراً عظيم الشأن
من قال هذا فهو ذو كفران
برآء إذ قربوا من الإيمان

الشرح: يعني أن هؤلاء التتار الذين استقدمهم الوزير الرافضي المسمى بابن
العلقمي، والذين استعدهم نصير الدين الطوسي على أهل الحق كانوا أنصاراً
للمذاهب الضالة، وذلك لخفة حلومهم وغلبة الجهل عليهم، وكانوا حرباً على
جيوش الإيمان من أهل الدين والقرآن، فجرى على الإسلام وأهله على أيدي
هؤلاء التتار من الفظائع والأهوال ما لم يسمع بمثله فيما مضى من الاعصار.

ثم أخذ الشيخ بعدد بقية جند الباطل بعدما ذكر من رءوسهم فيما تقدم هؤلاء
الأربعة (أرسطو والفارابي وابن سينا والطوسي) فذكر الجعد بن درهم والجهم
ابن صفوان، وهما رأسان كبيران من رءوس الضلال، وقد تقدم الكلام عليهما،
وكان الجعد أول من أسس مقالة التعطيل، ثم تبعه عليها الجهم، وزاد على ما قاله
وأوغل في النفي حتى نسب المذهب إليه.

ثم ذكر من رءوس أهل الاعتزال الذين شايعوا الجهم في التعطيل. حفصاً^(١)

(١) من متكلمي المعتزلة، تعلم على أبو هذيل، لقبه الشافعي رحمه الله بهذا اللقب تهكماً، وكان يقول
بخلق الله لأفعال العباد على طريقة الجبرية، وله مؤلفات ضد المعتزلة والمسيحيين.

النزد. ويشر (١) بن المعتز و ابراهيم بن سيار (٢) الملقب بالنظام، ووصفه بأنه مقدم القدم في الفسق والمجون، ثم الجعفرين، أعني جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وكانا على مذهب النظام. ثم شيطان الطاق (٣)، ثم أبا يعقوب الشحام صاحب أبي الهذيل وكان يقول بقوله في الصفات وأنها عين الذات ثم أبا الهذيل العلاف الذي كان يقول بتناهي حركات أهل الجنة وأهل النار، ثم الحسين النجار من متأخري المعتزلة وكان مذهبه يميل إلى الاعتدال.

فهؤلاء جميعاً ليس فيهم من يقف عند حدود الوحي المنزل أو يلتزم الأخذ بالنصوص الصريحة بل يتدعون بأهوائهم ما لا أصل له في كتاب ولا سنة كما هو معروف من مذاهبهم التي نقلها عنهم من ألف في الفرق والمقالات وخير هؤلاء هو أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري إمام الطائفة الأشعرية، فإنه أقربهم إلى الكتاب والسنة وإن كان خالف مذهب السلف في أشياء، كالقول بالكلام النفسي ونفي الحرف والصوت، ونفي الحكمة على أفعاله تعالى، ونفي قيام الأفعال الاختيارية بذاته، ولكنه رغم ذلك يثبت الصفات الخبرية من الاستواء والوجه واليدين والعينين ونحوها. وقد صرح في جميع كتبه بأن الله مستو على عرشه بمعنى العلو والوقية، وأنكر تأويل الاستواء بالاستيلاء.

ومن العجيب أن المتأخرين من أتباعه يكفرون من قال أن الله فوق عرشه بذاته لأنه يثبت الجهة والحيز وهو عندهم تجسيم فيلزمهم على ذلك تكفير إمامهم لأنه ممن يثبت الجهة، وهكذا يتبرأ أهل التعطيل من خيار عسكرهم إذا قالوا قولاً يوافقون فيه أهل الحق ويقربون به من الإيمان.

★ ★ ★

(١) أحد علماء المعتزلة، وكان في زمن الرشيد، وكان يقول بالتولد. وهناك بشر آخر - يقال بشر ابن غياث المرسي، وهو الذي ناظره الإمام عبدالعزيز بن يحيى الكناني في مسألة خلق القرآن وפלج عليه بين يدي المأمون، كما ذكر ذلك في كتابه الحيدة.

(٢) هو صاحب القول بالطفرة وله آراء غريبة في علم الكلام وهو تلميذ لأبي الهذيل.

(٣) هو محمد بن النعمان وشيطان الطاق لقبه وأصحابه يقال لهم الشيطانية وهو من غلاة الشيعة وقد صنف لهم كتباً كثيرة منها كتاب (الإمامة).

هذه العساكر قد تلاقت جهرة
صفوا الجيوش وعبئوها وبرزوا
فهم إلى لقيامكم بالشوق كي
ولهم اليكم شوق ذي قرم فما
تباً لكم لو تعقلون لكنتم
من أين أنتم والحديث وأهله
ما عندهم إلا الدعوى والشكا
هذا الذي والله نلنا منكم
ودنا القتال وصيح بالأقران
للحرب واقربوا من الفرسان
يوفوا بنذرهم من القربان
يشفيه غير موائد اللحان
خلف الخدور كأضعف النسوان
والوحي والمعقول بالبرهان
وى أو شهادات على البهتان
في الحرب إذ يتقابل الصفان

الشرح: يقول الشيخ لهؤلاء الناكبين عن صراط الله المستقيم ممن قالوا في دين
الله برأيهم، وافتروا الكذب على ربهم وأوسعوا النصوص تحريفاً وتأويلاً وساموها
إنكاراً وتعطياً، أن جيوش أهل الحق قد تجمعت للنضال وتهبأت للقتال،
وصاحت في وجوهكم تطلب المبارزة، فصفوا جيوشكم وعبئوها للقتال والمناجزة
وبرزوا من مكانكم واقربوا من فرسان أهل الحق، فإنهم أشوق شيء إلى
لقائكم لكي يوفوا بما نذروا لله من ضحايا وقرايين، بل أن شوقهم اليكم أشد
من شوق ذي النعمة المحروم الذي لا يشفيه من نهمه إلا أكوام اللحوم.

ولكن تباً لكم فلستم أهلاً للبراز والمقاتلة ولو تعرفتم قدر أنفسكم ومبلغ
ضعفكم وفساد أسلحتكم لتواريتم خلف الخدور كما يتوارى النساء الضعيفات
اللاقي لا قدرة لهن على حرب ولا قتال.

وإلا فأين أنتم من الحديث وأهله، ومن الوحي وجهابذته، ومن البراهين
العقلية الصحيحة، إذ ليس عندهم من بضاعة تزجونها إلا دعوى عريضة
وشكايات مغرضة وإلا شهادات كلها زور وبهتان، وهذا هو الذي جعلنا ننال
منكم ومنتصر عليكم عندما يلتقي الجيشان ويتقابل الصفان.

★ ★ ★

قال الرسول ونحن في الميدان
غمّة وقعقة بكل لسان
أنتم بجاصلكم أولو عرفان
تحموا مآكلكم بكل سنان
سنن الرسول ومقتضى القرآن
قامت على العدوان والطغيان
قال الرسول كفعل ذي الإيمان
لال كشاويش لذي سلطان
وأردتم التعظيم بالبهتان

والله ما جئتم بقال الله أو
إلا بجمعجة وفرقعة وغم
ويحق ذاك لكم وأنتم أهله
وبحقكم تحموا مناصبكم وأن
وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن
قبح الإله مناصباً ومآكلأ
والله لو جئتم بقال الله أو
كنا لكم شاويش تعظيم وإج
لكن هجرتم ذا وجئتم بدعة

الشرح: وإذا كنا نحن وأنتم في مجال الخصومة والمناظرة واستعر بيننا أوار
الجدل فإنكم لا تعولون في الاحتجاج لآرائكم على شيء من النصوص فلا
تقولون أبداً قال الله عز وجل، كذا ولا قال رسوله ﷺ كذا، بل تحاولون
الغلب بالتهويش وشقشقة اللسان وتعمدون إلى الألفاظ الطنّانة والاصطلاحات
الغريبة تجعجون بها مع فرقعة بالأصابع، وغمغمة بكلام غير مفهوم، وقعقة
كالطبل الأجوف، وهذا هو محصولكم من العلم وأنتم أهله وأدرى الناس به
ومقصودكم من كل هذا أن تحموا مناصبكم التي أسندت اليكم في التدريس
والقضاء والفتيا بهذه البضاعة الكاسدة التي راجت عند الجهلة من الأمراء والحكام،
وأن تحموا كذلك ما يجري عليكم من رواتب وجرايات. وأما نحن فأحقاء بحماية
الهدى من عبث الضلال والدفاع عن السنة المطهرة ممن يتنقصها أو يتهجم عليها،
والذب عما تقتضيه آيات الكتاب العزيز من معان تريدون الإلحاد فيها والزيغ
عنها، فلا بارك الله لكم في مناصب ومآكل لم تقم على عدل وحق وإنصاف
ولكنها قامت على ظلم وعدوان وإجحاف، ووالله لو التزمت النصفة ووقفتم عند
نصوص الكتاب والسنة كما هو شأن أهل العلم والإيمان لوجدتمونا لكم نعم الجند
والأعوان، ولفعلنا بكم من التوقير والإجلال ما يفعله الشاويش عند السلطان،
لكنكم هجرتم الوحيين من السنة والقرآن. وأتيتم بدع ومفتريات ما أنزل الله بها

من سلطان ومع ذلك تريدون من الناس ان يعظموكم بالزور والبهتان.

★ ★ ★

فصل

العلم قال الله قال رسوله
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
كلا ولا جحد الصفات لربنا
كلا ولا نفي العلو لفاطر الأ
كلا ولا عزل النصوص وأنها
إذ لا تفيدكم يقيناً لا ولا
والعلم عندهم ينال بغيرها
سميتوه قواطعاً عقلية
كلا ولا إحصاء آراء الرجا
كلا ولا التأويل والتبدي
كلا ولا الأشكال والتشكيك والد
هذي علمكم التي من أجلها

قال الصحابة هم أولو العرفان
بين الرسول وبين رأي فلان
في قالب التنزيه والسبحان
كوان فوق جميع ذي الأكوان
ليست تفيد حقائق الايمان
علماً فقد عزلت عن الإيقان
بزبالة الأفكار والأذهان
تنفي الظواهر حاملات معان
ل وضبطها بالحصر والحسبان
ل والتحريف للوحين بالبهتان
وقف الذي ما فيه من عرفان
عاديتمونا يا أولي العرفان

★ ★ ★

الشرح: يفرق لنا المؤلف في هذه الآيات بين العلم الصحيح النافع الذي هو الحق المطابق للواقع. وبين العلم المموه الزائف الذي هو في حقيقته جهل مركب وسم نافع. فيقول أن العلم الحقيقي بأن يسمى علماً لا يعدو واحدة من ثلاث، فأما أن يكون آية من كتاب الله عز وجل، أو حديثاً صح عن رسوله ﷺ، أو أثراً عن واحد من الصحابة الذين هم أكمل هذه الأمة علماً وإيماناً وكل ما خالف ذلك فهو جهل وضلال فليس العلم أن تتحامق فتعارض بآراء الرجال قول رسول الله ﷺ، فتكون بذلك مخالفاً عن أمره ومعرضاً عن قبول حكمه فتكون

مَنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ . [النور : ٤٨] .

وليس العلم أن تعمد إلى صفات الرب الثابتة بالنصوص الصريحة الواضحة فتنفيها وتجحد ثبوتها بحجة أنك تقدس الله وتنزهه عن الاتصاف بصفات الأجسام والمحدثات . وليس العلم أن تعمد إلى صفة العلو الثابتة لله بالنقل والعقل والقطرة فتنفيها بحجة التنزيه لله عن الأحياز والجهات .

وليس العلم ان تعزل نصوص الوحيين عن إفادة الحق في باب الاعتقاد بحجة أنها ظواهر لفظية محتملة ، وأن ما تطرق اليه الاحتمال يسقط به الاستدلال . ولهذا حكمت عليها بأنها لا تفيد علماً ولا يقيناً ، بل إنما يستفاد هذا عندكم من البراهين التي هي أوساخ العقول والأفكار ، والتي تسمونها قواطع عقلية تنفون بها ظواهر الآيات والأخبار .

وليس العلم كذلك أن تشتغل بسرد آراء الرجال وعدها ومحاولة ضبطها وحصرها ، فيكون حظك من العلم أن تقول : قال فلان كذا ، ورأى فلان كذا ، دون أن تناقش هذه الآراء وتبين صحتها من زائفها .

وليس العلم أيضاً تأويل النصوص بما ينفي معانيها الظاهرة منها ولا تبديل ألفاظها بغيرها ، ولا تحريف كلماتها عن مواضعها بالكذب والبهتان .

وليس العلم إشكالات توردها ولا تشكيكات تعد ، ولا توقّف في المسائل يدل على الحيرة والتردد .

فهذه هي كل ما لديكم من أبواب العلم ، وليس فيها شيء من العلم ، وكانت هي السبب في أن ناصبناكم العداوة والبغضاء .

★ ★ ★

فصل

في عقد الهدنة والأمان الواقع بين المعطلة

وأهل الإلحاد حزب جنكيز خان

يا قوم صالحتم نفاة الذات والأ
وأغرتم وهنا عليهم غارة
ما كان فيها من قتيل منهم
ولطفتم في القول أو صانعتم
وجلستم معهم مجالسكم مع ال
وضرعتم للقوم كل ضراعة
فغزوتهم بسلاحهم لعساكر ال
ولأجل ذا صانعتموهم عند حر
ولأجل ذا كنتم مخانيثا لهم
حذرا من استرجاعهم لسلاحهم

وصاف صلحا موجبا لأمان
قعقعتم فيها لهم بشنان
كلا ولا فيها أسير عان
وآتيتم في بختكم بدهان
أستاذ بالآداب والميزان
حتى أعاروكم سلاح الجاني
ثبات والآثار والقرآن
بكم لهم باللطف والاذعان
لم تفتح منكم لهم عينان
فترون بعد السلب كالنسون

الشرح: ينعي المؤلف على هؤلاء المعطلة مما لأتهم لأعداء الله من التتار الذين لا يقرون بوجود الله عز وجل، وينفون الذات والصفات جميعاً، وذلك حين غلبوا على الدولة الإسلامية واستولوا على بغداد قسبة الخلافة سنة ٦٥٦ هـ. وقتلوا الخليفة المستعصم، وأعملوا السيف في أهل الإسلام، حتى كانت القتلى في طرقات بغداد كأنها التلول، واختلطت مياه دجلة بدماء القتلى، وارتكبوا من ألوان القسوة والوحشية ما لا نظير له في التاريخ، فرأى هؤلاء الملاحدة من المتكلمين والمتفلسفة أن يصانعو القوم ليأمنوا شرهم ويكسبوا نصرتهم لهم على أهل الحق فأغاروا عليهم وهنا، أي في أول الليل غارة لم يستعملوا فيها السيف والسنان، ولكن شقشقة باللسان وقعقة بالشنان، أي الطبل، ولهذا لم تسفر هذه المعركة عن قتيل من هؤلاء ولا أسير.

ثم أخذوا يتلطفون لهم في القول ويلاينونهم في الكلام، ويلجأون في بختهم معهم إلى الدهاء والمخادعة، وجلسوا بين أيديهم في غاية الأدب والاحتشام، كما

يجلس التلميذ بين يدي أستاذه، فحركاتهم بميزان، وكلماتهم بميزان، وأبدوا لهم غاية الضراعة والذلة، حتى ملكوا قلوبهم وضمنوا ولاءهم، فأعاروهم أسلحة الظلم والعدوان، فلما اطمأنوا إلى مودة القوم ونصرتهم غزوا بسلاحهم عساكر الإثبات والإيمان وأهل الآثار والقرآن. ومن أجل هذا كانوا يصانعونهم عند حربهم لهم باللطف والاذعان، وكانوا ذيولاً لهم ينقادون لأمرهم ويغضون أعينهم عن كل ما يرتكبه القوم من عدوان خوفاً من غضبهم عليهم، فيسترجعون ما كانوا قد أعاروهم من أسلحة، فيرون بعد سلبها عنهم كالنسوان لا قدرة لهم على حرب ولا طعان.

★ ★ ★

| | |
|---|---|
| <p>كفير والتضليل والعدوان تم عليه بعسكر الشيطان مضمونها إلا على الثيران فتتان في الرحمن يختصمان نفيماً صريحاً ليس بالكتمان صاف الكمال المطلق الرباني يه التشبيه للرحمن بالإنسان بالحد دون معطل الرحمن أفكان ذلك كامل الإيمان هذا الجسم يا أولي النيران يوم الحساب محرف القرآن</p> | <p>ومجثم مع صاحب الإثبات بالت وقلبتم ظهر المجن له وأجلب والله هذى ريبة لا يختفي هذا وبينها أشد تفاوت هذا نفى ذات الإله ووصفه لكن إذا وصف الإله بكل أو ونفى النقائص والعيوب كنف فلأي شيء كان حربكم له قلنا نعم هذا الجسم كافر لا تنظفي نيران غيظكم على فالله يوقدها ويصلي حرها</p> |
|---|---|

الشرح: وفي الوقت الذي تصانعون فيه هؤلاء الكفار وتذلون لهم، نراكم تشددون النكير على أهل الحق المبتين للصفات، فترمونهم بالتضليل والتكفير، وتجاهرونهم بالعداوة، وتجلبون عليهم بما لديكم من خشود الباطل، مما جعلنا نرتاب في أمركم، ونتهمكم بأنكم على دين هؤلاء الذين واليتموهم، وهي

ريبة لا تحفى على من له أقل درجة من التمييز، فإن بيننا وبين من صانعتوهم من التفاوت كما بين الليل والنهار، أو بين العمى والإبصار، فنحن فئتان اختصمتا في الله عز وجل، ووقفت كل منهما على النقيض من الأخرى، فهم ينفون ذات الاله ووصفه نفياً صريحاً لا موارد فيه ولا كتمان، وأما نحن فنصف الله سبحانه بكل أوصاف الكمال المطلق التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، وننفي عنه كل ما لا يليق بجناحه من النقائص والعيوب، كوجود مثل له أو شبيهه، أو شريك أو معين، أو صاحبة أو ولد، أو نحو ذلك، فلاي شيء كنا نحن موضع حربكم وعداوتكم، وكانوا هم المؤمنون الكاملو الإيما، وما لكم لا تهذاً مراحل حقدكم ولا تخمد نار غيظكم على هؤلاء الذين سميتوهم مجسمة؟ ليس ذلك إلا لكرهتكم لما هم عليه من اتباع السنة والقرآن، وإذا فالله نسال أن يوقد النار ويذكي لهيها، ثم يصليكم إياها يوم الحساب جزاء وفاقاً لتحريفكم القرآن وأتباعكم غير سبيل أهل الإيما.

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| يا قومنا لقد ارتكبتم خطة | لم يرتكبها قط ذو عرفان |
| وأعنتم وأعداءكم بوفاقكم | لهم على شيء من البطلان |
| أخذوا نواصيكم بها ولحائم | فغدت تجر بذلة وهوان |
| قلم بقولهم ورمتم كسرهم | أنى وقد غلقوا لكم برهان |
| وكسرتم الباب الذي من خلفه | أعداء رسل الله والإيما |
| فأتى عدو ما لكم بقتالهم | وبجرهم أبرد الزمان يدان |
| فغدوتم أسرى لهم بجبالهم | أيديكم شدت إلى الأذقان |
| حلوا عليكم كالسباع استقبلت | حرا معقرة ذوي إرسال |
| صالوا عليكم بالذي صلتم به | أنتم علينا صولة الفرسان |
| لولا تحيزكم الينا كنتم | وسط العرين ممزقى اللحان |
| لكن بنا استنصرتم وبقولنا | صلتم عليهم صولة الشجعان |
| وآليتم الإثبات إذ صلتم به | وعزلتم التعطيل عزل مهان |

وأتيتم تغزوننا بسريّة من عسكر التعطيل والكفران
من ذا بحق الله أجهل منكم وأحقنا بالجهل والعدوان
تالله ما يدري الفتى بمصابه والقلب تحت الختم والخذلان

★ ★ ★

المفردات: الوفاق الموافقة، النواصي: جمع ناصية وهي مقدم الرأس. اللحا: جمع لحية وهي معروفة. رمت: قصدت. غلقوا لكم برهان: أي ملكوكم، يقال غلق الرهن في يد المرتهن صار ملكه، وذلك إذا عجز الراهن عن افتكاكه في الوقت المشروط، يدان: بمعنى قوة وحر معقرة، أي جرحت ظهورها فلم تعد تقوى على الحمل.

صالوا: من الصولان، بمعنى الاقدام والهجوم. تحيزكم: انضممكم. واليتم ناصرتم. الختم: الطبع.

الشرح: يتوجه المؤلف بهذا الخطاب إلى من كانوا في زمانه من علماء الأشعرية المتأخرين الذين رضوا لأنفسهم بالتذبذب بين الفريقين، فلا هم على السنة المحضة والإثبات الكامل، ولا هم على النفي الشامل فيقول لهم انكم قد سلكتم في دينكم خطة تدل على منتهى الحمق والغفلة ولا يرتضيها عاقل لنفسه، حيث أعنتم أعداءكم من الفلاسفة والمعتزلة بموافقتكم لهم في بعض باطلهم، كنفى الصفات الخيرية وتأويل ما ورد فيها من الآيات والأحاديث بما ينفي معناها عن الله عز وجل، وكاعتدادكم بالأدلة العقلية وعزلكم نصوص الوحيين عن إفادة اليقين، وقولكم معهم إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم العقل، فلما رأوا ذلك منكم شددوا قبضتهم عليكم وأخذوا بلحاكم ورؤوسكم يجرونكم إليهم جر ذلة وهوان فكيف تطمعون أن تكسروهم وتفلجوا عليهم وقد أعطيتموهم من أنفسكم ما تمكنوا به من رقابكم، وفتحتم لهم الباب الذي كان موصداً في وجوههم، فدخلوا حصونكم ومعقلكم فتبروا ما علوا تتبيراً حتى إذا جاء عدو آخر لا قبل لكم بحربه، ولا قدرة لكم على مناجزته، وقعت أسرى في أيديهم

حيث شددنا وثاقكم، وغلوا أيديكم إلى أعناقكم، وحلوا عليكم حملة الآساد الكاسرة على قطع من الحمر المعقرة، فصالوا عليكم بنفس السلاح الذي صلت به علينا صولة الفرسان المغاوير، فلولا انضمامكم إلينا وعودتكم إلى حظيرتنا وتمسككم بأهداب الوحي لغدوتم في العرين، وهو بيت الأسد ممزقي الأشلاء، فلم تجدوا لكم في هذه المعركة إلا أن تستنصروا بنا وتقولوا بقولنا في الإثبات حتى تتمكنوا من رد غارتهم عليكم فأنتم توالون الإثبات وتعزلون التعطيل عزل مهان ذليل حين يكون الإثبات هو سلاحكم الذي به تصولون، ولكنكم في نفس الوقت له تتنكرون حين تكون الحرب بيننا وبينكم حيث تغزوننا بجيوش التعطيل والإنكار، فمن بالله أجهل منكم حين تتسلحون بالشيء وضده، وتوالون الإثبات مرة وتعادونه مرة، ومن أحق منا ومنكم أن ينتسب إلى الجهل والعدوان. ولكن الله سبحانه هو مقلب القلوب، فهي بين أصبعين من أصابعه أن يشأ يختم عليها ويخذلها فلا يدري أصحابها بمصائبهم وإن كان هو أعظم مصاب.

فصل

في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمرء الإثبات الموحدين

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| من أمة التعطيل والكفران | وإذا أردت ترى مصارع من خلا |
| أيديهم غلت إلى الاذقان | وتراهم أسرى حقير شأنهم |
| ما فيهم من فارس طعان | وتراهم تحت الرماح دريئة |
| من عن شمائلهم وعن إيمان | وتراهم تحت السيوف تنوشهم |
| قل الصحيح ومقتضى القرآن | وتراهم انسلخوا من الوحين والع |
| ولطالما سخروا من الإيمان | وتراهم والله ضحكة ساخر |
| ما الجبار ايجاشا مدى الأزمان | قد أوحشت منهم ربوع زاده |
| ما فيهم رجلا ن مجتمعان | وخلت ديارهم وشتت شملهم |

قد عطّل الرحمن أفئدة لهم من كل معرفة ومن إيمان
إذ عطّلوا الرحمن من أوصافه والعرش أخلّوه من الرحمن
بل عطّلوه عن الكلام وعن صفا ت كماله بالجهل والبهتان

المفردات: المصارع: المهالك - غلت: شدت - دريئة: ما يستتر به الصائد
ليخدع الصيد - تنوشهم: تأخذهم.

الشرح: يريد المؤلف بهذه الأبيات أن يكشف لنا عن الدور العظيم الذي قام به شيخه شيخ الإسلام وقدوة الأنام وعلم الأعلام وأعجوبة الأيام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية الحرايى دمشقى مجدد القرن الثامن وباعث النهضة الإسلامية، الذي لم يأت الدهر له بنظير في الجمع بين العلوم النقلية والعقلية، ناصر السنة وقامع البدعة، ورافع راية التوحيد، ومبدد جيوش الملاحدة والمبطلين، صاحب المؤلفات الخالدة التي هي مشاعل هدى، ومنارات رشد يستضيء بنورها طلاب الحق، وأعلام الفكر، ومهما قلت في وصفه وأطنبت فلن أوفيه حقه، ولن أجزيه عن بعض ما قلدني من منة، فلقد كنت أحد الذين تخرجوا على كتبه حين قدر الله سبحانه أن يرفع عني غشاوة التقليد، وأن يذهب من نفسي ما ألمّ بها بحكم النشأة من عصبية مذهبية ولوثة صوفية وانحدار في بوائق الوثنية. فما هي إلا جولة في رياض كتبه المونقة حتى زالت عني سقام الجهل وعادت للقلب عافيته، وللعقل صحته، وحتى تجل لي الدين في نقائه وطهارته بعد أن انزاحت عنه عمايات الباطل وضلالات البدع وظلمات الأهواء.

ولنرجع إلى شرح الأبيات التي يصور لنا فيها المؤلف مدى ما أصاب جيوش الزينغ والتعطيل من هزيمة وانكسار حين حمل عليها شيخه البطل المغوار والفارس الكرار بسيفه البتار ففرقهم شذر مذر، فلم يبق لهم من عين ولا أثر، فيقول إذا أردت أن تشهد أئمة الكفر والتعطيل وهم يسقطون صرعى في الميدان ويقعون أسرى ترهقهم الذلة، ويعلوهم الهوان، وتربط أيديهم بالحبال إلى الأذقان وأن تراهم دريئة للرماح لا قدرة لهم على حرب ولا طعان، وأن تراهم قد تجردوا

من الوحيين والسنة والقرآن، بل وتجردوا من العقل الصحيح وما يقتضيه من البرهان، بل وتراهم مضحكة للناس يتخذون منهم مادة للفكاهة والهديان، ولظالما كانوا يسخرون من أهل الإيمان، وتراهم قد خلت منهم الديار وتبدد جمعهم في الأفطار، كما أخلى الرحمن أفئدتهم من كل معرفة وإيمان جزاء وفاقاً لما عطلوا الرحمن من صفات كماله وعطلوا منه عرشه فأنكروا أن يكون فوق عرشه بذاته، بل وعطلوه عن كلامه فنفوا أن يكون له كلام هو صفة له مجروف وأصوات يسمعاها من يشاء من خلقه وعطلوه عن صفات كماله كلها بلا دليل ولا برهان بل بالكذب والبهتان.

★ ★ ★

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| فاقرأ تصانيف الامام حقيقة | شيخ الوجود العالم الرباني |
| أعني أبا العباس احمد ذل | ك البحر المحيط بسائر الخلجان |
| وأقرأ كتاب العقل والنقل الذي | ما في الوجود له نظير ثان |
| وكذاك منهج له في رده | قول الروافض شيعة الشيطان |
| وكذاك أهل الاعتزال فإنه | أرداهم في حفرة الجبان |
| وكذلك التأسيس أصبح نقضه | أعجوبة للعالم الرباني |
| وكذاك أجوبة له مصرية | في ست أسفار كتبن سمان |
| وكذا جواب للنصارى فيه ما | يشفي الصدور وأنه سفران |
| وكذاك شرح عقيدة للأصبها | في شارح المحصول شرح بيان |
| فيها النبوات التي إثباتها | في غاية التقرير والتييان |
| والله ما لأولي الكلام نظيره | أبدا وكتبهم بكل مكان |
| وكذا حدوث العالم العبد | وي والسفلي فيه في أم بيان |
| وكذا قواعد الاستقامة أنها | سفران فيما بيننا ضخان |
| وقرأت أكثرها عليه فزادني | والله في علم وفي إيمان |
| هذا ولو حدثت نفسي أنه | قبلي يموت لكان هذا الشأن |

★ ★ ★

الشرح: هذا هو جواب الشرط يعني إذا أردت أن تعرف ما نزل بأهل التعطيل من بلاء وتنكيل، وأسر وتقتيل، فاقرأ تصانيف ذلك الامام الجليل التي ما لها فيما ألف الناس مثيل، والتي هي لكل حائر دليل، فاقرأ له كتاب الموافقة بين المعقول والمنقول، الذي ينفي فيه كل تعارض بين العقل الصريح الخالي من شوائب الهوى والتقليد، والمتحرر من سلطان الوهم والتخييل، واقرأ له كتابه الكبير المسمى (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) الذي كتبه في الرد على ابن المطهر الرافضي، والذي ضمنه من فنون الحجاج وألوان الجدل في الرد على فرق الضلال والزيغ ما يعد أعجوبة من الأعاجيب، واقرأ له كتابه في (نقض تأسيس التقديس) الذي ألفه الفخر الرازي في التأويل والتعطيل، فأتى هذا النقض عليه من قواعده، واقرأ له كتاب (الأجوبة المصرية) وهو عبارة عن جملة كبيرة من فتاويه الفرعية جمعها بعض أصحابه وبوبها على أبواب الفقه في ستة مجلدات وعرفت (بالتاوى المصرية) وسماها بعضهم (الدرر المضيئة من فتاوى ابن تيمية) واقرأ له كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في مجلدين أتى فيه بما يكفي ويشفي في موضوعه، واقرأ له كتاب (الاصبهانية) شرح عقيدة الاصبهاني الذي أثبت فيه النبوات بأتم تقرير وأحسن بيان، واقرأ له تلك القواعد العظيمة في الاستقامة وهي سفران كبيران، وقد حكى المؤلف أنه قرأها على شيخه رحمها الله تعالى، فزاده على ما فيها علماً، وإيماناً، ثم قال، ولو أني قدرت أنه يموت قبلي وإني أبقى بعده لاهتبلت فرصة وجوده وقرأت عليه ما استطعت من كتبه.

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| وكذاك توحيد الفلاسفة الألى | توحيدهم هو غاية الخفران |
| سفر لطيف فيه نقض أصولهم | بحقيقة المعقول والبرهان |
| وكذاك تسعينية فيها له | رد على من قال بالنفساني |
| تسعون وجهاً بينت بطلانه | أعني كلام النفس ذا الوجدان |
| وكذا قواعده الكبار وأنها | أوفى من المائتين في الحسابان |
| لم يتسع نظمي لها فأسوقها | فأشرت بعض إشارة لبيان |

وكذا رسائله إلى البلدان والأخوان هي في الوري مبسوثة معلومة وكذا فتاواه فأخبرني الذي بلغ الذي ألفاه منها عدة الأسفر يقابل كل يوم والذي هذا وليس يقصر التفسير عن وكذا المفاريد التي في كل مس ما بين عشر أو تزيد بضعفها

طراف والأصحاب والأخوان تتباع بالفالي من الأثمان أضحي عليها دائم الطوفان يام من شهر بلا نقصان قد فاتني منها بلا حسابان عشر كبار ليس ذا نقصان ألة فسفر واضح التبيان هي كالنجوم لسالك حيران

الشرح: واقراً له كتابه في الرد على الفلاسفة وإبطال قولهم، بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وله كتب أخرى في إبطال قولهم بالجواهر العقلية وقدم العالم وغير ذلك من أصولهم الفاسدة، وأقرأ له (التسعينية) التي ألفها وهو بمصر في إبطال القول بالكلام النفسي من تسعين وجهاً واقراً له قواعد الكبار التي تزيد على المائتين في العد والحساب، ولولا عجز النظم عن استيفائها لسقتها اليك ولكني أكتفي بالإشارة إليها.

وأقرأ له رسائله التي كان يكتبها إلى الأطراف والبلدان والأصحاب والأخوان مثل رسالته (المدنية) التي كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهي. ورسالته (المصرية) التي كتبها إلى الشيخ نصر المنجي ورسالته (العدوية) ورسالته (القبرصية) التي كتبها إلى ملك قبرص يحثه فيها على رعاية مصالح المسلمين، وقد ضمنها علوماً نافعة ورسالته (الحموية) التي كتبها إلى أهل حاة في مسائل الصفات. ورسالته (التدمرية والواسطية)، وغير ذلك من رسائله إلى اخوانه وأصحابه، وهي رسائل مشهورة معلومة، يغالي الناس في أثمانها لما تحويه من الفوائد العظيمة والعلوم الجمّة.

واقراً له كذلك فتاواه الكبرى، وقد أخبرني من كان معنياً بجمعها والبحث عنها أن ما وجدته منها تساوي عدته عدة أيام شهر كامل بلا نقصان، يعني

ثلاثين سفرًا، وأما ما فاتته منها فشيء لا يحصره الحساب، وأما تفسيره فليس يقل عن عشر مجلدات كبار.

وأعلم أن ناحية التفسير كانت من أبرز ما برع فيه شيخ الإسلام، إلا أن معظمه قد ضاع لأنه لم يكن يكتبه، بل كان يلقيه على أصحابه، فكان من يدونه منهم يضمن أن يظهره أو يخاف بسبب الفتنة. وقد سأله بعض أصحابه وهو أبو عبد الله بن رشيقي أن يكتب على جميع القرآن، لما حبس آخر مرة، فكتب إليه الشيخ يقول: «إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً ويفسر غيرها بنظيره، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معنى نظائرها».

وأما مفرداته التي انفرد بها عن المذاهب الأربعة، فهي ما بين عشرة إلى عشرين، وفي كل مسألة منها سفر واضح، وهي كالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات فكم هدت من ضال ورشدت من حيران.

وأعلم أن ما ذكره المؤلف هنا من كتب شيخه ومؤلفاته إنما هو إشارة إلى بعض أمهاتها، فمن أراد الوقوف على ما خلف الشيخ من ثروة طائلة في ميدان البحث والتأليف فليرجع إلى كتب التراجم مثل (العقود الدرية) لابن عبد الهادي.

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| وله المقامات الشهيرة في الورى | قد قامها لله غير جبان |
| نصر الإله ودينه وكتابه | ورسوله بالسيف والبرهان |
| أبدى فضائحهم وبين جهلهم | وأرى تناقضهم بكل زمان |
| وأصارهم والله تحت نعال أه | ل الحق بعد ملابس التيجان |
| وأصارهم تحت الحضيض وطالما | كانوا هم الأعلام للبلدان |

ومن العجائب أنه بسلاحهم
كانت نواصينا بأيديهم فما
فغدت نواصيهم بأيدينا فما
وغدت ملوكهم بماليكا لأنص
وأنت جنودهم التي صالوا بها
يدرري بهذا من له خبر بما
والقدم يوحشنا ولكن هناكم

أرداهم تحت الحضيض الداني
منالهم إلا أسير عان
يلقوننا الا بجبل أمان
سار الرسول بمنة الرحمن
منقادة لعساكر الايمان
قد قاله في ربه الفتان
فحضوره ومغيبه سيان

★ ★ ★

الشرح: بعد أن عدد المؤلف كتب الشيخ التي خلفها من بعده مناراً
للسالكين وهدى للمستعصرين، وحجة دامغة فوق رؤوس المبطلين، أراد أن
يشيد بما كان له من مواقف في نصره الحق والذب عن دين الله وكتابه ورسوله،
وما اتصف به في ذلك من مضاء العزيمة وعظيم الجرأة وصدق الإيمان، حتى أظهر
فضائح خصومه وكشف عن جهلهم وأبان عن تناقضهم وتلبيسهم، وما زال بهم
يأخذهم بصولة الحق حتى كساهم ثياب الذلة، وجردهم مما كانوا ينعمون به من
الجاه والشهرة والنفوذ والسلطان، وصيرهم في أسفل مكان بعد أن كانوا أعلام
الأقطار والبلدان ومن العجيب أنه لم يحاربهم إلا بنفس سلاحهم، وهو سلاح
العقل والمنطق الذي كانوا يتناولون به على أهل السنة، ويرمونهم من أجل
جهلهم به بأقبح الألقاب كقولهم حشوية ونوابت ونحو ذلك، فكان أهل السنة
من أجل ذلك في ذلة وانكسار، وكانوا ينارون بمذهبهم عن الأنظار، حتى جاء
شيخ الإسلام فأقام مذهب الحق على دعائم متينة من العقل، وحمل على المذاهب
الباطلة بنفس السلاح حتى كسرهم لأهل الحق كسرة غدت بها نواصيهم مأخوذة
بأيديهم بعد أن كانوا هم الآخذين بنواصيهم، وغدا ملوكهم عبيداً لأهل الحق
وأنصار الرسول بفضل الله عز وجل ومنته، وغدت جنودهم التي كانوا يصلون
بها أذلاء منقادين لعساكر المؤمنين والموحدين ولا يدرك الحق ونصرته إلا من
كان له خبرة بما قاله الفريقان من المشتين والمعطلين في الله رب العالمين.

★ ★ ★

فصل

في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان

يا قوم أصل بلائكم أسماء لم
هي عكستكم غاية التعكيس واقت
فتهدمت تلك القصور وأوحشت
والذنب ذنبكم قبلتم لفظها
وهي التي اشتملت على أمرين من
سميت عرش المهيمن حيزاً
وجعلتم فوق السموات العلى
وجعلتم الإثبات تشبيهاً وتجب
وجعلتم الموصوف جسماً قابلاً لا
وجعلتم أوصافه عرضاً وه

ينزل بها الرحمن من سلطان
لعلت دياركم من الأركان
منكم ربوع العلم والإيمان
من غير تفصيل ولا فرقان
حق وأمر واضح البطلان
والاستواء تميزاً بمكان
جهة وسقم نفى ذا بوزان
سما وهذا غاية البهتان
عراض والأكوان والألوان
ذا كله جسر إلى النكران

الشرح: يخاطب المؤلف بهذه الآيات جماعة النفي والتعطيل فيقول لهم: إن
سر دائكم وأصل بلائكم هو استعمالكم لأسماء لم تقم عليها حجة ولا أصل لها في
كتاب ولا سنة، فهذا هو الذي قلب عليكم أمركم، وأفسد علمكم وإيمانكم،
فاقتلع بيته من جذوره حتى تهدمت أركانه وسقط بنيانه، فأقفرت منكم هاتيك
الربوع، وكنتم أنتم الذين جنيتم على أنفسكم حيث عمدتم إلى الفاظ موهمة كل
منها يحتمل معنى حقاً وآخر باطلاً فقبلتموها على إجمالها من غير تفصيل يتبين
منه ما يصح من معانيها وما لا يصح، فيثبت المعنى الصحيح وينفى غيره فقد
سميت عرش الرحمن حيزاً ولم تفرقوا بين ما كان من الأحياز وجودياً داخل هذا

العالم وما كان منها عديمياً خارجاً، ولو أنكم فصلتم هذا التفصيل لهداكم إلى أن ما فوق العرش إنما هو حيز عديمي لأنه خلاء صرف، إذ ليس وراء العرش جسم آخر وأن وجود الله سبحانه في حيز بهذا المعنى ليس مستحيلاً، وإنما المستحيل أن يكون في حيز من هذه الأحياز الوجودية داخل هذا العالم لما يلزم عليه من كونه محصوراً في خلقه وكون الحوادث ظرفاً له محيطاً به.

وكذلك سميت الاستواء على العرش تحيزاً في المكان، ولم تفرقوا كذلك بين الأمكنة الوجودية داخل هذا العالم، فهذه هي التي لا يجوز حلول الله في شيء منها، وأما الاستواء على العرش فهو تحيز في مكان عديمي ليس فيه شيء من الموجودات غيره سبحانه، فلا يكون مستحيلاً ولا ممتنعاً، لأنه لا يقتضي إحاطة الحوادث به ولا حلوله فيها ولا اتصاله بها وسميت ما فوق السموات والعرش جهة، ثم سقتم نفيكم للجهة عليه وجعلتموه مساوياً لما يجب نفيه من الجهات حيث قلتم أن الله لا يجوز أن يكون في جهة من الجهات الست ومنها جهة الفوق. ولم تفرقوا كذلك بين ما كان من الجهات عديمياً فوق هذا العالم حيث الخلاء الصرف والعدم المحض، وبين ما كان منها وجودياً محصوراً داخل أركان هذا العالم وموجوداته. وسميت إثبات الصفات تشبيهاً وتجسماً، وهذا محض الكذب والاختلاق، فإنكم لم تفرقوا بين ما كان من الصفات من قبيل الأعراض التي تختص بالأجسام والمحدثات وبين ما كان منها من قبيل المعاني القائمة بموصوفها، فإثبات الصفات لله بالمعنى الثاني لا يقتضي تشبيهاً ولا تجسماً إذ لا يلزم من إثبات الصفات لله أن تكون مثل صفات الأجسام المحدثة المخلوقة. ولو كان هذا لازماً لكانت المماثلة لازمة لجميع الطوائف إذ لا يعقل وجود ذات مجردة من جميع الصفات.

وكذلك عرفتم الموصوف بأنه جسم قابل للأعراض والأكوان التي هي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، والألوان كالسواد والبياض والحمرة والصفرة، مع أن الموصوف هو الذات التي تقوم بها الصفات، وهذا أعم من أن يكون جسماً أو غير جسم، كما جعلتم الصفات كلها أعراضاً قائمة بالأجسام،

والصفة أعم من أن تكون عرضاً أو غير عرض . ولكن غرضكم من وضع هذه الاصطلاحات أن تجعلوها جسراً تعبرون منه إلى ما تريدون من النفي والتعطيل ، فضللتم بهذا عن سواء السبيل .

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|--------------------------|
| وكذلك سميت حلول حوادث | أفعاله تلقيب ذي عدوان |
| إذ تنفر الأسماع من ذا اللفظ نف | رتها من التشبيه والنقصان |
| فكسوتهم أفعاله لفظ الحوا | دث ثم قلمت قول ذي بطلان |
| ليست تقوم به الحوادث والمرا | د النفي للأفعال للديان |
| فإذا انتفت أفعاله وصفاته | وكلامه وعلو ذي السلطان |
| فبأي شيء كان رباً عندكم | يا فرقة التحقيق والعرفان |
| والقصد نفي فعاله عنه بذا الت | للقيب فعل الشاعر الفتان |
| وكذلك حكمة ربنا سميت | علا وأغراضاً وذان اسمان |
| لا يشعران بل ضدها | فيهون حينئذ على الأذهان |
| نفي الصفات وحكمة الخلاق والأ | فعال إنكاراً لهذا الشأن |

الشرح: وكذلك سميت ما يقوم به سبحانه من الأفعال الاختيارية بأنه حلول الحوادث في ذاته تسمية معتدية جائرة لأنكم تعلمون أن الأسماع تنبو عن هذه الألفاظ وتنفر منها كما تنفر من ألفاظ التشبيه والنقصان، فتعمدون إلى أفعاله التي يحدثها هو في ذاته بمشيئته وقدرته، وتكسونها لفظ الحوادث ثم تحكمون حكماً عاماً بأن الحوادث يمتنع قيامها به، وليس مرادكم من ذلك إلا نفي أفعاله دون أن تفرقوا بين أجناس الحوادث وأشخاصها، ولا بين ما يحدثه هو في ذاته، وبين ما يحدثه فيه غيره لأن قصدكم هو الإيهام والتلبيس.

ولكن إذا نفيت أفعاله بحجة حلول الحوادث في ذاته ونفيت صفاته بحجة أنها أعراض لا تقوم إلا بالأجسام، ونفيت كلامه بالحرف والصوت، ونفيت علوه على عرشه بحجة استلزام ذلك كله لأن يكون جسماً. فبأي شيء عندكم تثبت له

الربوبية على خلقه، وهل يعقل رب لا فعل له ولا نعت ولا كلام. يا أولي التحقيق والافهام، ولكن لما كان قصدكم هو نفي أفعاله عنه لقبتموه بهذا اللقب الشنيع لتنفروا منه كل من يسمعه كما يفعل الشاعر الفتان بالشيء الذي يريد تنفير الناس منه فإنه يختار له أقبح الأوصاف ويخلعها عليه كما يقول في صفة الورد مثلاً أنه صرم بغل فيه روث.

وكذلك سميت حكمته التي يحبها ويرضاها ويفعل من أجلها علة وغرضاً وهما لفظان لا يدلان على مدح المتصف بهما، بل على مذمته ونقصه وذلك ليسهل عليكم بعد ذلك نفي حكمته، لأنكم لو عمدتم إلى نفي الحكمة عنه قبل أن تلقبوها بهذه الألقاب الشنيعة لأنكر ذلك عليكم العقلاء فتوصلتم إلى نفيها بتسميتها بهذه الأسماء، وهذا هو دأبكم في كل ما تريدون نفيه من كمالات ثابتة لله سبحانه تنعتونها أولاً بنعوت السوء وألقاب الذم ثم تكرون عليها بالنفي والإبطال.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| ش قلمت أنه التركيب ذو بطلان | وكذا استواء الرب فوق العر |
| وكذاك لفظ يد ولفظ يدان | وكذاك وجه الرب جل جلاله |
| سميته جوارح الإنسان | سميت ذا كله الأعضاء بل |
| ه كنفينا لليب مع نقصان | وسطوم بالنفي حينئذ علي |
| غراض والأبعاض والجثمان | قلم ننزهه عن الأعراض والا |
| سبحانه من طارق الحدثان | وعن الحوادث أن تحل بذاته |
| والاستواء وحكمة الرحمن | والقصد نفي صفاته وفعاله |
| جونون خوف معرفة السبحان | والناس أكثرهم بسجن اللفظ مسـ |
| في قالب ويرده في ثان | والكل لا الفرد يقبل مذهباً |
| أفعال لا تنفى بهذا الهذيان | والقصد أن الذات والأوصاف وال |
| أسماء بل في مقصد ومعان | سموه ما شئتم فليس الشأن في ال |

الشرح: وكذلك سميت استواءه تعالى على العرش الثابت له بالأدلة الصريحة من الكتاب والسنة تركيباً لتتوصلوا بذلك إلى نفيه حيث قلتم لو كان فوق العرش بذاته لكان جسماً فيكون مركباً، والتركيب محال، وسميت ما وصف الله به نفسه من الوجه واليد واليدين والعينين واليمين، وما وصفه به رسوله ﷺ من القدم والساق والاصبع، ونحو ذلك أعضاء بل سميتوها جوارح ثم سطوتم عليها بعد ذلك بالنفي، كما ينفي عنه العيب والنقص فسويتهم بين ما أثبتته لنفسه من الكمال، وبين ما يجب تنزيهه عنه من النقص، مع أنه لا يلزم أصلاً من إثبات الوجه واليدين ونحوهما أن تكون في الله كما هي في الحيوان جوارح وأعضاء. وقلتم على سبيل التمويه والمغالطة، إنما نفينا هذه الأشياء بقصد تنزيهه عن الأعراض والأغراض والأبعاض أي الأجزاء والجنان أي الجسمية، وبقصد تنزيهه أيضاً عن أن تحل الحوادث بذاته مع أن قصدكم بذلك هو نفي صفاته وأفعاله واستوائه وحكمته، تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً.

ومن العجب أن الناس إلا أقلهم ممن عصم الله يجسسون أنفسهم في دائرة الألفاظ ويؤثر فيهم جرسها وطنينها، فتذهلهم عما وراءها من معان، فإذا سمعوا لفظاً يوهم شيئاً من النقص أو التشبيه فروا منه خشية الوقوع فيما ينافي السبحان، أي التنزيه، ومن العجب أن الناس أيضاً كلهم إلا الفرد بعد الفرد تراه يقبل مذهباً إذا صيغ له في قالب معين من الألفاظ، ثم يرفضه هو نفسه إذا صيغ في قالب آخر.

وجملة قولنا لهؤلاء النفاة أن ذات الله وصفاته وأفعاله لا يصح أن تنفى بهذا الهراء، فإن العبرة ليست بما يتواضعون عليه من الألفاظ وأسماء، بل بما وراء ذلك من معان ومدلولات، فليسموا هذه الأشياء بما أرادوا، فإن ذلك لن يغير من الحق شيئاً.

★ ★ ★

كم ذا توسلتم بلفظ الجسم والتجسيم للتعطيل والكفران

وجعلتموه الترس إن قلنا لكم
 قلت لنا جسم على جسم تعال
 وكذلك إن قلنا القرآن كلامه
 كلا ولا ملك ولا لوح ول
 قلت لنا أن الكلام قيامه
 عرض يقوم بغير جسم لم يكن
 وكذلك حين نقول ينزل ربنا
 قلت لنا أن النزول لغير أج
 وكذلك إن قلنا يرى سبحانه
 أم كان ذا جهة تعالى ربنا

الله فوق العرش والأكوان
 لى الله عن جسم وعن جثمان
 منه بدا لم يبد من إنسان
 كن قاله الرحمن قول بيان
 بالجسم أيضاً وهو ذا حدثان
 هذا بمعقول لذي الأذهان
 في ثلث ليل وآخر أو ثان
 سام محال ليس ذا إمكان
 قلت أجسم كي يرى بعيان
 عن ذا فليس يراه من إنسان

الشرح: كانت شبهة الجسم والتجسيم من أعظم أسباب الضلال في باب
 الصفات، فقد جعلها المعطلة عرضة مانعة لهم من القول بالاثبات ونصبوها
 صخرة عاتية يحطمون عليها صريح الأحاديث ومحكم الآيات، واتخذوا منها
 ترساً يحمون به مما يوجه إليهم من طعنات، فإذا قيل لهم أن الله فوق العرش
 بذاته، قالوا لو كان فوق العرش (والعرش جسم) لكان جسماً لأنه حينئذ يكون
 متحيزاً وفي جهة، ولأنه إما أن يكون مساوياً للعرش أو أكبر منه أو أصغر إلخ
 ما يذكرون من هذا الهراء.

وكذلك إذا قيل لهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، بدا بلا كيفية قولاً
 وأنه ليس قول بشر ولا ملك ولا مأخوذاً من اللوح المحفوظ، ولكنه قول الله
 الذي تكلم به بحروفه وألفاظه بصوت نفسه، وسمعه منه جبريل عليه السلام قالوا
 إن الكلام عرض من الأعراض التي لا تقوم إلا بالأجسام، وهو أيضاً حادث
 يمتنع قيامه بذاته تعالى، وإذا كان الله تعالى غير جسم فلا يعقل أن يقوم به
 الكلام الذي هو عرض، فإن الأعراض لا تقوم إلا بالأجسام.

وكذلك إذا قيل لهم ما وردت به الروايات الصحيحة من نزول الرب تبارك

وتعالى في ثلث الليل الآخر أو في نصف الليل الثاني، قالوا إن النزول من خصائص الأجسام، فيمتنع أن يتصف به ما ليس بجسم، وهو الله تعالى.

وكذلك إذا قيل لهم إن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما نطقت بذلك الآيات والأحاديث، قالوا: إن الذي يصح رؤيته إنما هو الجسم، لأنه هو الذي يكون في جهة من الرائي، ويمكن اتصال شعاع منه إليه، أما ما ليس بجسم ولا هو في جهة فلا تمكن رؤيته.

فتدبر كيف جعل هؤلاء من لفظ الجسم طاغوتاً يهدمون به صروح الإيمان ويخالفون من أجله موجب السنة والقرآن.

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| ما إذا قلنا له وجهه كما | في النص أو قلنا كذاك يدان |
| وكذاك إن قلنا كما في النص أ | ن القلب بين أصابع الرحمن |
| وكذاك إن قلنا الأصابع فوقها | كل العوالم وهي ذو رجفان |
| وكذاك إن قلنا يدها لأرضه | وسائه في الحشر قابضتان |
| وكذاك إن قلنا سيكشف ساقه | فيخر ذاك الجمع للأذقان |
| وكذاك إن قلنا يجيء لفصله | بين العباد بعدل ذي سلطان |
| قامت قيامتكم كذاك قيامة الآ | تي بهذا القبول في الرحمن |
| والله لو قلنا الذي قال الصحا | بة والألى من بعدهم بلسان |
| لرجتمونا بالحجارة إن قدر | تم بعد رجم الشتم والعدوان |
| والله قد كفرتم من قال بع | ض مقالهم يا أمة العدوان |
| وجعلتم الجسم الذي قدرتم | بطلانه طاغوت ذا البطلان |

الشرح: أما إذا أثبتنا له الوجه الذي أثبتته هو لنفسه في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] وكما في قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أو أثبتنا له اليدين كما في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾ [ص: ٧٥] أو أثبتنا له الأصابع كما ورد في الحديث

الصحيح « إن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » أو إذا قلنا بما ورد في تفسير البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن حبراً من الأحبار جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع، فيقول أنا الملك: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] وكذلك رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي في التفسير من سنينها.

أو إذا قلنا بما ورد في البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء يمينه ثم يقول: أنا المالك أين ملوك الأرض؟ ».

أو إذا قلنا بما رواه البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً ».

أو إذا قلنا أنه سبحانه يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

نعم لو قلنا بهذا الذي نطقت به النصوص الصحيحة لهيتم علينا الدنيا وملأم الأرض من حولنا صخباً وضجيجاً، ولو قلنا بالذي قاله الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لكان نصيبنا منكم الرجم بالحجارة بعد رجكم لنا بألفاظ السب والعدوان، فلقد كفرتم من قال ببعض قولهم، فكيف بمن أخذ في عقيدته بسبيلهم وكان الجسم الذي قدرتم بطلانه في حق الله تعالى هو طاغوتكم الذي أبطلتم به كل ما وردت به النصوص من الصفات.

★ ★ ★

روف به في وضع كل لسان
تمعت لكم إذ ذاك محذوران
بات العلو لفاطر الأكوان
ريف الحديث ومحكم القرآن
حريف فاجتمعت لكم كفلان
إيمان حتى فاتكم حضان
والمؤمنين فنالكم مقتان
ظلم القبيح فبئست الثوبان
يه العظيم فبئست الطرزان
كن لم تطل منكم لها الباعان
لكن تسورتم من الحيطان
فزتم بكل بشارة وتهان
يفتحها فليهنه البابان

ووضعت للجسم معنى غير مع
وبنيت نفسي الصفات عليه فاج
كذب على لغة الرسول ونفي إثم
وركبتم إذ ذاك تحريفين تح
وكسبتم وزرين وزر النفي والت
وعداكم أجران أجر الصدق وال
وكسبتم مقتين مقت إلهكم
ولبستم ثوبين ثوب الجهل وال
وآخذتم طرزين طرز الكبر والت
ومددتم نحو العلى باعين ل
وأيتموها من سوى أبوابها
وغلقتم بابين لو فتحا لكم
باب الحديث وباب هذا الوحي من

الشرح: وقد فسرتم الجسم بمعنى ليس هو معناه المعروف في وضع جميع اللغات، فقال المتكلمون منكم: انه ما تركب من جواهر فردة غير قابلة للقسمه وقال الفلاسفة: انه المركب من هيولي ومن صورة، ثم بنيت نفيكم للصفات على هذا الاصطلاح الفاسد، فاجتمع لكم بهذا أمران كل منهما يجب أن يحذر الوقوع فيه، أحدهما الكذب على لغة الرسول ﷺ، فليس فيها أبداً وضع الجسم لهذا المعنى الذي اصطلحتم عليه.

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته التدمرية:
فإن لفظ الجسم للناس فيه أقوال متعددة اصطلاحية غير معناه اللغوي، فإن أهل اللغة يقولون: الجسم هو الجسد والبدن، وبهذا الاعتبار فالروح ليست جسماً، ولهذا يقولون الروح والجسم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وأما أهل الكلام فمنهم من يقول: الجسم هو الموجود، ومنهم من يقول هو القائم بنفسه، ومنهم من يقول هو المركب من الجواهر الفردة، ومنهم من يقول هو المركب من المادة والصورة، وكل هؤلاء يقولون أنه مشار إليه إشارة حسية ومنهم من يقول ليس مركباً من هذا، بل هو بما يشار إليه ويقال انه هنا أو هناك. والثاني منها نفي صفة العلو الثابتة لفاطر الأكوان سبحانه نقلاً وعقلاً وفضرة.

وركيتم بهذا الاصطلاح الفاسد أيضاً تحريفين: أحدهما تحريف الحديث، والثاني تحريف المحكم من آيات القرآن، فملتم بكل منها عن أصل وضعه وتأولتموه بما ينفي معناه الظاهر منه من غير قرينة موجبة لذلك، واقترفتم به أيضاً جرمين: أحدهما جرم النفي لما دلت عليه النصوص من الصفات، والثاني جرم التحريف للنصوص وصرفها عن المعاني المرادة منها: فاجتمع لكم كفلان، أي نصيبان من الوزر، وحرمتها بذلك من أجرين: أجر الصدق حيث كذبتكم على الله ورسوله، وأجر الايمان حيث كفرتم بما هو ثابت من الصفات، ففاتكم بذلك حظان، أي نصيبان من الأجر.

وكسبتم به مقتين: أحدهما مقت الله لكم حيث قلمت عليه بغير علم، والثاني مقت المؤمنين حيث خالفتم سبيلهم وأخذتم في سبل الغواية والشيطان.

ولبستم به ثوبين: أحدهما ثوب الجهل حيث لم تعرفوا ربكم بصفات كماله، وحسبتموها نقصاً، والثاني ثوب الظلم والعدوان حيث تعديتم على حرمة النصوص وجرتم عليها بالتحريف والتأويل.

وتحليتم بطرزين: أحدهما طرز الكبر حيث تأبون قبول الحق والانقياد له والثاني طرز التيه والخيلاء اغتراراً بما عندكم من علم موه وسفسطة كاذبة.

ومددتم نحو العلى باعين لكن قصرت أيديكم عن تناولها: لأنكم لم تعدوا لها أسبابها ولم تأتوها من أبوابها، ولكن تسورتم عليها من الجدران.

وأغلقتم على أنفسكم بابين لو فتحا لكم لظفرتم بكل ما يسركم وأدرتم كل ما تؤملون من خير: أحدهما باب الحديث الذي حرفتموه وأنكرتموه وطعنتم في نقلته. والثاني باب هذا القرآن العظيم الذي لم تتلوه حق تلاوته، فهما بابان للخير من يفتحهما بالوقوف عند نصوصها وتأملها حق التأمل والاعتداد بها، وعدم التعويل في الدين الا عليها فليهنه البابان وطوبى له من موفق معان.

★ ★ ★

وفتحتم بابين ممن يفتحها تفتح عليه مواهب الشيطان
باب الكلام وقد نهيت عنه والباب الحريق فمنطق اليونان

★ ★ ★

فدخلتم دارين دار الجهل في الد
وطعنتم لونين لون الشك والتش
وركبتم أمرين كم قد أهلكا
تقديم آراء الرجال على الذي
والثاني نسبتهم الى الالغاز
ومكرتم مكربين لو تما لكم
أطفأتم نور الكتاب وسنة اله
لكنكم أوقدتمو للحرب نا
والله مطفيها بألسنة الأولى
والله لو غرق الجسم في فم التجس
فالنص أعظم عنده وأجل قد

نينا ودار الخزي في النيران
كيك بعد فبئست اللونان
من أمة في سالف الازمان
قال الرسول ومحكم القرآن
والتليس والتسدليس والكتمان
لانفصمت فينا عرى الايمان
يادي بذا التحريف والهذيان
را بين طائفتين مختلفان
قد خصهم بالعام والايمان
يم ممن قدم الى الآذان
را أن يعارضه بقول فلان

الشرح: وكما أغلقتم على أنفسكم بابي الرحمة والخير والحق والايمان فقد فتحتم عليها بابين هما من أعظم مداخل الشيطان: أما الأول: فهو باب الكلام والجدل المذموم وقد نهاكم عنه الله ورسوله قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ

إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿ [العنكبوت: ٤٦] وقال ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤].

وقال النبي ﷺ « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل » وقال « أنا زعيم بييت في ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محقاً » وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم من الآثار في ذم الكلام ما لا يتسع له هذا المقام، ونكتفي هنا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه (حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجرید والنعال ويطاف بهم في العشائر ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة) وقول أبي يوسف: (من طلب العلم بالكلام تزندق).

وأما الثاني فهو باب المنطق الذي وضعه أرسطو أشهر فلاسفة اليونان وقد سماه المؤلف باب الحريق لأن معظم من دخلوا منه واتخذوه آلة لعلمهم أحرق دينهم وإيمانهم. بسبب سوء استعمالهم له، والا فالمنطق قواعد عقلية مجردة يعرف بها تركيب الحدود وتأليف الاقيسة. ولما كانت معظم الطوائف العقلية من فلاسفة ومعتزلة وأشعرية قد ضلت بهذا المنطق حيث اتخذته أداة لتحصيل عقائد الايمان معرضة عن أدلة الحديث والقرآن فقد حمل عليه شيخ الاسلام ابن تيمية وألف في نقضه كتاباً قيمة تدل على ما بلغه رحمه الله من قدرة في الجدل وبراعة في النقد قد لا تتاح لأحد بعده في الاسلام.

وكذلك دخلتم بسببه في دارين، دار الجهل في الدنيا حين أعرضتم عن علم الكتاب والسنة، ودار الخزي والهوان في الآخرة حيث ارتكبتم من الكفر والتعطيل ما يوجب لكم نار السعير وبئس المصير، وذقمم به لونين من الطعام. أحدهما لون الشك الذي أكل بمرارته قلوبكم. والثاني لدن التشكيك الذي تفسدون به غيركم.

وركبتم بسببه أمرين قد أهلكا الأمم الماضية قبلكم، أولهما تقديم آراء الرجال على الوحي المنزل حيث تنصرفون في الوحي بالنفي والتأويل، ولكنكم تأخذون كلام الناس قضايا مسلمة بلا دليل، والثاني نسبتكم الرسل عليهم الصلاة والسلام

الى الألغاز والتعمية والتدليس أي إخفاء الحق والتلبيس الذي هو الكلام بخلافه والكتمان. ولا شك أن ضلال الأمم في الماضي انما كان من هذا الباب حيث كانوا يتركون النصوص المنزلة ويأخذون بما وضع لها الناس من شروح وتأويلات، ولا يزال اليهود يقدمون (التلمود) على التوراة مع أنه شروح وتعليقات عليها من وضع كهنتهم وأحبارهم الذين حرفوا كلمها عن مواضعه وحلوا نصوصها على ما لا تدل عليه من المعاني كما فعل أهل التأويل في الاسلام، وكذلك قادكم اصطلاحكم الفاسد الى أن مكرتم بأهل الحق مكرين لو أنها نفذوا كما أردتم لانحلت منا عقد الايمان وأواصره وهما محاولتكم اطفاء نور القرآن والسنة بما ابتدعتم من تحريف وهذيان، لكنكم كلما أوقدم للفتنة ناراً أطفأها الله بالسنة أهل الحق والايمان.

على أن هؤلاء الذين تسمونهم مجسمة وتلمزونهم بهذا اللقب تحقيراً لهم وتنفيراً للناس منهم لو أنهم أوغلوا في هذا التجسيم الى أبعد مدى فهم على كل حال خيراً منكم لأنهم يحترمون النصوص ويحلوونها وهي عندهم أرفع من أن تعارض بأقوال الرجال.

فصل

في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت

والجبروت

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| أهون بذات الطاغوت لا عز اسمه | طاغوت ذي التعطيل والكفران |
| كم من أسير بل جريح بل قتيه | ل تحت ذا الطاغوت في الازمان |
| وترى الجبان يكاد يخلع قلبه | من لفظه تبا لكل جبان |
| وترى المخنث حين يقرع سمعه | تبدو عليه شمائل النسوان |
| ويظل منكوحاً لكل معطل | ولكل زنديق أخي كفران |
| وترى صبي العقل يفزعه اسمه | كالغول حين يقال للصبيان |

كفران هذا الاسم لا سبحانه
كم ذا الترس بالمحال اما ترى
جسم وتجسيم وتشبيهه أما
أنتم وضعتم ذلك الطاغ
جعلتموه شاهداً بل حاكماً
أعلى كتاب الله ثم رسوله
ففضاؤه بالجور والعدوان مث
وقيامه بالزور مثل قضائه

أبدأً وسبحان العظيم الشان
قد مزقته كثرة السهان
تعيون من فشر ومن هذيان
توت ثم به نفيتم موجب القرآن
هذا على من يا أولي العدوان
بالله فاستحيوا من الرحمن
ل قيامه بالزور والعدوان
بالجور والعدوان والبهتان

الشرح: يريد المؤلف بهذه الآيات أن يحطم طاغوت الجسم الذي نصبه
المعطلة ليصدوا به عن سبيل الحق في اثبات الصفات لله جل شأنه، فيقول ما
أهون وأحقر هذا الطاغوت الذي وضعه أئمة الكفر والتعطيل، فهو لا عز اسمه
ولا جل شأنه بل هو كعابديه مهين ذليل، ولكنه مع هوانه وضعفه، كم خلف في
الأزمنة المتعاقبة من جريح وقتيل. وتراه اذا ذكر اسمه تطير شعاعاً منه نفس
الجبان. وترى المخنث الضعيف حين يسمع لفظه يولول ويصيح ويأتي بمثل
حركات النسوان. ثم يرمى في أحضان المعطلة والزنادقة أهل الكفران، وترى
الأحقق ضعيف العقل يرتاع حين يذكر عنده كما يرتاع الأطفال عندما تحكى لهم
قصص الغيلان ولكننا معشر أهل الحق كفرنا به فلا نسبح بحمده أبداً، بل لا
نسبح الا ربنا العظيم الشأن الذي هو أهل لكل سبحان.

ثم يقول لعابدي هذا الطاغوت وناصيه الى متى تترسون بالمحال: وأنتم ترون
ما صوب اليه من سهام أهل الحق التي مزقت لحمه وتركته ممزق الاشلاء. والى
متى كلما سمعتم صفة أثبتت للرحمن من سنة أو قرآن قلتم جسم وتجسيم وتشبيهه،
أما تكونون من هذا الكذب والهذيان فأنتم بأنفسكم الذين نحتم هذا الصنم ثم نفيتم
به ما يقتضيه القرآن من اثبات الصفات للرحمن. وجعلتموه شاهداً على هذا
النفى بل حاكماً له النفوذ والسلطان، ولكن على من يحكمم يا أولى الظلم

والعدوان؟ أيحكم على كتاب الله أم على سنة رسوله ﷺ: فهلا استحييتم من
الرحيم الرحمن. فحاكمكم هذا لا يقضي الا بجور وعدوان كما كان قيامه بالزور
والبهتان.

كم ذي الجعاجع ليس شيء تحتها
ونظير هذا قول ملحدكم وقد
لو كان موصوفاً لكان مركباً
ذا المنجنيق وذلك الطاغوت قد
والله ربي قد أعان بكسر ذا
فلئن زعمتم أن هذا لازم
فلنا جوابات ثلاث كلها
منع اللزوم وما بأيديكم سوى
لا يرتضيها عالم أو عاقل

الا الصدى كالبوم في الخربان
جحد الصفات لفاطر الاكوان
فالوصف والتركيب متحدان
هدما دياركم الى الأركان
وبقطع ذا سبحان ذي الاحسان
لمقالكم حقاً لزوم بيان
معلومة الايضاح والتبيان
دعوة مجردة عن البرهان
بل تلك حيلة مفلس فتان

الشرح: فكم تطلقون من هذه الجعاجع التي لا محصول لها، بل ليس وراءها
الا أصداء تتردد كما تصفر البوم في الخربات. ومثل تشبثكم بطاغوت الجسم قول
اخوانكم الملاحدة من المتفلسفة الذين جحدوا صفات الرب كما جحدتموها، لو
كان موصوفاً لكان مركباً، فان الوصف والتركيب متحدان مفهوماً، فهذا
المنجنيق الذي نصبوه وسموه التركيب، وذلك الطاغوت الذي وضعتموه
وسميتموه التجسيم قد اقتلعا دياركم من أساسها حتى صارت خاوية على عروشها،
والله ربنا سبحانه قد أعاننا على كسر منجنيقكم وقطع طاغوتكم بمنه وكرمه.

فنقول لكم: ان زعمتم أن الجسم أو التجسيم لازم للقول بالعلو والفوقية لزوماً
بيناً، وهو ما يسميه المناطقة باللازم الذهني، وهو الذي يكفي فيه تصور الملزوم
للجزم باللزوم، قلنا على دعواكم هذه ثلاثة أجوبة، كلها في غاية الوضوح
والبيان:

أولها: أن نمنع هذا اللزوم الذي لا دليل لكم عليه، وإنما هو مجرد دعوى لا يقبل عاقل أن يتمسك بها، ولكنها بضاعة المفلس الذي يريد أن يمويه بها ليفتن بها الناس عن الحق الواضح الصريح.

★ ★ ★

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| فلكن زعمتم أن منع لزومه | منكم مكابرة على البطلان |
| فجوابنا الثاني امتناع النفسى في | ما تدعون لزومه ببيان |
| أن كان ذلك لازما للنص والملا | زوم حق وهو ذو برهان |
| والحق لازمه فحق مثله | أنى يكون الشيء ذا بطلان |
| ويكون ملزوما به حقا فذا | عين المحال وليس في الامكان |
| فتعين الالزام حينئذ على | قول الرسول ومحكم القرآن |
| وجعلتم أتباعه مانسترا | خوفا من التصريح بالكفران |
| والله ما قلنا سوى ما قاله | هذي مقاتلتنا بلا كتمان |
| فجعلتموها جنة والقصد مفه | وم فنحن وقاية القرآن |

الشرح: يعني أن زعمتم أن منع لزوم الجسمية لاثبات الصفات مكابرة على المحال، لأن التلازم واضح بين ثبوتها لشيء وبين كونه جسما اذ لا نرى متصفا بها الا ما هو جسم، فجوابنا الثاني اننا نسلم هذه الملازمة ونمنع بطلان اللازم، وهو كونه تعالى جسم ما دام ذلك لازما للنص، وما دام ملزومه وهو النص حق ثابت بالبراهين الصحيحة من العقل والنقل، فان لازم الحق لا بد أن يكون حقا مثله، اذ من المعروف في المنطق أنه كلما ثبت الملزم ثبت اللازم، فكيف يكون الشيء وهو اللازم باطل مع كون ملزومه حقا، هذا غير ممكن، بل هو عين المحال. فالالزام الذي أردتموه على الاثبات، وهو أنه يقتضي كون الموصوف بها جسما متوجه على كلام الله ورسوله، فانه صريح في الاثبات، ولكنكم بدلا من توجيهكم هذا الالزام الى النصوص ذاتها توجهتم به الينا جبنا منكم وخشية ان تصرحوا بما تضمرون من الكفر، ونحن ما قلنا الا بما نطقت به النصوص، وهذه

مقالتنا بين أيديكم، ليس فيها الا اثبات ما أثبتته الله ورسوله، فجعلتم هذه المقالة جنة ووقاية لكم من الطعن في النصوص نفسها، ولكن قصدكم واضح ومفهوم لكل أحد، وهو أن تجعلوا من مقالتنا وقاية تتقون بها الطعن في نفس القرآن، ولكن حيلتكم هذه لا تجوز على انسان.

★ ★ ★

هذا وثالث ما نجيب به هو استفسر ماذا الذي تعنون بالجسم الذي تعنون ما هو قائم بالنفس أو أو ذا الذي قامت به الأوصاف أو أو ما تركيب من جواهر فردة أو ما هو الجسم الذي في العرف أو أو ما هو الجسم الذي في الذهن ذا ماذا الذي في ذلك يلزم من ثبو فأتوا بتعيين الذي هو لازم فأتوا ببرهانين برهان اللزو والله لو نشرت لكم أشياخكم

ساركم يا فرقة العرفان ألزمتونا أوضحوا ببيان عال على العرش العظيم الشان صاف الكمال عديمة النقصان أو صورة حلت هيولي ثان في الوضع عند تحاطب بلسان ك يقال تعليم لذي الأذهان ت علوه من فوق كل مكان فاذا تعين ظاهر التبيان م ونفسى لازمه فذان اثنان عجزوا ولو واطاهم الثقلان

الشرح: وأما جوابنا الثالث على الزامكم فهو أن نسألکم عما تعنون بالجسم اللازم على اثبات الصفات لكي توضحوه لنا، فهل تعنون به الشيء الذي هو قائم بنفسه بحيث لا يكون مفتقراً الى محل يقوم به، ولا يكون تحيزه تابعا لتحيز غيره أو تعنون به ما يصح أن يكون فوق العرش عاليا عليه، أو ما يصح أن تقوم به صفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فان عنيتم بالجسم الذي يلزم على اثبات الصفات واحدا من هذه الثلاثة فمسلّم ومعناه صحيح في حق الله تعالى، اذ هو قائم بنفسه عال على عرشه، موصوف بصفات الكمال التي لا كمال وراءها ولكننا نمنع من اطلاق لفظ الجسم لعدم ورود النص به.

أم تعنون بالجسم ما تركيب من جواهر فردة، كما هو اصطلاح المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة. أم تعنون به ما تركيب من هيولي هي محل وصورة حالة فيها على ما هو اصطلاح الفلاسفة. أم تعنون به الجسم الذي يطلقه أهل العرف أم تعنون به الجسم في اللغة الذي هو الجسد والبدن. أم تعنون به الجسم الكلي الموجود في الأذهان والذي يقال له الجسم التعليمي.

فأي معنى من هذه المعاني التي يستعمل فيها لفظ الجسم هو الذي يلزم من إثبات علوه تعالى فوق عرشه؟ لا بد أن تعينوه لنا، فإذا عيتموه ببيان صحيح لا لبس فيه، فعليكم بعد هذا أن تأتوا ببرهانين اثنين: أحدهما برهان على لزوم هذا المعنى لثبوت علوه سبحانه على عرشه والثاني برهان على نفي اللازم، فذاتك برهانان لا يد لكم بها حتى ولو بعث شيوخكم من قبورهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو كان الإنس والجن لهم ظهيراً.

| | |
|--|---|
| وَدَعُوا الشُّكَاوَى حِيلَةَ النِّسْوَانِ | إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فَحَوْلًا فَا بَرَزُوا |
| سَى الْوَحِيحِينَ لَا الْقَاضِي وَلَا السُّلْطَانَ | وَإِذَا اشْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشُّكَاوَى إِلَى |
| شَافِيًا فِيهِ هَدَى الْخَيْرَانَ | فَنَجِيبَ بِالْتَرَكِيبِ حَيْثُ ذُجُوبًا |
| عَيْنَ الْمَحَالِّ وَلَا يَسْ فِي الْإِمْكَانِ | الْحَقَّ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَنَفِيهَا |
| فَهُوَ الصُّوَابُ وَلَا يَسْ ذَا بَطْلَانَ | فَالْجِسْمِ إِمَّا لَزَمَ لِثَبُوتِهَا |
| فَشْنَاعَةَ الْإِلْزَامِ بِالْبَهْتَانِ | أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثَبُوتِ صِفَاتِهِ |
| لِوَمِ الْبَيَانِ إِذَا بَلَ نَكَرَانَ | فَالْمَنْعِ فِي إِحْدَى الْمَقْدَمَتَيْنِ مَعَ |
| ءِ الْإِلْزَامِ الْمَنْسُوبِ لِلْبَطْلَانَ | الْمَنْعِ إِمَّا فِي اللَّزُومِ أَوْ انْتِقَا |
| أَبْصَرْتُمُوهُ بِمَنْةِ الرَّحْمَنِ | هَذَا هُوَ الطَّاعُوتِ قَدْ أَضْحَى كَمَا |

الشرح: وإن كنتم كما تدعون فحولاً في العلم والمعرفة وجهابذة في التحقيق فأبرزوا للمناجزة، وحاولوا النقض لهذه الجوابات التي أجبنا بها على إلزامكم، واتركوا البكاء والشكاية فإنها لا تليق إلا بالنساء الضعيفات، وإذا كان لا بد

من شكوى فاجعلوا شكواكم إلى الوحيين من الكتاب والسنة، فإنها اللذان أمرتم أن تردوا ما تنازعتم فيه إليهما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] ولا تجعلوا شكواكم إلى من لا نصفة عنده من قاض أو سلطان تستعدونه وتغرونه بأهل الحق والإيمان.

ونحن نجيبكم حينئذ بمعارضة لدليلكم جواباً فيه الشفاء والهدى لعقولكم الضالة الحائرة.

فنقول لكم: إن إثبات الصفات حق لا ريب فيه، كما تقتضي ذلك البراهين المكاثرة من العقل والنقل والقطرة، وحينئذ فالجسم إن كان لازماً لثبوتها فهو حق وصواب ونمى بطلانه وننازعكم في هذا البطلان، وإن لم يكن لازماً على ثبوت الصفات منعنا الملازمة، ويكون تشييعكم علينا بهذا الإلزام بهتاً ومكابرة. والحل أن منعنا لإحدى المقدمتين من دليلكم أمر بين لا خفاء فيه، فنحن إما أن نمنع اللزوم ونقول أنه لا يلزم الجسم على ثبوت الصفات، وإما أن نمنع بطلان اللازم الذي هو الجسم الذي زعمتم بطلانه.

فهذا دليلكم المتهافت الذي نصبتموه طاغوتاً نفيم من أجله صفات الرحمن انظروا إلى ما صار إليه من ذلة وهوان.

★ ★ ★

فصل

في مبدأ العداوة الواقعة بين المثبتين الموحدين

وبين النفاة المعطلين

يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا في قديم زمان
 أنا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح مفسر القرآن
 وكذا إلى العقل الصريح وفترة الرحن قبل تغير الإنسان

هي أربع متلازمات بعضها
والله ما اجتمعت لديكم هذه
إذ قلت العقل الصحيح يعارض الـ
فتقدم المعقول ثم نصرف الـ
فإذا عجزنا عنه ألقيناه لم
قد صدقت بعضاً على ميزان
أبدأ كما أقررتم بلسان
منقول من أثر ومن قرآن
منقول بالتأويل ذي الألوان
نعبأ به قصداً إلى الإحسان

الشرح: يخاطب المؤلف في هذه الأبيات أهل النفي والتعطيل وأرباب الجحد والتأويل مبيناً لهم سبب العداوة بينهم وبين أهل الإثبات منذ الزمان الأول فيقول أنه لا سبب لذلك إلا أننا أخذنا عقيدتنا في إثبات الصفات من مصادرها الأصلية التي لا يعول في هذا الباب إلا عليها فأخذناها من القرآن العظيم الذي هو أساس كل علم ومعرفة، ثم من السنن الصحيحة المبينة للكتاب، ثم من العقل الصريح الخالص من شوائب الهوى والتقليد، ثم من الفطرة الأولى التي فطر الله الناس عليها قبل أن تتغير بالتبعية والتلقين وهي التي عنها الرسول ﷺ بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

فهذه المصادر الأربعة متلازمة في الوجود متضافرة على الإثبات يصدق بعضها بعضاً على سواء، ولكنكم لم تعولوا في هذا الباب إلا على أوهام فاسدة وتخيلات كاذبة، فلم تجتمع لكم أبداً هذه الأمور كما اجتمعت لنا وأنتم تقررون على أنفسكم بذلك حيث تزعمون أن العقل الصحيح قد يعارض النقل من كتاب ومن سنة، ومن ثم تقدمون المعقول لأنه في زعمكم قطعى يفيد اليقين، ثم تتصرفون في المنقول بالتأويلات المتعددة على ما فيها من بعد وتكلف سمج، فإذا عجزتم عن التأويل أنكرتم النصوص وطرحتموها جانباً قصداً منكم إلى الإحسان وما هو إلا النفاق والنكران.

★ ★ ★

ولكم بذا سلف لهم تابعتم
صدوا فلما أن أصيبوا أقسموا
لما دعوا للأخذ بالقرآن
لمرادنا توفيق ذي الإحسان

ولقد أصيبوا في قلوبهم وفي
فأتوا بأقوال إذا حصلتها
تلك العقول بغاية النقصان
أسمعت ضحكة هازل مجان
هذا جزاء المعرضين عن الهدى
متعوضين زخارف الهذيان

الشرح: يعني أن لكم في هذا الادعاء الكاذب وهو قصد التوفيق والإحسان بتأويل النصوص سلفاً من المنافقين، جريمتم في ذلك على نهجهم، فقد دعوا إلى التحاكم إلى ما أنزل الله، وإلى الرسول فأبدوا الأعراض والصدود فلما أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم جاءوا إلى الرسول ﷺ يقسمون له ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق.

والمصنف يشير بذلك إلى قوله تعالى في شأن هؤلاء المنافقين ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً* فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً* أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً^(١) [النساء: ٦٠، ٦٣].

ولقد أصيب هؤلاء الحمقى المتهوكون بعمى في قلوبهم وفساد في عقولهم جزاء إعراضهم عما جاءهم به نبيهم من الهدى، واستعاضتهم عنه بأقوال مزخرقة مموهة، كلها سفسطة وهذيان، لا يملك من يطلع عليها إلا أن يضحك ملء شذقيه كما يضحك الهازل المجان.

★ ★ ★

(١) روي في سبب نزول هذه الآيات أنها نزلت في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف، وقيل نزلت في جماعة من المنافقين ممن أظهروا الإسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى حكام الجاهلية. والله أعلم.

واضرب لهم مثلاً بشيخ القنوم إذ
ثم أرتضى أن صار قواداً لأر
وكذاك أهل الشرك قالوا كيف ذا
ثم ارتضوا أن يجعلوا معبودهم
وكذاك عباد الصليب حوا بتا
وأتوا إلى رب السموات العلى
وكذلك الجهمي نزه ربه
حذراً من الحصر الذي في ظنه
فأصاره عدماً وليس وجوده

يأبى السجود بغير ذي طغيان
باب الفسوق وكل ذي عصيان
بشر أتى بالوحي والقرآن
من هذه الأحجار والأوثان
ركهم من النسوان والولدان
جعلوا له ولداً من الذكران
عن عرشه من فوق ذي الأكوان
أو أن يرى متحيزاً بمكان
متحققاً في خارج الأذهان

الشرح: بعد أن ضرب لهم مثلاً بالمنافقين في إعراضهم عن حكم الله ورسوله
إلى حكم طواغيتهم، ضرب لهم مثلاً كذلك إبليس رأس الضلال والشر حيث
امتنع عما أمره الله به من السجود لآدم عليه السلام كبراً منه ومجازاة للحد ثم
ارتضى بعد أن رجه الله ولعنه ان يصير قواداً لأهل الفسوق والعصيان يزين لهم
الفواحش ويغريهم بالإثم والعدوان.

وكذلك المشركون عبدة الأوثان أنكروا أن يكون الرسول الذي يأتي
بالوحي والقرآن بشراً من بني الإنسان، وقالوا ما حكاه الله عز وجل عنهم
﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤] ثم ارتضوا بعد ذلك ان يكون
معبودهم من الأحجار والأوثان.

وكذلك النصارى عباد الصليب لم يرضوا لبطارقتهم وقسيسيهم ان يكون لهم
زوجات وأولاد، ورأوا ذلك عيباً في حقهم، ثم يعمدون إلى ربهم الأعلى، رب
السموات والأرض وما بينها وما تحت الثرى، فينسبون إليه الولد، ويقولون أن
عيسى ابن الله، قولاً بأفواههم يضاهئون به قول الذين كفروا من قبلهم، قاتلهم
الله أنى يؤفكون.

فانظر كيف أنهم لم يجعلوا ربهم حتى مساوياً لرؤسائهم من القسيسين
والرهبان فينزهوه عما نزهوهم عنه من النسوان والولدان، ومثل هؤلاء جميعاً
ذلك الجهمي الذي ينزه ربه عن أن يكون فوق عرشه، خوفاً من وصفه بالحد
والنهاية في زعمه أو أن يكون في حيز ومكان، ثم رضي أن يصفه بصفات
المعدوم الذي لا وجود له إلا في الأذهان.

لكنما قدماؤهم قالوا بأ
جعلوه في الآبار والأنجاس والـ
والقصد أنكم تحيزتم إلى الآ
فتلونت بكم فجئتم أنتم
وعرضتم قول الرسول على الذي
وجعلتم أقوالهم ميزان ما
ووردتم سفلى الميانه ولم نكن
وأخذتم أنتم بنيات الطريق ونحـ
وجعلتم ترس الكلام مجنكم

نّ الذات قد وجدت بكل مكان
حانات والخربات والقيعان
راء وهي كثيرة الهذيان
متلونين عجائب الأكوان
قد قاله الأشياخ عرض وزان
قد قاله والقول في الميزان
نرضى بذلك الورد للظمان
من سرنا في الطريق الأعظم السلطاني
تباً لذاك الترس عند طعان

الشرح: ولكن قدماؤ هؤلاء المعطلة كانوا يقولون بجلول الذات في جميع
الأمكنة، فحكموا على ربهم بالوجود في الأماكن القذرة من الآبار ومواضع
النجاسات وحانات الخمور وخرائب الدور وقيعان الأرض، وهي الأراضي
المستوية السبخة التي لا تصلح للإنبات.

والقصد أن هؤلاء المعطلة بدلاً من أن يتحيزوا إلى القرآن والسنة الصحيحة
وحكم العقل الصريح والفطرة السليمة، تحيزوا إلى آراء فلان وفلان على كثرة ما
فيها من خلط وهذيان، فتلونت بهم هذه الآراء حيث ألبسوها أثواباً من جدلهم
وسفسطاتهم، ثم تلونوا هم بها حتى ظهروا في ألوان مزرية عجيبة، ثم هم مع
تحيزهم لهذه الآراء يقدمونها على قول المعصوم عليه السلام، فيعرضون ما قاله هو على

ما قالته شيوخهم للموازنة بينهما، ثم يجعلون أقوالهم هي الميزان لما قاله مع العول، أي النقص في هذا الميزان.

وقد رضي هؤلاء المعطلة لأنفسهم أن يردوا هذه المياه الآجنة وأن يعبوا منها وينهلوا، مع أنها لا تصلح ورداً لذي الصدى الظآن. ولكننا نحن نرد أعالي المياه فنشرب صفواً خالياً من الكدر والقذى، وهم يسرون في الطرق الصغيرة الضيقة ويتركون الجادة الواسعة، ولكننا نحن نمشي على صراط مستقيم، وهم يترسون عند المخاصمة بقواعد الكلام، ويجعلون منها مجنة يحتمون بها من وقع السهام، فتباً لهذا الترس الذي لا يقي صاحبه عند الطعان.

★ ★ ★

| | |
|---|---|
| ورميت أهل الحديث بأسهم فترسوا بالوحي والسنن التي هو ترسهم والله من عدوانكم أفتاركوه لفشركم ومحالكم ودعوتونا للذي قلتم به فاشتمد ذلك الحرب بين فريقنا وتأصلت تلك العداوة بيننا بسجوده فعصى وعارض أمره فأتى التلاميذ الوقاح فعارضوا ومعارض للأمر مثل معارض الأ | عن قوس موتور الفؤاد جبان تتلوه نعم الترس للشجعان والترس يوم البعث من نيران لا كان ذاك بمنة الرحمن قلنا معاذ الله من خذلان وفريقكم وتفاقم الأمران من يوم أمر الله للشيطان بقياسه وبعقله الخوان أخباره بالفشر والهذيان خبارهم في كفرهم صنوان |
|---|---|

الشرح: يعني أنكم حين رميت أهل الحديث بسهام كلامكم المفلولة بدافع من حقدكم الأسود في جبن ونذالة تترسوا منكم بالوحي، أي القرآن، وبالسنن التي تتلوه، أي تتبعه، وهما نعم الترس للشجعان. فهذا هو ترسهم في الدنيا من سهام كيدكم وعدوانكم، وهو ترسهم في الآخرة من عذاب النيران، أفتظنون أنهم يتركون ذلك من أجل ما تشغبون به من فشر وهذيان، أن ذلك لا يكون

أبدأ بفضل الرحمن ، وحين دعوتمونا لأن ندخل فيما دخلتم فيه من مضايق الشيطان ونقول بالذي قلتموه من زور وهتان ، قلنا نعوذ بالله ونعتصم به من الخذلان . فاشتدت من أجل ذلك بيننا وبينكم الحرب العوان ، وكانت العداوة قد تأصلت بيننا من قديم الزمان ، حين أمر الله شيخكم وأستاذكم الشيطان بالسجود لآدم ، فأظهر العصيان ، وعارض أمر الله الواحد الديان ، بقياسه الفاسد وعقله الخوان حيث قال : ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] .

فجئتم أنتم أيها التلاميذ الوقحاء بعد أستاذكم أمام أهل الخيبة والشقاء فعارضتم أخبار ربكم بالفشر والهراء ، كما عارض هو أمره بالاستكبار والإباء . ومعارض الأخبار النازلة من عند رب السماء هو في الجرم كمعارض أمره من طين .

★ ★ ★

| | |
|---------------------------------|------------------------------|
| من عارض المنصوص بالمعقول قد | ما أخبرونا يا أولي العرفان |
| أو ما عرفتم أنه القدري والـ | جبري أيضاً ذاك في القرآن |
| إذ قال قد أغويتني وفتنتني | لأزينن لهم مدى الأزمان |
| فاحتج بالمقدور ثم أبان أن الـ | فعل منه بغية وزيان |
| فانظر إلى ميراثهم ذا الشيـ | خ بالتعصيب والميراث بالسهمان |
| فسألتكم بالله من وراثه؟ | منا ومنكم بعد ذا التبيان |
| هذا الذي ألقى العداوة بيننا | إذ ذاك واتصلت إلى ذا الآن |
| أصلتم أصلاً وأصل خصمكم | أصلاً فحين تقابل الأصلان |
| ظهر التباين فانتشت ما بيننا الـ | حرب العوان وصيح بالأقران |

المفردات : قدماً - قديماً - القدري : من لا يؤمن بالقدر السابق . الجبري : نسبة إلى الجبر ، وهو من يقول أن العبد مجبور على فعله . الغية : واحدة الغي وهو ضد الرشد . الزيان : ما يتزين به الميراث ، بالتعصيب : أن يكون الوارث عصبه للمورث كالأب والأخ والعم . أصل الشيء : وضع أصوله وقواعده .

الشرح: يقول المؤلف لهؤلاء الغاوين الذين اتخذوا من إبليس اللعين قدوة لهم في الضلال والغي. من ذا الذي كان أول من استعمل القياس وعارض الأمر المنصوص بالرأي المعقول؟ أخبرونا به إن كنتم كما تدعون من أولي المعرفة والتحقيق. أو لم تعرفوا أنه إبليس رأس الشر. ذلك القدرى الجبري الذي جمع بين الضدين، كما حكى ذلك عنه القرآن العظيم حيث قال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]. فاحتج بالمقدور حين قال: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ فكان جبرياً، ثم أظهر أن أفعال العباد تقع بإغوائه وتزيينه هو فكان قدرياً.

فانظر كيف ورث القدرية والمجبرة وغيرهم من فرق الضلال ميراث أستاذهم الأول بطريق التعصيب بحيث أصبح مقسوماً بينهم على أسهمهم ونحن نستحلفهم بالله أن يخبرونا من أحق منا ومنهم بميراث هذا الشيطان الرجيم؟ بعدما وضحنا لهم القول بأنه هو الذي أسس لهم كل باطل من الرأي ذميم. وهو الذي ألقى العداوة بين الفريقين من أوليائه وأعدائه فاستمرت مستعرة حتى الآن، ولا تزال كذلك ما دام في الأرض حق وباطل حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وذلك لأن أهل الباطل قد أصلوا لأنفسهم أصولاً وأصل خصومهم من أهل الحق أصولاً، ولن يتلاقى الأصلان أبداً بل بينهما من التباين ما بين الليل والنهار ولهذا قامت الحرب بيننا، واشتد أوارها وتتادى الأقران من كل مكان، وطلبوا المبارزة والطعان.

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| أصلتم آرا الرجال وخرصها | من غير برهان ولا سلطان |
| هذا وكم رأى لهم فبرأى من | نزن النصوص فأوضحوا بيان |
| كل له رأى ومعقول له | يدعو ويمنع أخذ رأى فلان |
| والخصم أصل محكم القرآن مع | قول الرسول وفطرة الرحمن |
| وبنى عليه فاعتلى بنيانه | نحو السما أعظم بهذا البيان |

وعلى شفا جـرف بنيم أنتم فأتت سيول الوحي والإيمان
قلعت أساس بنائكم فهدمت تلك السقوف وخر للأركان
الله أكبر لو رأيتم ذلك البنيان حين علا كمثل دخان
تسمو إليه نواظر من تحته وهو الوضع ولو يرى بعيان
فاصبر له وهناً ورد الطرف تلقاه قريباً في الخضيض الداني

المفردات: الخرص: التخمين والكذب. سلطان: حجة. شفا جـرف: الشفا
الحرف والشفير والجرف: البئر التي لم تطو أو الهواة والمعنى على طرف حفرة.
خر: سقط ووقع. وهنا: قليلاً.

الشرح: أما أصلكم الذي أصلتم فهو تقليد الرجال والأخذ بآرائهم المبنية
على التخرص والتخمين بلا حجة ولا دليل. وهذه الآراء كذلك كثيرة
ومتضاربة يناقض بعضها بعضاً فكل من أصحاب المذاهب والمقالات له رأي
يدعو إليه ويمنع من الأخذ برأي غيره، فقولوا لنا برأي من من هؤلاء نزن
نصوص الكتاب والسنة مع تضاربها وتناقضها؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية في هذا الصدد:

(ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة من المتأولين لهذا الباب في أمر
مريج، فإن من ينكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل
ومن يحيل أن الله علماً وقدرة وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول أن
العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل
والشرب الحقيقي في الجنة يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.
ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر
إلى التأويل.

ويكيفيك دليلاً على فساد قول هؤلاء أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما
يحيله العقل بل منهم من يزعم أن العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر أن
العقل أحالة. يا ليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة؟) أهـ.

وأما خصومكم من أهل الحق فقد اتخذوا أصلاً لهم محكم القرآن وسنة الرسول وفطرة الرحمن وهي أقوى الأصول وأثبتها ، ولهذا حين بنوا عليها شمش بناؤهم وبلغ أجوار السماء ، فما أعظمه من بناء ، وأما أنتم فحين بنيتم على أصلكم الواهي المنهار بنيتم على شفا جرف هار ، فما لبثت سيول الحق أن جرفته أمامها واقتلعت من أساسه فخر سقفه وتداعت أركانه . وهكذا الباطل دائماً مهما علا وارتفع لا ثبات له ولا قرار فهو أشبه شيء بالدخان يراه الناظر متصعداً في السماء حتى يغيب في ارتفاعه عن العيون مع أنه أوضع شيء وأسفله لو كانوا يعلمون . وإن شئت أن تعرف ذلك فاصبر له قليلاً من الزمان ، ثم رد البصر إليه تلقه قد نزل إلى أسفل مكان ، وما أحسن قول الله عز وجل في وصف الحق والباطل : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

فصل

في بيان أن التعطيل أساس الزندقة والكفران والاثبات أساس العلم والإيمان

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| من قال أن الله ليس بفاعل | فعلا يقوم به قيام معان |
| كلا وليس الأمر أيضاً قائماً | بالرب بل من جملة الاكوان |
| كلا وليس الله فوق عباده | بل عرشه خلو من الرحمن |
| فثلاثة والله لا تبقى من الا | يمان حبة خردل بوزان |
| وقد استراح معطل هذه الثلا | ث من الاله وجملة القرآن |
| ومن الرسول ودينه وشريعة الإ | سلام بل من جملة الأديان |
| وتمام ذاك جحوده لصفاته | والذات دون الوصف ذو بطلان |

وتمام ذا الإيمان إقرار الفتى بالله فاطر هذه الأكوان
فإذا أقرَّ به وعطل كل مفروض ولم يتوق من عصيان
لم ينقص الايمان حبة خردل انى وليس بقابل النقصان

الشرح: يعني أن من أنكر أن يكون الله عز وجل فاعلاً بفعل هو وصف له قائم بذاته قيام المعنى بالموصوف. وأنكر أن يكون لله أمر هو أمر به بل جعل أمره من جملة الأشياء المخلوقة. وأنكر كذلك أن يكون الله فوق عرشه بذاته بل عطل عرشه منه، فهاذا بقى له بعد إنكاره لهذه الثلاثة من الإيمان؟ أنه لم يبق من إيمانه ما يزن حبة خردل، وقد استراح بهذا التعطيل والإنكار. من الله وكتابه ورسوله ودينه ومن شرائع الإسلام كلها بل من الأديان جملة. وأصبح زنديقاً متجرداً من جميع الأديان، ومن تمام ذلك التعطيل والإنكار جحدهم لصفات الرب جل شأنه، فإنه لا يعقل وجود ذات في الخارج مجردة عن الصفات، فتعطيل الصفات هو كتعطيل الذات.

ومن تمام ذلك أيضاً اعتقاد الجهمية بأن الإيمان هو مجرد الإقرار بالله خالق الأكوان فمتى أقرَّ به فقد كمل إيمانه مهما عطل من فرائض ومهما ارتكب من عصيان، فإن هذا الإيمان عندهم ليس بقابل للنقصان، وقد تقدم الكلام عن هذا المذهب في أول الكتاب.

★ ★ ★

وتمام هذا قوله أن النبوة ليس وصفاً قام بالإنسان
لكن تعلق ذلك المعنى القديم بمواحد من جملة الإنسان
هذا وما ذاك التعلق ثابتاً في خارج بل ذاك في الأذهان
فتعلق الأقوال لا يعطى الذي وقفت عليه الكون في الأعيان
هذا إذا ما حصل المعنى الذي قلم هو النفسي في البرهان
لكن جمهور الطوائف لم يروا ذا يمكننا بل ذاك ذو بطلان
ما قال هذا غيركم من سائر النظار في الآفاق والأزمان

تسعون وجهاً بينت بطلانه لولا القريض لسقتها بوزان

الشرح: هذه الآيات فيها إزام للأشاعرة والكلابية القائلين بالكلام النفسي بأنهم ينفون وصف النبوة وينكرون قيامه بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن معنى لفظ النبي عندهم قديم قائم بذاته تعالى كغيره من المعاني النفسية التي هي كلامه، فمعنى النبوة عندهم إذا هو تعلق ذلك المعنى القديم بواحد من الناس فيصير بذلك نبياً، ومعلوم أن هذه التعلقات أمور عدمية لا وجود لها في الخارج، بل إنما يفرض وجودها في الأذهان، فتعلق الأقوال بشيء إذا لا يعطى ما تعلقت به الوجود في الأعيان ما دام هذا التعليق عدمياً، وبذلك لا يكون تعلق لفظ النبي بواحد من الناس بمكسب له صفة النبوة، هذا إذا ما صح القول بالكلام النفسي وقام البرهان على ثبوته، مع أن جمهور الطوائف من المتكلمين والفلاسفة ينكروه ويراه محالاً فلم يقل به أحد من النظائر غيركم في سائر الجهات وفي جميع الأزمان.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رسالة في إبطال الكلام النفسي بلغ بها نحواً من ثمانين وجهاً وقد أوصلها تلميذه ابن القيم رحمه الله إلى تسعين وجهاً، ثم قال لولا صعوبة إيرادها في الشعر لسقتها موزونة مقفاة.

★ ★ ★

يا قوم أين الرب؟ أين كلامه؟
ما فوق عرش الرب من هو قائل
ولقد شهدتم أن هذا قولكم
وارحمتاه لكم غبتم حظكم
ونسبتم للكفر أولى منكم
هذي بضاعتكم فمن يستامها
وتمام هذا قولكم في مبدأ
وتمام هذا قولكم بفناء دا

أين الرسول فأوضحوا بيان
طه ولا حرفاً من القرآن
والله يشهد مع أولى الإيمان
من كل معرفة ومن إيمان
بـالله والإيمان والقرآن
فقد ارتضى بالجهل والخسraz
ومعادنا أعني المعاد الثاني
ر الخلد فالداران فانيتاز

يا قومنا بلغ الوجود بأسره الدنيا مع الأخرى مع الإيمان
والخلق والأمر المنزل والجزء ومنازل الجنات والنيران

الشرح: فقولوا لنا أين الرب إذا كنتم تنكرون وجوده فوق عرشه
وتجدون قيام كل صفة به، وأين كلامه إذا كنتم لا تؤمنون بأن هذا القرآن
هو كلامه وأنه قائم به قيام المعنى بموضوعه، وأين الرسول إذا إن كنتم لا
تقرون بقيام معنى الرسالة به، وتردون الأمر إلى التعليق وحده. فالخلق إنكم لا
تؤمنون بأن فوق العرش رباً قال أو يقول أو هو قائل متكلم بطله أو غيرها من
القرآن، وأنتم تشهدون على أنفسكم بذلك، والله يشهد عليكم بذلك أيضاً،
والمؤمنون يشهدون. واحسرتاه عليكم قد أضعتم نصيبكم من كل معرفة وإيمان
حين قلتم هذا الزور والبهتان.

ومن العجيب أنكم تنسبون إلى الكفر من هو أولى وأحق منكم بالله والإيمان
والقرآن، فهذه بضاعتكم الفاسدة تنادي على نفسها بالبوار، فمن يطلبها
ويسومها فقد رضي لنفسه بالجهل والخسران.

ومن تمام زندقتم وإلحادكم قولكم في المبدأ إن هذا العالم بقي معدوماً مدة
لا نهاية لها من الزمان قبل أن يخلقه الله، فالله عندهم لم يكن فاعلاً ثم فعل،
وقولكم في المعاد أن الله يعدم هذا العالم ويفنيه بالكلية ثم يعيده عن عدم محض.

ومن تمام ذلك أيضاً قولكم بأن الجنة والنار غير باقيتين، بل يجيء عليهما
وقت يفنيان فيه هما وأهلها، فإنكاركم وجحودكم قد انتظم الوجود كله، الدنيا
والآخرة والإيمان، والخلق والأمر المنزل، والثواب والعقاب، ومنازل الجنات
والنيران.

★ ★ ★

والناس قد ورثوه بعد فمنهم ذو السهم والسهمين والسهمان
بئس المورث والمورث والترا ث ثلاثة أهل لكل هوان

يا وارثين نبيهم بشراكم
 شتان بين الوارثين وبين مو
 يا قوم ما صاح الأئمة جهدهم
 إلا لما عرفوه من أقواله
 قول الرسول وقول جهم عندنا
 نصحوكم والله جهد نصيحة
 فخذوا بهديهم فربتي ضامن
 فإذا أبيتم فالسلام على من اتب
 ما إرثكم مع إرثهم سيان
 روئها وسهام ذي سهمان
 بالجهم من أقطارها بأذان
 ومآلها بحقيقة العرفان
 في قلب عبد ليس يجتمعان
 ما فيهم والله من خوان
 ورسوله أن تفعلوا بجان
 مع الهدى وانقاد للقرآن

الشرح: يعني أن جهماً وشيعته قبحهم الله حين وضعوا أصول هذه الضلالات ورثها عنهم من بعدهم من أرباب المذاهب والمقاتلات، كالمعتزلة والفلاسفة والأشعرية، كل على قدر نصيبه منها، فمنهم صاحب السهم والسهمين والسهمان الكثيرة. فبئس المورث حيث خلف من بعده شراً كثيراً وبلاء مستطيراً، وبئس الوارث حيث جنح بعقله إلى هذه القاذورات والأوساخ، واستعاض بها عن هدى الله الذي جاء به نبيه عليه السلام وبئست التركة التي لا خير فيها لمن ورثها بل تعود عليه بأفدح الأضرار. فهذه الثلاثة أهل لكل مهانة واحتقار. وأما أنتم أيها الوارثون لهدى نبيهم وعلمه فأبشروا برحمة من الله ورضوان، فما إرثكم الكريم وإرث هؤلاء الضالين سيان، بل شتان بينهما شتان.

نعم شتان بين الوارثين، فهؤلاء ورثوا هدى وإيماناً، وأولئك ورثوا ضلالاً وكفراناً، وشتان بين الموروثين، فهذا ورث خيراً وعلماً نافعاً وهدى مبيناً، وهذا ورث شراً وجهلاً وضلالاً بعيداً.

ولما ظهرت فتنة الجهم واندلعت ألسنتها في أقطار الإسلام قام أئمة الهدى يصيحون به من كل جانب يعرفون الناس بحقيقة أقواله وما تؤول إليه من هدم قواعد الإيمان ويبينون لهم أن أقواله وآراءه هي وما جاء به الرسول ضدان لا يجتمعان، فلم يألوا هذه الأمة نصحاً ولا قصرُوا في واجب الاعلام والبيان، ولا

عمدوا إلى كذب أو خيانة أو كتمان، فالواجب أن نأخذ بهديهم وأن نسير على نهجهم، فإن الله ورسوله ضامنان لمن سلك سبيلهم أن يرث علي الجنان، فإذا امتنعت عن اتباع سبيلهم والاستماع لنصحهم، فاعلموا أن السلام على من اتبع الهدى وأذعن للقرآن.

★ ★ ★

سيروا على نجب العزائم واجعلوا سبق المفرد وهو ذاكر ربه لكن أخو الغفلات منقطع به صيد السباع وكل وحش كاسر وكذلك الشيطان يصطاد الذي والذكر أنواع فأعلى نوعه وثبوتها أصل لهذا الذكر والنـ فلذاك كان خليفة الشيطان ذا والذاكرون على مراتبهم فأعـ بصفاته العليا إذا قاموا بجمـ

بظهورها المسرى إلى الرحمن في كل حال ليس ذا نسيان بين المفاوز تحت ذي الغيلان بئس المضيف لأعجز الضيفان لا يذكر الرحمن كل أوان ذكر الصفات لربنا المنان فإي لها داع إلى النسيان لا مرجحاً بخليفة الشيطان لاهم أولو الإيمان والعرفان يد الله في سر وفي إعلان

الشرح: يأمر المؤلف أهل السنة والإيمان أن يمتطوا ركائب الهمم وحياد العزائم، وأن يجعلوا مسيرهم على صهواتها إلى الرحمن جل شأنه ولا يكونوا كأهل الغفلة الذين خبت منهم العزائم، فقعدوا عن السباق في مضمار الطاعات، فقد سبق المفردون^(١) وهم الذاكرون لله على كل حال، بحيث لا ينسونه أبداً في لحظة من اللحظات. وأما أهل الغفلة والغرات من المتبعين للأهواء والشهوات، فقد انقطعت بهم حرهم المعقرة بين المفاوز والمتاهات، فاحتوشتهم هنالك

(١) روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمرّ على جبل يقال له جدان، فقال سيروا هذا جدان سبق المفردون، قيل وما المفردون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات».

الغيلان والحيات، وصاروا فريسة للسباع الضاريات والوحوش الكاسرات. وكذلك الشيطان يصطاد بشباكه أهل الغفلات الذين لا يذكرون الله في جميع الأوقات، وفي الحديث الصحيح « أن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا ذكر الله تعالى » وذكر الله عز وجل أنواع، فأعلاها ذكره سبحانه بما له من الأسماء والصفات. وهذا الذكر لا يتأتى إلا مع الإثبات لها، وأما من ينفىها ويجحدها فهو داع إلى نسيانها، ولهذا كان النافي لها خليفة الشيطان، لأنه يدعو إلى مثل ما يدعو إليه من الغفلة والنسيان. قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

وكذلك الذاكرون لله على مراتب ودرجات، فأعلاهم منزلة هم أولو الإيمان والمعرفة بمعاني أسائه الحسنی وصفاته العليا سبحانه، وذلك حين يقومون لله بها في السر والإعلان، فكلما كان العبد أتم إيماناً ومعرفة بصفات الله عز وجل كان أشد خشية له وأقرب إليه زلفى وأعظم عنده جاها ومنزلة.

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| وأخص أهل الذكر بالرحمن أع | ولمهم بها هم صفوة الرحمن |
| وكذاك كان محمد وأبوه اب | راهيم والمولود من عمران |
| وكذاك نوح وابن مريم عندنا | هم خير خلق الله من إنسان |
| لمعارف حصلت لهم بصفاته | لم يؤتها أحد من الإنسان |
| وهم أولو العزم الذين بسورة الأ | حزاب والشورى أتوا ببيان |
| وكذلك القرآن مملوء من الأ | وصاف وهي القصد بالقرآن |
| ليصير معروفاً لنا بصفاته | ويصير مذكوراً لنا بجنان |
| ولسان أيضاً مع محبتنا له | فلأجل ذا الإثبات في الإيمان |
| مثل الأساس من البناء فمن يرم | هدم الأساس فكيف بالبيان |
| والله ما قام البناء لدين رس | ل الله بالتعطيل للديان |

ما قام إلا بالصفات مفصلاً إثباتها تفصيل ذي عرفان
فهي الأساس لديننا ولكل دين من قبله من سائر الأديان

الشرح: وأكثر الذاكرين اختصاصاً بالرحن جل شأنه وأقربهم إليه منزلة هم أعلمهم بصفاته، فهم خيرة الله وصفوته من عباده، ولهذا كان أولو العزم من الرسل وهم الخليلان محمد وإبراهيم، وموسى بن عمران الكليم، وعيسى ونوح عليهم جميعاً أزكى الصلوات وأتم التسليم هم أفضل البشر على الإطلاق لأنهم أوتوا من العلم بصفات الله تعالى ما لم يؤتته أحد غيرهم. وهم كذلك متفاوتون فيما بينهم بأكملهم الخليلان محمد وإبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم نوح، فهم في الفضل على هذا الترتيب، وهم أولو العزم الذين ذكرهم الله عز وجل في سورتي الأحزاب والشورى كما سبق بيانه.

والقرآن كذلك مملوء من ذكر صفات الرب وأسمائه حتى لا تكاد تخلو من ذلك سورة من سوره، بل هي المقصود الأول من إنزال القرآن، فإن أعظم غايات الدين أن يعرف العباد ربهم بما له من الأسماء والصفات، وأن يذكره بها ذكراً يواطئ القلب فيه اللسان فيصير مذكوراً لهم بقلوبهم وألسنتهم مع شدة محبتهم وتعظيمهم له. ولأجل هذا كان إثبات الصفات للإيمان كالأساس للبناء، فمن يقصد هدم الأساس بنفي الصفات لم يتم له بناء وكان فؤاده من الدين هواء.

فوالله ما قام لله في أرضه دين بعث به رسول على أساس من الجحد والتعطيل بل ما قامت الأديان والرسالات كلها إلا على إثبات الصفات بالتفصيل فهي الأساس لديننا، ولكل دين قبله من لدن أول الرسل نوح عليه السلام.

★ ★ ★

وكذاك زندقة العباد أساسها الت
عطيل يشهد ذا أولو العرفان
والله ما في الأرض زندقة بدت
إلا من التعطيل والنكران
والله ما في الأرض زندقة بدت
من جانب الإثبات والقرآن

ومصنفاتهم بكل مكان
ق العرش مستول على الأكوان
متكلم بالوحي والقرآن
موسى فأسمعه بذي الآذان
للعقل بل أمران متفقان
ه لا المحال البيّن البطلان
أس الهدى ومعاقبل الإيمان
يبقى على التعطيل من إيمان
أقوال مضطلع بهذا الشأن
هذا وأعظم منه رأي عيان
ما حيلة الكحال في العميان

هذي زنادقة العباد جميعهم
ما فيهم أحد يقول الله فو
ويقول إن الله جل جلاله
ويقول إن الله كلم عبده
ويقول إن النقل غير معارض
والنقل جاء بما يحار العقل في
فانظر إلى الجهمي كيف أتى إلى
بمعاول التعطيل يقطعها فما
يدري بهذا عارف بماخذ ال
والله لو حقدتم لرأيتم
لكن على تلك العيون غشاوة

الشرح: وكما أن الإثبات للصفات هو أساس الهدى والإيمان، فكذلك
الجحد والتعطيل سبب لكل زندقة وإلحاد، يشهد بذلك أهل المعرفة بأديان
العباد فما ظهرت في الأرض زندقة إلا من هذا الوادي، فهؤلاء زنادقة الأرض
كلهم من فلاسفة وصوفية، وقرامطة واتحادية وحلولية. ومصنفاتهم التي أودعوها
مذاهبهم موجودة بكل مكان تنطق عليهم بالإلحاد والتعطيل، والصد عن سواء
السبيل، فليس فيهم أبداً من يقول إن الله موجود فوق عرشه مستول على خلقه
ولا من يقول إن الله متكلم بالوحي والقرآن كلاماً حقيقياً مسموعاً بالآذان، ولا
من يقول بما قاله القرآن إن الله كلم عبده موسى بن عمران، ولا من يقول إن
العقل والنقل لا يتعارضان، بل هما دائماً متفقان. بل كلهم يرى أن النقل قد
ورد بما يحيله العقل ويحكم عليه بالبطلان.

فانظر يا أخوا العقل إلى ما جناه هذا الجهمي المعطل، وكيف أتى إلى أصول
الهدى وحصون الإيمان فأعمل فيها معاول جحده وتعطيله حتى تداعت منها
الأركان ولا يعرف هذا الا خبير بأقوال العباد ومآخذها ممن هو كلف بهذا
الشأن. وأنتم أيها الضالون المفتونون لو أمعنتم النظر وصحت منكم العيون لرأيتم

أكثر مما ذكرته لكم من أنواع الضلال والفتون، ولكنكم عمي لا تبصرون.

فصل

في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والاثبات بتنقيص الرسول

قالوا تنقصتم رسول الله وا
عزلوه أن يحتج قط بقوله
عزلوا كلام الله ثم رسوله
جعلوا حقيقته وظاهره هو ال
قالوا وظاهره هو التشبيه والت
من قال في الرحمن ما دلت عليه
فهو المشبه والمثل والمج
تالله قد مسخت عقولكم فلي
ومريم حزب الرسول وجنده
وجعلتم التنقيص عين وفاقه
عجبا لهذا البغي والبهتان
في العلم بالله العظيم الشان
عن ذلك عزلا ليس ذا كتمان
كفر الصريح اليين البطلان
جسيم حاشا ظاهر القرآن
ه حقيقه الأخبار والفرقان
سم عابد الأوثان لا الرحمن
س وراء هذا قط من نقصان
بمصابكم يا فرقة البهتان
إذ لم يوافق ذلك رأي فلان

الشرح: ومن العجب أن هؤلاء المعطلة المبطلين يرمون أهل الحق والسنة
الموحدين بأنهم يتنقصون من قدر الرسول الأمين لأنهم ينهون عن شد الرحال
إلى زيارة قبره فضلاً عن قبور غيره، عملاً بقوله هو وأمره، حيث قال في
الصحيح: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام
والمسجد الأقصى » ونسي هؤلاء البغاة أنهم هم أولى وأحق بما رموا به خصومهم
فقد عزلوا كلامه صلى الله عليه وسلم عن أن يحتج به في باب العلم بالله وأسمائه وصفاته. فإذا
رؤي لهم حديث صحيح يتضمن شيئاً من ذلك قالوا هذه أخبار آحاد لا يحتج
بها في باب الاعتقاد، بل عزلوا كلام الله ورسوله عن إفادة العلم واليقين عزلاً لا

خفاء فيه حيث حكموا بأن حقيقته وظاهره كفر صريح، وباطل بين لا شبهة فيه لأنه في زعمهم يفضي إلى التجسيم والتشبيه، فمن قال عندهم بما دلت عليه حقيقة الأخبار النبوية وآيات الكتاب العزيز، فهو المشبه الممثل المجسم عابد الأوثان لا عابد الرحمن.

فانظر إلى هذا المسخ والتشويه الذي أصاب عقول هؤلاء المماليك حتى وصلت إلى أحط الدرجات حيث رموا حزب الرسول وجنده بدائهم وبهتوهم بما هو ألصق بهم، فكانوا كما قال القائل: «رمتني بدائها وانسلت». وجعلوا الموافق لقول الرسول تنقيصاً له ما دام لا يوافق رأي شياطينهم.

★ ★ ★

| | |
|---|---|
| أنتم تنقصتم إله العرش نزهتموه عن صفات كماله وجعلتم ذاك كله التشبيه والت وكلامكم فيه الشفاء وغاية ال جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما وكلامه لا يستفاد به اليق تحكيمه عند اختلافها بل ال أي التنقص بعد ذلك لولا الوقا يا من له عقل ونور قد غدا | والقرآن والمبعوث بالقرآن وعن الكلام وفوق كل مكان مثيل والتجسيم ذا البطلان تحقيق يا عجباً لذا الخذلان فيها من الأخبار والقرآن من لأجل ذلك لا يقبل الخصمان معقول ثم المنطق اليونان حة والجراءة يا أولي العدوان يمشي به في الناس كل زمان |
|---|---|

الشرح: بل أنتم المنتقصون لا للرسول ﷺ وحده بل لله ولكتابه ولرسوله، حيث نفيت صفات كماله سبحانه بحجة التنزيه، ونفيت كذلك كلامه وعلوه على خلقه، وسميت هذا كله تشبيهاً وتمثيلاً وتجسماً تسمية من عند أنفسكم ما أنزل الله به من سلطان، وزعمتم لأنفسكم أنكم أهل التحقيق والعرفان وأن كلامكم فيه غاية التدقيق وشفاء الحيران فما أشد ما أنتم فيه من ضلال وخذلان حيث تجعلون ما في عقولكم من زور وبهتان أحق بالتقديم والأخذ بما فيه من الأخبار

والقرآن، وأما كلامه فلا يستفاد منه اليقين والإيمان، ومن أجل هذا لا تقبلون عند التنازع والاختلاف تحكيم السنة والقرآن، بل تلجأون إلى مسلماتكم العقلية واصطلاحاتكم الكلامية وإلى أقيسة منطق اليونان.

فأي تنقص بعد هذا لله ولرسوله وللقرآن، لولا فقدانكم الحياء يا أولي الإثم والعدوان، ولكن من رزقه الله عقلاً يهديه ونوراً يمشي به في الناس يدرك حقيقة ما أنتم عليه من زور وبهتان.

★ ★ ★

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| لكننا قلنا مقالة صارخ | في كل وقت بينكم بأذان |
| الرب رب والرسول فعبده | حقاً وليس لنا إله ثان |
| فلذاك لم نعبده مثل عبادة الـ | رحمن فعل المشرك النصراني |
| كلا ولم نغل الغلو كما نهى | عنه الرسول مخافة الكفران |
| لله حق لا يكون لغيره | ولعبده حق هما حقان |
| لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً | من غير تمييز ولا فرقان |
| فالحج للرحمن دون رسوله | وكذا الصلاة وذبح ذا قربان |
| وكذا السجود ونذرنا ويمينا | وكذا متاب العبد من عصيان |
| وكذا التوكل والإنابة والتقى | وكذا الرجاء وخشية الرحمن |
| وكذا العبادة واستعانتنا به | إياك نعبد ذان توحيدان |
| وعليهما قام الوجود بأسره | دنيا وأخرى حبذا الركنان |
| وكذلك التسبيح والتكبير والتـ | هليل حق الهنا الديان |

الشرح: لله در المؤلف فقد بين في هذه الأبيات حق الله الذي لا ينبغي لأحد سواه، ونعى على هؤلاء القبوريون غلوهم في تعظيم المخلوقين، حتى جعلوهم أنداداً لله رب العالمين، فهو يقول لهم: إننا ما زلنا نصرخ فيكم كل وقت وننادي بأعلى صوتنا أن لا تجعلوا لله شريكاً في ربوبيته، فإنه رب واحد سبحانه، وأما الرسول ﷺ فهو عبد الله حقاً، ولكنه خير عبد، وليس هو إلهاً

مع الله كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٥١] ولذلك لم نعبده مثل عبادتنا لله، كما فعل النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام، حيث جعلوه ابناً لله، بل قال بعضهم أنه هو الله، وكذلك لم نغل فيه كما غلا النصارى في عيسى وهو قد نهانا عن هذا الغلو خشية أن يفضي بنا إلى الكفر، ففي الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله».

وحاصل هذا الباب إن لله عز وجل حقاً ورسوله ﷺ حقاً، فأما حق الله فهو مختص به لا يجوز أن يشركه غيره فيه. وأما حق الرسول فهو ثابت له أيضاً، فلا يصح أن نخلط بين الحقين فنجعل ما هو مختص بأحدهما للآخر دون تفرقة أو تمييز، فإن تلك هي الندية التي نهانا عنها الله ورسوله.

فأما حقوق الله التي لا تنبغي إلا له فمنها الحج، وهو القصد إلى زيارة بيته الحرام لأداء المناسك المعروفة، ومنها الصلاة، فرضاً كانت أو نفلاً، ومنها الذبح لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢] والنسك هو الذبح، ولقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] فكما أمره بالصلاة لربه أمره بالنحر له، ومنها السجود وهو وضع الجبهة على الأرض على جهة الذل والخضوع لقوله عليه السلام لمعاذ حين سجد له: «لو كنت امرأةً أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولكن لا ينبغي السجود إلا لله».

ومنها النذر، فإن النذر عبادة لا تنبغي إلا لله، قال تعالى: ﴿وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] ومدح الأبرار من عباده بأنهم ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] وقال: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

ومنها اللف فإنه تعظيم للمحلف به، وذلك لا يكون إلا لله، قال عليه

الصلاة والسلام: « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال: « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليذر ».

ومنها التوبة من المعاصي، وهي الرجوع إلى الله عز وجل بالندم والاستغفار والعزم على عدم العود إلى المعصية، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ [التحریم: ٨] وقال: ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠] وفي الحديث: « أن النبي ﷺ قال لرجل: ألا تتوب؟ فقال الرجل: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فضحك النبي ﷺ وقال: عرف الحق لأهله ».

ومنها التوكل، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢] وفي الحديث « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خاصاً وتروح بطاناً ».

ومنها الإنابة لقوله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ﴾ [الروم: ٣١] وقوله: ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر: ٥٤] وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ [الزمر: ١٧].

ومنها التقى لقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَتَّقُونَ ﴾ [النحل: ٥٢] وقوله: ﴿ وَإِنِّي لَأَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٤١] وقوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢] فجعل سبحانه الطاعة له ولرسوله، وجعل الخشية والتقوى له وحده.

ومنها الرجاء والخشية لقوله تعالى: ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقوله: ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦].

ومنها العبادة والاستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥] أي لا نعبد إلا أنت ولا نستعين إلا بك، فهذا توحيدان، توحيد في العبادة والإلهية، وتوحيد في الإستعانة، أي في طلب العون والتوكل عليه في كل أمر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وعلى هذين التوحيدين قام الوجود كله، دنياه وآخرته، فإن الأمر بين الرب وعبده دائر بين العبادة التي هي حقه وبين طلب العبد منه ما لا سبيل إلى تحصيله إلا بعونه، فبها ينتظم شئون المعاد والمعاش.

ومنها التسييح والتهليل والتكبير، أي قولنا باللسان مع مواطأة القلب: سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر. ومثلها أيضاً جميع العبادات القولية من السؤال والدعاء والذكر والاستغاثة والاستعاذة والاستخارة والتسمية وغيرها والله سبحانه أعلم.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| لكنما التعزيز والتوقير حق | ق للرسول بمقتضى القرآن |
| والحب والإيمان والتصديق لا | يختص بل حقان مشتركان |
| هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة | لا تجهلوهما يا أولي العدوان |
| حق الإله عبادة بالأمر لا | بهوى النفوس فذاك للشيطان |
| من غير إشراك به شيئاً هما | سببا النجاة فحبذا السبيان |
| ورسوله فهو المطاع وقوله المـ | قبول إذ هو صاحب البرهان |
| والأمر منه الحتم لا تخيير فيـ | ه عند ذي عقل وذو إيمان |

الشرح: وأما الحق الذي يختص به الرسول ﷺ فهو تعزيره، أي نصره وتوقيره. أي إجلاله واحترامه، وقد أمرنا الله بذلك في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّرَ لَهُ وَتُوقَرُوا وَتُسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ [الفتح: ٩] فبدأ بالحق المشترك وهو

الإيمان ثم نثنى بحق الرسول الكريم في التعزيز والتوقير ، ثم ثلث بحقه هو سبحانه في التسبيح بالغدوة والعشي . ومن المفسرين من يجعل الضمائر الثلاثة راجعة إلى الله جل شأنه وهو وجه ضعيف .

وهناك حقوق مشتركة بين الله عز وجل وبين رسوله ﷺ ، وهي المحبة والإيمان والتصديق .

أما المحبة فلقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة: ٢٤] .

وقوله عليه السلام « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » .

وأما الإيمان فلقوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧] .

وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴾ [الفتح: ١٣] .

وأما التصديق فلقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [الأحزاب: ٢٢] .

فهذه هي تفاصيل الحقوق الثابتة لله ولرسوله حقان مختصان وحق مشترك ، فلا ينبغي لأحد أن يجهلها ، ولا أن يخلط بعضها ببعض ، وأن يجعل المختص منها مشتركاً فحق الإله أن نعبده ، وشرط هذه العبادة أمران ، أحدهما أن تكون بما شرعه الله عز وجل وأمر به أمر وجوب أو استحباب ، وأن لا تكون بما تزينه الأهواء من البدع والمحدثات ، فإن تلك عبادة الشيطان لا عبادة الرحمن .

والشرط الثاني أن تكون العبادة خالصة لله عز وجل ليس لأحد فيها شرك ، فهذان الشرطان أعني المتابعة والإخلاص لا بد منهما جميعاً لكي تكون العبادة

مقبولة منجية لصاحبها من عذاب الله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وأما حق الرسول فهو أن يطاع ويتبع ويقبل قوله ويرضى بحكمه.

قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومن حقه أنه إذا أمر بأمر كان تنفيذه واجباً لا يجوز التخخير ولا التردد فيه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

★ ★ ★

| | |
|---------------------------------|---------------------------|
| من قال قولاً غيره قمنا على | أقواله بالسبر والميزان |
| إن وافقت قول الرسول وحكمه | فعلى الرؤوس تشال كالتيجان |
| أو خالفت هذا رددناها على | من قالها من كان من إنسان |
| أو أشكلت عنا توقفنا ولم | نجزم بلا علم ولا برهان |
| هذا الذي أدى إليه علمنا | وبه ندين الله كل أوان |
| فهو المطاع وأمره العالي على | أمر الورى وأوامر السلطان |
| وهو المقدم في محبتنا على الـ | أهلين والأزواج والولدان |
| وعلى العباد جميعهم حتى على النـ | فس التي قد ضمها الجنبان |

★ ★ ★

الشرح: فنحن لا نقدم بين يدي الله ورسوله، ولا نقدم على قول الرسول ﷺ قول أحد من الناس، بل قوله عندنا هو الميزان الذي توزن به سائر الأقوال فإذا قال غيره قولاً لم نبادر إلى قبوله أو رفضه حتى نرده إلى قوله ونزونه به، فإذا وافق قول الرسول ﷺ وحكمه تلقيناه بالقبول والتقدير وشكرنا لقاتله أصابته للسنة، وإذا خالف رددناه على صاحبه وضربنا به وجهه كائناً من كان، وكانت مخالفته دليلاً لنا على نقصه وفساد رأيه، قال علي رضي الله عنه (أعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله).

وما أضل الناس في الماضي والحاضر إلا اغترارهم بنسبة الأقوال والآراء إلى من زعموا لهم إمامة في الدين أو مشيخة في العلم أو رياسة في المذهب فأخذوا بأقوالهم من غير روية ولا تمحيص، ومن غير أن يتبينوا إن كانت موافقة لقول المعصوم صلوات الله وسلامه عليه أو مخالفة له، بل بلغ الأمر بالتأخرين من أتباع المذاهب أن قدموا أقوال أئمتهم على الأحاديث الصحيحة، فلو جئتهم بألف دليل بأن كلام إمامهم في خلاف الحق ما قبلوه منك، نعوذ بالله من الخذلان. وأما إن أشكل علينا الأمر ولم ندر إن كانت أقوال الناس موافقة لقوله عليه الصلاة والسلام أو مخالفة توقفنا فيها، فلا نقبلها ولا نرفضها، ولا نجزم بصحتها ولا بخطئها حيث أعوزنا الدليل.

هذا هو المنهج المستقيم الذي يجب أن يسير عليه كل طالب للحق، وهو الذي ندين الله به في كل وقت وحين، فهو صلوات الله عليه وسلامه المطاع الذي فرض الله علينا طاعته، وأمره عندنا مقدم على كل أمر، حتى على أمر الحكام والسلاطين.

وهو كذلك المقدم عندنا في المحبة على كل ما تحبه النفس من الأهلين والأزواج والأولاد، فلا يكمل إيمان أحد حتى يكون هو أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين.

بل لا يكمل إيمان أحد حتى يكون أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، كما

روى (أن عمر رضي الله عنه قال له يا رسول الله والله انك لأحب الى من كل أحد الا من نفسي، فقال له النبي ﷺ: لا، حتى أكون أحب اليك من نفسك، فقال عمر: والذي بعثك بالحق انك لأحب إليّ من نفسي، فقال الآن يا عمر) اي كمل ايمانك.

★ ★ ★

ونظير هذا قول أعداء المس
 انا تنقصنا المسيح بقولنا
 لو قلتم ولسد اله خالق
 وكذاك أشباه النصارى قد غلوا
 صاروا معادين الرسول وديننا
 فانظر الى تبديلهم توحيد
 وانظر الى تجريده التوحيد من
 راجع مقالتهم وما قد قاله
 عقل وفطرتك السليمة ثم زن
 فهناك تعلم أي حزينا هو ال
 سيح من النصارى عابدي الصليبان
 عبد وذلك غاية النقصان
 وفيتموه حقه بوزان
 في دينهم بالجهل والطغيان
 في صورة الأحباب والاخوان
 بالشرك والايان بالكفران
 أسباب كل الشرك بالرحمن
 واستدع بالنقاد والوزان
 هذا وذا لا تطغ في الميزان
 منتقص المنقوص ذو العدوان

★ ★ ★

الشرح: يعني أن هؤلاء المبتدعة الضلال من عباد القبور في اتهامهم لنا بالتنقيص من قدر الرسول ﷺ لأننا ننهي عن قصد قبره الشريف بالزيارة، ونحرم دعاءه والاستغاثة به والغلو في تعظيمه الى الحد الذي يخرج عن دائرة البشرية ونطاق العبودية، قد أشبهوا النصارى عباد الصليب في اتهامهم للمسلمين بأنهم يتنقصون من قدر المسيح عليه السلام حين قالوا انه عبد الله، وذلك في زعمهم غاية ما يمكن أن يلحقه من النقص، ولكننا لو قلنا كما يقولون انه ولد الله وانه اله مع الله، وانه خالق لكل شيء، كنا في رأيهم قد وفينا حقه من المديح. وبذلك صاروا أعداء المسيح، وهم يزعمون أنهم أحبابه وأولياؤه.

وكذلك أشباه هؤلاء النصارى من المسلمين من يوم أن غلوا في تعظيم المخلوقين وذلك بتأثير الجهل والطغيان المشين قد صاروا أعداء للرسول الأمين ولدينه القويم المتين، فانهم بهذا الغلو الممقوت قد بدلوا ما جاء به من محض التوحيد شركا ووثنية، وبدلوا ما جاء به من الايمان كفراً واباحية.

وان شئت أن تعرف مدى عداوتهم للرسول ﷺ ومخالفتهم عن امره، فانظر الى أقواله التي جرد بها التوحيد من كل أسباب الشرك وخلصه من شوائب الوثنية، والتي سد بها منافذ الاشراك كلها حياطة للتوحيد وحماية لبيضته.

وذلك كنهيه عن اتخاذ القبور مساجد ونهيه عن رفعها وتشبيدها وايقاد السرج عليها، ونهيه عن اتخاذ قبره عيداً، ونهيه عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها، ونهيه أمته عن اطرائه والغلو في مدحه، ونهيه الرجل الذي قال له (ما شاء الله وشئت) بقوله «أجعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده» الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة من صحيح السنة المطهرة.

ثم أنظر في مقالة هؤلاء الضلال التي تفيض بألوان الشرك من دعائه ﷺ واستغاثته والعكوف على قبره واعتقاد حياته في القبر وسؤاله ما لا يطلب الا من الله، والغلو في مدحه الى حد اعتقاد أنه أول خلق الله وأنه نور عرش الله، وأنه الذي خلقت الأشياء جميعاً من أجله، بل الى حد اعتقاد أن الوجود كله بعض فيضه، وأن علم اللوح والقلم قبس من علمه، كما يقول شاعرهم المسمى بالبوصيري:

فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

ثم اجمع مقالة هؤلاء المفتونين الى مقالته ووازن بينهما واثت بجميع النقاد والوزان من العقول الصحيحة والفطرة السليمة وتحر العدل في الميزان، فحينئذ يظهر لك بأجلى بيان أي الحزبين منا ومنهم هو المنتقص المغبون ذو الجهل والعدوان.

رامسي البريء بدائه ومصابه
كمعير للناس بالزغل الذي
يا فرقة التنقيص بل يا أمة الدعوى بلا علم ولا عرفان
والله ما قدمتم يوما مقاما
والله ما قال الشيوخ وقال الا
والله أغلاط الشيوخ لديكم
وكذا قضيتم بالذي حكمت به
والله انهم لديكم مثل معصوم
وهذا غاية الطغيان
تبا لكم ماذا التنقص بعد ذا
والله ما يرضيه جعلكم له
وكذاك جعلكم المشايخ جنة
والله يشهد ذا مجذر قلوبكم
فعل المباغت أوقح الحيوان
هو ضربه فاعجب لذي البهتان
لته على التقليد للانسان
كنتم معهم بلا كتمان
أولى من المعصوم بالبرهان
جهلا على الأخبار والقرآن
ترسا لشرككم وللعنوان
بخلافه والقصد ذو تبيان
وكذاك يشهده أولو الايمان

الشرح: يعني أن هؤلاء المتجنين السفهاء حين رمونا بما فيهم من داء وبهتونا بما نحن منه براء، وكانوا بذلك في غاية الوقاحة والاجترأ، أشبهوا في ذلك الغاش الذي يعير الناس بما فيه من الزغل الذي هو ضربه، أي مثله وشكله، أو سجيته وطبعه. فواعجبا لصاحب البهتان يرمي به البراء ليخفى عن الناس داءه العياء فيا من ترموننا بتنقيص الرسول بهتا ومكابرة، ودعوى مجردة من كل علم ومعرفة أنتم أولى وأحق أن ترموا بهذا التنقيص والاتهام، فانكم لم تقدموا يوما من الأيام قول الرسول عليه الصلاة والسلام على قول من تقلدونه من شيخ أو أمام ولا قال شيوخكم قولاً الا وانحزمت اليهم جهرة بلا كتمان، بل ان أغلاط هؤلاء الشيوخ آثر لديكم من قول المعصوم عليه الصلاة والسلام، ولهذا تجعلون أقوالهم أصلاً تحكمون به على الأخبار والقرآن، وتدعون لهم من العصمة مثل ما له، وهذا غاية الافتراء والبهتان، فهلاكاً لكم، ماذا عسى أن يكون التنقيص بعد فعلكم هذا لو كنتم تميزون العدل من النقصان، واعلموا والله أن الرسول لا

يرضيه منكم أن تجعلوه ترسا تحتمون وراءه من رميكم بما هو فيكم من شرك وعدوان، فان دعواكم محبة الرسول وتعظيمه لا تجعل قبيح أعمالكم حسنا، ولا تشفع لكم ما تقعون فيه من سوء ونكران ولا يغنى عنكم كذلك أن تجعلوا من اتباعكم للشيخ جنة تتقون بها سوء مخالفتكم للرسول، مع أن قصدكم واضح وهو تعمد المخالفة له والاستهانة بأقواله، والله يشهد هذا في أعماق قلوبكم، ويشهد به أهل الايمان الذين بلوا أخباركم وفساد سرائركم، فمهما اتخذتم من جنة فأمركم مفضوح، فلا تحاولوا التستر والكتان.

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| والله ما عظمتوه طاعة | ومحبة يا فرقة العصيان |
| أني وجهلكم به وبدينه | وخلافكم للوحى معلومان |
| أوصاكم أشياخكم بخلافهم | لوفاقه في سالف الأزمان |
| خالفتكم قول الشيخ وقوله | فغدا لكم خلفان متفقان |
| والله أمركم عجب معجب | ضدان فيكم ليس يتفقان |
| تقديم آراء الرجال عليه مع | هذا الغلو فكيف يجتمعان |
| كفرتكم من جرد التوحيد جه- | لا منكم بمقتائق الإيـمان |
| لكن تجردتم لنصر الشرك وال- | بدع المضلة في رضا الشيطان |
| والله لم نقصد سوى التجريد للت- | وحيد ذاك وصية الرحمن |
| ورضا رسول الله منا لا غلو | الشرك أصل عبادة الأوثان |

الشرح: وأنتم والله ما عظمتكم رسول الله التعظيم اللائق به والذي يقوم على طاعته واتباعه وقبول حكمه ومحبته، بل دأبكم العصيان والمخالفة لأمره. وكيف يتاح لكم ان تعظموه هذا التعظيم وأنتم أجهل الناس بمقتائق دينه وأشدهم خلافا للوحى المنزل عليه، ولقد أوصاكم أشياخكم من أئمة الهدى رحمهم الله في الماضي أن تتركوا أقوالهم اذا وجدتموها مخالفة لقول الرسول وأخبروكم أن مذاهبهم حيث يصح الحديث، فاذا صح الحديث فلا تلتفتوا الى قول أحد كائنا من

كان، ولكن تمكن التقليد منكم فأنساكم وصية الشيوخ فخالفتموها مع مخالفتكم لقول الرسول ﷺ وحكمه، فصار لكم بذلك خلافان متفقان.

ووالله ان أمركم لجد عجيب، فقد اجتمع فيكم ضدان لا يمكن أن يتفقا في الوجود أبداً، وهما تقديمكم آراء الناس على قوله وحكمه مع غلوكم فيه، هذا الغلو الذي خرج بكم عن حظيرة التوحيد. فكيف أتيج لكم أن يجتمع فيكم هذان الضدان؟

ثم أنتم كذلك تكفرون في جرأة وقحة من يجرد التوحيد لله عز وجل، فلا يدعو مع الله أحد، ولا يجعل له ندا، ولا يجعل لغيره شركة معه في شيء من عبادته، وذلك لجهلكم بحقيقة هذا التوحيد، في الوقت الذي تتجددون فيه لنصرة الشرك والترويج للبدع، طاعة منكم للشيطان واجتهادا في ارضائه وموافقته فأنتم حزبه وأولياؤه.

ونحن حين نهينا الناس عن الغلو في نبيهم ﷺ وأمرناهم أن يعرفوا له حقه في الطاعة والاتباع والتعزيز والتوقير دون أن يجعلوا له شيئاً من حقوق الالهية لم نقصد والله سوى تخلص التوحيد من كل شوائب الوثنية، وتلك هي وصية الله لنا حيث قال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وذلك هو ما يرضاه منا رسول الله ﷺ الذي كان أعظم داع الى التوحيد والقيام بحقه في الاخلاص والتجريد. وأما هذا الغلو في تعظيم المخلوقين والعكوف على أضرحة الموتى المقبورين الذي كان أصل الشرك وعبادة الأوثان في جميع الأديان، فذلك ما لا يرضيه.

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| والله لو يرضى الرسول دعاءنا | اياه بادرنا الى الاذعان |
| والله لو يرضى الرسول سجدونا | كنا نخر له على الأذقان |
| والله ما يرضيه منا غير | اخلاص وتحكيم لذا القرآن |
| ولقد نهى ذا الخلق عن اطرائه | فعل النصرارى عابدي الصليبان |

ولقد نهانا أن نصير قبره
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي
فأجاب رب العالمين دعاءه
حتى أغتدت أرجاؤه بدعائه
ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً
وعنى الالي جعلوا القبور مساجدا
والله لولا ذاك أبرز قبره
قصودوا إلى تسنيم حجرته ليم
قصودوا موافقة الرسول وقص

عيدا حذار الشرك بالرحمن
قد ضمه وثنا من الأوثان
واحاطه بثلاثة الجدران
في عزة وحماية وصيان
باللعن يصرخ فيهم بأذان
وهم اليهود وعابدو الصليبان
لكنهم حجبه بالحيطان
تنع السجود له على الأذقان
سده التجريد للتوحيد للرحمن

★ ★ ★

الشرح: فلو كان الرسول ﷺ يرضى أن ندعوه مع الله عز وجل لم يكن منا
الا المبادرة الى الإذعان والموافقة، ولو كان يرضى منا أن نسجد له لوقعنا على
الاذقان سجدا بلا مهلة، ولكنه عليه الصلاة والسلام لا يرضيه منا الا أن نجرد
التوحيد لله فنجعل عبادتنا كلها له وحده، محبة وتعظيماً وخوفاً ورجاءاً، وذلاً
واستكانة وسؤالاً ودعاءً، وتوكلاً واستعانة وتوبة وانابة، ورجبة ورهبة وصلاة
وسجوداً، وذبحاً ونذراً وحجاً واعتماداً، الى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا
تنبغي الا له وحده، ولا يرضيه منا كذلك الا أن نحكم القرآن العظيم في كل
شؤوننا، وان نرد اليه كل ما تنازعنا فيه من أحكام ديننا.

ولقد نهى أمته أن تغلوا فيه كما غلت النصارى في نبيهم فقال « لا تطروني كما
أطرت النصارى ابن مريم ».

ونهاهم كذلك أن يتخذوا من قبره عيداً يحجون اليه ويجتمعون عنده فقال
فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبوري
عيداً وصلوا عليّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود.

ودعا الله عز وجل أن لا يجعل قبره الذي ضم جسده الشريف وثنا يسجد له

ويطاف به ويصلى عنده فقال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه مالك في الموطأ .

فأجاب الله عز وجل دعاء نبيه ﷺ فأحاط قبره بثلاثة جدران حتى لا يكون بارزاً في المسجد ، فأصبحت أنحاء القبر ببركة دعائه في منعة وصيانة أن يرتكب عندها شيء من أعمال الوثنية . ولقد صرح صلوات الله وسلامه عليه عند موته بلعن من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، من اليهود والنصارى .

روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت فلولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً . فلما مات صلوات الله عليه وسلامه بنى أصحابه على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيصلى اليه العوام ويقع المحذور ، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيا ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ، وكان قصدهم من تسنيم حجرته وبناء الحيطان عليها أن لا يتمكن أحد من الصلاة عنده ، وذلك موافقة منهم لرسول الله ﷺ الذي ما قصد بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد الا تجريد التوحيد لله عز وجل .

يقول القرطبي صاحب التفسير رحمه الله (ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المدخل اليها وجعلوها محدة بقبره ﷺ ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة اذا كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره) .

★ ★ ★

يا فرقة جهلت نصوص نبيهم
فسطوا على أتباعه وجنوده
وقصوده وحقيقة الايمان
بالنبي والعدوان والبهتان

فمصائبكم ما فيه من حيران
وبه النصوص أتت على التبيان
حن واجبة على الأعيان
ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من حجة سهم ولا سهان
بوي خير مساجد البلدان
ه الخلف بين القوم منذ زمان
ن النعمان يأبى ذا وللنعمان
ما جنسه فرضا على الانسان
بالنذر مفترض على الانسان
بوفائه بالنذر بالاحسان

لا تعجلوا وتبينوا وثبتوا
قلنا الذي قال الأئمة قبلنا
القصد حج البيت وهو فريضة الر
ورحالتنا شدت إليه من بقا
من لم يزر بيت الإله فما له
وكذا نشد رحالتنا للمسجد الذ
من بعد مكة أو على الاطلاق في
ونراه عند النذر فرضاً لك
أصل هو النافي الوجوب فانه
ولنا براهين تدل بأنه
أمر الرسول لكل نادر طاعة

الشرح: ينادي المؤلف هذه الطائفة الضالة عن سواء السبيل فيصفها بالجهل
بالآثار النبوية وقلة البضاعة منها، ثم بالجهل بمقصود النبي ﷺ ومراده من هذه
الأحاديث، ثم بالجهل بحقائق الإيمان من توحيد الله تعالى ومعرفته بأسمائه
وصفاته ووجوب تنزيهه عما لا يليق به، ومن أجل جهلهم هذا يستطيعون على
ذوي العلم والإيمان من أتباع النبي ﷺ وجنده بالظلم والعدوان والبهتان.

والمؤلف يناديهم أن يترثوا في الحكم على كلام أهل السنة والتوحيد حتى
يتبينوا ويتثبتوا من قصدهم وإلا وقعوا في الخطأ والضلال البعيد، فإنهم لم يقولوا
إلا ما قالته الأئمة قبلهم ووردت به النصوص على الإيضاح والتأكيد، وهو أن
المسلم يجب أن ينوي بخروجه حج بيت الله الحرام الذي هو أحد أركان الإسلام،
والذي هو فرض عين على كل قادر مستطيع، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ
حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل
عمران: 97] فهو البيت الذي تشد إليه رجال المسلمين من جميع أقطار الأرض،
قريبها والبعيد، والذي تعتبر زيارته ركناً من أركان الحج فمن لم يزره فليس له
من حجه نصيب.

وكذلك نشدّ رحالنا إلى المسجد النبوي في المدينة لا إلى القبر الشريف، فإن شدّ الرحل لا يجوز إلا لأحد المساجد الثلاثة التي هي المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى لصحة الحديث بذلك، ويصبح شدّ الرحل إليه عندنا فرضاً بالنذر، لأنه نذر طاعة، ونذر الطاعة يجب الوفاء به، فلو نذر أحد أن يصلي في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة لزمه الوفاء بذلك، خلافاً لأي حنيفة فإنه لا يرى وجوب شيء بالنذر إلا لما كان جنسه فرضاً، كالصلاة والصيام والحج ونحوها. ولنا نحن براهين تدل على فريضته بالنذر، وهو قوله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصيه».

فقوله (فليطعه) أمر والأمر يقتضي الوجوب، والرسول ﷺ لم يفرق بين طاعة وطاعة، فسواء كان جنسها فرضاً أم غير فرض تصبح واجبة بالنذر والله أعلم.

★ ★ ★

وصلاتنا فيه بألف من سوا
وكذا صلاة في قبا فكعمرة
فإذا أتينا المسجد النبوي
بتمام أركانها وخشوعها
ثم انثنينا للزيارة نقصد القبر
فنقوم دون القبر وقفة خاضع
فكانه في القبر حي ناطق
ملكتهم تلك المهابة فاعترت
وتفجرت تلك العيون بمائها
وأتى المسلم بالسلام بهيئة
لم يرفع الأصوات حول ضريحه
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أسد
ه ما خلا ذا الحجر والأركان
في أجرها والفضل للمنان
وحي صلينا التحية أولاً ثنتان
وحضور قلب فعل ذي الإحسان
ر الشريف ولو على الأجنان
متذل في السر والإعلان
فالواقفون نواكس الأذقان
تلك القوائم كثرة الرجفان
ولطالما غاضت على الأزمان
ووقار ذي علم وذو إيمان
كلا ولم يسجد على الأذقان
بوعاً كأن القبر بيت ثان

ثم انثنى بدعائه متوجها هذي زيارة من غدا متمسكا
 هذي زيارة من غدا متمسكا من أفضل الأعمال هاتيك الزيا
 لا تلبسوا الحق الذي جاءت به هذي زيارتنا ولم ننكر س
 وحديث شد الرحل نص ثابت

لله نحو البيت ذي الأركان
 لشريعة الإسلام والإيمان
 رة وهي يوم الحشر في الميزان
 سنن الرسول بأعظم البرهان
 سوي البدع المضلة يا أولي العدوان
 يجب المصير اليه بالبرهان

الشرح: في هذه الأبيات يبين المؤلف آداب الزيارة للمسجد النبوي وللقبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فيقول: أن صلاة في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة تعدل ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فيه بمائة ألف صلاة لصحة الأحاديث بذلك.

وكذلك صلاة في مسجد قباء الذي أنزل فيه قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] تعدل ثواب عمرة، ولا حرج على فضل الله، والله يضاعف لمن يشاء.

وكان النبي ﷺ يخرج إليه كل يوم سبت ويصلي فيه، فإذا دخلنا المسجد النبوي الكريم بدأنا بتحية المسجد فصليناها ركعتين في الروضة المطهرة، لقوله عليه السلام: « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » مطمئنين في الأركان خاشعين حاضري القلب بين يدي الرحمن، كما هو مقتضى الإحسان الذي فسره النبي ﷺ بقوله: « أن تعبد الله كأنك تراه ».

ثم بعد الفراغ من الصلاة نميل إلى القبر الشريف للزيارة ولو نمشي على رؤوسنا، فنقف قريباً من القبر في ذلة وخضوع وأدب واحتشام، فإن حرمة ﷺ ميتاً كحرمة حياً، فكانه حي يأمر وينهى ويتكلم بالوحي، فيجب السكون وإطراق الرأس مع استشعار الهيبة والاحترام ومع استدرار الدمع من عيون طالما غاص ماؤها وتجمد في مآقيه، ثم نسلم على النبي ﷺ في سكينه ووقار

لا نرفع الصوت عالياً كفعل الجاهلين، فقد أمرنا الله بغض الصوت عنده، وجعل ذلك علامة على كمال التقوى، ولا نخر عند القبر سجداً كفعل المشركين، فقد نهى ﷺ أمته عن السجود له، وسأل الله عز وجل أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، وقال لمعاذ حين دخل عليه فسجد « ما هذا يا معاذ؟ لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولكن لا ينبغي السجود إلا لله، أريت يا معاذ لو مررت على قبري أكنت ساجداً له؟ قال: لا يا رسول الله قال لا تفعل ».

ولا نطوف بالقبر سبغاً كفعل الحمقى الغالين، فإن ذلك الطواف مخصوص بالبيت العتيق، ولا ندعو الله مستقبليين القبر، بل نتحول عنه ونستقبل القبلة وندعو كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم. هذه هي الزيارة الشرعية الصحيحة التي يفعلها المتمسكون بشرائع دينهم وهدى نبيهم، لا زيارة هؤلاء السفهاء من أهل البدع والأهواء الذين يرتكبون عند القبر من الأعمال الشركية والعادات الجاهلية ما يبرأ منه الله ورسوله والمؤمنون.

والزيارة حين تؤدي على هذا الوجه الصحيح تكون من أفضل القربات وأثقلها في الميزان يوم القيامة، فيا قوم لا تخلطوا الحق الذي وردت به السنة المطهرة بما تخترعونه من بدع شركية منكرة، واعلموا انا برآء من بهتكم لنا بأنا نحرم زيارة القبر الشريف، فما أنكرنا سوى البدع المضلة التي يرتكبها أهل الجهل والضلال، وأما نهينا عن شد الرحال لزيارة قبر النبي ﷺ وغيره من القبور فالحديث ثابت فيه، وهو قوله عليه السلام: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » وإذا صح الحديث فالواجب هو المصير إليه.

★ ★ ★

فصل

في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريقة النجاة من النيران

يا من يريد نجاته يوم الحسا
اتبع رسول الله في الأقوال والأ
وخذ الصحيحين اللذين هم
واقراها بعد التجرد من هوى
وأجعلها حكماً ولا تحكّم على
واجعل مقالته كبعض مقالة الأ
وانصرمقالته كنصرك للذي
قدر رسول الله عندك وحده
ماذا ترى فرضاً عليك معينا
عرض الذي قالوا على أقواله
هي مفرق الطرقات بين طريقنا

ب من الجحيم وموقد النيران
عمال لا تخرج عن القرآن
لا لعقد الدين والإيمان واسطتان
وتعصب وحمية الشيطان
ما فيها أصلاً بقول فلان
شاخ تنصرها بكل أو ان
قلدته من غير ما برهان
والقول منه اليك ذو تبيان
إن كنت ذا عقل وذا إيمان
أو عكس ذا فذانك الأمران
وطريق أهل الزيغ والعدوان

الشرح: يخاطب المؤلف بهذه الآيات كل من يهمله أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله ونيرانه الموقدة يوم القيامة في رسم له فيها سبيل النجاة التي لا سبيل غيرها، وهو أن يتحرى الاتباع لرسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله. فهو الذي أمرنا الله عز وجل باتباعه، وجعل اتباعه وسيلتنا إلى كل خير وسعادة وفلاح، ونهانا عن مخالفته وجعلها سبباً لكل شر وشقاء وخيبة وحرمان، وفي الحديث الصحيح « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، فقيل: يا رسول الله ومن أبي؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي » وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وعلى طالب الخلاص كذلك أن يجعل القرآن العظيم أمامه فيقيم حدوده وينفذ أحكامه ويحل حلاله، ويحرم حرامه، ولا يخرج عما تقتضيه سوره وآياته، ولا يسومها تحريفاً وتأويلاً، ولا يخرج بألفاظه عن مواضعها، وأن يأخذ معه

بصحيحي البخاري ومسلم رحهما الله فإنهما اللذان تضمننا أوثق الأخبار، وقد أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول فهما من علم الدين والسنة كواسطة العقد التي تنتظم بها حباته ويتم جماله ورواؤه. ولكن ينبغي لمن يقرؤها إذا كان يريد الانتفاع بما فيها من علم، أن يتجرد من كل هوى وعصبية، وأن ينبذ كل ما يتقلده من مذاهب وآراء، وأن لا تأخذه في نصرتها حمية الجاهلية فيجعلها حكماً يزن به الآراء والأقوال، ولا يحكم عليها بأقوال الرجال، وأن ينتصر لما فيها من قول الرسول ﷺ وحكمه كما ينتصر لأقوال شيوخه الذين يقلدهم في الدين بغير برهان ولا دليل.

والحاصل أنه يجب عليه أن يقدر أنه بين يدي الرسول ﷺ يأخذ عنه مباشرة بلا واسطة أحد، وأن القول منه ﷺ واصل إليه في أم وضح وأجلى بيان.

ثم يتساءل المؤلف رحمه الله فيقول: ما الذي تراه واجباً عليك حتماً إن كنت ممن رزقهم الله الفهم الصحيح والإيمان الوثيق؟ هل هو أن تعرض ما قاله الناس على ما قاله الرسول ﷺ فتجعل قوله هو الميزان لقولهم أو ترى عكس ذلك فتجعل أقوالهم هي الأصل الذي تزن به أقوال المعصوم، لا شك أن عقلك وإيمانك سيحملانك على اختيار الطريق المستقيم، وكان التردد بين هذين الأمرين هو مفرق الطرق بين أهل الاستقامة وأهل الحق والإيمان، وبين أهل الزيغ والجرور والعدوان، فنحن حكمنا ما قاله رسول الرحمن وجعلناه لديننا الأصل والميزان، وهم حكموا ما قالتة شيوخهم مما ألقاه إليهم الشيطان، فشتان ما بين الطريقين شتان.

★ ★ ★

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| قدر مقالات العباد جميعهم | عدما وراجع مطلع الإيمان |
| واجعل جلوسك بين صحب محمد | وتلق معهم عنه بالإحسان |
| وتلق عنهم ما تلقوه هم | عنه من الإيمان والعرفان |
| أفليس في هذا بلاغ مسافر | ينبغي الإله وجنة الحيوان |

لولا التناوش بين هذا الخلق ما
 فالرب رب واحد وكتابه
 ورسوله قد أوضح الحق المب
 ما تمّ أوضح منه فلا
 والنصح منه فوق كل نصيحة
 فلاي شيء يعدل الباغي الهدى
 كان التفرق قط في الحسبان
 حق وفهم الحق منه دان
 ين بغاية الإيضاح والتبيان
 يحتاج سامعها إلى تبيان
 والعلم مأخوذ عن الرحمن
 عن قوله لولا عمى الخذلان

الشرح: وعلى طالب النجاة كذلك أن يتجرد من كل ما درسه من المذاهب
 والمقالات وأن يعتبرها عدماً، وأن يحوها من صفحة ذهنه، وأن ييمم بعقله
 وفكره شطر مدينة الرسول ﷺ، وأن يخيل لنفسه كأنه يجلس بين أصحابه
 يتلقى معهم عنه العلم والهدى بالإحسان والمتابعة، ثم يتلقى عنهم كذلك ما تلقوه
 هم من الرسول عليه الصلاة والسلام من حقائق الإيمان وأبواب العلم والمعرفة،
 وأن يجعل هذا العلم النقي المصفى هو زاده في رحلته إلى الله الذي يبلغه كل ما
 يتمنى من رضوان الله ورحمته وجنته، ووالله لولا ما كتبه الله على بني آدم من
 الخصومات والعداوة لم يدر بخلد أحد قط أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً،
 وأن يختصموا هكذا في ربهم فرقاً ونحلاً، فإن الرب الذي يدينون له رب واحد
 ليس لهم رب غيره، وكتابه الذي أنزله على رسوله حق لا ريب فيه، وهو قد
 أنزله بلسان عربي مبين ليفهمه كل أحد، فأخذ الحق منه دان قريب، قال تعالى:
 ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] وقال: ﴿كِتَابٌ
 أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

والرسول ﷺ قد أوفى على الغاية في إيضاح الحق وبيانه، فكلامه أفصح
 الكلام وأبينه، لا يحتاج معه سامعه إلى من يوضحه له، وهو كذلك أعظم الخلق
 شفقة على الخلق وأكملهم رغبة في نصحتهم وإرشادهم إلى الحق، وهو أيضاً
 أعلمهم بهذا الحق بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، فإذا كان هو عليه
 السلام قد كملت فيه هذه الثلاثة من العلم والقدرة على البيان وإرادة النصح،

فلأي شيء يعدل طالب الهدى عن قوله؟ أليس ذلك دليلاً على خذلانه وعمى قلبه؟ نعوذ بالله من الخذلان.

★ ★ ★

فالنقل عنه مصدق والقول من
والعكس عند سواه في الأمرين يا
تالله قد لاح الصباح لمن له
وأخو العماية في عميته يقو
تالله قد رفعت لك الأعلام ان
وإذا جبت وكنت كسلانا فما
فاقدم وعد بالوصل نفسك واه
عن نيل مقصده فذاك عدوه

ذي عصمة ما عندنا قولان
من يهتدي هل يستوي النقلان
عينان نحو الفجر ناظرتان
ل الليل بعد أيستوي الرجلان
كنت المشمر نلت دار أمان
حرم الوصول إليه غير جبان
جر المقطوع منه قاطع الإنسان
ولو أنه منه القريب الداني

الشرح: والنقل عنه صلى الله عليه وسلم ثابت بواسطة العدول الثقات الضابطين الأمانة
الأثبات، وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق المعصوم من الغواية والضلال، فلا يجهل
الحق، ولا يقول خلاف ما يعلم أنه الحق، وأما غيره ممن يأخذ عنهم الناس
ويقلدونهم في دين الله فهو بعكس ذلك في الأمرين جميعاً، فالنقل عنه ليس
موثقاً به لأنه نقل غير عدول ولا أمانة، وهو كذلك غير معصوم من الخطأ،
فقد يجهل الحق، ولأمن الكذب فقد يقول بغير ما يعلم أنه الحق، فوالله ليس
بعد هذا البيان بيان، وقد أسفر الصبح لكل من له عينان فسيبيل الله واضحة
لكل من صح نظره واستقام فكره، وأما أخو العمى فلا يزال متخبطاً في
عميته، يظن أن الليل لا يزال باقياً، فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون؟ تالله، قد نشرت لك أعلام الحق ونصبت لك مناراته، ولم يبق إلا أن
تشم عن ساعدك وتمضي قدماً في غير وني ولا فتور حتى تبلغ ما تشتهي في دار
الأمان والحبور، أما إذا ارتديت ثياب الجبن ورضيت لنفسك أن تعيش أمة لا
تقول إلا بما يقول لك الشيوخ والرؤساء، وآثرت الكسل والقعود، فقد قضيت

على نفسك بالحرمان، فإن الحرمان نصيب الكسول الجبان، فتقدم غير هياب ولا كسلان، ومن النفس بالوصال، واهجر جميع العوائق التي تقطعك وتعوقك عن بلوغ الآمال ونيل المنى والأمان، فتلك هي عدوك اللدود وإن كانت من أقرب المقربين، وأما حبيبك فهو الذي يعينك على بلوغ غرضك ويساعدك على قطع الطريق إلى ما تشتهي وتريد.

فصل

في تيسير السير إلى الله على المشبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين

يا قاعدا سارت به أنفاسه
حتى متى هذا الرقاد وقد سرى
وحدت بهم عزماتهم نحو العلى
ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها
ساروا رويداً ثم جاءوا أولاً
ساروا بإثبات الصفات إليه لا الت
عرفوه بالأوصاف فامتلات قلوب
فتطايرت تلك القلوب إليه بأل
وأشدهم حباً له أدراهم
فالحب يتبع للشعور بحسبه

سير البريد وليس بالذملان
وفد المحبة مع أولى الإحسان؟
لا حادي الركبان والاطعمان
وسروا فما حنوا إلى نعمان
سير الدليل يؤم بالركبان
عطيل والتحريرف والنكران
بهم له بالحب والإيمان
أشواق إذ ملئت من العرفان
بصفاته وحقائق القرآن
يقوى ويضعف ذاك ذو تبيان

الشرح: يخاطب المؤلف هذا القاعد المتخلف الذي تسير به أنفاسه اللاهثة سير ركائب البريد ألوانية المتباطئة: لا سير الذوامل النشيطة الساعية فيقول له: حتى متى تغط في نومك وتهم في وادي غفلاتك، وقد استيقظ الأكياس المحبون وجدوا في السير مع أهل الإحسان المخلصين، وشحذوا العزائم فنهضت بهم نحو

العلي صعدا ، ولم يرتضوا لهم حاديا غيرها ، بل ركبوها وامتطوا ظهورها وساروا لا يلتفتون إلى وصل غانية ودار حبيب ، حتى لا يقطعهم عن السير إلى الحبيب القريب ، ساروا إليه رويداً رويداً سيراً ليناً متتابعاً ، ثم جاءوا في مقدمة الركب كسير الدليل ، ساروا إليه بإثبات صفاته العليا لا بالتحريف والإنكار والتعطيل . عرفوه بأوصافه كلها ، أوصاف كماله وجماله وجلاله ، فامتلات قلوبهم من محبته والإيمان به ، فأطارها الشوق إليه حين افعمت من كؤوس معرفته وامتلات من أنوار صفات قدسه .

وهكذا كلما زادت المعرفة في القلب زاد معها الشوق والحب ، فأشد المحبين له حبا وأكثرهم منه مودة وقربا أعلمهم بصفاته العليا من حيث ثبوتها وكمالها واتساعها وعظمتها وآثارها في الخلق ، وأعلمهم كذلك بمقائق القرآن وما تضمنه من أبواب العلم والإيمان . فالحب يتبع الشعور ، والعرفان يقوى بقوته ويضعف بضعفه ، وذلك أمر ظاهر للعيان لا يحتاج إلى توضيح وبيان .

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| أجائه هم أهل هذا الشأن | ولذلك كان العارفون صفاته |
| أجاباه وبشرعة الإيمان | ولذلك كان العالمون بربرهم |
| أعداء حقاً هم أولو الشأن | ولذلك كان المنكرون لها هم الـ |
| بغضائه حقاً ذوي شأن | ولذلك كان الجاهلون بذا وذا |
| يرزقها يحيا مدى الأزمان | وحياة قلب العبد في شئين من |
| ن الحى ذا الرضوان والاحسان | في هذه الدنيا وفي الأخرى يكو |
| راك به وهما فممتنعان | ذكر الإله وجهه من غير إشـ |
| ع الطائر المقصوص من طيران | من صاحب التعطيل حقاً كماتنا |
| وعلوه وكلامه بقران | أيجبه من كان ينكر وصفه |
| متكلما بالوحي والفرقان | لا والذي حقاً على العرش استوى |

الشرح: وإذا ثبت أن المحبة تابعة للمعرفة تزيد بزيادتها وتنقص بنقصانها ،

فالعارفون بصفاته المثبتون لها هم أحبابه حقا وأهل الخشية منه حقا، فانه لا يجب الله ويخشاه الا العالمون به، الذين كملت صورة الحق في قلوبهم، وامتلات من عظمتها وجلالها نفوسهم. وكذلك العالمون بما شرع لهم من حقائق الايمان وموجبات اليقين، وأما المنكرون الجاحدون لصفات رب العالمين فهم أعداؤه حقا لأنهم جهلوا صفات ربهم وجهلوا ما شرعه لهم فاستحقوا بذلك بغضه وشنأه.

وحياة القلب وغذاؤه في أمرين اثنين، من يؤت حظه منها يظل قلبه حيا دائما، في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، لأنها يمدانه بأسباب الحياة والبقاء، فلا يموت كما تموت قلوب أهل الجهل والغفلة، وهما ذكر الله وحبه مع توحيده والاخلاص له، وهذان الأمران لا يتوافران الا لمن يثبت الصفات للرحمن، ولكنها يمتنعان ويصعبان على أهل التعطيل والنكران، فهم لا يقدرّون على ذلك، كما لا يقدر الطائر المقصوص على الطيران.

وكيف يستطيع حبه وذكره من كان ينكر صفاته العليا التي وصف بها نفسه ومن كان ينكر استواؤه وعلوه، ومن كان ينكر كلامه بالقرآن وغيره من كتبه وكلامه لمن يشاء من خلقه.

لا والذي استوى حقا على عرشه، وتكلم حقا بفرقانه ووحيه، لا يستطيع جاحد معطل أبداً أن ينعم بذكر الله وحبه، ولا أن يتمتع بأنسه وقربه، كما يتمتع بذلك أهل معرفته.

★ ★ ★

الله أكبر ذاك فضل الله يؤ تيه لمن يرضى بلا حسابان
وترى المخلف في الديار تقول ذا احدى الاثافي خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقضيه على من شاء من انسان
وله على هذا وهذا الحمد في الا ولى في الأخرى هما حمدان
حمد لذات الرب جل جلاله وكذلك حمد العدل والاحسان
يا من تعز عليهم أرواحهم ويرون غبنا بيعها بهوان

ويرون خسرانا مينا بيعها
ويرون ميدان التسابق بارزاً
ويرون أنفاس العباد عليهم
ويرون أن أمامهم يوم اللقا
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجب
هاتوا جوابا للسؤال وهيئوا
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى
تجريدكم توحيدده سبحانه
وكذاك تجريد أتباع رسوله
والله ما ينجى الفتى من ربه
في أثر كل قبيحة ومهان
فيتاركون تقحم الميدان
قد أحصيت بالعد والحسبان
لله مسألتان شاملتان
تم من أتى بالحق والبرهان
أيضا صوابا للجواب يدان
تجريدكم لحقائق الايمان
عن شركة الشيطان والأوثان
عن هذه الآراء والهذيان
شيء سوى هذا بلا روغان

الشرح: أما من أتاه الله حظه من معرفته والايان به، ومن ذكره سبحانه
وحبه، فذلك فضل الله يؤتيه لمن يرضى عنه من خلقه، عطاء بغير حساب ولا
تقدير ولا تضييق ولا تقتير. وأما المخلفون في البيوت الذين رضوا بأن يكونوا
مع القواعد، فانهم كآثافي القدر فقد خصهم الله بالحرمان من ذلك الخير، وذلك
عدله الذي يقضيه على من يشاء من عباده، الذين علم أنهم ليسوا للفضل أهلا ولا
للخير والكرامة محلا، وهو سبحانه المحمود على كل ما يقضيه من فضل لأهل
طاعته وعدل في أهل معصيته، حمداً دائماً في الأولى والآخرة، فله الحمد لذاته
المقدسة على ما اتصف به من نعوت الكمال، وله الحمد على عدله واحسانه وكل
ما يصدر عنه من أفعال. فيا من كرمت عليهم نفوسهم وغلت عندهم أرواحهم،
فرأوا ان من الغبن والخسران أن يبيعوها ببيع الهوان، جريا وراء كل قبيحة
يزينها الشيطان ويرون فرسان السباق يركضون في الميدان، فيتحاشون تقحم
الميدان ويرون أعمارهم تمر سريعاً، قد عدت عليهم أنفاسهم بالدقائق والثواني،
ويرون أن أمامهم يوماً شديداً الهول فظيع المطلع، سيلقون فيه ربهم، فيسألهم وهو
أعلم بهم، عن مسألتين شاملتين لجميعهم، أولاها يسألهم عما كانوا يعبدون، ليرى
ماذا فعلوا بحقه عليهم في التوحيد والاخلاص، والثانية يسألهم عما أجابوا به من

أرسلوا اليهم بالبينات والهدى ليعرف ماذا فعلوا بحق رسله عليهم في الطاعة والاتباع.

فليعد كل انسان للسؤال جواباً، وليهيئ للجواب أن يكون صواباً، وليعلم علم اليقين أن ليس ينجيه من خزي هذا الموقف سوى تخلصه لحقائق الايمان من كل أنواع الزيف والكفران، وسوى تجريده التوحيد لله من كل ما يشرك به من شيطان وأوثان، وتجريده الاتباع لرسوله من كل ما يهرف به الناس من أنواع الهراء والهذيان، فوالله لا منجاة للعبد من عذاب النيران، ولا مخلص له من غضب الله الا هذان الأمران، توحيد واتباع، فاتركوا التحايل والروغان.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يا رب جرد عبدك المسكين را | جى الفضل منك أضعف العبدان |
| لم تنسه وذكرته فاجعله لا | ينسك أنت بدأت بالاحسان |
| وبه ختمت فكنت أولى بالجميد | ل وبالثناء من الجهول الجاني |
| فالعبد ليس يضيع بين فواتح | وخواتم من فضل ذي الغفران |
| أنت العليم به وقد أنشأته | من تربة هي أضعف الأركان |
| كل عليها قد علا وهوت الى | تحت الجميع بذلة وهوان |
| وعلت عليها النار حتى ظن أن | يعلو عليها الخلق من نيران |
| وأتى الى الأبوين ظناً أنه | سيصير الأبوين تحت دخان |
| فسعت الى الأبوين رحمتك التي | وسعتها فعلا بك الأبوان |

الشرح: بعد أن ذكر ما أعده الله من الفضل والكرامة لمن جرد التوحيد لله فلم يشرك بالله شيئاً، وجرد الاتباع لرسوله ﷺ، فلم يقدم على قوله قول أحد من الناس، أخذ يناجي ربه بهذه الأبيات الرائعة التي تفيض ذلاً وضراعة، فهو يدعوه أن يخلصه من كل آثار الشرك والوثنية والعصيان والمخالفة ومن أتباع هوى النفس والشيطان، فانه عبده الخاضع لجناب قهره وعزته، المؤمل الطامع في ببحوحة غفرانه ورحمته.

ثم يقول: انك لم تنسه أبداً من رحمتك مذ كان جنينا في بطن أمه، بل سبق الاحسان منك اليه من قبل أن يصعد منه اليك عمل، فأجريت عليه رزقه من غذاء أمه، وحفظته في مستقره، ولم يزل يتوالى عليه احسانك، فكننت المحسن في البدء والمحسن في الختام، فكننت أحق بالثناء الحسن الجميل من عبدك الجاني الظلوم الجهول، وأنت أحق أن تغفر لعبدك ما ارتكب من زلات، وأكرم من أن تضعه بين فواتح وخواتم، بل تعامله في البين بما عاملته به في البدايات والنهايات، وأنت العليم بعبدك وقد خلقتة من التراب الذي هو أضعف عناصر المخلوقات فكلها من الماء والهواء، والنار تعلو عليه وهو يميل الى الهبوط والتسفل والاستقرار والثبات، وقد علت النار التي خلق منها الجان على التراب الذي خلق منه آدم، حتى أبلّس عليه اللعنات أنه خير منه، فاستكبر عن السجود له وعارض أمر ربه وقال ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ثم سعى الى الأبوين بالفتنة وحلها على ارتكاب الزلة حين أغراها بالأكل من الشجرة، وخيل اليه أنه أهلكتها هلاكاً لا قيامة لها بعده، وأنه صيرها بالغواية والمعصية تحته، ولكن أدركتها رحمة الله فجبرت كسرهما وداوت جرحهما وعلت بهما الى مكان العزة والكرامة، فعاد اللعين مغيضاً مخنقاً يميني نفسه أن يدرك من الأبناء ما فاته من الآباء ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيْظٌ﴾ [سبأ: ٢١].

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|---------------------------------|
| في جنب حلمها لدى الميزان | هذا ونحن بنوها وحلومنا |
| لهما وأعدانا بلا حسابان | جزء يسير والعدو فواحد |
| تنا سيما من الإيمان | والضعف مستول علينا في جميع جهنا |
| قصد العباد ركوب ذا العصيان | يا رب معذرة اليك فلم يكن |

لكن نفوس سؤلته وغرّها
فتيقنت يا رب أنك واسع الـ
ومقاله ما قاله الأبواب قبـ
نحن الألى ظلموا وان لم تغفر الذـ
يا رب فانصرنا على الشيطان ليـ
هذا العدو لها غرور أمان
غفران ذو فضل وذو إحسان
ل مقاله العبد الظلوم الجاني
نـب العظيم فنحن ذو خسران
س لنا به لولا حاك يدان

الشرح: وكما وسعت رحمتك يا رب الأبوان فلقنتها توبتها ثم قبلتها منها
فنحن يا رب بعدها بنوها وأحوج الى رحمتك منها، فان عقولنا لا تعد شيئاً
إذا قيسـت الى عقليهما، مع أن عدونا وعدوها واحد لا يزال يجد في اغوائنا
وفتننا كما اغواهما، ولنا مع ذلك أعداء كثيرون كلهم يتربصون بنا وينتظرون
غراتنا وغفلاتنا، والضعف مستول علينا من جميع جهاتنا، لا سيما ما ألم بنا من
ضعف الايمان وقلة اليقين.

فمعدرة اليك يا ربنا ومغفرة منك لذنوبنا التي لم نقصد أبداً الى ارتكابها
عمداً الى عصيانك ومخالفتك، ولكن النفوس الأمارة بالسوء سولتها لنا، وجاء
هذا العدو الماكر فغرر بنا ووعدنا ومنانا بغرور، وقد تيقنا سعة مغفرتك وعظيم
احسانك وفضلك، ونحن نتوب اليك منها ونقول ما قاله الأبوان قبلنا ﴿رَبَّنَا
ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:
٢٣] فاغفر لنا كما غفرت لها وأعنا على هذا الشيطان الرجيم، ورد عنا كيده
اللئيم، فانه لولا فضلك وحمايتك ما نجا من كيده انسان ولا كان لأحد على
التخلص من اغوائه يدان، فاللهم لك الحمد واليك المشتكى، وأنت المستعان
وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك يا رحيم يا رحمن.

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلا على من ليس بذى عينين
والفرق بينكم وبين خصومكم من كل وجه ثابت ببيان

شان بين السعد والدبران
للرأى أين الرأى من قرآن
أنتم الى تقليد قول فلان
بقبولها بالحق والاذعان
تفويض ذي جهل بلا عرفان
ويل تلقيتم مع النكران
ما لا سبيل له الى نكران
منه هدى لحقائق الايمان
فوضتموها لا على العرفان
تفويض اعراض وجهل معان
أولتموها دفع ذي صولان
جهيل حظ النص عند الجاني
حسن القبول وفهم ذي الاحسان

ما أنت منهم ولا هم منكم
فاذا دعونا للقرآن دعوتهم
واذا دعونا للحديث دعوتهم
وكذا تلقينا نصوص نبينا
من غير تحريف ولا جحد ولا
لكن باعراض وتجهيل وتأ
أنكرتموها جهدم فاذا أتى
أعرضتم عنه ولم تستنبطوا
فاذا ابتليتم مكرهين بسمعها
لكن يجهل للذي سيقى له
فاذا ابتليتم باحتجاج خصومكم
فالجحد والإعراض والتأويل والت
لكن لدينا حظه التسليم مع

الشرح: والفرق بينكم أيها المعطلة الجاحدون، وبين خصومكم من أهل الحق
والاثبات ثابت من كل النواحي ثبوتاً بيننا لا شك فيه، فلستم منهم في شيء، ولا
هم منكم كذلك بل بينكم وبينهم من الخلاف، كما بين هذين النجمين المعروفين
السعد والدبران ونحن ندلكم على مواضع الخلاف بيننا وبينكم، ونحن اذا دعونا
للأخذ بنصوص القرآن واتباع ما فيه من هدى وبيان دعوتهم أنتم الى تقليد فلان
وفلان، ونحن اذا تلقينا أحاديث نبينا بالقبول والتسليم والاذعان من غير تحريف
لها عن مواضعها، ولا جحد وانكار لها، ولا تفويض جاهل بلا عرفان
تلقيتموها أنتم بالجحود والتكذيب والنكران، تنكرونها جهدا استطاعتكم
وتطعنون في نقلها من أهل العلم والايمان، فاذا جاءكم ما لا سبيل لكم الى انكاره
لثبوتها في النقل ثبوتاً لا يسوغ معه نكران أعرضتم عنه أعراض الجاهلين، ولم
تحاولوا أن تستخرجوا منه بيانا لحقائق الايمان. فاذا ابتليتم مكرهين بمن يتلوها
على مسامعكم قلتم نفوض في معناها، لكنه ليس تفويض ذي معرفة بل تفويضا

قائماً على الاعراض والجهل بالمعاني، أما اذا أبتليت باحتجاج خصومكم بها، فانكم تصولون وتجولون في دفعها وردّها .

وهكذا يتم الخلاف ويستحكم بيننا وبينكم، فالجحد والاعراض والتأويل والتجهيل هو نصيب النص عندكم، أما عندنا فحظه التسليم والرضى وحسن القبول وفهم ذي الاحسان .

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعتلين

من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام الهنا
وقواطع الوحين شاهدة لنا
وأدلة المعقول شاهدة لنا
وكذاك فطرة ربنا الرحمن شا
وكذاك أجماع الصحابة والألى
وكذاك اجماع الأئمة بعدهم
هذي الشهود فهل لديكم أنتم
وجنودنا من قد تقدم ذكرهم
وخيامنا مضروبة بمشاعر ال
وخيامكم مضروبة بالتيه فالسـ

ونصيبكم منه المجاز الثاني
وعليكم هل يستوى الأمان
أيضا فقاضونا الى البرهان
هدة لنا أيضا شهود بيان
تبعوهم بالعلم والاحسان
هذا كلامهم بكل مكان
من شاهد بالنفى والنكران
وجنودكم فعساكر الشيطان
وحيين من خبر ومن قرآن
كان كل ملدد حيران

ونصيبنا من كلام الله عز وجل حقيقة معناه التي تدل عليها ألفاظه بوضع اللغة، وأما نصيبكم منه فالمجاز الثاني الذي يصرف اليه الكلام صرفاً من غير مقتض لذلك ولا قرينة تدل عليه .

أما الشهود الذين يشهدون لنا فهم كثرة كاثرة، وكلهم شهود عدل ليس

فيهم مدلس ولا شاهد زور ، فالنصوص القاطعة من الكتاب والسنة شاهدة لنا وهي في نفس الوقت شاهدة عليكم ، والادلة العقلية المؤسسة على المعقولات الصريحة الخالية من شوائب الوهم والخيال والتقليد شاهدة لنا كذلك ، وان لم تصدقوا فتعالوا نحن وأنتم نحتكم الى البرهان الصريح ، وكذلك فطرة الله التي فطر الناس عليها والتي لا يمكن أن تكذب أو تضل ما دامت سليمة خالية من التأثير بعوامل البيئة والتقليد للأبوين هي شاهدة لنا شهوداً واضحاً .

ومن شهودنا أيضاً أجماع الصحابة الذين هم أكمل هذه الامة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً والتابعين لهم باحسان ممن ورثوا علمهم وفضلهم ، وكذلك أئمة الهدى من بعدهم فكلامهم موجود في بطون الكتب وهو ناطق بصريح الاثبات فهذه هي شهودنا التي تشهد لنا بصحة قولنا في اثبات الصفات ، فهل لديكم أنتم ولو شاهد واحد على النفي والانكار .

وأما جنودنا فمن قد علمتم ممن تقدم ذكرهم من الملائكة المقربين وجميع الأنبياء والمرسلين ، وجميع من جرى على سنتهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين ، وأما جنودكم فعساكر الشيطان اللعين ، وخيامنا مضروبة بمكان ذي صوى وأعلام فلا يضل سكانها مواقع الخيام وهو معالم الوحيين من سنة وقرآن ، وأما خيامكم فمنصوبة في تيه لا دليل عليه فلا يأوى اليها الا كل ملدد حيران .

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| عند الممات وقولهم بلسان | هذي شهادتهم على محصلهم |
| تكفى شهادة ربنا الرحمن | والله يشهد أنهم أيضاً كذا |
| ذه السنن التي نابت عن القرآن | ولنا المساند والصحاح وهـ |
| آراء وهي كثيرة الهذيان | ولكم تصانيف الكلام وهذه الـ |
| ت من زجاج خراً للأركان | شبهه يكسر بعضها بعضاً كبير |
| م باطل أو منطلق اليونان | هتل ثم شيء غير رأى أو كلا |
| في كل تصنيف وكل مكان | ونقول قال الله قال رسوله |

لكن تقولوا قال ارسطو وقا
 شيخ لكم يدعى ابن سينا لم يكن
 وخيار ما تأتون قال الأشعر
 فالأشعري مقرر لعلو رب ال
 في غاية التقرير بالمعقول
 ل ابن الخطيب وقال ذو العرفان
 متقيداً بالدين والايان
 ي تشهدون عليه بالبهتان
 عرش فوق جميع ذي الأكوان
 والمنقول ثم بفترة الرحمن

الشرح: يعني أن علماءكم يدركهم الندم عند الموت ويشهدون على أنفسهم
 أنهم أضاعوا أعمارهم فيما لا ينفع من دراسة المذاهب والمقالات معرضين عن
 هدى الكتاب والسنة، وذلك كقول الشهرستاني صاحب كتاب (نهاية الاقدام في
 علم الكلام).

لعمرى لقد طففت المعاهد كلها وسيرت طرقي بين تلك المعالم
 فلم أر الا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم
 وكقول ابن الخطيب الرازي صاحب التفسير المشهور، وأشهر متكلمي
 الاشعرية في عصره.

نهاية اقدم العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
 وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
 ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلا ولا
 تروى غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ
 عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]
 واقراً في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ
 عَلِيًّا﴾ [طه: ١١٠] (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي).

وكقول إمام الحرمين الجويني عند موته:

(لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي
 نهوني عنه، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على

عقيدة أُمِّي) والله يشهد عليهم كذلك بما شهدوا به على أنفسهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٧٩].

ونحن ورثنا علم النبوة كابراً عن كابر، وألّفنا فيه الكتب القيمة فلنا المساند التي يجمع فيها المحدث في ترجمة كل صحابي ما يرويه عنه من حديثه ويجعله على حدة وأن اختلفت أنواعه مثل مسند الامام أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله، ومسند اسحاق بن راهويه ومسند عثمان بن أبي شيبة، ومسند الحميدي، ومسند عبد بن حميد، والمسند الكبير ليعقوب بن شيبة، والمسند الكبير لبقى بن مخلد القرطبي الخ.

ولنا كذلك الكتب الصحاح مثل صحيح البخاري ومسلم رحمهما الله، وهما يعتبران أوثق الكتب بعد كتاب الله، ولنا السنن المشهورة مثل سنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه القزويني وغيرها.

وأما أنتم فليس لكم الا تصانيف الكلام الباطل التي لا تحوي الا آراء كلها فشر وهذيان مثل كتب أبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزالي، وابن الخطيب الرازي والآمدي، ونصير الدين الطوسي، وعضد الدين الأبيجي، وسعد الدين التفتازاني والجلال الدواني وغيرهم. وهي كتب مليئة بالمتناقضات والايرادات والشبه التي يحطم بعضها بعضاً، كأنها بيت من زجاج قذفته بججر فصار هشياً متداعياً الأركان، وليس فيها شيء من العلم النافع بل كل ما فيها أما رأي قائل، أو كلام باطل، أو أدلة متهافتة ركبت على قواعد المنطق الأرسطي.

ونحن لا نقول في كل كتبنا ومؤلفاتنا إلا قال الله عز وجل وقال رسوله ﷺ وأما أنتم فتنقلون عن أساتذتكم في الكفر والضلال فتقولون قال أرسطو أو قال الفخر الرازي او قال الشيخ الرئيس ابن سينا ذلك الزنديق المتحلل من قيود الدين والايان، وأفضل منقولاتكم ما تنقلونه عن الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري رحمه الله، ولكنكم تشهدون عليه شهادة زور وبهتان فتنسبونه الى القول بالنعطيل مع أنه يقرر صفة العلو في جميع كتبه أحسن تقرير فيشبتها

بطريق العقل والنقل والفطرة ويرد على نفاثها، وينكر تأويل الاستواء بالاستيلاء،
ومن يقرأ كتابيه المشهورين (الآبانة) و(مقالات الاسلاميين) لا يشك في أنه
كان من المثبتين.

★ ★ ★

هذا ونحن فتاركوا الآراء
لكنكم بالعكس قد صرحتم
والنفي عنكم على التفصيل وال
والمثبتون طريقهم نفي على وال
فتدبروا القرآن مع من منكما؟
وعرضتم قول الرسول على الذي
فالمحكم النص الموافق قوهم
لكنما النص المخالف قوهم
وإذا تأديتم تقولوا مشكل
والله لو كان الموافق لم يكن

لنقل الصحيح ومحكم الفرقان
ووضعتم القانونون ذا البهتان
إثبات إجمالا بلا نكران
إجمال والتفصيل بالتيان
وشهادة المبعوث بالقرآن
قال الشيوخ ومحكم الفرقان
لا يقبل التأويل في الأذهان
متشابه متأول بمعان
أفواضح يا قوم رأى فلان
متشابهها متأولا بلسان

الشرح: والفرق بيننا وبينكم كذلك أننا نترك آراء الناس وأقوالهم إذا كانت
مخالفة للحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أو للمحكم الصريح من كتاب الله
عز وجل، وأما أنتم فقد صرحتم بعكس ذلك تماما ووضعتم في ذلك قانونا جائرا
ظالما، وهو أنه إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم حكم العقل لأنه قطعي
عندكم بخلاف النقل فإنه لا يفيد الا الظن.

وأنتم كذلك تتوسعون في صفات السلب فتذكرونها على التفصيل وتزعمون
ذلك مبالغة في التنزيه، مع أن النفي الصرف لا مدح فيه، وأما صفات الاثبات
فتذكرونها إجمالا. وأما نحن فطريقتنا عكس ذلك، نقتصر في النفي على ما نفاه
الله ورسوله، ونتوسع في الاثبات فنثبت كل ما أثبته الله ورسوله، وهذه هي
طريقة الكتاب والسنة، إجمال في النفي وتفصيل في الاثبات، فتدبروها ان كنتم

من أهل ذلك ، لتعرفوا هل هما على طريقتنا أو على طريقتكم ، وأنتم تعرضون ما قاله الله ورسوله على الذي قالته شيوخكم ، فان وافق النص قولهم كان محكماً غير قابل للتأويل عندكم ، وأما ان خالف فهو متشابه يجب تأويله بمعان أخر ، واذا تصنعتم الأدب مع النص قلمت انه مشكل ولا نخوض فيه ، ووالله لو كان موافقا لقول شيوخكم لم يكن عندكم متشابهها ولا مشكلا ولا قابل للتأويل .

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| لكن عرضنا نحن أقوال الشيو | خ على الذي جاءت به الوحيان |
| ما خالف النصين لم نعبأ به | شيئاً وقلنا حسبنا النصان |
| والمشكل القول المخالف عندنا | في غاية الاشكال لا التبيان |
| والعزل والابقاء مرجعه إلى الـ | آراء عندكم بلا كتمان |
| لكن لدينا ذاك مرجعه الى | قول الرسول ومحكم القرآن |
| والكفر والاسلام عين خلافه | ووفاقه لا غير بالبرهان |
| والكفر عندكم خلاف شيوخكم | ووفاقهم فحقيقة الايمان |
| هذي سبيلكم وتلك سبيلنا | والموعد الرحمن بعد زمان |
| وهناك يعلم أي حزيننا على الـ | حق الصريح وفطرة الديان |
| فاصبر قليلا انما هي ساعة | فاذا أصبت ففي رضا الرحمن |
| فالقوم مثلك يألون ويصبرو | ن وصرهم في طاعة الشيطان |

الشرح: لكننا بخلافكم نعرض أقوال الناس على ما جاء في الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، فما خالف نصوصهما لم نرفع به رأسا ولم نقم له وزنا ، وقلنا يكفيننا ما جاء به النصان ، والمشكل عندنا هو القول المخالف لها ، فهذا عندنا في غاية الاشكال ، والعزل والابقاء عندكم مرجعه الى آراء الشيوخ ، فما وافقها من النصوص أبقيتموه وما خالفها عزلتموه ، فلا يصلح عندكم حجة ولا دليلا .

وأما عندنا فالعزل والابقاء يرجع الى النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فما وافقها من الآراء أبقيناها واعتدنا به ، وما خالفها عزلناه ولم نعبأ به .

والنصوص عندنا كذلك هي ميزان كفر الرجل واسلامه، فمن خالف
 التصوص الصريحة من الكتاب والسنة حكمنا بكفره، ومن وافقها حكمنا
 باسلامه، وأما عندكم فالكفر هو مخالفة أقوال الشيوخ والاجترأ على نقد آرائهم،
 والاسلام والايان هو اتباعهم وموافقة أقوالهم. هذي سبيلكم وتلك سبيلنا، قد
 استبان الفرق بينهما، وهو فرق كما رأيتم جد كبير والموعد غداً لله العلي الكبير
 يحكم بيننا وبينكم فيما اختلفنا فيه، وستعلمون حينئذ أي الحزبين منا ومنكم هو
 على الحق المبين وعلى فطرة الديان التي فطر عليها عباده أجمعين.

فاصبر يا أخوا الحق قليلا ولا تجزع من قلة الأعوان وكثرة الأعداء، فانما هي
 أيام قليلة وينقضى العمر، واعلم ان ما تلقاه في هذه الدنيا من بلاء، وما تقاسيه
 من أذى الجهلاء انما هو في مرضاة ربك، فلا يكن أهل الباطل أصبر على باطلهم
 منك على حقك، فان القوم مثلك يألمون كما تألم ويصبرون لكن في طاعة
 الشيطان فاجعل صبرك أنت في طاعة الرحمن.

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| يا طالب الحق المبين ومؤثرا | علم اليقين وصحة الايمان |
| اسمع مقالة ناصح خبر الذي | عند الوري مذ شب حتى الآن |
| ما زال مذ عقدت يده ازاره | قد شد ميزره الى الرحمن |
| وتخلل الفترات للعضمات أم | ر لازم لطبيعة الإنسان |
| وتولد النقصان من فتراته | أو ليس سائرنا بنى النقصان |
| طاف المذاهب بيتغي نورا ليهـ | ديه وينجييه من النيران |
| وكأنه قد طاف بيتغي ظلمة الـ | ليل البهيم ومذهب الخيران |
| والليل لا يزداد الا قووة | والصبح مقهور بذوي السلطان |

حتى بدت في سيره نار على طور المدينة مطلع الايمان
فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود منالها بأمان

الشرح: ينادي المؤلف كل من يتجرد لطلب الحق ويسعى في نيله وتحصيله
ويؤثر علم اليقين على القول بالظن والتخمين، ويريد لنفسه ايمانا صحيحا بعيدا
عن شوائب الزيغ والكفران، فيقول له اسمع لنصيحتي، فإنها نصيحة مجرب خبر
كل ما عند الناس من المذاهب والمقالات وطوف مذشب عن الطوق على الفرق
المختلفة يطلب الطريق الى الله عز وجل.

ولكن الانسان مهما شد منه العزم فلا بد ان تتخلل عزمه فترات كما في
الحديث « ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة » فهذا أمر لازم لنقص الطبيعة
الانسانية وضعفها، والناس كلهم أبناء نقصان، قال تعالى ﴿ وَتَوَلَّوْا فِضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾
[النور: ٢١].

والمؤلف يخبر عن نفسه رحمه الله أنه قد طاف على جميع أرباب المذاهب
والمقالات بيتغي لنفسه نوراً يهدي قلبه ويبصره طريق النجاة، ولكنه ما وجد
عندهم الا ظلمات فوق ظلمات، فكأنه ما طاف يبغي نوراً، بل طاف يبغي ظلمة
الليل البهيم، وكلما أوغل في الطلب كلما ازدادت أمامه الظلمات التي قهرت
بجيوشها العاتية نور الصبح، وما زال هكذا يهيم في وادي الظلمات حتى ظهر له في
مسيره نار من جهة المدينة المنورة، كما تراءت لموسى عليه السلام النار في طور
سيناء فيمم نحوها ليقبس منها نوراً وهدى بيدد أمامه غياهب الظلمات. فلم يمكنه
أن ينالها وهو مقيد بقيود التقليد وأسر العادات.

وهذا الذي يتحدث عنه المؤلف قد حصل لكل من مر بمثل تجربته ممن أوغل
في دراسة الكلام وعب مما في وردها الآسن من خرافات وأوهام، حتى انبلج له
صبح الاسلام.

★ ★ ★

لولا تداركه الاله بلطفه
لكن توقف خاضعا متذللا
فأتاه جند حل عنه قيوده
والله لولا أن تحل قيوده
كان الرقى الى الثريا مصعدا
فرأى بتلك النار آكام المدي
ورأى على طرقاتها الأعلام قد
ورأى هنالك كل هاد مهتد
فهناك هنا نفسه متذكرا
والمستهام على المحبة لم يزل

ولى على العقبين ذا نكصان
مستشعر الافلاس من أثمان
فامتد حينئذ له الباعان
وتزول عنه ربة الشيطان
من دون تلك النار في الامكان
نة كالخيام تشوفها العينان
نصبت لأجل السالك الحيران
يدعو الى الايمان والايقان
ما قاله المشتاق منذ زمان
حاشا لذكراكم من النسيان

الشرح: بعد أن ذكر المؤلف أن دراساته السابقة وما شحن به رأسه من الأفكار والآراء واصطلاحات العلماء، وقفت حائلا بينه وبين الوصول الى نار الحق ونور الهدى التي بدت له من المدينة مطلع الايمان ومركز اليقين، ذكر أن تلك الحوائل كادت تثنيه عن عزمه وتجعله يرتد ناكصا على عقبيه لولا أن تداركه الله بفضله ورحمته، فوقف مظهرا الخضوع والذلة مستشعرا افلاسه وعجزه حتى أرسل الله اليه من حل عنه قيوده وخلصه من ربة أسره، وهو شيخه وشيخ المفكرين الأحرار جميعا من بعده أحمد تقي الدين أبي العباس بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رحه الله وأجزل مثوبته، فأصبح بعد اتصاله به وأخذه عنه حرا طليقا قد امتد منه الباعان ولم يعد يتقيد بقول فلان أو فلان، ووالله لو لم تحل عنه هذه القيود وتزول عنه ربة الشيطان لكان صعوده الى الثريا في السماء أهون من وصوله الى تلك النار في الامكان. ولما أتى تلك النار شاهد بها حصون المدينة العالية كأنها خيام منصوبة تراها العينان، ورأى على دروبها أعلام الحق قد نصبت لهداية السالك الحيران، ولقى فيها الغر الميامين من الصحابة الهداة المهتدين يدعون كل من أمهم الى الايمان واليقين،

هنالك حد السرى وهنأ نفسه بسلامة الوصول متذكرا ما كان قد قاله حين برح به الشوق وأضناه الجوى .

★ ★ ★

لو قيل ما تهوى؟ لقال مبادرا
تالله ان سمح الزمان بقربكم
لأغفرن الخد شكرا في الثرى
ان رمت تبصر ما ذكرت فغض طر
واترك رسوم الخلق لا تعبأ بها
حذق لقلبك في النصوص كمثل ما
وأكحل جفون القلب بالوحيين واح
فالله بين فيها طررق الهدى
لم يحوج الله الخلائق معهما
فالوحي كاف للذي يعنى به
وتفاوت العلماء في أفهامهم

أهوى زيارتكم على الأجفان
وحللت منكم بالمحل الداني
ولأكحلن بتربكم أجفاني
فا عن سوى الآثار والقرآن
في السعد ما يغنيك عن دبران
قد حذقوا في الرأي طول زمان
ذر كحلهم يا كثرة العميان
لعباده في أحسن التبيان
لخيال فلتان ورأي فلان
شاف لداء جهالة الانسان
للوحي فوق تفاوت الأبدان

الشرح: فلو قيل لي ما الذي تحبه وتهواه لقلت لسائلي مبادرا اياه: ان الذي اهوى هو زيارتي لكم أيها الأحبة ولو أن أمشي اليكم على أجفاني. ولو أن الزمان جاد لي بوصلكم ونزلت منكم بمكان قريب لأسجدن لله شكراً مرغا خدي في التراب ولأكحلن الأجفان من تراب الاحباب .

وقد غلا المؤلف رحمه الله في هذه الأبيات، ونحن لا نقره على هذا الغلو، وان كنا نعم أنه لم يقصد بذلك شيئا مما يفعله القبوريون عند أضرحة شيوخهم من لثم العتبات واستمداد البركات، وان أردت يا طالب الحق أن تبصر ما ذكرت لك وأن تصل الى مثل ما وصلت اليه، فاغمض عينك عن كل ما سوى القرآن والآثار، واهجر كل ما تواضع عليه القوم من رسوم واصطلاحات، ولا تجعل لها قيمة ففي لجة البحر ما يغنيك عن الوشل، وفي السعد ما يغنيك عن

الدبران . واعمل بصيرة قلبك في فهم النصوص وتدبرها كما أعملوا هم عقولهم في فهم الآراء في كل زمان . واكمل بنور الوحيين جفون قلبك حتى تنفتح له وتتفتح بما فيه من جليل العلم وصالح المعرفة ، واحذر أن تكحلها بما عند القوم من ترهات وأوهام فيصيبك العمى كما أصاب كثيراً ممن اكتحلوا بهذا الرغام .

وكيف تلتمس الهدى في غيرها والله بين فيهما طرق الهدى كلها لعباده أحسن بيان وأوضحه بحيث لم يحوج خلقه معها الى شيء آخر غيرها من خيال مرور فلتان ، أو رأي أحق خرفان ، فالوحي فيه الكفاية كل الكفاية لم يتدبره ويتجه اليه بعقله وقلبه ويستشفي به من داء جهله ، وأن تفاوت العلماء في فهمهم للوحي واستمدادهم منه بحسب ما قدر لكل منهم من استعداد في الذكاء وقدرة في الاستخراج لأكثر مما بين الأبدان من تفاوت في القوة والضعف ، فان قياس أقوى بدن الى أضعفه أقل بكثير من قياس أكمل فهم الى أنقصه ، وكما يقول الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا الى المجد حتى عد ألف بواحد

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| والجهل داء قاتل وشفأؤه | امران في التركيب متفقان |
| نص من القرآن أو من سنة | وطيب ذاك العالم الرباني |
| والعلم أقسام ثلاث ما لها | من رابع والحق ذو تبيان |
| علم بأوصاف الاله وفعله | وكذلك الأسماء للرحمن |
| والأمر والنهي الذي هو دينه | وجزاؤه يوم المعاد الثاني |
| والكل في القرآن والسنن التي | جاءت عن المبعوث بالفرقان |
| والله ما قال امرؤ متحذلق | بسواها إلا من الهذيان |
| إن قلت تم تقريره فمقرر | بأتم تقرير من الرحمن |
| أو قلت تم إيضاحه فمبين | بأتم إيضاح وخير بيان |
| أو قلت تم إيجازه فهو الذي | في غاية الإيجاز والتبيان |

أو قلم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
أو قلم نحن التراجم فاقصدوا ألم عنى بلا شطط ولا نقصان
أو قلم بخلافه فكلامكم في غاية الإنكار والبطلان

الشرح: لا داء أدوأ من الجهل فهو قاتل لأصحابه شر قتل، وشفاء هذا الداء العياء في دواء مركب من عقارين اثنين على سواهما هما نصوص الكتاب ونصوص السنة الغراء ولا بد في تحضير هذا الدواء من طبيب نطاسي وعالم رباني بصير بموطن الداء كي تحصل العافية ويضمن الشفاء.

والعلم النافع يرجع إلى أمور ثلاثة ليس لها رابع أولها العلم بأسماء الله عز وجل وصفاته وأفعاله، فلذلك هو أصل كل علم وأساسه وهو علم الأصول والفقه الأكبر، والثاني: العلم بأحكامه سبحانه وشرائع دينه من كل ما أمر به، أو نهى عنه وذلك هو علم الفروع.

والثالث: العلم بشئون المعاد التي أخبر عنها الله ورسوله من البعث والنشور، والحساب والجزاء، والصراط والميزان، والجنة والنار، وغير ذلك مما ورد الكتاب والسنة بتفصيله.

وهذه العلوم الثلاثة موجودة كلها في القرآن والسنة بآتم بيان وأوضح برهان، فكل ما يقوله المتحذلقون في هذه الأبواب من العلم مما ليس في كتاب ولا سنة، فكله فشر وهذيان، فإن قلم أن كلامنا هذا هو تقرير لما في الكتاب والسنة فهو لا يحتاج إلى تقريركم فقد قرره الله ورسوله أعظم تقرير.

وإن قلم أن كلامنا إيضاح له وبيان قلنا بل هو مبين بآتم إيضاح وخير بيان وإن قلم أنه تلخيص له وإيجاز فهو في إيجازه وقوة عبارته في الدرجة القصوى البالغة حد الإعجاز.

وإن قلم أنه كشف عن معناه وتوضيح لمقاصده، فلماذا لم تقصدوا المعنى المفهوم من الخطاب وذهبتم إلى معان أخر ليست هي التي تتبادر إلى الذهن عند

ذكر العبارة. فإذا كنتم صادقين في دعواكم ترجمته وتفسيره فاقصدوا إلى معناه الذي يدل عليه اللفظ بلا زيادة ولا نقصان. وإن صرحتم بأن كلامكم هذا بخلاف ما في الكتاب والسنة فقد أقررتم على أنفسكم بأن كلامكم في غاية الإنكار والبطلان، فإن كلام الله ورسوله هو حق كله، وليس بعد الحق إلا الضلال.

★ ★ ★

أو قلتُم قسنا عليه نظيره
نوع يخالف نصه فهو المحا
وكلامنا فيه وليس كلامنا
ما لا يخالف نصه فالناس قد
لكنه عند الضرورة لا يصار
هذا جواب الشافعي لأحد
والله ما اضطر العباد إليه في
فإذا رأيت النص عنه ساكتا
وهو المباح إباحة العفو الذي
فأضف إلى هذا عموما للفظ وأل
فهناك تصبح في غنى وكفاية

فقياسكم نوعان مختلفان
ل وذلك عند الله ذو بطلان
في غيره أعني القياس الثاني
عملوا به في سائر الأزمان
إليه إلا بعد ذا الفقدان
لله درك من إمام زمان
ما بينهم من حادث بزمان
فسكوته عفو من الرحمن
ما فيه من حرج ولا نكران
معنى وحسن الفهم في القرآن
عن كل ذي رأي وذي حسابان

الشرح: وإن قلتُم أننا نقيس على المنصوص نظيره، والقياس أحد الأدلة
المعتبرة عند كثير من الفقهاء، قلنا لكم إن القياس نوعان متباينان: أحدهما نوع
مخالف لفهم النص وذلك باطل محال، وكلامنا معكم إنما هو في هذا النوع، لأن
معظم أقيستكم ترجع إليه، وليس كلامنا في النوع الثاني من القياس، وهو ما لا
يكون مخالفاً للنص، فإن جمهور الفقهاء قد اعتبروه وعملوا بمقتضاه في جميع
العصور. وهذا هو الذي يذكره علماء الأصول في كتبهم كأحد الأدلة الفقهية،
ويقسمونه إلى ثلاثة أقسام: الأول: قياس علة، وهو ما كانت العلة فيه موجبة

للحكم ومقتضية له ، وذلك كقياس تحريم ضرب الوالدين على التأفيف .

الثاني: قياس دلالة ، وهو الإستدلال بأحد النظيرين على الآخر ، وهو أن تكون العلة دالة فقط على الحكم ، وليست موجبة له كقياس مال الصبي على مال البالغ في وجوب الزكاة فيه .

الثالث: قياس الشبه ، وهو أن يتردد الفرع بين أصلين فيلحق بأكثرهما شبيهاً كالعبد المقتول ، فإنه متردد في الضمان بين الإنسان الحر من حيث أنه آدمي وبين البهيمة من حيث أنه مال ، وهو بالثاني أكثر شبيهاً . وهذا القياس وإن كان جائزاً لا يصار إليه إلا عند الضرورة بأن يكون النص مفقوداً .

وبهذا أجاب الإمام الشافعي أخاه الإمام أحمد رحمهما الله تعالى ، فله در الشافعي من إمام عصره ، ومع ذلك فإن العباد لم يضطروا إليه فيما يجري عليهم من الحوادث في الأزمنة المختلفة ، فإن ما يحدث لهم مما سكت عنه النص ولم يبين حكمه فهو مما عفا الله عز وجل عنه ، فهو مباح إباحة العفو الذي لا حرج عليهم فيه ولا إنكار ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » .

فإذا أضفت إلى نصوص الوحيين من الكتاب والسنة عموم ألفاظها ومعانيها وحسن الفهم لدلالات الكتاب وجودة الاستنباط منه أصبحت بالوحيين في غنى تام عن كل ما عداها ولم تحتج معها إلى رأي أحد ولا حسابانه .

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| ومقدرات الذهن لم يضمن لنا | تبيانها بالنص والقرآن |
| وهي التي فيها اعتراك الرأي من | تحت العجاج وجولة الأذهان |
| لكن هنا أمران لو تما لما | احتجنا إليه فحبذا الأمران |
| جمع النصوص وفهم معناها المرا | د بلفظها والفهم مرتبتان |
| إحداها مدلول ذاك اللفظ وض | عا أو لزوماً ثم هذا الثاني |

فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لم ينضبط أبداً له طرفان
فالشئ يلزمه لوازم جمة عند الخبير به وذو العرفان
فقدرد ذاك الخبر يحصي من لوازمه وهذا واضح التبيان

الشرح: وأما ما تقدره الأذهان وتجول فيه من وجوه الاحتمال والإمكان
فهذه لم يضمن لنا أن يقع في النصوص لها بيان، وهي موضع اعتراض الآراء
وتشاجر الأذهان، لكن هنا أمران اثنان لو أنها حصلوا على التمام من غير نقصان
لما احتجنا إلى شيء مما تجول فيه الأذهان. أحدهما استيعاب النصوص من السنة
والقرآن، والثاني فهم معناها المراد بلفظها، ولهذا الفهم درجتان، إحداهما فهم ما
يدل عليه اللفظ بطريق الوضع، وهذا لا يختلف فيه الأذهان، فإنه لا يحتاج إلا
إلى العلم بأن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني، وثانيتهما فهم ما يدل عليه اللفظ
بطريق اللزوم، بأن يكون المراد لازماً للمعنى الموضوع له اللفظ. ولما كان لكل
من اللوازم ما لا حصر له، فإن الأفهام تتفاوت في هذا النوع من الدلالة تفاوتاً
لا ينضبط، ويكون ذلك بحسب الخبرة وطول المراس لهذا الشأن، فكلما كان
الإنسان أكثر خبراً وأوسع معرفة كان أكثر إدراكاً لتلك اللوازم والعكس
بالعكس. وهذا أمر واضح لا يفتقر إلى بيان.

★ ★ ★

ولذلك عرف الكتاب حقيقة
وكذاك يعرف جملة الشرع الذي
علما بتفصيل وعلما مجملا
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنا
ولذلك يعرف من صفات الله وأل
ما ليس يعرف من كتاب غيره
وكذاك يعرف من صفات البعث بالت
ما يجعل اليوم العظيم مشاهداً

عرف الوجود جميعه ببيان
يحتاجه الإنسان كل زمان
تفصيله أيضاً بوحى ثاب
أعلى العلوم بغاية التبيان
أفعال والأساء ذى الإحسان
أبداً ولا وما قالت الثقلان
فصيل والإجمال فى القرآن
بالقلب كالمشهود رأى عيان

وكذاك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخلوقة مربوبة ببيان
وكذاك يعرف ما الذي فيها من الـ حاجات والاعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه وصفاته أيضاً بلا مثل ولا نقصان

الشرح: وإذا كانت ألفاظ الكتاب الكريم وعباراته، إما أن يراد منها معانيها الموضوعية لها: وإما أن يراد منها لوازم تلك المعاني، وهي من الكثرة بحيث تستوعب الأشياء كلها، فلذلك كان من عرف كتاب الله عز وجل معرفة حقيقة ووقف على كل ما تدل عليه ألفاظه من المعاني بطريق الوضع أو الإلتزام فإنه يكون قد عرف حقائق الوجود كلها معرفة جلية. وكذلك يعرف كليات الأحكام والشرائع التي تلائم مصالح الناس وحاجاتهم في كل زمان ومكان علماً إجمالياً، ثم تجيء السنة وهي الوحي الثاني ببيان تلك الأحكام والشرائع بالتفصيل فكلما من السنة والكتاب وحيان من عند الله قد تكفلا لمن تدبرهما أن يبلغ ذروة العلم وسنام المعرفة.

ويعرف الواقف على علم الكتاب أيضاً من صفات الله العليا وأفعاله وأسماؤه الحسنى ما لا يوجد مثله ولا قريباً منه في كتاب غير القرآن، ولا في كل ما قاله الثقلان من الإنس والجان.

ويعرف من صفات البعث وأحوال اليوم الآخر ومشاهد القيامة في التفصيل والإجمال ما يجعله كأنه يعاين ذلك اليوم وكأنه يعيش فيه الآن، ويصير مشهوداً له بالقلب كشهود العيان. ويعرف كذلك من حقيقة نفسه وصفاتها وأحوالها التي تتقلب فيها ولوازمها التي لا تنفك عنها من كونها حادثة مخلوقة لله مربوبة مقهورة في قبضة يده، وما يعترئها من الفقر والاحتياج عنها ونواحي النقص والعدم ما لا يقاس به كل ما يهرف به الفلاسفة في هذا الشأن.

ويدرك أيضاً أن نفسه وهي مخلوقة مربوبة محدثة لا تماثل صفاتها صفات الأجسام، فالرب الخالق الغني أولى بأن لا تماثل صفاته صفات المخلوقين،

فيعرف ربه وصفاته معرفة منزهة عن الماهلة والنقصان .

★ ★ ★

وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها إن كنت ذا علم وذا عرفان
ماع بالضد والأولى كذا بالامتناع لعلمنا بالنفس والرحمن
فالضد معرفة الإله بضم ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

الشرح: يعني أن من عرف ما جاء في الكتاب والسنة من حقيقة النفس وأحوالها وصفاتها وما يلازمها من العيب والنقص يستطيع أن يعبر من تلك المعرفة بنفسه إلى معرفة ربه من ثلاثة أوجه يجب أن يفطن لها كل ذي قدم راسخة في العلم والمعرفة .

الوجه الأول: أن يعرف ربه عز وجل بضم ما في نفسه من عيب ونقص، فإذا كانت نفسه مخلوقة محدثة مربوبة مملوكة عاجزة فقيرة جاهلة، فيجب أن يعرف ربه بأنه الرب الخالق المالك القادر الغني الحميد إلخ..

الوجه الثاني: أن يستدل على ثبوت الكمال له سبحانه بطريق الأولى، فإنه إذا كانت نفسه وهي مخلوقة محدثة ناقصة تتصف بأنها حية عالمة قادرة مريدة سمیعة بصيرة إلخ، فالرب أولى أن يتصف بذلك، فإن كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به من المخلوق لأن المخلوق إنما استفاد هذا الكمال من خالقه، فهو الذي أفاده هذا الكمال إحساناً منه وفضلاً، وفاقده الشيء لا يمكن أن يعطيه، ولأنه سبحانه لو خلا من هذا الكمال الممكن له مع وجوده في المخلوق لكان في المخلوقات من هو أكمل منه، وكل هذا باطل محال .

الوجه الثالث الاستدلال على تنزهه سبحانه عن النقص بطريق الامتناع، وذلك أن يقال كل نقص تنزه عنه المخلوق، فإنه يمتنع أن يتصف به الخالق، إذ الخالق أولى بتنزهه عن النقص من المخلوق .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته (التدمرية):

(والمقصود أن الروح إذا كانت موجودة حية عالمة قادرة سمعية بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجيء ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدتها، لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً، والشئ إنما تدرك حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره، فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات فالخالق أولى بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسائه وصفاته).

فصل

في بيان شرط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| وكفاية النصين مشروط بتج | ريد التلقي عنها لمعان |
| وكذاك مشروط بخلع قيودهم | فقيودهم غل إلى الأذقان |
| وكذاك مشروط بهدم قواعد | ما أنزلت ببيانها الوحيان |
| وكذاك مشروط بإقدام على | الآراء إن عريت عن البرهان |
| بالرد والابطال لا تعبأ بها | شيئاً إذا ما فاتها النصان |
| لولا القواعد والقيود وهذه | الآراء لا تسعت عرى الإيمان |
| لكنها والله ضيقة العرى | فاحتاجت الأيدي لذاك توان |
| وتعطلت من أجلها والله أع | داد من النصين ذات بيان |

الشرح: وإذا كانت نصوص الكتاب والسنة فيها الكفاية والشفاء لمعرفة الدين كله أصوله وفروعه، فإن تلك الكفاية مشروطة بشروط لا بد من اعتبارها في ذلك.

أولاً: أن يقوم المتلقي عنها بالتجريد لما يفهم منها من معان بأن لا يصرف نصوصها إلى معان آخر بتأويل لا دليل عليه ولا موجب له.

ثانياً: أن يهدم كل القواعد والمصطلحات التي تواضع عليها الناس، ولم يرد بشأنها بيان من السنة والقرآن.

ثالثاً: أن يعتمد إلى كل المقالات والآراء التي لم يقم عليها برهان فيدفعها ويجهتد في إبطالها، ولا يقيم لها وزناً ما دامت غير قائمة على نصوص من الكتاب والسنة.

ووالله لولا ما عمدت إليه فرق الزيغ والضلال من وضع القواعد والقيود والمذاهب التي أسست عليها لوجدت عرى الإيمان وقواعده واسعة لا حرج فيها ولا تعقيد ولكن هؤلاء ضيقوا عراه بما أحدثوا من المبادئ والاصطلاحات حتى عطلوا بها نصوصاً كثيرة من الكتاب والسنة مع أنها في غاية الوضوح والبيان.

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| وتضمنت تقييد مطلقها وإط | تضمنت تقييد مطلقها وإط |
| وتضمنت تخصيص ما عمته والت | وتضمنت تخصيص ما عمته والت |
| وتضمنت تفريق ما جمعت وجد | وتضمنت تفريق ما جمعت وجد |
| وتضمنت تضيق ما قد وسع | وتضمنت تضيق ما قد وسع |
| وتضمنت تحليل ما قد حرمت | وتضمنت تحليل ما قد حرمت |
| سكتت وكان سكوتها عقوا فلم | سكتت وكان سكوتها عقوا فلم |
| وتضمنت إهدار ما اعتبرت كذا | وتضمنت إهدار ما اعتبرت كذا |
| وتضمنت أيضاً شروطاً لم تكن | وتضمنت أيضاً شروطاً لم تكن |
| وتضمنت أيضاً موانع لم تكن | وتضمنت أيضاً موانع لم تكن |
| إلا بأقيسة وآراء وتلق | إلا بأقيسة وآراء وتلق |

الشرح: يذكر المؤلف في هذه الأبيات أنواع الجنايات التي جنتها القواعد والاصطلاحات على نصوص الكتاب والسنة، وهذه الجنايات كما يأتي:

١ - عمدت إلى ما أطلقته النصوص فلم تقيد بشرط ولا صفة ولا استثناء

فقيده بواحد من هؤلاء وإلى ما قيده النصوص كذلك فأطلقته دون اعتبار للقيود مع أن كلا من الإطلاق والتقييد في النصوص له ميزان واعتبار .

٢ - تضمنت كذلك تخصيص ما عمته النصوص وتعميم ما خصصته وجعلته معيناً ولم تراخ ما أرادته النصوص من العموم والخصوص .

٣ - فرقت بين ما جمعه النصوص وجعلته شيئاً واحداً، وجمعت كذلك ما أرادت النصوص تفريقه .

٤ - ضيقت ما وسعته النصوص، ووسعت ما ضيقته، فلينظر ما في النصوص من تضيق وتوسيع .

٥ - تضمنت أيضاً تحليلاً لما حرّمته النصوص، وحرمت ما أحلته بأن سكّنت عنه النصوص، وكان سكوتها عفواً وتجاوزاً، ولكن القواعد لم تعف ولم تتسع لما اتسعت له النصوص .

٦ - أهدرت ما اعتبرته النصوص، واعتبرت ما أهدرته وكلاهما ممنوع، بل الواجب اعتبار ما اعتبرته النصوص وإهدار ما أهدرته .

٧ - تضمنت شروطاً مشروطة في الشرع ولا برهان لهم عليها .

٨ - وتضمنت أيضاً موانع لم يعتبرها الشرع بلا حجة ولا دليل اللهم إلا أقيسة فاسدة وآراء باطلة، وتقليداً للرجال بلا علم ولا استحسان .

عمن أنت هذى القواعد من جي
ما أسسوا إلا أتباع نبيهم
بل أنكروا الآراء نصحاً منهم
أو ليس في خلف بها وتناقض
والله لو كانت من الرحمن ما اخ
شبه تهافت كالزجاج تحالها
ع الصحب والأتباع بالإحسان
لا عقل فلتان ورأي فلان
لله والداعي وللقرآن
ما دل ذا لب وذا عرفان
تلفت ولا انتقضت مدى الأزمان
حقاً وقد سقطت على صفوان

والله لا يرضى بها ذو همة
فمثالها والله في قلب الفتى
كالزراع ينبت حوله دغل فيم
وكذلك الإيمان في قلب الفتى
والنفس تنبت حوله الشهوات
فيعود ذاك الغرس يبسا ذاوياً
فتراه يجرث دائباً ومغله
والله لو نكش النبات وكان ذا
لأقى كأمثال الجبال مغله

علياء طالبة لهذا الشان
وثباتها في منبت الإيمان
نعه النما فتراه ذا نقصان
غرس من الرحمن في الإنسان
والشبهات وهي كثيرة الأفنان
أو ناقص الثمرات كل أوان
نزر وذا من أعظم الخسران
بصر لذاك الشوك والسعدان
ولكان أضعافاً بلا حسابان

الشرح: يتساءل المؤلف عن أثر هذه القواعد؟ التي أسسها هؤلاء وبنوا
عليها ما بنوا من المذاهب والآراء، إنه لم يقل بها أحد من صحابة رسول
الله ﷺ ولا من التابعين لهم بإحسان، فإنهم ما أسسوا للناس في دينهم إلا اتباع
نبيهم الكريم ولم يأمرهم بالجري وراء عقول الحمقى وآراء السفهاء، بل كلهم
شدد النكير على من يأخذ بالرأي في دين الله عز وجل نصحاً منهم لله وكتابه
ورسوله عملاً بقوله ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله
ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وإن في اختلاف هذه الآراء وتناقضها ما يدل كل ذي عقل ومعرفة على أنها
ليست من دين الله في شيء، إذ لو كانت من عنده سبحانه ما اختلفت ولا
تناقضت في أي عصر ولا زمان، بل هي في حقيقتها شبه واهية لا أصل لها كأنها
بيت من الزجاج قد سقط على حجر صلب فصار هشياً، والله ما يرضى بها من
كانت له همة علياء في طلب الحق وتسعى لمعرفته، فمثالها في قلب أصحابها
وثباتها في منبت الإيمان كهذه الحشائش الضارة الطفيلية التي تمنع الزرع من النماء
والتام، فلا يعطي غلته كاملة. فالإيمان في قلب العبد هو غرس الله، والنفس
تنبت من حوله وفي خلاله أفناناً كثيرة من الشهوات والشبهات التي تأكله وتعوق
نموه حتى يرى بعد نضرتة يابساً ذاوياً ناقص الثمرة، فهو يزرع باستمرار ويتعهد

بالسقي والحرث، ولكن مغله قليل بسبب وجود هذه النباتات التي لو نكشت وأخرجت لجاءت غلته أضعافاً مضاعفة.

★ ★ ★

فصل

هذا وليس الطعن بالإطلاق في بل في التي قد خالفت قول الرسول أو في التي ما أنزل الرحمن في فهي التي كم عطلت من سنة هذا وترجو أن واضعها فلا إذا قال مبلغ عمله من غير إي بل قد نهانا عن قبول كلامه وكذلك أوصانا بتقديم النصو نصح العباد بذا وخلص نفسه والخوف كل الخوف فهو على الذي وإذا بغى الإحسان أولها بما لرماء بالداء العضال مناديا

هاكلها فعل الجهول الجاني ل ومحكم الإيمان والفرقان تقريرها يا قوم من سلطان بل عطلت من محكم القرآن يعدوه أجر أو له أجران جاب القبول له على إنسان نصا بتقليد بلا برهان ص عليه من خبر ومن قرآن عند السؤال لها من الديان ترك النصوص لأجل قول فلان لو قاله خصم له ذو شان بفساد ما قد قاله بأذان

الشرح: وإذا كنا ننكر على هؤلاء ما وضعوا من قواعد وإصطلاحات جنوا بها على الدين، وخالفوا بها دلالات النصوص، فإن ذلك الطعن ليس على اطلاقه بحيث يكون متناولاً لجميعها، فإننا لا نريد التجني على أحد أو غمط ما عنده من حق، وإنما نريد بالإنكار والطعن تلك القواعد التي جاءت مخالفة لأقوال الرسول ﷺ ومناقضة لمحكم الإيمان وصریح القرآن وكذلك التي لم يرد في تقريرها حجة من الله ولا برهان، فهذه هي التي عطلت كثيراً من النصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ومع ذلك يرجو واضعها أن يثاب على اجتهاده فيها

فإن كان قد أخطأ فله أجر وإن كان قد أصاب فله أجران، لأنه قد قال بما أداه إليه اجتهاده وما بلغه علمه من غير أن يوجب قبول قوله ومذهبه على إنسان، بل كل واحد من الأئمة المجتهدين نهى أن يأخذ أحد بكلامه تقليداً له من غير أن يعرف دليله، وأوصى كل من اطلع على نص يخالف مذهباً أن يأخذ بالنص ويترك مذهباً، فكلهم قالوا حيث يصح الحديث فهو مذهبنا، نصحا للعباد لكي يخلصوا بذلك أنفسهم من تبعة السؤال عند الله يوم القيامة.

فهؤلاء المجتهدون على رجاء من المغفرة، ولكن الخوف كله على هؤلاء المقلدين المتعصبين لمذاهب أئمتهم، بحيث يتركون النصوص لأجلها، وإذا أراد أحدهم الإحسان والتوفيق بين هذه النصوص وبين قول امامه أولها تأويلات بعيدة ومتكلفة، يحمل الألفاظ فيها ما لا تحتمله، وقال في ذلك ما لو قاله خصمه ذو الشأن والشهرة لرماه بالحمق وفساد الرأي ولشنع عليه اعظم التشنيع.

★ ★ ★

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا ؟

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| من عارف بلزومها الحقاني | ولوازم المعنى تتراد بذكره |
| قصد اللوازم وهي ذو تبيان | وسواء ليس بلازم في حقه |
| قد كان يعلمه بلا نكران | إذ قد يكون لزومها المجهول أو |
| إذ كان ذا سهو وذا نسيان | لكن عرته غفلة بلزومها |
| علماء مذهبهم بلا برهان | ولذا لم يك لازماً لمذاهب الـ |
| هبهم أولو جهل مع العدوان | فالمقدمون على حكاية ذاك مذ |
| قد يذهلون عن اللزوم الداني | لا فرق بين ظهوره وخفائه |
| لكن يظن لزومه بجنان | سيما إذا ما كان ليس بلازم |
| ما تلزمون شهادة البهتان | لا تشهدوا بالزور ويحكم على |

الشرح: أعلم أن الجهمية المعطلة لا يجدون لهم سلاحاً يشهرونه في وجه أهل الحق والإثبات إلا إيراد اللوازم والرمي بالشناعات، فيقولون لهم مثلاً: يلزم على اثباتكم صفة العدم لله أن يكون في جهة وأن يكون في حيز، وأن يكون ذا قدر ونهاية، وأن يكون جسماً كما يلزم على إثبات الوجه واليد والعين أن يكون له جوارح وأعضاء إلى غير ذلك مما امتلأت به كتبهم التي ألفوها في نفي الصفات ودفع مذهب أهل الإثبات.

والمؤلف رحمه الله يرد عليهم هنا بأن لوازم المعنى لا تكون مقصودة عند ذكره إلا ممن يعرف لزومها له، فهذا هو الذي يمكن أن يؤخذ بما يلزم ما يثبت من معان، وأما غيره ممن يجهل اللزوم بينها فليس بلازم في حقه القصد إلى اللوازم عند ذكر المعنى مهما تكن اللوازم بينة واضحة، إذ قد يكون لزومها مجهولاً له، أو يكون معلوماً ولكن أصابته غفلة عن ذلك اللزوم بسبب كثرة سهوه ونسيانه، ولذلك قرر العلماء بأن لازم المذهب لا يكون مذهباً بلا حجة ولا برهان، وأن من حكى ذلك عنهم فهو من أجهل الجهل والعدوان، ولا فرق في ذلك بين اللوازم الظاهرة واللوازم الخفية، فإن الإنسان قد يذهل عن اللازم القريب، وهذا الحكم إنما هو بالنسبة إلى اللوازم التي ثبت لزومها، أما ما ليس بلازم في الحقيقة، ولكن يظن الذهن لزومه، فهذا أولى أن لا يعتبر لازماً، فلا تشهدوا أيها المعطلة على ما تلزموننا به شهادة زور وبهتان، فترمونا بالقول بتلك اللوازم، وأنها مذهب لنا، مع أننا لم نقصدها ولم نخطر لنا في الأذهان عند إثبات الصفات للرحمن.

★ ★ ★

بجلاف لازم ما يقول هنا
فلذا دلالات النصوص جلية
والله يرزق من يشاء الفهم في
وا-عذر حكايات لأرباب الكلا
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا
ونبينا المعصوم بالبرهان
وخفية تخفى على الأذهان
آياته رزقا بلا حسان
م عن الخصوم كثيرة الهذيان
لوا ذلك مذهبهم بلا برهان

كذبوا عليهم باهتين لهم بما
فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو
وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله ليس يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجوز
وحكى المعطل أنهم قالوا بتحي
وحكى المعطل أنهم قالوا له آله
وحكى المعطل أن مذهبهم هو آلت
وحكى المعطل عنهم ما لم يقو
ظنوه يلزمهم من البهتان
لهم بأن الله ذو جثمان
ز كلامه من غير قصد معان
ييز الإله وحصره بمكان
أعضاء جل الله عن بهتان
شبيه للخلاق بالإنسان
لوه ولا أشياخهم بلسان

الشرح: يعني إذا كان لازم المذهب قد لا يكون مقصوداً لصاحب المذهب
لجواز جهله باللزوم أو غفلته عنه، فإن ذلك لا ينطبق على لوازم الكتاب والسنة
بل كل ما يقوله الله عز وجل ورسوله المعصوم صلوات الله عليه وسلامه لا بد
أن تكون لوازمه كلها مقصودة، ولذلك كانت دلالات النصوص منها ما هو
جلي ظاهر، ومنها ما هو شديد الخفاء، وذلك لتفاوت اللوازم في القرب والبعد
من المعنى الأصلي، فبعضها يكون لزومه لهذا المعنى واضحاً وبعضها يكون
خفياً، والله سبحانه هو الذي يرزق من يشاء من عباده الفهم لمعاني كلامه رزقاً
واسعاً بلا تقدير، كما أثر عن علي رضي الله عنه أنه سئل هل وصي لكم
رسول الله ﷺ بشيء؟ فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يعطي
الله عبده فهمها في كتابه وإلا ما في هذه الصحيفة.

وكذلك ما عرف عن سعة علم ابن عباس رضي الله عنهما بوجوه التأويل حتى
سمي ترجمان القرآن، وذلك ببركة دعاء رسول الله ﷺ حين وضع يده على
صدره، وقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

وإذا عرفت أن لازم المذهب لا يصح أن يكون مذهباً فضلاً عما يظن لزومه
مما ليس بلازم فاحذر ما يحكيه علماء الكلام عن خصومهم من أهل الحق
والإثبات من حكايات فيها كثير من الهراء والهديان، فقد ذكروا ما ظنوه لازماً

لذا هبهم وحكوه على أنه مذهب لهم بلا حجة ولا برهان، فكذبوا بذلك عليهم
وبهتوهم بما هم منه براء مما ظنوه يلزمهم من الأقوال والآراء. فحكوا عنهم أنهم
قالوا أن الله تعالى جسم ذو جوارح وأعضاء لما رأوهم يشبتون ما أثبتت لنفسه من
الوجه واليدين والعينين وغير ذلك من الصفات.

وحكوا عنهم كذلك أنهم قالوا أن الله ليس يرى رؤية حقيقية بالعين لما
رأوهم ينفون عنه الكيف والإحاطة ويقولون ما قاله القرآن: ﴿لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وحكوا عنهم أنهم قالوا يجوز أن يكون كلامه سبحانه مجرداً عن قصد المعاني
لما رأوهم يشبتون لوازم تلك المعاني ويدخلونها في دلالة الألفاظ.

وحكوا عنهم أنهم قالوا بأن الله متحيز ومحصور في المكان، لأنهم رأوهم
يشبتون له جهة العلو والفقوية.

وحكوا عنهم بأنهم يشبتون لله الأعضاء، لأنهم أثبتوا له من الصفات ما يطلق
فيها على الجوارح والأعضاء.

وحكوا عنهم أنهم شبهوا الله عز وجل بخلقه حين رأوهم قد وصفوه بما
وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله مما يوجد مسماه في الإنسان.

وبالجملة فقد حكى المعطل عنهم ما لم يتلفظوا به لا هم ولا شيوخهم، وإنما
هي أمور استنتجها من مذهبهم بالظن والتخمين، فوقع في الكذب والبهتان
والضلال المبين.

| | |
|------------------------------|--------------------------|
| ظن المعطل أن هذا لازم | فلذا أتى بالزور والعدوان |
| فعليه في هذا معاذير ثلاث | ث كلها متحقق البطلان |
| ظن اللزوم وقذفهم بلزومه | وتمام ذاك شهادة الكفران |
| يا شاهداً بالزور ويحك لم تخف | يوم الشهادة سطوة الديان |

يا قائل البهتان غط لوازما
والله لازمها انتفاء الذات وآل
والله لازمها انتفاء الدين والـ
ولزوم ذلك بين جداً لمن
والله لولا ضيق هذا النظم يبـ
ولقد تقدم منه ما يكفي لمن
أن الذكي ببعض ذلك يكتفي

قد قلت ملزوماتها ببيان
أوصاف والأفعال للرحمن
قرآن والإسلام والإيمان
كانت له أذنان واعيتان
نت اللزوم بأوضح التبيان
كانت له عينان ناظرتان
وأخو البلادة ساكن الجبان

الشرح: ظن المعطل أن هذه الأمور المتقدمة لازمة لمذاهب أهل الحق
والإثبات فاعتقدها مذهباً لهم وحلهم إياها زوراً وعدواناً، وارتكب في حقهم
ثلاث جنایات كلها باطلة. الأولى: ظنه لزوم هذه الأمور لمذاهبهم. والثانية:
رميه إياهم بذلك للزوم. والثالثة: التي هي تمام الثلاثة شهادته عليهم بالكفر
بسبب ما ظنه لازماً لمذهبهم.

فويحك يا شاهد الزور والبهتان كيف لم تخف يوم تسأل عن شهادتك سطوة
الديان، وبدلاً من أن ترمي خصومك بلوازم مظنونة ليس لك عليها برهان كان
أولى بك أن تستر ما يلزم مذهبك من لوازم في غاية البيان، وفي الدرجة
القصوى من الشناعة والنكران، فإن لازمها هو انتفاء الذات والصفات والأفعال
للرحمن بل ولازمها انتفاء الدين والقرآن والإسلام والإيمان، ولزوم هذه اللوازم
الشيعة لمذهبكم بين جداً لمن كانت له عينان، فإن وصفه تعالى بصفات السلوب
والاعدام من كونه ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلاً ولا منفصلاً، ولا
قريباً ولا بعيداً، ولا في جهة ولا مكان، وليس بذی مقدار ولا صورة الخ،
يفضي إلى نفي وجوده سبحانه في الأعيان ويصبح أمراً مفروضاً في الأذهان،
وإذا انتفى وجوده فقد انتفت صفاته وأفعاله.

وأيضاً نفيعكم لقيام الفعل بذاته وجعلكم أفعاله تعلقات للقدرة مستلزم لنفي
الفعل عنه واعتقادكم أنه ليس متكلاً بهذا القرآن الذي بين أيدينا يقتضي أنه ليس

له بيننا كلام، وذلك يستلزم نفي الرسالة لأن بناءها على تكليم الله لرسله، وإذا انتفت الرسالة انتفت معها شرائع الإسلام والإيمان، وهكذا تجد اللوازم لمذهبهم في غاية الوضوح والبيان، ولكن ضيق النظم وقيوده تمنع من ذكرها على التفصيل، ولكن قد تقدم منها ما يكفي لمن كانت له عينان متفتحتان، فإن الذكي تكفيه الإشارة إلى بعضها أما أخو البلادة فهو يسكن مع الأموات في الجبان.

★ ★ ★

يا قومنا اعتبروا بجهل شيوخكم
أو ما سمعتم قول أفضل وقته
إن السموات العلى والأرض قب
والله ما هذي مقالة عالم
من قال ذا قد خالف الإجماع وآل
فانظر إلى ما جره تأويل لف
زعم المعطل أن تأويل استوى
كذب المعطل ليس ذا لغة الألى
فأحاره هذا إلى أن قال خلق الع
يهنيه تكذيب الرسول له وإج

بجقائق الإيمان والقرآن
فيكم مقالة جاهل فتان
ل العرش بالإجماع مخلوقان
فضلاً عن الإجماع كل زمان
خير الصحيح وظاهر القرآن
ظ الاستواء بظاهر البطلان
بالخلق والإقبال وضع لسان
قد خوطبوا بالوحي والقرآن
رش بعد جميع ذي الأكوان
سماح الهداة ومحكم القرآن

الشرح: وكان ينبغي لكم بدلاً من رميكم أهل الإثبات بالجهل والعجز عن إدراك المعقولات أن تعتبروا بما لشيوخكم من فضائح وشناعات دلت على جهلهم بجقائق الإيمان وصريح الآيات، ولا بد أن تكونوا قد سمعتم بما قاله امام^(١) منكم كان يعد أفضل عصره علماً وتدقيقاً مقالة جاهل ينبغي الفتنة وصرف الناس عن صريح الكتاب والسنة، فقد قال هذا الجاهل ويا شناعة ما قال إن السموات والأرض مخلوقة كلها قبل العرش، وادعى في ذلك الإجماع في

(١) المراد فخر الدين بن الخطيب الرازي امام الأشاعرة في وقته.

كل عصر ، ووالله ما يصح أن يصدر هذا القول من شَم رائحة العلم فضلاً عن أن يدعي فيه الإجماع، بل من قال به فهو مخالف للإجماع وللخبر الصحيح وظاهر القرآن. والذي جره إلى الوقوع في هذه الشناعة أنه أراد ان يصرف لفظ الاستواء عما يدل عليه لغة ووضعاً من العلو والارتفاع إلى معان أخرى باطلة فزعم أن معنى قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أقبل على خلقه، وأن دلالة عليه بوضع اللغة، وهذا كذب صريح على اللغة التي نزل بها القرآن، فليس فيها استوى على كذا بمعنى أقبل على خلقه. ولكنه أراد أن يتوصل من هذا التفسير العجيب إلى القول بأن العرش مخلوق بعد السموات والأرض، لأن الله سبحانه ذكر أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، فإذا فسر استوى بخلق دل على أنه خلقه بعد خلقها.

فليهن هذا الجاهل الكذاب تكذيب الرسول ﷺ له فقد قال في الصحيح « كان الله ولم يكن شيء غيره وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء » فقد أخبر أنه عند خلقه السموات والأرض كان عرشه على الماء، فدل على أن العرش كان موجوداً قبل خلقها.

وقد أجمع الأئمة الهداة على ذلك لم يختلف فيه منهم إثنان، وفي هذا الإجماع تكذيب له أي تكذيب، وليهنه كذلك تكذيب محكم القرآن له، فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] والآية موافقة للحديث في وجود العرش على الماء عند خلق السموات والأرض.

فصل

في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان

وذكر انقسامهم إلى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن إذ خالفوا رأياً له رأى يناقضه لأجل النص والبرهان

وجعلتم التكفير عين خلافكم ووافقكم فحقيقة الإيمان
فوافقكم ميزان دين الله لا من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل بيد المطفف ويل ذا الوزن
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة من دين أو علم ومن إيمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كف ر الناس بالبهتان والعدوان
هبكم تأولتم وساغ لكم أيكفر من يخالفكم بلا برهان
هذه الوقاحة والجراءة والجهال لة ويحكم يا فرقة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تار رك الوحين للآراء والهديان

الشرح: ومن عجيب أمركم أيها المعطلة الجاحدون أنكم تتمدون إلى تكفير
خير الناس من أصحاب الحديث وأنصار القرآن العظيم لا لشيء إلا أنهم خالفوا
آراءكم الضالة المناقضة من أجل ما عندهم من النصوص والأدلة القاطعة.

ومن العجيب أنكم تجعلون التكفير سيفاً مصلتاً على من يخالفكم في هذه
الآراء، وأما من يوافقكم عليها فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، فجعلتم
موافقتكم هي الميزان لدين الله لا موافقة رسوله المبعوث من عنده بالبرهان
والفرقان مع أن ميزانكم قائم على أمرين يجعلانه ميزان جور وخسران، وهما
البغي على عباد الله والجهل بدينه، فبئس الأمران أهون بميزان يقوم على جهل
وعدوان، فهو ميزان جور مائل وهو بيد مطفف مخسر للميزان، فويل له يوم
يقوم الناس لرينا الديان، ولو كان عندهم بقية من حياء أو أقل مسكة من دين،
أو علم أو إيمان لم تجعلوا آراءكم هي ميزان كفر الناس بالبهتان والعدوان. فإنه لو
قدر أنكم متأولون وسوغت لكم عقولكم هذا التأويل فهل يجوز لتأول أن يكفر
من يخالفه بلا حجة على كفره ولا برهان لكنها الوقاحة والجراءة، والجهالة التي
كانت نصيبكم من الأخلاق يا أمة الطغيان عقوبة من الله لكم على ترككم
الوحين من السنة والقرآن إلى آراء كلها فشر وهديان.

★ ★ ★

لكننا نأتي بكم عادل
فاسمع إذاً يا منصفاً حكميها
هم عندنا قسمان أهل جهالة
جمع وفرق بين نوعيهم هما
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر
متمكنون من الهدى والعلم بآل
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا
لم يبذلوا المقدر في إدراكهم
فهم الألى لا شك في تفسيقهم
والوقف عندي فيهم لست الذي
والله أعلم بالبطانة منهم
لكنهم مستوجبون عقابه

فيكم لأجل مخافة الرحمن
وانظر إذاً هل يستوي الحكمان
وذوو العناد وذلك القسمان
في بدعةٍ لاشكَّ يجتمعان
والجاهلون فانهم نوعان
أسباب ذات اليسر والإمكان
واستهلوا التقليد كالعميان
للحق تهوينا بهذا الشأن
والكفر فيه عندنا قولان
بالكفر أعتهم ولا الإيمان
ولنا ظاهرة حلة الاعلان
قطعاً لأجل البغي والعدوان

الشرح: لكننا لا نحكم فيكم بالجور والظلم كما حكمتم فينا، بل نحكم فيكم بالعدل والإنصاف من أجل خوفنا من الله عز وجل. فليسمع إذاً كل منصف من الناس حكمتنا وحكمكم، ثم لينظر هل يستوي الحكمان. أما حكمكم فينا فقد عرف ما فيه من شطط وعدوان. وأما حكمتنا فيكم فأنتم عندنا نوعان: أهل جهالة وذوو عناد وشقاق وعصيان، وبينكم قدر مشترك تجتمعون فيه، وهو أنكم أهل بدعة وضلالة خارجون عن السنة والقرآن، ثم تفرقون بعد ذلك فيما يستحقه كل منكم من وصف الكفر أو الإيمان، فأما أهل العناد والمشاقة فكفرهم ظاهر واضح للعيان. وأما أهل الجهالة منكم فإنهم عندنا نوعان: نوع كان متمكناً من الهدى والعلم قد يسرت له أسبابه من عقل ذكي وبصر نافذ وقدرة على فهم معاني السنة والقرآن، لكنهم مالوا إلى القعود والكسل ورضوا بالتخلف وعطلوا ما وهبهم الله من سلامة العقول وجودة الأذهان، واستهلوا الجري وراء غيرهم، يقلدونهم كالعميان، ولم يبذلوا الوسع في إدراكهم للحق لقلة اكتراثهم بهذا الشأن، فهؤلاء لا يشك أحد في أنهم فساق لخروجهم عما كان

ينبغي لهم من النظر الذي هو خاصة الإنسان، وأما تكفيرهم ففيه لأهل السنة قولان، ولكن المؤلف اختار الوقف في شأنهم، فهو لا يصفهم بكفر ولا إيمان فكل بواطنهم إلى الله العليم بالسر والإعلان، ويحكم عليهم بما يظهر منهم جهره بلا كتمان، ونعلم أنهم مستوجبون للعقاب قطعاً لما ارتكبوه في حق المثبتين الموحدين من بغي وعدوان.

★ ★ ★

هبكم عذرتم بالجهالة أنكم والطعن في قول الرسول ودينه وكذلك استحلال قتل مخالفين إن الخوارج ما أحلوا قتلهم وسمعت قول الرسول وحكمه لكنكم أنتم أجتتم قتلهم والله ما زادوا النكير عليهما فبحق من قد خصكم بالعلم والت أنتم أحق أم الخوارج بالذي هم يقتلون لعابد الرحمن بل هذا وليسوا أهل تعطيل ولا

لن تعذروا بالظلم والطغيان وشهادة بالزور والبهتان حكم قتل ذي الإشرار والعدوان إلا لما ارتكبوا من العصيان فيهم وذلك واضح التبيان بوفاق سنته مع القرآن لكن بتقرير مع الإيمان حقيق والإنصاف والعرفان قال الرسول فأوضحوا بيان يدعون أهل عبادة الأوثان عزل النصوص الحق بالبرهان

الشرح: فإذا فرض أنا عذرناكم بجهلكم أيها الجهلة المقلدون فكيف نعذرناكم بما ارتكبتم في حق أهل الاثبات من ظلم وطغيان، وما اجترأتم عليه من الطعن في أحاديث الرسول ﷺ ودينه، ومن شهادتكم على خصومكم بالزور والبهتان، وما استحلتتموه من سفك دماء مخالفيكم، كما يستحل دماء المشركين عبدة الأوثان.

وإن الخوارج وما أباحوا قتل خصومهم إلا لأنهم في نظرهم صاروا كفاراً بما ارتكبوا من العصيان، ومع ذلك فقد سمعت ما قاله الرسول ﷺ من شأن

الخوارج حيث قال « يرقون في الإسلام كما يرق السهم من الرمية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ».

وسمعت كذلك حكمه فيهم حيث قال لأصحابه: « إذا لقيتموهم فاقتلوهم قتل عاد، وهم شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى من قتلوه، وأنهم كلاب النار ».

ولكنكم أنتم أجمت قتل خصومكم بسبب موافقتهم للقرآن والسنة، ووالله ما زادوا على ما فيها نقيراً، إلا أنهم آمنوا به وقرروه تقريراً.

فنسألکم بحق من أعطاكم ما تزعمون لأنفسكم من العلم والتحقيق والإنصاف والعرفان، أنتم أم الخوارج بالذي قاله الرسول وحكم به في شأنهم؟ وضحوا لنا ذلك.

فإنهم بقتلهم عباد الرحمن من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ويسمونهم كفاراً كما يسمى عبدة الأوثان، مع أنهم ليسوا مثلكم أهل تعطيل وجحد ونكران، ولا عزل للنصوص الثابتة بما تزعمونه من البرهان

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو
بالله ثم رسوله ولقائه
قوم دهاهم حسن ظنهم بما
وديانة في الناس لم يجدوا سوى
لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا
فأولاء معذورون إن لم يظلموا
والآخرون فطالبوا الحق لـ

غ الحق مع قصد ومع إيمان
وهم إذا ميزتهم ضربان
قالتة أشياخ ذوو أسنان
أقوالهم فرضوا بها بأمان
بدلا به من قائل البيهتان
ويكفروا بالجهل والعدوان
كن صدهم عن علمه شيان

مع بحثهم ومصنفات قصدهم
إحداها طلب الحقائق من سوى
وسلوك طرق غير موصلة إلى
فتشابهت تلك الأمور عليهم
فترى أفاضلهم حيارى كلها
ويقول قد كثرت على الطرق لا
بل كلهم طرق مخوفات بها آآ
فالوقف غايته وآخر أمره
أو دينه وكتابه ورسوله
فأولاء بين الذنب والاجرین أو

منها وصولهم إلى العرفان
أبوابها متسوري الجدران
درك اليقين ومطلع الإيمان
مثل اشتباه الطرق بالحيران
في التيه يقرع ناجذ الندمان
أدرى الطريق الأعظم السلطاني
آفات حاصلة بلا حسابان
من غير شك منه في الرحمن
ولقائه وقيامه الأبدان
إحداها أو واسع الغفران

الشرح: وأما الفريق الثاني من أهل الجهالة فهم قوم عجزوا عن الوصول إلى الحق مع حسن قصدهم وصلاح نياتهم، ومع إيمانهم بالله ورسوله ورجاء لقائه، وهؤلاء أيضاً ضربان:

قوم أتوا من حسن ظنهم بأقوال شيوخ من أهل العلم ذوي أسنان وشرف وحسن تدين واستقامة، ولم يجدوا سوى هذه الأقوال فرضوا بها واطمأنوا إليها بحسبانهم أنها هي الحق، ولكنهم لو وجدوا من يدلهم على الحق ويأخذ بيدهم إلى الهدى لم يؤثروا عليه شيئاً ولم يرضوا به بديلاً من أقوال أهل الكذب والبهتان. وحكم هؤلاء أنهم معذورون لعدم تمكنهم من الهدى بشرط أن لا يظلموا أهل الحق ولا يكفروهم بالجهل والعدوان.

وأما الآخرون فقوم يطلبون الحق ويتلمسون الطريق إليه، ولكنهم مع اجتهادهم في البحث وقراءتهم للكتب التي يقصدون منها الوصول إلى المعرفة قد حال بينهم وبين الوصول إليه أمران.

أحدهما أنهم طلبوا الحقائق من غير أبوابها وسلكوا إليها غير طريقها، كمن يتسور الجدران إلى الدار ولا يدخل من الباب.

وثانيهما أنهم سلكوا إليها طرقاً غير موصلة إلى اليقين بحقائق الإيمان،
فالتبست عليهم تلك الأمور كما تلبس الطرق على السالك المخيران، فترى
أفاضل هؤلاء ورؤساهم حيارى في بידاء الضلال يقرعون أسنانهم ندماً،
ويقولون قد كثرت علينا الطرق واشتبهت، فلا ندري أيها الطريقي الموصل إلى
الله، بل كلها طرق مخوفة مملوءة بالآفات، فينتهي بهم الأمر إلى التوقف مع
تحصيلهم لأركان الإيمان التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه
والبعث بعد الموت، فهؤلاء أمرهم مردد بين أن يؤخذوا بذنبهم وبين أن يؤجروا
على اجتهادهم، فلمن أصاب منهم أجران، ولمن أخطأ منهم أجر، واما أن
يتركوا لواسع مغفرة الله وعظيم رحمته.

★ ★ ★

جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
لخلافهم إذ قاده الوحيان
عند الرسول وعند ذي إيمان
بالنص يثبت لا بقول فلان
قد كفره فذاك ذو الكفران
النصين من وحي ومن قرآن
الكفران حقاً أو على الإيمان
سلام وإيمان له النصان
معصوم غاية نوع ذا الإحسان
إن فاته من أجله الكفران
عدوان من هذا على الإيمان
كفير بالدعوى بلا برهان
لأنه حقاً على الإيمان
من عندهم أفانتما عدلان

فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد
وانظر إلى أحكامهم فينا لأجـ
هل يستوي الحكيمان عند الله أو
الكفر حق الله ثم رسوله
من كان رب العالمين وعبدته
فهم ويحكم نحاكمكم الى
وهناك يعلم أي حزبينا على
فليهنكم تكفير من حكمت ياسـ
لكن غايته كفاية من سوى آلـ
خطأ يصير الأجر أجراً واحداً
إن كان ذلك مكفراً يا أمة الـ
قد دار بين الأجر والأجرين والتـ
كفرتم والله من شهد الرسو
ثنتان من قبل الرسول وخصلة

الشرح: فانظر يا أبا العقل والإنصاف إلى الفرق الواضح بين أحكامنا في خصوصنا مع جحدهم للنصوص ومخالفتهم لمقتضى القرآن. ثم انظر إلى أحكامهم فينا حيث كفرونا من أجل أننا خالفناهم في آرائهم خلافاً اضطرنا إليه وقوفنا مع الوحيين من السنة والقرآن، فهل يستوي هذان الحكمان عند الله عز وجل وعند رسوله ﷺ وعند ذوي الإيمان، إنه ليس لأحد من الناس أن يكفر أحداً لمخالفته له في رأيه، بل التكفير حق لله ورسوله وحدهما، فلا يشبث إلا بالنص ولا يقع برأي أحد ولا بقوله، فمن كفره الله ورسوله فهو الكافر حقاً، فتعالوا إذا نحتكم إلى النصين من السنة والقرآن لنعرف أي الحزبين منا ومنكم على الكفر أو على الإيمان، فليهنكم أنكم كفرتمونا وقد شهدت بإسلامنا وإيماننا النصان. لكن غاية ما يمكن أن يحكم به علينا أننا لسنا بمعصومين، فقد نخطيء خطأ يصير لنا به أجر واحد إن فاتنا من أجرنا الكفلان، فهل هذا يصلح أن يكون مكفراً يا أمة العدوان، فالرسول ﷺ قد حكم لنا بأجر إن أخطأنا، وإن أصبنا فلنا أجران، وأما أنتم فكفرتمونا بالدعوى بلا برهان، فاجترأتم على تكفير من شهد له الرسول بأنه على الإيمان.

فصار لنا من الرسول ثنتان، إما أجر أو أجران، ولنا من عندكم خصلة واحدة وهي الحكم بالكفران، فهل أنتم بعد متساويان.

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان

بالدين كتلاعب الصبيان

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| إيمان مثل تلاعب الصبيان | كم ذا التلاعب منكم بالدين وآل |
| لكم فلا تزكو على القرآن | خسفت قلوبكم كما خسفت عقو |
| وظواهر عزلت عن الإيقان | كم ذا تقولوا بجمل ومفصل |
| فاسمع لما يوصي بلا برهان | حتى إذا رأى الرجال أتاكم |

مثل الخفافيش التي إن جاءها
عميت عن الشمس المنيرة لا تطيه
حتى إذا ما الليل جاء ظلامه
فترى الموحد حين يسمع قولهم
وارحمتاه لعينه ولأذنه
إن قال حقاً كفره وإن يقو
حتى إذا ما رده عادوه مث
ضوء النهار ففي كوى الحيطان
ق هداية فيها إلى الطيران
جالت بظلمته بكل مكان
ويراهم في محنة وهوان
يا محنة العينين والأذنان
لوا باطلاً نسبوه للإيمان
ل عدواة الشيطان للإنسان

الشرح: ولقد هان الدين على قلوبكم، فأنتم تتلاعبون به كما يتلاعب الصبيان بالكرة، وذلك لأن قلوبكم قد حصل لها من الخسف وذهاب النور كما حصل لعقولكم فهي لا تطيب وتصلح بما يتلى عليها من كتاب الله عز وجل.

ولطالما رددتم نصوص الوحيين ولم تروها صالحة لأخذ العقائد منها بجملة أنها يقع فيها الإجمال والتفصيل والإطلاق، والتقييد والعموم، والخصوص والابهام والبيان، وأنها ظواهر لا تفيد القطع واليقين، فلا تصلح للاحتجاج بها في باب الاعتقاد. حتى إذا ما وقع لكم رأي لأحد من الشيوخ طرتم به فرحاً واستمتم إليه كأنه وحي وتنزيل، ولم تسألوه على ما قال أي دليل، فأتم مثل الخفافيش التي لا تعيش إلا في الظلام، فتراها إذا أقبل عليها ضوء النهار لجأت إلى الطيقان تستتر فيها لأنها لا تطيق أن تبصر ضوء الشمس، ولا تستطيع فيها هداية إلى الطيران حتى إذا ما أقبل عليها الليل بظلمته خرجت من مكانها وأخذت تجول في ظلمته في جميع الأمكنة.

ولا شيء يؤذي الموحد ويستثير حزنه وأشجانه مثل سماعه لسخافات هؤلاء ورؤيته لقبیح حركاتهم وسوء أفعالهم فتراه حين يسمع أقوالهم ويرى أشخاصهم في أشد محنة فوارحمتاه لعينه مما ترى ولأذنه مما تسمع. وهو أن قال حقاً مستمداً من نصوص الوحيين كفره به ما دام مخالفاً لآرائهم، وإن قالوا هم باطلاً نسبوه إلى الإيمان، فإذا حاول الموحد رده وإبطاله كشروا له عن أنبيائهم

وجاهروه بالعداوة التي مثل عداوة الشيطان للإنسان.

★ ★ ★

قالوا له خالفت أقوال الشيوخ
خالفت أقوال الشيوخ فسأنتم
خالفت قول الرسول وإنما
يا حبذا ذلك الخلاف فإنه
أو ما علمت بأن أعداء الرسو
لشيوخهم ولما عليه قد مضى
ما العيب إلا في خلاف النص لا
أنتم تعيينونا بهذا وهو من
فليهنكم خلف النصوص ويهننا
والله ما تسعوى عقول جميع أه
حتى نقدمها عليه معرض
والله أن النص فيما بيننا

خ ولم يباليوا الخلف للفرقان
خالفت من جاء بالقرآن
خالفت من جراه قول فلان
عين الوفاق لطاعة الرحمن
ل عليه عابوا الخلف بالبهتان
أسلافهم في سالف الأزمان
رأى الرجال وفكرة الأذهان
توفيقنا والفضل للمنان
خلف الشيوخ يستوى الخلفان
ل الأرض نصاً صح ذا تبيان
ين مؤولين محرّفي القرآن
لأجل من آراء كل فلان

الشرح: يقولون للموحد حين يرد باطلهم ويدفعه بسلاح الحق هذه القولة التي تدل على التعصب والجهل (خالفت أقوال الشيوخ) فتلك عندهم عزيمة من العزائم مع أنهم لم يباليوا بمخالفتهم للفرقان الذي هو كتاب ربهم. فإذا كان هو قد خالف أقوال الشيوخ الذين يجوز عليهم الخطأ والصواب، ولا يجب على أحسن الناس تقليدهم فأنتم خالفت قول المعصوم الذي جاء بالقرآن العظيم صلوات الله وسلامه عليه، والذي يجب على كل أحد اتباعه، فشتان بين من خالف قول الرسول، وبين من خالف قول فلان من الناس من أجل قول الرسول، وحبذا ذلك الخلاف لأقوال شيوخكم، فإنه محض الموافقة لطاعة الله عز وجل.

وأنتم حين تعيينونا بمخالفة من مضى من شيوخكم تشبهون المشركين أعداء

الرسول ﷺ حين عابوا عليه مجيئه بدين يخالف ما ورثوه عن أسلافهم الأولين .
 وأنتم قد انتكست فطركم وعقولكم فأصبحتم لا تعرفون مواطن العيب من
 مواطن المدح ، فاعلموا أن العيب كل العيب ليس إلا في مخالفة النصوص التي
 جاء بها المعصوم ، وليس في مخالفة آراء الرجال وأفكار العقول .

فليهنكم أنتم مخالفة النصوص وليهننا نحن مخالفة الشيوخ ، فهل يستوي
 الخلفان ؟ كلا والله أن جميع ما أنتجته عقول أهل الأرض من آراء ومذاهب لا
 تساوي نصاً واحداً ثبتت صحته ، وكان معناه واضحاً بينا ، فلا نقدمها أبداً
 عليه معرضين عنه محرفين له ووالله إن النص عندنا معشر أهل السنة لأجل وأرفع
 من آراء جميع الناس من الأولين والآخرين لأنها آراء غير معصومين ، فهي محتملة
 للخطأ والصواب ، ولكن النص إذا صح لا يكون إلا عين الصواب .

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| والله لم ينقم علينا منكم | أبداً خلاف النص من انسان |
| لكن خلاف الأشعري بزعمكم | وكذبتم أنتم على الإنسان |
| كفرتم من قال ما قد قاله | في كتبه حقاً بلا كتمان |
| هذا وخالفناه في القرآن مث | ل خلافكم في الفوق للرحن |
| فالأشعري مصرح بالاستوا | ء وبالعلو بغاية التبيان |
| ومصرح أيضاً بإثبات اليمين ووج | ه رب العرش ذي السلطان |
| ومصرح أيضاً بأن لربنا | سبحانه عينان ناظرتان |
| ومصرح أيضاً بإثبات النزو | ل لربنا نحو الرفيع الداني |
| ومصرح أيضاً بإثبات الاصا | بع مثل ما قد قال ذو البرهان |
| ومصرح أيضاً بأن الله يو | م الحشر يبصره أولو الإيمان |
| جهرًا يرون الله فوق سمائه | رؤيا العيان كما يرى القمران |
| ومصرح أيضاً بإثبات المج | يء وأنه يأتي بلا نكران |
| ومصرح بفساد قول مؤول | للاستواء بقهر ذي سلطان |

وصرح أن الألى قالوا بهذا التـ
ومصرح أن الذي قد قاله
هو قوله يلقي عليه ربه وبه يدين الله كل أوان

الشرح: ومن العجيب أنه لم ينقم علينا أحد منكم مخالفتنا للنصوص، ولكن تنقمون علينا أننا خالفنا الأشعري بزعمكم، وكذبتم أنتم على الأشعري حين نسبتم إليه التعطيل ونفي الصفات، وكفرتمونا بمخالفة الأشعري مع أننا لم نقل إلا بما قاله وصرح به في كتبه مثل الإبانة والمقالات.

هذا ونحن وأنتم في مخالفة الأشعري سواء، فنحن خالفناه في رأيه في القرآن حيث نفى الحرف والصوت، وزعم أنه الكلام النفسي، كما خالفتموه أنتم في إثبات صفة الفوقية لله عز وجل، فإنه قد صرح في جميع كتبه بإثبات الاستواء والعلو وأوضح ذلك غاية الإيضاح، كما صرح أيضاً بإثبات اليمين والوجه والعينين، وصرح بإثبات النزول إلى السماء الدنيا في كل ليلة، وإثبات الأصابع لورود الأحاديث الصحيحة بإثبات ذلك. وصرح بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرى الشمس والقمر ليس دونها سحاب وصرح بإثبات المجيء والياتيان بلا نفي ولا نكران. وصرح بفساد قول من أول الاستواء بالاستيلاء ورمى القائلين له بالضلال وفساد الاعتقاد، وصرح بأن مذهب أهل الحديث كالإمام أحمد وغيره هو مذهب الذي يقول به ويدين الله عليه إلى يوم أن يلقاه. ومن أراد أن يعرف مذهب الأشعري في الإثبات فليرجع إلى كتابه (الإبانة) (ومقالات الإسلاميين) ليظهر له أن هؤلاء الذين يتظاهرون بالانتساب إلى مذهبهم وتأخذهم حمية الجاهلية على من يخالفه هم أكثر الناس مخالفة له وجهلاً بمذهبه.

★ ★ ★

لكنه قد قال أن كلامه
معنى يقوم بربنا الرحمن
في القول خالفناه نحن وأنتم في الفوق والأوصاف للديان

لم كان نفس خلافنا كفوياً وكا
هذا وخالفتم لنص حين خا
والله ما لكم جواب غير تك
أستغفر الله العظيم لكم جوا
فهو الجواب لديكم ولنحن من
والله لا للأشعري تبعم
يا قوم فانتبهوا لأنفسكم وخل
ما في الرياسة بالجهالة غير ضح
لا ترتضوا برياسة البقر التي
ن خلافكم هو مقتضى الإيمان
لنا لرأي الجهم ذي البهتان
غير بلا علم ولا إيقان
ب غير ذا الشكوى إلى السلطان
تظروه منكم يا أولي البرهان
كلا ولا للنص بالإحسان
وا الجهل والدعوى بلا برهان
كة عاقل منكم مدى الأزمان
رؤساؤها من جملة الثيران

الشرح: يعني أن الأشعري وإن وافق السلف في إثبات العلو وغيره من
الصفات الخيرية فقد خالفهم في صفة الكلام، فلم يثبت إلا كلاماً نفسياً قائماً
بذاته تعالى من غير حرف ولا صوت، فلهذا خالفناه نحن في هذه الصفة كما
خالفتموه أنتم في إثباته صفة الفوق وغيرها من الصفات، فلأي شيء كان خلافنا
للأشعري كفوياً وكان خلافكم أنتم له إيماناً، مع أنكم حين خالفتموه خالفتم
النص الذي تمسك هو به، ونحن حين خالفناه كان خلافنا لما ذهب إليه من رأي
الجهم ذي الكذب، فوالله لا تجدون على هذا الكلام جواباً غير التكفير لنا عن
جهل وحمية بلا علم ولا إيقان. لا، أستغفر الله، بل لكم جواب آخر، وهو أن
تجاروا بالشكوى منا إلى السلطان، فهو جوابكم دائماً الذي تلجأون إليه كلما
أعوزتكم الحجة وفاتكم البرهان، ونحن دائماً منتظروه ومستعدون له في كل آن.

وأنتم والله لا للأشعري اتبعم، فقد خالفتم ما صرح به في سائر كتبه كما
عرفتم، ولا بالنصوص من الوحيين تمسكتم، فما أحرام أن تنتبهوا لأنفسكم وأن
تركوا ما أنتم عليه من الجهل والدعاوى العريضة التي ليس لكم عليها برهان،
ولا تظنوا أن ما تتقبلون فيه من مناصب ورتاسات يخفي جهلكم أو يغطي عن
الناس عوراتكم، فإن الرئاسة بالجهالة لا تزيد العقلاء إلا سخرية منكم وازدراء

لكم على أنكم لم ترأسوا أناساً لهم عقول وأفهام، وإنما رأستم قطعاناً من البقر،
وجدير بمن يترأس على البقر أن يكون من جملة الثيران.

فصل

في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ
ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر

يا مبغضاً أهل الحديث وشاقماً
أو ما علمت بأنهم أنصار ديد
أو ما علمت بأن أنصار الرسو
هل يبغض الأنصار عبد مؤمن
شهد الرسول بذاك وهي شهادة
أو ما علمت بأن خزرج دينه
ما ذنبهم إذ خالفوك لقوله
لو وافقوك وخالفوه كنت تش
لما تحيزتم إلى الأشياخ وان
نسبوا إليه دون كل مقالة
هذا انتساب أولى التفريق نسبه
فلذا غضبتم حينما انتسبوا إلى
فوضعتم لهم من الألقاب ما
هم يشهدونكم على بطلانها
ما ضرهم والله بغضكم لهم

أبشر بعقد ولاية الشيطان
من الله والإيمان والقـرآن
لهم بلا شك ولا نكران
أو مدرك لروائح الإيمان
من أصدق الثقلين بالبرهان
والأوس هم أبدا بكل زمان
ما خالفوه لأجل قول فلان
هد أنهم حقا أولو الإيمان
حازوا إلى المبعوث بالقرآن
أو حالة أو قائل ومكان
من أربعم معلومة التبيان
خبر الرسول بنسبة الإحسان
تستبحون وذا من العدوان
أفتشهدونهم على البطلان
إذ وافقوا حقا رضا الرحمن

الشرح: يا من تعادي أهل الحديث وحمة علم النبوة وتسبهم بغير حق
وتنبزهم بألقاب السوء، هنيئاً لك ما عقدت يمينك من ولاية الشيطان: ﴿وَمَنْ

يَتَّخِذِ الشَّيْطَانُ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿ [النساء : ١١٩] .

أتعاديهم وتشتهمهم وما علمت بأنهم أنصار دين الله الذين يذبون عنه أعداءه من الكفار والمنافقين، وأنصار الإيمان الذين يبينونه للناس مجرداً من عقائد أهل الزيغ والمبتدعين، وأنصار القرآن الذين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال الجاهلين وتأويل المبطلين، وأنصار رسول الله ﷺ الذين يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ويدفعون عن أحاديثه سهام الطاعنين والمفتريين .

فهل يبغض الأنصار عبد شم رائحة الإيمان، وقد شهد لهم الرسول الذي هو أصدق خلق الله من أنس ومن جان بأنهم لا يبغضهم رجل يؤمن بالله واليوم الآخر صادق الإيمان. ولا تحسبن أن أنصاره هم الأوس والخزرج وحدهم، بل أنصار دينه موجودون دائماً بكل زمان .

فهل كل ذنبهم عندك أنهم خالفوك أيها المعطل من أجل قول نبيهم وأنهم لم يخالفوا قوله من أجل قول أحد من الناس؟ ولكنهم لو خالفوه ووافقوك أنت كنت تشهد لهم بكمال الإيمان .

ولما تحيزتم إلى الشيوخ الذين قلدتموهم في دين الله وانحازوا هم إلى نبيهم المبعوث بالقرآن، صارت نسبتهم إليه دون ما سواه من مقالة أو حالة أو قائل أو مكان، فهذه الأربعة هي نسب أهل التفرق والاختلاف، فمن أجل انتسابهم إلى حديث الرسول ﷺ وسنته غضبتم عليهم ورميتموهم بالألقاب القبيحة المستهجنة كقولكم حشوية ونوابت ومشبهة ومجسمة الخ عدواناً منكم وظلماً، وما يضرهم والله بغضكم ولا سبكم شيئاً ما داموا قد وافقوا رضا الله باتباعهم لرسوله ﷺ .

★ ★ ★

يا من يعاديهم لأجل مآكل
تهنيك هاتيك العداوة كم بها
ومناصب ورياسة الأخوان
من حسرة ومزلة وهوان
قرب وتذكر صدق ذي الإيمان
ولسوف تجني غيرها والله عن

تلك المآكل في سريع زمان
فريط وقت السير والإمكان
حصلتها في سالف الأزمان
خسران عند الوضع في الميزان
إلا العناء وكل ذي الأذهان
ذا الذي جاءت به الوحيان
م سوى الحديث ومحكم القرآن
وسواهم من جملة الحيوان

فإذا تقطعت الوسائل وانتهت
هناك تفرع سن ندمان على الت
وهناك تعلم ما بضاعتك التي
إلا الوبال عليك والحسرات وأل
قيل وقال ما له من حاصل
والله ما يجدي عليك هناك الا
والله ما ينجيك من سجن الجحيم
والله ليس الناس إلا أهله

الشرح: ينادي المؤلف في هذه الأبيات علماء السوء من مقلدة المذاهب
الأربعة في الفقه ومذهب الأشعري في علم الكلام، وكانوا هم أهل الخطوة في
دولة الجهل في أيامه، حيث يتولون مناصب الافتاء والتدريس والقضاء وغيرها
وتجري عليهم الجرايات والأحباس الكثيرة، ويتمتعون بأطيب المآكل والمشارب
وبجالسون السلاطين والأمراء ويغرونهم بخصوصهم من أهل الحديث والسنة فيقول
لهم: يا من تعادون أنصار السنة والتوحيد وتحرضون عليهم أهل الجهل والظلم من
الحكام والأمراء، من أجل أن يبقى لكم ما تتمتعون به من مآكل ومناصب
ورياسات، هنيئاً لكم هذه العداوة للحق وأهله، فلسوف تنقلب عليكم هواناً
وحسرة ومذلة، ولسوف تجنون عاقبتها قريباً عند الموت، وحينئذ تذكرون
صدق نصيحة أهل الإيمان لكم، فإذا تقطعت بكم تلك الأسباب التي كانت
مودة بينكم في الحياة الدنيا، وفنيت عنكم تلك المآكل اللذيذة في زمان قريب،
وصرتم إلى أجدات يأكلكم فيها الدود ويعفر وجوهكم التراب، فهناك تفرعون
أسنانكم ندماً وتعضون على أيديكم غماً على تفريطكم في فسحة العمر وفي وقت
القدرة والإمكان، وهناك تعلمون أي بضاعة فاسدة تلك التي حصلتموها في
أيامكم الخوالي، فانقلبت عليكم وبالا وحسرات ونقصاً في ميزانكم وزيادة في
أوزاركم، وما هذه البضاعة التي عنيتم بها أنفسكم طول عمركم وأتعبتم فيها
قرائحكم إلا قيل وقال لا محصول له ولا طائل تحته ولا يغني عنكم من عذاب

الله شيئاً، بل لا ينفعكم هناك إلا استمساكم بما جاء به الوحيان من الكتاب والسنة، ولا يخلصكم من ضيق النار وظلمتها وحرها ولظاها إلا أخذكم بالحديث ومحكم القرآن، فإن أهل الحديث والقرآن هم الناس على الحقيقة، وأما غيرهم من البشر فهم معدودون من جملة الحيوان.

★ ★ ★

ولسوف تذكر بر ذي الإيمان عن
رفعوا به رأساً ولم يرفع به
فهم كما قال الرسول ممثلاً
لا الماء تمسكه ولا كلاً بها
هذا إذا لم يحرق الزرع الذي
والجاهلون بذوا وهذا هم زوا
وهم لدى غرس الإله كمثل غر
يتمص ماء الزرع مع تضيقه
ذا حالهم مع حال أهل العلم أن
فعلية من قبل الإله تحية

قرب وتقرع ناجذ الندمان
أهل الكلام ومنطق اليونان
بالماء مهبطه على القيعان
يرعاه ذو كبد من الحيوان
بجوارها بالنار أو بدخان
ن الزرع أي والله شر زوان
س الدلب بين مغارس الرمان
أبدا عليه وليس ذا قنوان
صار الرسول فوارس الإيمان
والله يقيه مدى الأزمان

المفردات: زوان الزرع بتثليث الزاي: أي زينتته. الدلب: بضم الدال شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر. القنوان جمع قنو وهو العذق وهو من النخل كالعنقود من العنب.

الشرح: ولسوف تذكر هناك بعد أن تفارق ما أنت فيه من طيبات الحياة ومتعها قريباً بر أهل الإيمان واجتهادهم في النصيحة لك، وتقرع أسنانك ندماً على أنك لم تكن تبعثهم فيما دعوك إليه من الاحتفاء بالوحي الذي رفعوا به رأساً، وجعلوه لدينهم أساً بخلاف أهل الكلام وأصحاب منطق اليونان، فإنهم لم يرفعوا بذلك رأساً، ولم يقبلوا هدى الله الذي جاء به نبيه ﷺ، وقد ضرب

الرسول لهم مثلاً^(١) بالغيث، ينزل على أرض سبخة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ليشرب منه الزرع والحيوان، ولا تنبت كلاً ليرعاه بهيمة الأنعام هذا إذا اقتصر ضررها عليها، ولم تحرق ما يجاورها من الزرع بناورها ودخانها. وأما الجاهلون بالوحي وغيره من أبواب العلم، فهم كرواء الزرع وزينته، شر زوان لأنهم مع قلة فائدتهم ممتصون ماء الزرع ويضيقون عليه، ويمنعون عنه الهواء والشمس، فهم مع غرس الله من الإيمان والهدى في القلب، كمثّل شجر الدلب تراه ضخماً عظيم الورق مع أنه لا زهر له ولا ثمر، فإذا كان بين أشجار الرمان فإنه يمتص منها الماء فلا يصل إليها، ويضيق بضخامته عليها فلا تنمو فروعها ولا تبسق أغصانها.

فهذا حال هؤلاء الجهلاء مع حال أهل العلم أنصار الرسول وفوارس الإيمان من أمثال شيخ المؤلف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فعليه تحية من الله مباركة طيبة، فسلام الله عليه ورحمته والله يبقيه مدى الأزمان لسان صدق لدعوة الحق يذود عنها كيد المضلين وأكاذيب المفترين.

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| لولا ما سقى الغراس فسوق ذا | ك الماء للدلب العظيم الشان |
| فالغرس دلب كله وهو الذي | يسقى ويحفظ عند أهل زمان |
| فالغرس في تلك الخضارة شارب | فضل المياه مصاوه البستان |
| لكنما البلوى من الخطاب قط | ساع الغراس وعافر الحيطان |

(١) في الحديث الصحيح «ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادت أمسكت الماء فنفع الله به الناس فسقوا وزرعوا وكان منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، وبطل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.»

بالفوس يضرب في أصول الغرس كي
ويظل يحلف كاذباً لم أتمد
يا خيبة البستان من خطابه
في قلبه غل على البسـ
فالجاهلون شرار أهل الحق والـ
والجاهلون خيار أحزاب الضلا
وشرارهم علماءؤهم هم شر خلد

الشرح: يقول أنه لولا أن قيض الله له شيخ الإسلام يبته من علمه الغزير
ويرشده إلى الطريق القويم لما سقى غراس قلبه بماء العلم والإيمان، فإن الماء كله
كان يساق للذلب الضخم العظيم الشأن فيمتصه ولا ينتفع به أحد، وقد كان
الغراس في هذه الأيام كله دلباً ما عدا شيخ الإسلام، فقد كان هو الذي يسقي
ويحفظ في علماء عصره. فالغرس في تلك الحضارة كان يشرب فضل المياه التي
تفيض من البستان. وهذا كله هين قليل ضرره، ولكن البلوى كل البلوى في
ذلك الخطاب الذي لا يهدأ قلبه حتى يقطع الغراس ويدمر البستان، فهو عامل
فأسه في أصول الشجرة بقوة ليجتثها من مغارسها، ويظن مع ذلك أنه ذو إحسان
فيما يفعل، وإذا نهى عن هذا الفساد والتدمير أخذ يقسم بالله جهد إيمانه أنه لم
يقصد بذلك إلا تثبيت العيدان في مغارسها، فياويل هذا البستان من خطابه
الذي لا يريد أن يبقى منه، ولا يذر حتى يجعله صعيداً جرزاً لأن قلبه مملوء
بالحقد على ذلك البستان، فكأنه موكل بقطعه وتخريبه كل أوان، فالجاهلون من
أهل الحق هم شرارهم وساداتهم وخيارهم هم العلماء أهل الفضل والإحسان.
وأما الجاهلون من أهل الضلالة فهم خيارهم لأن ضررهم أخف، أما علماءؤهم
فهم شر خلق الله وهم آفة هذا الوجود كله والساعون فيه بالفساد.

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضاً من الأمصار إلى بلدته عليه السلام

يا قوم فرض الهجرتين بحاله
فالهجر الأول إلى الرحمن بال
حتى يكون القصد وجه الله بال
ويكون كل الدين للرحمن ما
والحب والبغض اللذان هما ل
لله أيضاً هكذا الاعطاء والمنذ
والله هذا شطر دين الله
وكلاهما الإحسان لن يتقبل الر
والهجرة الأخرى إلى المبعوث بال
أترون هذى هجرة الأبدان لا
قطع المسافة بالقلوب اليه في
أبدأ اليه حكمها لا غيره

والله لم ينسخ إلى ذا الآن
إخلاص في سر وفي إعلان
أقوال والأعمال والإيمان
لسواه شيء فيه من إنسان
كل ولاية وعداوة أصلان
نع اللذان عليهما يقفان
والتحكيم للمختار شطر ثان
حن من سعي بلا إحسان
إسلام والإيمان والإحسان
والله بل هي هجرة الإيمان
درك الأصول مع الفروع وذان
فالحكم ما حكمت به النصان

الشرح: صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة « لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا » فهذه الهجرة من مكة إلى المدينة التي كانت
فرضاً في أول الأمر قد بطل حكمها بالفتح لأن مكة أصبحت بعده دار إسلام.
ولكن هناك هجرتين فرضيتها باقية بحالها وحكمها ماض إلى يوم القيامة لا
يلحقه نسخ أبداً.

الأولى منها: الهجرة إلى الله عز وجل بإخلاص العبادة له في السر والعلانية
حتى لا يقصد بقوله وعمله وإيمانه إلا وجه الله، وحتى يخلص دينه كله لله، لا
يجعل لغيره شركة معه في شيء منه، وحتى يكون حبه وبغضه الله، وكذلك ما
يترتب عليها من الموالات والمعاداة فيوالي من وإلى الله، ويكون أيضاً إعطاؤه

ومنعه لله، وفي الحديث الصحيح « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ».

فهذا الإخلاص لله في السر والعلانية وتجريد القصد له من كل شائبة هو نصف الدين وجزؤه الباطن، وأما نصفه الثاني فهو التحكيم لرسول الله ﷺ والرضا بحكمه وحسن متابعته وموافقته في كل ما شرعه بلا زيادة ولا نقص، وكلا هذين الشطرين هو الإحسان الذي لن يتقبل الله عملاً بدونه.

وأما الهجرة الثانية فهي الهجرة إلى رسول الله ﷺ الذي بعثه الله بالإسلام والإيمان والإحسان التي هي مراتب الدين كله، وهي التي وقع السؤال عنها في حديث جبريل عليه السلام، وليست هذه هجرة بالأبدان، فقد مضى أوان هذه الهجرة ولكنها هجرة بالإيمان، وهي السير إليه بالقلوب والأرواح ليأخذ عنه أصول الدين وفروعه جميعاً، فإن الحكم في كل منها ليس إلا له وحده وليس لغيره أن يحكم في شيء من الدين لا أصلاً ولا فرعاً فالحكم هو ما ورد به النصان من السنة والقرآن.

★ ★ ★

من خص بالحرمان والخذلان
كسلان منخوب الفؤاد جبان
سبق السعاة لمنزل الرضوان
سير الدلال وليس بالذملان
لم العظيم يشاف في القيعان
ص رؤوسها شابت من النيران
ليراه إلا من له عينان
بمرآود الآراء والهديان
لا عن شمائله ولا أيمان
أعلام طيبة رؤية بعيان

يا هجرة طالت مسافتها على
يا هجرة طالت مسافتها على
يا هجرة والعبد فوق فراشه
ساروا أحث السير وهو فسيه
هذا وتنظره أمام الركب كالعـ
رفعت له أعلام هاتيك النصو
نار هي النور المبين ولم يكن
مكحولتان بمرود الوحين لا
فلذاك شمر نحوها لم يلتفت
يا قوم لو هاجرتم لرأيتم

ورأيتم ذاك اللواء وتحتته الرسـ
أصحاب بدر والألى قد بايعوا
وكذا المهاجرة الألى سبقوا كذاآلـ
والتابعون لهم بإحسان وسا
ل الكرام وعسكر القرآن
أزكى البرية بيعة الرضوان
أنصار أهل الدار والإيمان
لك هديهم أبداً بكل زمان

الشرح: وهذه الهجرة إلى رسول الله ﷺ لا يستطيع قطع مسافتها وبلوغ
غايتها إلا من جرد لها ركائب عزمه وتوجه إليها بكل همه ولم يلتفت إلى شيء
مما يعوقه في سيره من تقليد لمذهب أو تعصب لرأي أو استحسان لبدعة، ولكن
مسافتها تطول وتطول جداً على من خصهم الله بالحرمان والخذلان، فصرف
قلوبهم عنها، وكره انبعائهم إليها، فثبطهم وقال اقعدوا مع القاعدين، فهي
هجرة لا ينالها أبداً كسلان، ولا يقوى عليها كل رعديد الفؤاد جبان، وهي
هجرة لا تحتاج أن تعد لها زاداً وراحلة، وتضرب في بيد الأرض وقفارها، بل
قد يقوم بها العبد وهو نائم على فراشه، ويسبق في مضارها الساعين إلى منازل
الرحمة والرضوان، الذين يغذون السير جاهدين، تحب بهم مطاياهم، وأما هو
فيسير سيراً ليناً رقيقاً، ولكنك تراه مع ذلك قد سبق الركب وسار أمامهم كأنه
الجلب العظيم يراه من في القاع تحته، وإنما هياً له السبق في المضار أنه نشرت له
أعلام النصوص، وفي رؤوسها أوقدت نيران، هي النور المبين لهداية السالك
الخيران، ولكن لا يراها إلا من كانت له عينان بمراود الوحي مكتحلتنان، لا
بمراود أهل الفشر والهديان، فلما رآها هرع نحوها وجر السعي إليها، فلم يلتفت
عنها يميناً ولا شمالاً حتى بلغها وأدرك عندها بغيته وحقق أمله.

فيا أيها المخذولون المحرومون لو كنتم معنا في هذه الهجرة لرأيتم أعلام طيبة
بأعينكم قائمة منصوبة تهدي الضال وترشد الخيران، ولرأيتم ذاك اللواء العظيم
بيد رسول الله ﷺ تحته كل عبد لله صالح من الأنبياء والرسل الكرام،
وأصحاب محمد الذين هم عسكر القرآن وجند الإسلام من أصحاب بدر الكبرى
وأهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة أزكى الخليفة وأطهرها عليه

السلام، ثم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ثم التابعين لهم بإحسان، ثم كل من سلك سبيلهم واقتفى أثرهم في كل عصر وزمان.

★ ★ ★

لكن رضيت بالأماماني وآبئتي
بل غرمت ذاك الغرور وسولت
ونبذتم غسل النصوص وراءكم
وتركتم التوحيين زهدا فيها
وعزلتم النصيين عما وليا
وزعمتم أن ليس يحكم بيننا
فهما بحكم الحق أولى منها
حتى إذا انكشف الغطاء وحصلت
وإذا انجلي هذا الغبار وصار مي
وبدت على تلك الوجوه سماتها
مبيضة مثل الرياض بجنة
فهنالك يعلم كل راكب ما تحته
وهناك تعلم كل نفس ما الذي
وهناك يعلم مؤثر الآراء والش
أي البضائع قد أضع وما الذي

تم بالخطوط ونصرة الأخوان
لكم النفوس وساوس الشيطان
وقنعتهم بقطارة الأذهان
ورغبتهم في رأي كل فلان
للحكم فيه عزل ذي عدوان
إلا العقول ومنطق اليونان
سبحانك اللهم ذا سبحان
أعمال هذا الخلق في الميزان
سدان السباق تناله العينان
وسم المليك القادر الديان
والسود مثل الفحم للنيران
وهناك يقرع ناجذ الندمان
معها من الأرباح والخسران
طححات والهذيان والبطلان
منها تعوض في الزمان الفاني

الشرح: لكن قعدتم عن تلك الهجرة وبؤتم بالخسران والخيبة، لأنكم رضيت بالأماماني الباطلة وابتليتم بحب الخطوط العاجلة، وشغلتم بنصرة الأخوان عن السير إلى الرحمن وغرمت بالله الغرور، وزينت لكم أنفسكم بالإمارة بالسوء الجري وواء ما وسوست لكم به الشياطين، وطرحتم وراءكم غسل النصوص طاهراً نقياً، ورحتم تلتمسون رذاذ الأذهان الكدر الذي لا يذهب درناً ولا يحدث رياً، وهجرتم التوحيين رغبة عنها واستثقالا لها، ثم رغبتهم فيما أحدث الناس من مذاهب وآراء.

وعزلتم النصين من الكتاب والسنة عما جعلت لها الولاية عليه للحكم فيه عزل
 معتد ظالم سفيه، وزعمتم أنها لا تصلح للحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وإنما
 يصلح للحكم بينهم مقررات العقول وأدلة منطق اليونان، فهما أولى من النصين
 بالحكم في هذا الشأن، فسبحانك اللهم ذا سبحان ونبراً إليك من هذا الأفك
 والبهتان.

فهذا شأنكم في الدنيا، غفلة وغرور وجرى وراء الأوهام، وتسلب بالأمانى
 والأحلام، حتى إذا انكشف عنكم الغطاء بالموت وعابنتم الحقائق ونصبت موازين
 الأعمال، وانجلى الغبار عن المتسابقين، وانكشف ميدان السباق للناظرين. وبدت
 على وجوه أهل الحق سماتها التي وسمها بها المليك المقتدر، وجاءت مبيضة مسفرة
 ضاحكة مستبشرة، كأنها أزاهير الرياض في الجنة، وجاءت وجوه أخرى مسودة
 كالحلة عليها غبرة ترهقها قتره، فهناك يتميز الفريقان ويعلم كل راكب ما الذي
 تحته من اعمال تسعى به إلى ما أعد له من مآل. وهناك أيضاً تعلم كل نفس
 مقدار الربح والخسارة في تجارتها، ويعلم المعرض عن الوحيين المؤثر عليها آراء
 الناس وباطلهم وشطحاتهم وهذيانهم، أي البضائع النفيسة والجواهر الثمينة قد
 أضيع، وما الذي استبدله بها وتعوض به عنها في حياته الأولى الفانية.

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|---------------------------------|
| والعدل بين الناس بالميزان | سبحان رب الخلق قاسم فضله |
| ما فيهم من تائه حيران | لو شاء كان الناس شيئاً واحداً |
| ل العظيم خلاصة الإنسان | لكنه سبحانه يختص بالفضل |
| كالشوك فهو عمارة النيران | وسواهم لا يصلحون لصالح |
| الله أكبر ليس يستويان | وعمارة الجنات هم أهل الهدى |
| بيديه مسألة الذليل العاني | فسل الهداية من أزمة أمرنا |
| ن بهلك هذا الخلق كافلتان | وسل العياذ من اثنتين هما اللتان |
| والله أعظم منهما شران | شر النفوس وسئى الأعمال ما |

ولقد أتى هذا التعوذ منها لو كان يدري العبد أن مصابه جعل التعوذ منها ديدانه وسل العياذ من التكبر والهوى وهما يصدان الفتى عن كل طرفه فتراه يمنعه هواه تارة والله ما في النار إلا تابع والله لو جردت نفسك منها

في خطبة المبعوث بالقرآن في هذه الدنيا هما الشران حتى تراه داخل الأكفان فهما لكل الشر جامعان ق الخير إذ في قلبه يلجان والكبر أخرى ثم يشتركان هذين فاسأل ساكني النيران لأتت اليك وفود كل تهان

الشرح: فسبحان الله رب الخلق الحكيم العدل الذي حكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، فجعلهم فريقين، فريقاً في الجنة بفضلهم، وفريقاً في السعير بعدله، فهو قاسم فضله وعدله بين الناس بالميزان السوي الذي لا يضل ولا يجور ولو شاء لجعلهم جميعاً أمة واحدة متفقة على الحق والإيمان، وليس فيهم من ضال شقي ولا تائه حيران، ولكنه سبحانه يختص بفضل العظم من يشاء من خلقه ممن علم أنهم للخير أهل وللفضل محل. من خاصة الناس وخيارهم الذين حققوا إنسانيتهم وأدركوا الغاية من وجودهم وقاموا لله بحقه عليهم في العبودية الكاملة واستجابوا له حين دعاهم على السنة رسله وعظموأ أمره ونبيه وأخلصوا دينهم له، وأما سواهم من الناس ممن عاشوا في هذه الدنيا هملاً وعطلوا المواهب والملكات التي أودعها الله فيهم، ولم يعرفوا لوجودهم غاية، فهم لا يصلحون لشيء من الصالحات، كمثل الشوك الذي لا يصلح إلا حطباً للنار ووقوداً.

وأما عمار الجنة وسكانها فهم أهل الهدى الذين تتوافهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعلمون.

فالله أكبر لا يستوي الفريقان أبداً، أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أما الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ

فَسَقُوا فَمَا وَاهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا، وَقِيلَ لَهُمْ
ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿ [السجدة: ١٨، ٢٠].

فاطلب الهدى ممن بيده مقاليد الأمور وأزمة القلوب سبحانه واسأله سؤال
الخاشع الذليل المسكين الفقير أن يفتح قلبك على الهدى ويثبته على دينه. واستعد
به من خصلتين اثنتين بهما هلك أكثر الخلق، وهما شر النفوس وسيئات الأعمال،
فلا شر أعظم منها، ولهذا كان النبي ﷺ يستعيد منها في خطبه حيث كان
يفتح خطبه بقوله:

« إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا،
إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له. ».

فلو كان يعرف العبد أن بلاءه ومصيبته في هذه الدنيا ينبع من هذين الشرين
لجعل التعوذ منها شغله الشاغل وورده الدائم حتى يدرج في أكفانه.

وسل الله كذلك أن يعيدك من أمرين قد صدا أعظم الخلق عن اتباع الحق،
وهما الكبر والهوى، فهما جامعان لكل شر، وإذا ولجا قلب العبد سدا عنه كل
مسالك الخير وطرقه، فالكبر حجاب مانع من قبول الحق قد صد عنه ما لا
يحصى من الخلق كما نطقت بذلك آيات الكتاب.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا
نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَتْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿ [النحل: ٢٨، ٢٩].

وقال: ﴿ سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿ [الأعراف: ١٤٦] وقال: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ
كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ
جَبَّارًا ﴿ [غافر: ٣٥]. وقال: ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴿ [غافر: ٥٦].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ أُذْهِبَتْمُ طَبَائِكُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ

الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿ [الأحقاف: ٢٠] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل أوضح دلالة على أن الذي صد هؤلاء المجرمين عن قبول الحق والانقياد له هو كبرهم، وهو الذي أدخلهم النار، وفي الحديث الصحيح: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل يا رسول الله ان أحدنا يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، فهل ذلك من الكبر، قال لا أن الله جميل يجب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس ».

وأما الهوى فقد ذكر القرآن أنه إله يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣]. وقال: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ [الجاثية: ٢٣] فترى العبد يمنعه هواه تارة ويمنعه كبره تارة، ثم قد يجتمعان ويشتركان فيه فيصدر ما يصدر عن كبره وهواه فيكون قد بلغ من السوء والشر غايته ومنتهاه والعياذ بالله.

ولو أنك سألت كل واحد من أهل النار عما سلكه في سقر وارداه في جهنم لم تجده إلا تابعاً لواحد من هذين أو لهما جميعاً. ولو أنك اجتهدت في تجريد نفسك منهما فنفيت عن قلبك الكبر ولم تتبع في دينك الهوى لبلغت كل ما تؤمل من خير وجاءتك وفود التهينة ترى تزف اليك البشرية بما ظفرت به من فوز ورضوان.

فصل

(في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين)

والفرق بين الدعوتين فظاهر جدا لمن كانت له أذنان
فرق مبين ظاهر لا يختفي إيضاحه إلا على العميان
فالرسل جاؤونا بإثبات العلو لربنا من فوق كل مكان

وكذا أتونا بالصفات لرَبنا
وكذاك قالوا أنه متكلم
وكذاك قالوا انه سبحانه
وكذاك قالوا أنه الفعال حق
وأَتيتمونا أنتم بالنفي والت
للمشبتين صفاته وعلوه
شهدوا بإيمان المقر بأنه
وشهدتم أنتم بتكفير الذي
الرحمن تفصيلاً بكل بيان
وكلامه المسموع بالآذان
المرئي يوم لقائه بعيان
كل يوم ربنا في شأن
عطيل بل بشهادة الكفران
ونداءه في عرف كل لسان
فوق السماء مباين الأكوان
قد قال ذلك يا أولى العدوان

الشرح: والفرق بين ما تدعون إليه من النفي والتعطيل وبين دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ظاهر جد الظهور لمن ألقى سمعه وكان له أذنان واعيتان وهو من الوضوح والظهور بحيث لا يخفى ولا يلتبس إلا على العميان، فالرسل عليهم السلام قد اتفقت كلمتهم بأن الله سبحانه فوق عرشه بائن من خلقه، وأن الوحي ينزل عليهم من عنده.

وكذلك جاءوا بإثبات صفات الكمال لله سبحانه على جهة التفصيل وبينوها أوضح بيان، وما منهم من أحد إلا عرف أمته بما يجب أن تعرفه من صفات الله عز وجل.

وكذلك أثبتوا أنه متكلم بكلام هو حروف وأصوات مسموعة بالآذان، وأن الذي يتلونه على الناس هو كلام الله تعالى لا كلام غيره، تكلم به بصوت نفسه. وكذلك أخبروا أنه سبحانه سيرى يوم القيامة رؤية حقيقية بالأبصار، وبشر كل رسول المؤمنين من أمته بأنهم سيرون ربهم في الجنة كما يرى الشمس والقمر ليس دونها سحب ولا ضباب.

وكذلك قالوا إنه حي فعال، وأن الفعل من صفات الكمال التي لا يصح تعطيله عنها في حال من الأحوال، فهو لم يزل سبحانه فعلاً كما قال: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

هذه هي دعوة الرسل كلهم وهي صريحة في إثبات الصفات، وأما أنتم فعلي النقيض من ذلك، جئتمونا بالنفي والتعطيل، والإلحاد والتأويل، بل وزدتم على ذلك أنكم تشهدون بالكفر على من يثبت الصفات ويثبت لله العلو فوق جميع المخلوقات، ويثبت له النداء بجروف وأصوات، فالرسل يشهدون بالإيمان لمن أقرّ بعلوه سبحانه فوق جميع الأكوان، ولكنكم أنتم تشهدون عليه بالكفران يا أمة الظلم والعدوان.

★ ★ ★

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| وأتى بأين الله اقراراً ونظ | قأ قلم هذا من البهتان |
| فسلوا لنا بالأين مثل سؤالنا | ما الكون عندهم هما شيئان |
| وكذا أتونا بالبيان فقلتم | باللغز أين اللغز من تبيان |
| إذ كان مدلول الكلام ووضع | لم يقصدوه بنطقهم بلسان |
| والقصد منه غير مفهوم به | ما اللغز عند الناس إلا ذان |
| يا قوم رسل الله أعرف منكم | وأنتم نصحا في كمال بيان |
| أترونهم قد ألغزوا التوحيد إذ | بينتموه يا أولي العرفان |
| أترونهم قد أظهروا التشبيه وه | و لديكم كعبادة الأوثان |
| ولأي شيء صرحوا بخلافه | تصريح تفصيل بلا كتمان |
| ولأي شيء بالغوا في الوصف با | لإثبات دون النفي كل زمان |

الشرح: وأتى الرسول ﷺ بلفظ الأين الذي يسأل به عن المكان مرة إقراراً حيث أقر السائل الذي قال له (أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض)؟ ومرة نطقاً حيث سأل الجارية التي أراد سيدها أن يعتقها بقوله «أين الله؟». ولكنكم أنتم تجعلون السؤال بالأين كذب وبهتان، لأنه إثبات للمكان، وتقولون أن معنى قوله «أين الله» في الحديث (ما الله) فتجعلون السؤال بالأين

مثل السؤال بما، مع أنها شيئان مختلفان، فا « ما » يسأل بها عن الحقيقة، وأما أين فيسأل بها عن المكان.

وكذلك أتى الرسل عليهم السلام بالبيان الواضح الصريح، ولكنكم تقولون أنهم عمدوا إلى الألغاز والتعمية ولم يبينوا الحق الذي يجب على الناس اعتقاده. فأين يا قوم الألغاز من البيان، وهل هما إلا ضدان لا يجتمعان. إن الألغاز في الكلام لا يتم إلا بأمرين: أحدهما أن لا يقصد من اللفظ معناه الذي يدل عليه بوضع اللغة، وثانيها أن يكون المقصود من اللفظ مما لا يفهم من اللفظ عند إطلاقه، فهذا هو الألغاز الذي يعرفه الناس، فهل كلام الرسل كذلك؟

يا قوم ألا تستحيون من وصف كلام الرسل الذين بعثوا للبيان بالأحاجي والألغاز، وهم أعرف منكم بالحق الذي يدعون إليه، وأتم نصحاً للخلق وإرشاداً لهم وشفقة عليهم، وأقدر منكم على البيان والأداء لما يريدونه من معان، فهل ترونهم قد ألغزوا في التوحيد وقصروا في بيانه حتى جئتم أنتم فيبنتموه؟

أم ترونهم قد أظهروا التشبيه الذي هو عندكم قرين عبادة الأوثان، حتى جئتم أنتم فدلتم الناس على التنزيه.

فإذا كان الحق هو ما قلتم أنتم، فلاي شيء لم يقولوا هم بمثل ما قلتم في حق الله عز وجل.

ولأي شيء صرحوا هم بخلاف ما قلتم تصريحاً مفصلاً لا كتمان فيه ولا إجمال ولا اشتباه.

بل ولأي شيء بالغوا في الإثبات الذي هو عندكم تجسيم وتشبيه، كما بالغتم أنتم في النفي والتعطيل بحجة التنزيه.

★ ★ ★

ولأي شيء أنتم بالغتم في النفي والتعطيل بالقفزان
فجعلتم نفي الصفات مفصلاً تفصيل نفي العيب والنقصان

وجعلتم الإثبات أمراً مجملاً
أتراهم عجزوا عن التبيان واسـ
أترون أفراخ اليهود وأمـ
ووقاح أرباب الكلام الباطل المد
من كل جهمي ومعتزل ومن
بالله أعلم من جميع الرسل والتـ
فسلوهم بسؤال كتبهم التي
وسلوهم هل ربكم في أرضه
أم ليس من ذا كله شيء فلا
فالعلم والتبيان والنصح الذي
لكنما الألفاظ والتليس والـ

عكس الذي قالوه بالبرهان
توليتم أنتم على التبيان
ة التعطيل والعباد للنيران
ذموم عند أئمة الإيمان
والاها من حزب جنكسخان
سورة والانجيل والقرآن
جاءوا بها عن علم هذا الشأن
أو في السماء وفوق كل مكان
هو داخل أو خارج الأكوان
فيهم يبين الحق كل بيان
كتمان فعل معلم الشيطان

الشرح: ولأي شيء بالغتم أنتم في النفي والتعطيل ووفيتموه كيلا وتقصيتم فيه
تقصياً، فجعلتم نفي الصفات مفصلاً، فقلتم ليس بكذا ولا كذا ولا كذا إلى
آخر ما أوردتموه من صفات السلوب التي فصلتم فيها القول، كالتفصيل في نفي
النقائص والعيوب، ثم جعلتم الإثبات أمراً مجملاً عكس ما قاله الرسل عليهم
الصلاة والسلام، فهل عجز الرسل عن بيان هذه السلوب وتفصيلها، وقدرتم أنتم
على هذا البيان. أم تظنون أن هؤلاء الحيارى المنهوكين من أفراخ اليهود الضالين
وأمة التعطيل من الزنادقة الملحددين والمجوس عباد النار الثنويين وأراذل أهل
الكلام الباطل الذي ذمه كل امام فاضل من أئمة الإيمان والدين، من هؤلاء
الجهمية والمعتزلة وكل من شايعهما في التجهم والنفي والإلحاد والتعطيل.

هل تظنون أن هؤلاء جميعاً أعلم بالله سبحانه من جميع رسله الذين بعثهم
بالبينات والهدى، ومن جميع كتبه التي أنزلها للناس شفاء ورحمة من التوراة
والانجيل والزبور والفرقان وغيرها.

فسلوا هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام بسؤال كتبهم التي جاءوا بها من

عند الله عن علم هذه الأمور حتى تعرفوا إن كان كلامهم في جانب النفي أم في جانب الإثبات .

وسلوهم عن ربهم أين هو ، هل هو في أرضه أم في السماء فوق جميع خلقه ، أم ليس هو في أرضه ولا سمائه ، ولا هو داخل هذه الأكوان ولا خارجها ، فالعلم والبيان والنصح الذي اشتملت عليه كتب الله وجاءت به رسله يوضح الحق أكمل إيضاح .

أما الألفاظ والتلبيس والكتمان فهو دأبكم أنتم يا أساتذة الشيطان .

★ ★ ★

فصل في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفين للرحمن

يا رب هم يشكوننا أبداً
ويلبسون عليه حتى أنه
فيرونه البدع المضلة في قوا
ويرونه الإثبات للأوصاف في
فيلبسون عليه تلبيسين لو
يا فرقة التلبيس لا حيتيم
لكننا نشكوهم وصنيعهم
فاسمع شكايتنا وأشك محقتنا
راجع به سبل الهدى والطف به
وارحمه وارحم سعيه المسكين قد

بيغيهم وظلمهم إلى السلطان
ليظنهم هم ناصرو الإيمان
لب سنة نبوية وقران
أمر شنيع ظاهر النكران
كشفا له باداهم بطعان
أبدا وحيتم بكل هوان
أبدا اليك فأنت ذو السلطان
والمبطل اردده عن البطلان
حتى تريه الحق ذا تبيان
ضل الطريق وتاه في القيعان

الشرح: يتوجه المؤلف إلى ربه بهذا الدعاء الضارع الذليل يشكو إليه ظلم

أهل النفي والتعطيل، فيقول انهم يشكوننا ببيغيهم وظلمهم إلى السلطان ويغرونه بنا بالأثم والعدوان، ويلبسون عليه الأمر ويصورون له باطلهم في صورة الحق حتى يظنهم هم فئة الإيمان، ويزينون له البدع، فيضعونها في قوالب السنة النبوية والقرآن، ويهولون عليه الأمر في إثبات الصفات، ويسوقونه إليه في عبارات شنيعة ظاهرة النكران، وبذلك يلبسون عليه تلبيسين، لو أنها ظهرا له على حقيقتها لبادأهم هو بالحرب والطعان وأنزلهم من نفسه بمنزل هوان.

فيا أمة التمويه والتلبيس لا حياكم الله تحية الرحمن والرضون، بل حياكم تحية غضب وهوان، إننا نشكوكم كما تشكوننا أبدأً إلى السلطان، وإنما نشكوكم ونشكو فعالكم القبيحة وعدوانكم علينا إلى الله وحده، فهو ذو السلطان الذي لا يدانيه سلطان.

فاسمع يا رب شكايتنا فيهم وأنصفنا منهم ورددهم عن غيهم وباطلهم، واسلك بهم سبل الهدى والطف بهم حتى يروا كما رأينا الحق ذا تبيان، وارحمهم وانقذهم مما هم فيه من ضلال السعي وشتات الأمر، فإنهم قد ضلوا طريق الحق وتاهوا في بيداء الضلال.

★ ★ ★

يا رب قد عم المصاب بهذه الآراء والشطحات والبهتان هجروا لها الوحيين والفطرات والآثار لم يعبوا بذا الهجران قالوا وتلك ظواهر لفظية لم تغن شيئاً طالب البرهان فالعقل أولى أن يصار إليه من هذه الظواهر عند ذي العرفان ثم ادعى كل بأن العقل ما قد قتلته دون الفريق الثاني يا رب قد حار العباد بعقل من يزنون وحيك فأنت بالميزان وبعقل من يقضى عليك فكلهم قد جاء بالمعقول والبرهان يا رب ارشدنا إلى معقول من يقع التحاكم اننا خصمان جاءوا بشبهات وقالوا أنها معقولة بيدائه الأذهان

كل يناقض بعضه بعضا وما في الحق معقولان مختلفان وقضوا بها كذبا علي وجرأة منهم وما التفتوا إلى القرآن

الشرح: يشكو المؤلف إلى ربه ما وصلت إليه الحال في عصره من فوضى اعتقادية لا ضابط لها ، ففي محيط الكلام والفلسفة والتصوف وجدت مذاهب وآراء تثير العجب وتحمل على التساؤل: هل يمكن أن يكون أصحاب هذه الأقوال مسلمين؟ فهي مذاهب وآراء دخيلة كلها على الإسلام، ليست مستمدة من مصادره الأولى، وإنما وردت عليه من ثقافات أجنبية وأولع بها القوم وافتتنوا بها افتتان بني اسرائيل بعجل السامري، وهجروا من أجلها كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وخالفوا بها حكم الفطرة الهادي وآثار السلف الصالح، ولم يكثرثوا لهذا الهجران ولقد أمعنوا في الضلال والغي حين صرحوا بتقديمها على الوحي بحجة أن الوحي ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، فلا تغني شيئا عن طالب البرهان وأما العقل فحكمه قطعي، فهو أولى أن يذهب إليه من تلك الظواهر.

ومن العجيب أن هؤلاء الذين اتفقوا على تقديم حكم العقل قد اختلفوا وتناقضت أقوالهم، ثم ادعت كل فرقة منهم أن الحق ما قالته هي دون غيرها وأنه هو الموافق لحكم العقل، فبأي عقل من هذه العقول المختلفة توزن اذا نصوص الكتاب والسنة؟ وبأي عقل منها يحكم على الله سبحانه؟ فإن كلا منهم يدعي أنه قد جاء بالمعقول الصريح والبرهان القاطع، فنحن في حيرة من أمر هؤلاء لا ندري يا رب إلى معقول من منهم نتحاكم عند الخصومة. ومن العجيب أنهم يجيئون بشبهات واهية ليست بنبع إذا عدت ولا غرب ولا تؤول إلى أي معقول، وإنما هي من بنات الوهم ونسيج الخيال، ثم يدعون أنها معقولة ببدائه العقول، وأن العلم بها ضروري وأنها مكتسبة بالبرهان، وكيف يتأتى أن تكون آراؤهم هذه أحكاماً عقلية صحيحة مع تناقضها واختلافها، وهل يمكن أن يكون في الحق معقولان مختلفان؟

ثم هم يقضون بأقوالهم هذه على الله كذباً عليه سبحانه وإمعاناً في الجرأة

والوقاحة معرضين عن حكم القرآن غير ملتفتين إلى ما فيه من هدى وبيان.

★ ★ ★

يا رب قد أوهى النفاة حبائل القرآن والآثار والإيمان
يا رب قد قلب النفاة الدين والإيمان ظهر منه فوق بطان
يا رب قد بغت النفاة وأجلبوا بالخيل والرجل الحقير الشان
نصبوا الحبائل والغوائل للألى أخذوا بوحيك دون قول فلان
ودعوا عبادك أن يطيعوهم فمن يعصيههم ساموه شر هوان
وقضوا على من لم يقل بضلالهم باللعن والتضليل والكفران
وقضوا على أتباع وحيك بالذي هم أهله لا عسكر الفرقان
وقضوا بعزلهم وقتلهم وحب سهم ونفيهم عن الأوطان
وتلاعبوا بالدين مثل تلاعب الـ حمر التي نفرت بلا أرسان
حتى كأنهم تواصوا بينهم يوصي بذلك أول للثاني

الشرح: يشكو المؤلف إلى ربه أن هؤلاء النفاة المعطلة قد أوهنوا وشائج القرآن وعقد الآثار والإيمان، وأنهم قلبوا الدين والإيمان ظهرا منه لبطن، فصيروا أعلاه أسفله واسفله أعلاه، وأنهم بغوا على أهل الحق وجمعوا لهم فرسانهم ورجالتهم ذوي الحقارة، وأنهم نصبوا حبائل كيدهم ومؤامرات اغتيالهم لمن أخذ بالوحيين ولم يأخذ بقول شيوخهم، وأنهم دعوا أهل الحق أن يطيعوهم في باطلهم، فمن لم يستجب منهم لدعوتهم ورفض الدخول في طاعتهم ساموه سوء العذاب، وحكموا على كل من لم يأخذ برأيهم ويقل بضلالهم بأنه مستحق لللعنة، وأنه ضال وكافر، وقضوا على أتباع وحي الله بما هم به أولى وأحق دون خصومهم من جند الإيمان وعسكر الفرقان، قضوا عليهم بالعزل والحرمان من جميع الوظائف في الفتيا والتدريس والقضاء، بل وقضوا بقتلهم واستحلال دمائهم، وبسجنهم ونفيهم عن الأوطان. وكتب التراجم حافلة بما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وأمثاله من هذه الألوان.

★ ★ ★

هجروا كلامك مبتدع لمن
 فكأنه فيما لديهم مصحف
 أو مسجد بجوار قوم همهم
 وخواصهم لم يقرءوه تدبراً
 وعوامهم في الشع أو في ختمة
 هذا وهم حرفية التجويد أو
 يا رب قد قالوا بأن مصاحف الإ
 إلا المداد وهذه الأوراق والجلد
 والكل مخلوق ولست بقائل
 إن ذاك إلا قول مخلوق وهل
 قولان مشهوران قد قالتها
 لو داسه رجل لقالوا لم يطأ
 قد دان بالآثار والقرآن
 في بيت زنديق أخي كفران
 في الفسق لا في طاعة الرحمن
 بل للتبرك لا لفهم معان
 أو تربة عوضاً لذي الأثمان
 صوتية الأنغام والألحان
 سلام ما فيها من القرآن
 الذي قد سل من حيوان
 أصلاً ولا حرفاً من القرآن
 هو جبرئيل أو الرسول فذان
 أشياخهم يا محنة القرآن
 إلا المداد وكاغد الإنسان

الشرح: يبين المؤلف في هذه الآيات موقف هؤلاء المعطلة النفاة من كلام
 الله، فهم قد هجروه وجفوا عنه كما يجفو المبتدعة الضلال عن أنصار السنة
 المستمسكين بالآثار والقرآن، فأصبح من هجرهم له كأنه مصحف وضع في بيت
 ملحد زنديق، متحلل من ربقة الدين والإيمان، أو كأنه مسجد في محله قوم لا
 هم لهم إلا ارتكاب المعاصي والفسوق وإذا قرأه خواصهم فإنهم لم يقرؤوه تدبراً
 لآياته، وتفهماً لمعانيه، وإنما يقرءونه لتحصل لهم بركته في الأولاد والأرزاق.

وأما عوامهم فإنهم يأكلون به ويتخذون منه حرفة لشعب بطونهم، فيقرءونه في
 الختمات أو على القبور ليشتروا به ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون، وكل حظهم منه
 أنهم يهتمون بتجويد حرفة وتحسين الصوت بقراءته، فيقرؤونه بأنواع من
 القراءات مع التطريب والإيقاع وحسن النغمات، وهم يا رب لا يعظمون حرمة
 هذه المصاحف لأنهم يعتقدون أنها ليس فيها شيء من القرآن، لأن القرآن
 عندهم هو معان قائمة بذاته تعالى، يسمونها الكلام النفسي، وأما هذه المصاحف
 فليس فيها إلا المداد الذي كتبت به، والأوراق الذي كتب عليها والجلد الذي

أخذ من اهاب الحيوان، وكل هذه عندهم مخلوقة، والله ليس بمتكلم أصلاً ولا بحرف واحد من القرآن، بل ألفاظ القرآن وحروفه عندهم حادثة مخلوقة، أنشأها جبريل الرسول الملكي أو أنشأها محمد الرسول البشري، فهذان عندهم قولان مشهوران، قالت بكل منهما فرقة من أشياخهم في قديم الزمان. فيا لها من محنة أصيب بها كتاب الله على يد من يزعمونهم أهل التحقيق والعرفان.

فلو داسه رجل بنعله لما أنكروا عليه ولما غاروا حرمة القرآن، لأنه في نظرهم لم يطأ إلا المداد والورق وكاغد الإنسان.

ولو بعث المؤلف في هذه الأيام ورأى ما بلغه كتاب الله عز وجل من الهوان على أهله، وكيف عطلوا حدوده وأحكامه واتخذوه مهجوراً لا يستمدون منه نظام حياتهم ولا يعرفونه إلا في الحفلات والمآتم وإلا في اتخاذ الأحجة والتائم لوجد أن ما يشكوه من أهل زمانه من امتهان القرآن لا يعد شيئاً إذا قيس بما أحدثه أهل هذا الزمان، فإلى الله المشتكى وهو المستعان.

★ ★ ★

يا رب زالت حرمة القرآن من
وجرى على الأفواه منهم قولهم
منا بيننا إلا الحكاية عند
هذا وما التالون عمالاً به
إن كان قد جاز الحناجر منهم
والباحثون فقدموا رأي الرجا
عزلوه إذ ولوا سواه وكان ذا
قالوا ولم يحصل لنا منه يقية
إن اليقين قواطع عقلية
هذا دليل الرفع منه وهذه
يا رب من أهله حقاً كي يرى

تلك القلوب وحرمة الإيمان
ما بيننا لله من قرآن
ه والتعبير ذاك عبارة بلسان
إذ هم قد استغنوا بقول فلان
فبقدر ما عقلوا من القرآن
ل عليه تصریحاً بلا كتمان
ك العزل قائدهم إلى الخذلان
ن فهو معزول عن الإيقان
ميزانها هو منطلق اليونان
أعلامه في آخر الأزمان
إقدامهم منا على الأذقان

أهلوه من لا يرتضي منه بديلاً فهو كافيهم بلا نقصان
وهو الدليل لهم وهاديهم إلى الـ
هو موصل لهم إلى درك اليقين
يا رب نحن العاجزون بجهم يا قلة الأنصار والأعدوان

الشرح: يا رب زالت عظمة القرآن من قلوب هؤلاء كما زالت منها حرمة الإيمان، وجرى على ألسنتهم من منكر القول وزوره ما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً، حيث زعموا أن ليس لله بيننا قرآن ولا كلام، وليس في المصاحف إلا حروف وألفاظ، هي حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه تتلى باللسان هذا وهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فلا يقيمونه عملاً واتباعاً، لأنهم قد استغنوا عنه بما ورثوا من أقوال شيوخهم، وإن كان قد جاوز حناجر بعضهم، فبقدر ما عقلوا من معانيه وتفهموا من مقاصده ومراميها وأما الباحثون منهم فقد قدموا عليه آراء الرجال، وصرحوا بذلك بلا خجل ولا حياء، فعزلوه عن ولايته في إفادة العلم واليقين حين ولوا غيره من نفايات العقول وزبالات الأذهان، وكان هذا العزل مما جرهم إلى كل خيبة وخذلان.

وقالوا أنه ظواهر لفظية لا يحصل منها يقين ولا يقوم عليها برهان، لأن اليقين لا يحصل إلا بقواطع عقلية، وهي لا تستفاد إلا بمنطق اليونان، إذ هو عندهم لكل العلوم معيار وميزان، ولقد قال كبير من أئمتهم، وهو أبو حامد الغزالي (من لا معرفة له بعلم المنطق لا يوثق بعلمه).

وهذه الاستهانة منهم بالقرآن في التلاوة والعمل والاستدلال علامات تدل على قرب رفعه الذي صح الخبر بحصوله في آخر الزمان.

فيا رب من أهل القرآن حقاً حتى نعرف لهم أقدارهم ونقبل بأذقاننا أقدامهم إن أهله الحقيقيين بالنسبة إليه هم الذين لا يرتضون به بديلاً من الأقوال والآراء بل يرون فيه الكفاية والشفاء، ويستمدون منه كل دينهم، أصوله وفروعه على

السواء ، ويتخذون منه دليلاً هادياً لهم إلى كل إيمان و يقين و عرفان ، و موصلاً لهم إلى درك قواطع البرهان .

وما أجل اعتذار المؤلف في البيت الأخير إلى ربه بعجزه عن القيام بحق القرآن مع حبه و مع قلة الأنصار و الأعوان له على ذلك .

فصل

في أذان أهل السنة الاعلام بصريحها جهراً على رءوس منابر الإسلام

يا قوم قد حانت صلاة الفجر فانتبهوا فإني أعلن بأذان
لا بالملحن والمبدل ذاك بل وهو الذي حقا إجابته على
تأذين حق واضح التبيان كل امرئ فرض على الأعيان
عربي مخلوقاً من الأكوان الله أكبر ان يكون كلامه الـ
ملكي أنشأة عن الرحمن والله أكبر أن يكون رسوله الـ
شري أنشأه لنا بلسان والله أكبر أن يكون رسوله البـ
شبيه ما أنتم على إيمان هذي مقالات لكم يا أمة التـ
عدم الكلام وذاك للأوثان شبهتم الرحمن بالأوثان في
لهة وذا البرهان في الفرقان مما يدل بأنها ليست بأـ
لثها فلا تعدل عن القرآن في سورة الأعراف مع طه وثا
متكلماً بحقيقة وبيان أفصح أن الجاحدين لكونه
بالجامدات عظيمة النقصان هم أهل تعطيل وتشبيه معاً

الشرح: ينادي المؤلف هؤلاء التائهين في ليل جهلهم وضلالهم، الغافلين عن حقائق العلم الصحيح برهم ودينهم بأن ينتبهوا ويستيقظوا من نومهم، فقد وافت صلاة الفجر، وانشق ظلام الليل عن نور الصبح، وأنه مؤذن فيهم بأذان لا

تبديل فيه ولا ألحان، ولكنه تأذين بحق واضح التبيان، يجب على كل من سمعه أن يبادر إلى إجابته بلا كسل ولا توان. وهذه هي ألفاظ الأذان: الله أكبر وأجل من أن يكون قرآنه الذي أنزله بلسان عربي مبين مخلوقاً من جملة المخلوقات، بل هو صفته القائمة به كغيرها من سائر الصفات، والله أكبر وأجل من أن يكون قرآنه الذي بين أيدينا من اختراع رسوله الملكي وأمين وحيه جبريل عليه السلام، عبر به عما تلقاه من معاني القرآن.

والله أكبر وأجل من أن يكون رسوله البشرى محمداً عليه الصلاة والسلام قد أحدثه لنا بلسان.

فهذه مقالات لكم قلمتموها في القرآن يا أمة التشبيه والكفران. لقد شبهتم ربكم بالأصنام والأوثان في عدم القدرة على الكلام والبيان، فقد استدل القرآن على بطلان الهية هذه الأصنام بعدم قدرتها على الكلام والإفهام، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩].

وبعد: فهل ظهر أن المنكرين لكونه تعالى متكلماً على الحقيقة بكلام بين مسموع بالأذان هم أهل تعطيل وتشبيه معاً.

أما تعطيلهم فلنفيهم عن الله صفة من أعظم صفات كماله، وهي الكلام. وأما تشبيههم فلأنهم شبهوه بالجمادات الناقصة التي لا تقدر على البيان والإفهام.

★ ★ ★

لا تقذفوا بالداء منكم شيعة الر
إن الذي نزل الأمين به على
هو قول ربي اللفظ والمعنى جي
حن أهل العلم والعرفان
قلب الرسول الواضح البرهان
عاً إذ هما أخوان مصطحبان

لا تقطعوا رحماً تولى وصلها
 ولقد شفانا قول شاعرنا الذي
 الرحمن تنسلخوا من الإيمان
 قال الصواب وجاء بالإحسان
 بأنامل الأشياخ والشبان
 هو قول ربي آيه وحروفه
 ومدادنا والرق مخلوقان

الشرح: وإذا ظهر أنكم أنتم المشبهة، حيث شبهتم ربكم بالجامدات التي لا تتكلم ولا تبين، فلا ترموا بدائكم هذا أنصار الرحمن من ذوي العلم والدين، ولا تتهموهم بما أنتم به أولى من التجسيم والتشبيه، وأما قولنا نحن معشر أهل السنة في القرآن أن الذي نزل به جبريل الأمين على قلب عبدالله ورسوله محمد ﷺ من القرآن الواضح الحجة والبرهان، هو قول الله وكلامه، تكلم الله بحروفه وألفاظه بصوت وسمعه منه ملك الوحي، فأداه إلى الرسول ﷺ كما سمعه، فلفظه ومعناه جميعاً من عند الله، إذ الألفاظ لا تنفك عن المعاني، بل هما أمران متلازمان، فإن الألفاظ قوالب المعاني، ولا يعقل التكلم بالمعاني وحدها بدون ألفاظ تصب فيها، ولا يقال لأحد أنه تكلم إلا نطق بحروف وألفاظ مسموعة.

فلا تقطعوا أيها المعطلة وشيخة تولى الله سبحانه ربطها بفصلكم الألفاظ عن المعاني فتنسلخوا بذلك عن الإيمان.

ولقد شفى صدور أهل السنة وأثلجها قول شاعرهم الذي جاء بالقول الفصل والمنطق الصواب: إن الذي هو مكتوب في المصاحف بأقلام الشيوخ والشبان هو قول الله وكلامه، آيه وحروفه، وأما الكتابة والخط والمداد والرق، فكل ذلك مخلوق.

★ ★ ★

والله أكبر من على العرش استوى
 والله أكبر ذو المعارج من اليه
 ولكنه استولى على الأكوان
 والله أكبر من يخاف جلاله
 أطل به كالرحل للركبان
 والله أكبر من غدا لسريره

والله أكبر من أتانا قوله
 نزل الأمين به بأمر الله من
 والله أكبر قاهر فوق العبا
 من كل وجه تلك ثابتة له
 قهراً وقدرأً واستواء الذات فو
 فبذاته خليق السموات العلى
 فضمير فعل الاستواء يعود لل
 هو ربنا هو خالق هو مستو
 من عنده من فوق ست ثمان
 رب على العرش استوى الرحمن
 د فلا تضع فوقية الرحمن
 لا تهضموها يا أولي البهتان
 ق العرش بالبرهان
 ثم استوى بالذات فافهم ذان
 بذات التي ذكرت بلا فرقان
 بالذات هذي كلها بنوزان

الشرح: والله أكبر وأعظم، فهو الذي استوى على عرشه بذاته، بمعنى علا
 وارتفع، ولكنه مستولٍ على الأكوان كلها التي من جللتها العرش بقهره وقدرته.

والله أكبر فهو ذو المعارج، أي المصاعد والمراقي التي هي السموات، تعرج
 الملائكة فيها إلى الله صاعدة في كل وقت بأعمال العباد وأرواحهم لعرضها عليه.

والله أكبر فهو الذي يخاف عظمته وجلاله ملائكته من فوقهم، كما نطقت
 بذلك الآية الكريمة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾
 [النحل: ٥٠].

والله أكبر فهو الذي يئط به عرشه كأطيظ الرحل الجديد براكبه، كما ورد
 في الحديث.

والله أكبر فهو الذي أتانا وحيه وقرآنه من عنده من فوق ثمان سماوات بما
 فيها العرش، حيث نزل به الأمن بأمر الله له من عند رب مستو على عرشه،
 رحمن بخلقه. والله أكبر فهو القاهر فوق عباده فوقية ثابتة له من كل وجه قهراً
 وقدرأً واستواء بذاته على عرشه، فلا تهضموها هذه الفوقية يا أولي العدوان، ولا
 تقيدوها، وقد وردت مطلقة في القرآن.

ومما يدل على استوائه بذاته على عرشه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴿ يونس : ٣ ﴾ .

فإنه إذا كان بذاته خلق السموات والأرض، فيجب أن يكون أيضاً بذاته استوى، فإن ضمير فعل الاستواء يعود للذات المذكورة، كما يعود إليها ضمير فعل الخلق بلا فارق أصلاً، فهو ربنا، هو خالق، هو مستو، كل ذلك بذاته، فهي جميعاً سواء.

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| والله أكبر ذو العلو المطلق الـ | معلوم بالفطرات والإيمان |
| فعلوه من كل وجه ثابت | فالله أكبر جلّ ذو السلطان |
| والله أكبر من رقا فوق الطبا | ق رسوله فدنا من الديان |
| واليه قد صعد الرسول حقيقة | لا تنكروا المعراج بالبهتان |
| ودنا من الجبار جل جلاله | ودنا اليه الرب ذو الإحسان |
| والله قد أحصى الذي قد قلم | في ذلك المعراج بالميزان |
| قلم خيلاً أو أكاذيباً أو ألد | معراج لم يحصل إلى الرحمن |
| إذا كان ما فوق السموات العلى | رب اليه منتهى الإنسان |

الشرح: والله أكبر فهو صاحب العلو المطلق المعلوم ثبوته له بالفطرة، فقد فطر عباده سبحانه على رفع الأيدي والأبصار إلى السماء عند الدعاء، والمعلوم ثبوته له بالآيات والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] فالثابت له سبحانه هو العلو المطلق من كل وجه، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر.

والله أكبر فهو الذي رقا اليه عبده ورسوله محمد ﷺ فوق السموات السبع حتى وصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وكان من ربه قاب قوسين أو أدنى.

والمعراج ثابت بالأحاديث الصحيحة البالغة حد التواتر، وهو عروج حقيقي

بالجسد والروح، في اليقظة لا في النوم، وهو عروج إلى الله لا إلى غيره، فلا تنكروا ذلك كله يا أمة البهتان.

وقد دنا الرسول من الجبار جل جلاله، كما دنا إليه ربه ذو الفضل والإحسان ولكنكم لا تؤمنون بذلك كله، وتقولون في المعراج أقوالاً أحصاها الله عليكم ليوفيكم حسابها، فمنكم من زعم أنها خيال، ومنكم من كذب به وأنكره، ومنكم من أثبتته لكن قال: إن العروج لم يكن إلى الله، بل إلى محل سلطانه ورحمته، إذ ليس عنده فوق السماء رب ينتهي إليه الإنسان.

★ ★ ★

| | |
|--|---|
| والله أكبر من أشار رسوله في مجمع الحج العظيم بموقف من قال منكم من أشار بأصبع والله أكبر ظاهر ما فوقه والله أكبر عرشه وسع السما وكذلك الكرسي قد وسع الطبا والرب فوق العرش والكرسي لا لا تحصروه في مكان إذ تقو نزهتموه بجهلكم عن عرشه لا تقدموه بقول داخل الله أكبر هتكت استاركم | حقاً إليه بإصبع وبنان دون المعرف موقف الغفران قطعت فعند الله يجتمعان شيء وشأن الله أعظم شأن والأرض والكرسي ذا الأركان ق السبع والأرضين بالبرهان يخفى عليه خواطر الإنسان لوا ربنا حقاً بكل مكان وحصرتموه في مكان ثان فيما ولا هو خارج الأكوان وبدت لمن كانت له عينان |
|--|---|

الشرح: والله أكبر فهو الذي أشار إليه رسوله ﷺ بأصبعه في أعظم مشهد شهده المسلمون مع نبيهم في حجة الوداع بعرفة، حيث خطبهم خطبته الجامعة المشهورة، وكان أثناء الخطبة يقول لهم: ألا هل بلغت. ويشير بإصبعه إلى السماء ثم ينكتها إليهم قائلاً: اللهم أشهد. فمن حكم منكم على من أشار بإصبعه إلى

السماء أن تقطع إصبعة، فهو خصم لرسول الله ﷺ وسيجتمع معه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ليحكم بينها .

والله أكبر فهو الظاهر العالي الذي لا شيء فوقه، وشأنه سبحانه أعظم شأن والله أكبر وسع عرشه جميع كونه، فالأرض والسموات السبع والكرسي كلها في جوفه كحلقة في فلاة وكذلك وسع كرسيه السموات والأرض، فهي في جوفه كحلقة في فلاة، والله عز وجل فوق عرشه وكرسيه، ولا يخفى عليه شيء من أمور خلقه، حتى أنه يعلم خواطر الإنسان وما توسوس به نفسه .

هذا هو مذهب أهل الحق الذي دلت عليه الآيات والآثار والفطر والعقول، وأما أنتم فقد مرج أمركم واضطربت في الله أقوالكم، فمرة تقولون أنه في كل مكان فحكمتم عليه بذلك الإنحصار في المكان، وجعلتموه في الحشوش والأخلية ومواضع النجاسة والقذر، فقد نزهتموه بجهلكم عن الوجود فوق عرشه ثم حصرتموه داخل خلقه .

ومرة تصفونه بصفة المعدوم الذي لا وجود له، فتقولون ليس داخل العالم ولا خارجه . فالله أكبر قد انكشفت فضائحكم وظهرت سوءاتكم، ولم يعد أمركم يخفى على من كان له عينان ناظرتان .

★ ★ ★

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| والله أكبر جل عن شبه وعن | مثل وعن تعطيل ذي كفران |
| والله أكبر من له الأسماء وال | أوصاف كاملة بلا نقصان |
| والله أكبر جل عن ولد وصا | حبة وعن كفاء وعن آخذان |
| والله أكبر جل عن شبه الجما | د كقول ذي التعطيل والكفران |
| هم شبهوه بالجهاد وليتهم | قد شبهوه بكامل ذي شأن |
| الله أكبر جل عن شبه العبا | د فذان تشبهان ممتنعان |
| والله أكبر واحد صمد فك | ل الشأن في صمدية الرحمن |
| نفت الولادة والأبوة عنه وال | كفاء الذي هو لازم الإنسان |

وكذاك أثبتت الصفات جميعها
 وإليه يصمد كل مخلوق فلا
 لا شيء يشبهه تعالى كيف يش
 لكن ثبوت صفاته وكلامه
 لا تجعلوا الإثبات تشبيها له
 كم ترتقون بسم التنزيه للت
 فالله أكبر أن يكون صفاته
 هذا هو التشبيه لا إثبات أو
 الله سالمة من النقصان
 صمد سواء عز ذو السلطان
 به خلقه ما ذاك في إمكان
 وعلوه حقا بلا نكران
 يا فرقة التشبيه والطغيان
 عطيل ترويجا على العميان
 كصفاتنا جل العظيم الشأن
 صاف الكمال فما هما سيان

الشرح: والله أكبر جل عن التشبيه والمثيل، كما جل عن الإنكار والتعطيل
 والله أكبر من له الأسماء الحسنى والصفات العليا التي بلغت غاية الكمال، فلا
 يلحقها عيب ولا نقصان.

والله أكبر تنزه عن أن يكون له ولد أو صاحبة أو كفاء مساو أو معين أو
 ظهير. والله أكبر جل عن المشابهة للجهادات التي يشبهه بها أهل الإنكار والتعطيل
 فقد شبهوه بالجهادات الناقصة حين نفوا عنه صفات الكمال من الكلام والفعل
 والرضى والغضب، والمحبة والكرهية وغيرها، فليتهم إذ وقعوا في التشبيه كانوا
 قد شبهوه بشيء كامل ذي قدر وشأن كالإنسان مثلاً. ومع ذلك فهو أكبر تنزه
 عن مشابهة العباد الأحياء العالمين القادرين، فكلاهما تشبيه ممنوع، تشبيهه
 بالجهادات الميتة الناقصة، وتشبيهه بذوي الحياة والعلم من خلقه.

والله أكبر فهو واحد لا شريك له، متفرد بما له من ذات وصفات وأفعال
 وهو صمد غني واسع الغنى، تصمد الخلائق كلها إليه، ولهذا الصمدية شأن أي
 شأن، فإن صفات الكمال كلها راجعة إليها، فهي تنفي عنه الولادة التي تقتضي
 تفرع شيء عنه وخروجه منه، وتنفي عنه الأبوة التي هي تفرعه عن أصل سابق
 عليه، وتنفي عنه الكفاء وهو النظير الذي يساويه، وهذا من لوازم الإنسان.
 وهي تثبت له جميع صفات الكمال بريئة من كل عيب ونقصان.

وهي تثبت فقر العباد جميعهم إليه ، فإليه يصمد كل مخلوق ، لا صمد لهم غيره عز وجل شأنه .

وهو سبحانه لا يشبهه شيء من خلقه ، ولا يشبهه هو شيئاً ، فتلك مشابهة مستحيلة لكنها لا تقتضي نفي شيء من صفاته الثابتة له ، ولا نفي علوه وكلامه ، فإن إثبات الصفات لا يستلزم المشابهة إلا عند هؤلاء الذين أشربوا التشبيه في قلوبهم ، فهم لا يفرون منه إلا ليقعوا فيه .

ومن العجيب أنهم يوهون على البسطاء ، فيسمون نفيهم للصفات تنزيهاً ، فيجعلون التنزيه مرقاة يصعدون منها إلى الإنكار والتعطيل .

فليس التشبيه هو إثبات الصفات ، فإن الإثبات حق لا شك فيه ، وإنما التشبيه هو اعتقاد أن صفاته مثل صفات المخلوقين ، بأن يقال له علم كعلمنا وقدرة كقدرتنا ويد كيدنا الخ ، فأين هذا من إثبات الكمال له حتى تجعلوهما شيئاً واحداً ؟ إنها شيئان مختلفان ، وما هما عند العاقل المنصف سيان .

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| كانا هما لا شك مصطحبان | واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ |
| حتما وهذا واضح التبيان | أبدا فكل معطل هو مشرك |
| لوي ويغني فاقة الإنسان | فالعبد مضطر إلى من يكشف الب |
| وإليه يفزع طالب لأمان | وإليه يصمد في الحوائج كلها |
| وعلوه من فوق كل مكان | فإذا انتفت أوصافه وفعاله |
| من جانب التعطيل والنكران | فزع العباد إلى سواه وكان ذا |
| وحيد حقا ذان تعطيلان | فمعطل الأوصاف ذاك معطل الت |
| نوح إلى المبعوث بالقرآن | قد عطلا بلسان كل الرسل من |
| ما رابع أبدا بذوي امكان | والناس في هذا ثلاث طوائف |

احدى الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه إلهاً ثان
هذا وثاني هذه الأقسام لك جاحد يدعو سوى الرحمن
هو جاحد للرب يدعو غيره شركا وتعطيلا له قدمان

الشرح: يثبت المؤلف في هذه الآيات أن التعطيل ونفي الصفات أخو الإشراك وعبادة الأوثان، وأنها مذ وجدا أخوان لا يفترقان. وأن أولهما وهو التعطيل مفض إلى الشرك ومقتض له، كما تقتضي العلة معلولها، فكل معطل وجاحد للصفات فهو مشرك عابد للطاغوت.

وذلك لأن العبد في هذه الحياة الدنيا عرضة لنوائب الخير والشر وهو لا يستطيع أن يستقل بتحصيل الخير لنفسه ولا بدفع الشر عنها، فهو محتاج إلى من يدفع عنه ضره ويغنيه من عياله، وإليه يقصد في كل حوائجه ليقضيها له، ويفزع من مخاوفه ليوفر له الأمان، فإذا نفينا صفات هذا الإله المقصود وأفعاله، ونفينا وجوده فوق عرشه لم يجده العباد أهلاً لأن يفزعوا إليه، بل لم يجدوه شيئاً، فيفزعون حينئذ إلى غيره، والذي جرهم إلى هذا الشرك هو التعطيل والإنكار.

فمن عطل أوصافه سبحانه فقد عطل توحيده، فهما تعطيلان قد بعث جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم نوح إلى خاتمهم محمد لإنكارهما وإبطالهما والناس بالنسبة لهذا الأمر ثلاث فرق لا رابع لها.

فأما أحداها فهو من يشرك بالله في العبادة فيدعو معه إلهاً آخر، وهذا شرك أكثر المشركين، فإنهم يقرون بوجود الله وبأنه المنفرد بالربوبية في الخلق والرزق والتدبير والملك، ولكنهم يعبدون معه غيره. وأما ثانيتهما فهو من يحدد الرب جل شأنه فينكر وجوده وصفات كماله، فهذا لا يدعوه وإنما يدعو غيره، فهو قد جمع بين الشرك والتعطيل، واتخذ منها قدمين يقوم عليهما كفره والحاده. وهذا شر الفريقين، فإن من يدعو مع الله غيره مع دعائه إياه أهون ممن لا يدعوه، بل يدعو سواه.

★ ★ ★

هذا وثالث هذه الأقسام خير ال
يدعو الإله الحق لا يدعو سوا
يدعوه في الرغبات والرهبان وال
توحيده نوعان علمي وقص
في سورة الإخلاص مع تال لنص
ولذلك قد شرعا بسنة فجرنا
ليكون مفتتح النهار وختمه
وكذلك قد شرعا بخاتم وترنا
وكذلك قد شرعا بركعتي الطوا
فهما إذا. أخوان مصطحبان لا
فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا
أو بضع أوصاف الكمال له فحق

خلق ذاك خلاصة الإنسان
ه قط في الأشياء والأكوان
حالات من سر ومن إعلان
يدي كما قد جرد النوعان
ر الله قل يا أيها بيان
وكذاك سنة مغرب طرفان
تجريدك التوحيد للديان
ختما لسعي الليل بالآذان
ف وذاك تحقيق لهذا الشأن
يتفارقان وليس ينفصلان
ذو الشرك فهو معطل الرحمن
ق ذ لا تسرع إلى نكران

الشرح: وأما ثالث هذه الأقسام فهم خيرة الله من خلقه والخلاصة المصطفاة
من عباده، الذين أخلصوا توحيدهم لله، فهم يدعون إلههم الحق وحده ولا
يدعون سواه، ولا يشركون به شيئاً من خلقه في شيء من عبادتهم، فهم يدعون
رغباً وطمعاً في فضله، ورهباً وخوفاً من عقوبته وأخذه، ويدعون في جميع
أحوالهم، في سرهم وعلانيتهم، وفي ظعنهم وإقامتهم، لا ملجأ لهم منه إلا إليه.

وتوحيده سبحانه على نوعين: أحدهما علمي خبري، وهو توحيد الأسماء
والصفات، والثاني توحيد قصدي طلبي، وهو توحيد الإلهية والعبادة، وقد جرد
النوعان من كل ما يشوبها من أنواع الشرك في سورتي: الإخلاص، وقل يا أيها
الكافرون. فالأولى فيها تجريد لتوحيد الأسماء والصفات. والثانية فيها تجريد
لتوحيد العبادة، ولهذا شرعت القراءة بها في ركعتي الفجر والمغرب لوقوعها في
طرفي النهار، ليكون مفتحة ومختتمة تجريد التوحيد بنوعية الله. وكذلك شرعاً
في ختام الوتر، أي في الركعتين الأخيرتين، لأنه آخر عمل الليل، فيكون بذلك

قد ختم عمله بتجريد التوحيد وإخلاصه لله . وكذلك شرعاً في ركعتي الطواف تحقيقاً لهذا الغرض نفسه .

فهذا إذا - أعني التوحيد العلمي الخبري والتوحيد القصدي الطلبي - أخوان متلازمان لا يفترقان ولا ينفصلان ، فمن أخل بأحدهما أخل بالآخر ، ولا يتم توحيد أحد إلا إذا حققهما جميعاً .

فمعطل الأوصاف كلها أو بعضها فهو مشرك ، وكذلك المشرك هو معطل ، فتأمل هذا الأمر جيداً وتدبره ولا تسرع إلى إنكاره لعدم فهمك له .

★ ★ ★

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

لكن أخو التعطيل شر من أخي الـ إن المعطل جاحد للذات أو متضمنان القدح في نفس الألو والشرك فهو توسل مقصوده الز بعبادة المخلوق من حجر ومن فالشرك تعظيم بجهل من قيا ظنوا بأن الباب لا يغشى بدو ودهاهم ذاك القياس المستبين

إشراك بالمعقول والبرهان لكمالها هذان تعطيلان هة كم بذاك القدح من نقصان لفى من الرب العظيم الشأن بشر ومن قبر ومن أوثنان س الرب بالأمران والسلطان ن توسط الشفعاء والأعوان فساده ببيدهة الإنسان

الشرح : وإذا كان التعطيل كما بينا أخصاً للشرك وملازماً له ، فإن المعطل شر من المشرك وأسوأ منه عقيدة في ربه عز وجل . وليست هذه دعوى تقال باللسان ولكنها مدعمة بالدليل والبرهان ، إن التعطيل نوعان أحدهما جحد الذات وعدم الإقرار بوجودها ، وهو تعطيل الدهرية الذين ينكرون الصانع ويقولون ما حكاه

القرآن عنهم: ﴿إِن هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾
[المؤمنون: ٣٧].

والثاني: تعطيل الذات عن صفات الكمال الثابتة لها، فهذان تعطيلان يتضمننا الطعن في حقيقة الألوهية والتنقيص من شأنها.

وأما الشرك فليس فيه طعن في ذات الألوهية، فالمشرك مقر بإلهية الرب سبحانه، ولكنه يظن أنه لا يستطيع أن يبلغ منه مكان الرضى إلا إذا توسل إليه بما يعبد من حجر أو بشر أو قبر أو وثن أو كوكب أو ملك أو غير ذلك مما يتخذه المشركون وسائط فيما بينهم وبين الله، يزعمون أنها تقرهم إليه زلفى.

فالشرك تعظيم للمشرك به، ولكنه تعظيم بجهل، نشأ من قياس فاسد، وهو قياس الرب سبحانه بالملوك والأمراء والسلاطين، فلما رأى المشركون أنه لا يمكن الدخول على أحد من هؤلاء ولا الإتصال به والحظوة لديه إلا بواسطة بطانته ورجال حاشيته من الحجاب والوزراء أو أهل بيته من الزوجات والأولاد، ظنوا الله سبحانه كواحد من هؤلاء، فاتخذوا له الوسائط والشفعاء، وكان الذي جر عليهم تلك الداهية الدهية هو ذلك القياس الذي فساده من الظهور والبيان بحيث تدركه بداهة الإنسان.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| الفرق بين الله والسلطان من | كل الوجوه لمن له أذنان |
| إن الملوك لعاجزون وما لهم | علم باحوال الدعا بأذان |
| كلا ولا هم قادرون على الذي | يحتاجه الإنسان كل زمان |
| كلا وما تلك الإرادة فيهم | لقضا حوائج كل ما انسان |
| كلا ولا وسعوا الخليقة رحمة | من كل وجه هم أولو النقصان |
| فلذلك احتاجوا إلى تلك الوسائط | تط حاجة منهم مدى الأزمان |
| أما الذي هو عالم للغيب مق | تدر على ما شاء ذو إحسان |
| وتخافه الشفعاء ليس يريد من | هم حاجة جل العظيم الشأن |

بل كل حاجات لهم فاليه لا لسواه من ملك ولا انسان

الشرح: وما يدل على فساد قياسهم أن هناك فرقاً بين المقيس والمقيس عليه من كل وجه، فكل ما يدعوهم لالتماس الزلفى إلى الملوك والأمرء باتخاذ الوسائط والشفعاء ليس موجوداً في حق الله عز وجل. وكل ما يحتاج الملوك من أجله إلى اتخاذ الأعوان والظهراء فإن الله غني عنه، فالملوك عاجزون عن تدبير شؤون مملكتهم بأنفسهم، فلا بد لهم ممن يعينهم على ذلك ويرفع إليهم حوائج الناس الذين لا يستطيعون الوقوف على حاجاتهم بأنفسهم، وليس لهم قدرة كذلك على توفير ما يحتاجون إليه في كل وقت إلا بمعونة هؤلاء. فهم يقبلون شفاعتهم ووساطتهم بسبب حاجتهم إليهم، وهم كذلك يخشون منازعتهم إياهم على الملك فيقبلون شفاعتهم خوفاً منهم. وليس للملوك إرادة لقضاء حوائج كل الناس، فهم يحتاجون إلى من يرغبهم في ذلك ويغير ارادتهم، ويحولهم من الغضب إلى الرضى، وكذلك هم لا يجدون عندهم الرحمة التي يمكن أن يبسطوها على الناس، فيحتاجون إلى من يعطفهم ويرقق قلوبهم ويملاها بالرحمة والحنان والرغبة في الإحسان.

فمن أجل ذلك كله احتاجوا إلى تلك الوسائط حاجة لا ينفكون عنها في وقت من الأوقات. أما الله سبحانه فهو بعكس هؤلاء الملوك العاجزين الجاهلين، فهو عالم الغيب كله، يعلم أحوال جميع خلقه، لا يحتاجون إلى من يرفع إليه حوائجهم، وهو سبحانه ذو القدرة التامة على فعل كل ما يشاء، لا يحتاج إلى معونة أحد في تنفيذ ما يريد.

وهو ذو فضل وإحسان، ورحمته وسعت كل شيء من خلقه، وهو سبحانه يريد لنفعهم والإحسان إليهم، بل هو أرحم بعباده من الأم بولدها.

وهو لا يقبل شفاعة الشفعاء خوفاً منهم ولا رغبة فيما عندهم، فليس له إلى أحد حاجة، ولن يبلغ أحد ضرره أو نفعه، تعالى الله عن ذلك كله جل شأنه، بل

كل حاجات هؤلاء الشفعاء إنما هي إليه لا إلى غيره من ملك أو إنسان.

★ ★ ★

وله الشفاعة كلها وهو الذي
لمن ارتضى ممن يوحدته ولم
سبقت شفاعته إليه فهو مش
فلذا أقام الشافعين كرامة
فالكل منه بدا ومرجعه إليه
غلط الألى جعلوا الشفاعة من سوا
هذي شفاعة كل ذي شرك فلا
والله في القرآن أبطلها فلا

في ذاك يأذن للشفيع الداني
يشرك به شيئاً لما قد جاء في القرآن
فروع إليه وشافع ذو شان
لهم ورحمة صاحب العصيان
ه وحده ما من إله ثان
ه اليه دون الاذن من رحمن
تعقد عليها يا أبا الإيمان
تعديل عن الآثار والقرآن

الشرح: والشفاعة كلها لله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] فهو سبحانه الذي يأذن في الشفاعة لمن يشاء من خيار خلقه من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء، فلا يشفع من هؤلاء أحد عنده إلا بإذنه ولا يشفعون إلا لمن ارتضاه من خلقه ممن مات على التوحيد فلم يشرك بالله شيئاً، فالشفاعة التي أثبتها الله في كتابه هي تلك الشفاعة المقيدة بالأذن من المشفوع عنده سبحانه والرضى منه عن المشفوع فيه واختاره لمن يكرمه بمنصب الشفاعة، فهو سبحانه يقيم الشافعين تكريماً لهم ورحمة بأصحاب الذنوب، فالشفاعة مرجعها إليه سبحانه أولاً وآخر، ليس لأحد شركة معه في شيء منها، إذ ليس معه إله غيره.

وأما الشفاعة التي يدعيها المشركون لآلهتهم والنصارى لقسيسهم وربانهم، وهي التي تقع بغير إذن منه سبحانه، وتنال كل أحد رضي أم لم يرضه. فلا يجوز لمؤمن ان يعتقددها ولا ان يعول عليها، فهي الشفاعة التي أبطلها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨] وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ عَنْ

نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴿ [البقرة: ١٢٣] [البقرة: ١٢٣] وقوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴿ [الأعراف: ٥٣] وقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [يونس: ١٨] وقوله: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿ [المدثر: ٤٨] إلى غير ذلك من الآيات التي لا يراد بها نفي مطلق الشفاعة، وإنما يراد بها نفي الشفاعة المطلقة.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| وكذا الولاية كلها لله لا | لسواه من ملك ولا إنسان |
| والله لم يفهم أولو الاشراك ذا | وراه تنقيصاً أولو النقصان |
| إذ قد تضمن عزل من يدعي سـ | وى الرحمن بل أحدية الرحمن |
| بل كل مدعو سواه من لدن | عرش الإله إلى الحضيض الداني |
| هو باطل في نفسه ودعاه عا | بده له من أبطل البطلان |
| فله الولاية والولاية ما لنا | من دونه وال من الأكوان |
| فإذا تولاه أمرؤ دون الورى | طراً تولاه العظيم الشأن |
| وإذا تولى غيره من دونه | ولاه ما يرضى به لهوان |
| في هذه الدنيا وبعد مماته | وكذاك عند قيامة الأبدان |
| حقاً يناديهم ندا سبحانه | يوم المعاد فيسمع الثقلان |

الشرح: وكما أن الشفاعة كلها لله فهو الذي يختار الشفعاء ويأذن لهم في الشفاعة ويحدد لهم من يشفعون فيه ممن رضي دينهم وقولهم، فكذلك الولاية كلها له وحده، فلا يجوز لأحد أن يتولى غيره من ملك ولا إنسان ولا غيرها.

ولكن أهل الشرك لم يفهموا ذلك، بل ينكرونه ويروونه تنقيصاً من قدر أوليائهم، إذ هو يتضمن عزلها عن ان تدعي مع الله، بل يتضمن إخلاص الدعاء

له واعتقاد أحديته ، وكل من يدعي من دون الله من لدن عرشه إلى فرشه فهو باطل في نفسه ، لأنه قد جعل إلهاً معه وهو لا يستحق من الإلهية شيئاً . وكذلك دعاء عابديه له من أبطل الباطل وأضل الضلالة .

فثبت أنه سبحانه له وحده الولاية كلها ، ولاية الذل والضراعة ، فليس لنا من وال يلي أمورنا غيره في الوجود كله ، بل هو وحده الولي الذي نتولاه عبادة وذلّاً ، فإذا تولاه عبده من دون جميع خلقه تولاه الله سبحانه وكان له نعم المولى ونعم النصير ، أما إذا تولى غيره ورضي بتلك الولاية للمخلوق ، ولاه الله ما تولى لهوانه عليه في هذه الحياة الدنيا وبعد مماته ، وكذلك في معاده عند قيامة الأبدان ، حيث ينادي سبحانه عباده ببدء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول : « من كان يعبد إلهاً فليتبع » كما ورد في الحديث .

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| يا من يريد ولاية الرحمن دو | ن ولاية الشيطان والأوثان |
| فارق جميع الناس في إشراكهم | حتى تنال ولاية الرحمن |
| يكفيك من وسع الخلائق رحمة | وكفاية ذو الفضل والإحسان |
| يكفيك من لم تخل من إحسانه | في طرفة تتقلب الأجفان |
| يكفيك رب لم تزل أطفاه | تأتي اليك برحمة وحنان |
| يكفيك رب لم تزل في ستره | ويراك حين تجيء بالعصيان |
| يكفيك رب لم تزل في حفظه | ووقاية منه مدى الأزمان |
| يكفيك رب لم تزل في فضله | متقلباً في السر والإعلان |

الشرح: يوصي المؤلف من يريد ان يظفر بولاية الرحمن سبحانه وينجو من ولاية الشيطان والأوثان أن يفارق جميع الناس فيما يقعون فيه من ألوان الشرك وصوره ، من تعظيم غير الله ومحبهه واتخاذة نداءً مع الله يدعوه ويرغب اليه ويتقرب اليه بأنواع القربات ، فإن ولاية الله لا تنال إلا بتوحيده وإخلاص الدين له ، والله سبحانه فيه كل الكفاية لعبده ، بحيث لا يحتاج معه إلى غيره ، فهو الذي

شمل الخلائق كلهم برحمته ووسعهم فضله وإحسانه، وهو الذي لم ينقطع إحسانه عن عبده طرفة عين، بل هو دائم الإحسان وقديمه، وهو الذي لم تنزل أطفاه تتوارد على عبده رحة وحناناً، وهو الذي لم يزل يضع ستره على عبده وهو مقيم على معصيته، وهو الذي لم يزل عبده في حفظه وكلاءته ووقايته طول عمره وهو لم يزل عبده متقلباً في فضله في سره وعلانيته.

فرب هذا شأنه أليس يكفي عبده حتى يدعو معه غيره وينزل حاجاته بباب من سواه.



| | |
|-------------------------------|------------------------------|
| يدعوه أهل الأرض مع أهل السما | ء فكل يوم ربنا في شان |
| وهو الكفيل بكل ما يدعونه | لا يعترى جدواه من نقصان |
| فتوسط الشفعاء والشركاء والظ | هراء أمر بيّن البطلان |
| ما فيه إلا محض تشبيه لهم | بالله وهو فأقبح البهتان |
| مع قصدهم تعظيمه سبحانه | ما عطلوا الأوصاف للرحمن |
| لكن أخو التعطيل ليس لديه | إلا النفي أين النفي من إيمان |
| والقلب ليس يقرب إلا بالتعب | د فهو يدعوه إلى الأكوان |
| فترى المعطل دائماً في حيرة | متنقلاً في هذه الأعيان |
| يدعو إلهاً ثم يدعو غيره | ذا شأنه أبداً مدى الأزمان |
| ونرى الموحد دائماً متنقلاً | بمنازل الطاعات والإحسان |
| ما زال ينزل في الوفاء منازلًا | وهي الطريق له إلى الرحمن |
| لكنما معبوده هو واحد | ما عنده ربان معبودان |

الشرح: فهو سبحانه يدعوه أهل سمائه وأهل أرضه، لا تغلظه المسائل ولا يشغله شأن عن شأن ولا يتبرم بإلحاح السائلين، وهو الضامن لعباده بإعطائهم كل ما يسألونه إياه من غير أن ينقص ما عنده، بل يمينه سبحانه ملأى لا تغيضها نفقة، ولو أن عباده كلهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد

مسألته ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر .

وإذا كان الأمر كذلك فاتخاذ العبد وسائط فيما بينه وبين الله من الشفعاء والشركاء والظهوراء أمر في غاية البطلان، لأنه سوء ظن بالرب جل شأنه واتهام له بالحاجة إلى من يعلمه بأحوال خلقه أو يغير إرادته أو يستخرج لهم إحسانه ورحمته، وفيه أيضاً تشبيه لهم بالله في استحقاق العبادة والتعظيم، وهو من أقبح البهتان .

والمشرك مع تشبيه غير الله به فهو يقصد تعظيمه سبحانه ولا يحدد صفاته ولا يعطلها، ولكن المعطل ليس عنده إلا النفي والنكران، وأين النكران من الإيمان ؟

وإذا كان القلب لا بد له ان يتعبد لشيء، فإذا لم يعبد الله اتجه إلى عبادة غيره كان المعطل في حيرة من أمره، لأنه لما نفى الذات أو عطّلها عن صفاتها لم يجد ما يعبده من الإله الحق، فينتقل بعبادته بين هذه الأعيان المخلوقة، فهو يدعو إلهاً اليوم ثم يدعو غيره غداً، ويظل هذا شأنه طول عمره يتعبد لآلهة شتى لا يكاد يثبت على عبادة واحد منها أبداً . وأما الموحد فلا ينتقل من إله إلى إله، فحاشاه من هذا الإشراك حاشاه، ولكنه ينتقل في منازل الطاعات ومراتب الإحسان، مرتقياً فيها من درجة إلى درجة وهو سائر إلى ربه، ولكن معبوده في كل هذه المنازل هو الله عز وجل وحده ليس له ربان معبودان .

★ ★ ★

فصل

في مثل المشرك والمعطل

أين الذي قد قال في ملك عظيم - لم لست فينا قط ذا سلطان
ما في صفاتك من صفات الملك شيء كلها مساوية الوجدان
فهل استويت على سرير الملك أو دبرت أمر الملك والسلطان

أو قلت مرسوماً تنفذه الرعا
 أو كنت ذا أمر وذا نهي وتك
 أو كنت ذا سمع وذا بصر وذا
 أو كنت قط مكلماً متكلماً
 أو كنت تفعل ما تشاء حقيقة الـ
 أو كنت حياً فاعلاً بمشيئة
 فعل يقوم بغير فاعله محا
 بل حالة الفعال قبل ومع وبعد
 والله لست بفاعل شيئاً إذا
 لا داخلاً فينا ولست بخارج
 فبأي شيء كنت فينا مالكاً
 إسماً ورسماً لا حقيقة تحته

يا أو نطقت بلفظة ببيان
 لم لمن وافى من البلدان
 علم وذا سخط وذا رضوان
 متصرفاً بالفعل كل زمان
 فعل الذي قد قام بالأذهان
 وبقدرة أفعال ذي السلطان
 ل غير معقول لذي الإنسان
 مد هي التي كانت بلا فرقان
 ما كان شأنك منك هذا الشأن
 عنا خيالاً درت في الأذهان
 ملكاً مطاعاً قاهر السلطان
 شأن الملوك أجل من ذا الشأن

الشرح: يضرب المؤلف في هذه الأبيات والتي بعدها مثلين، مثلاً للمعطل
 الذي ينفي صفات الكمال عن الله عز وجل ويحجدها، ومثلاً للمشرك الذي يقر
 بها ولكنه يتخذ بينه وبين الله وسطاء يرفعون دعاءه اليه ويقضون حوائجه،
 ومنها يتبين أن المشرك أحسن حالاً من المعطل.

فالمعطل إذا خاطب ربه يقول له إنك فينا لست ذا تسلط وقدرة وليس لك
 من صفات الملك شيء بل أنت مسلوب هذه الصفات فاقدتها فإنك لم تستو على
 سرير ملكك تدبر من هناك أمور خلقك. ولم تخاطب عبادك بخطاب يفهمونه
 عنك ولم تعهد إليهم بمرسوم ينفذونه كما هو شأن الملوك فلا أمر لك فيهم ولا
 نهي ولا خطاب ولا تكليم لمن وافوا اليك ليسمعوا منك ولست كذلك ذا سمع
 تسمع به أصواب خلقك وشكاياتهم التي يجأرون اليك ولست ذا بصر تبصر به
 أشخاصهم وأحوالهم وما يتصرفون فيه من أعمالهم ولست ذا علم بما يجري في
 مملكتك من شئون وأحداث، بل كلها تم من وراء ظهرك ولا تملك ان تسخط
 وتغضب على من خالفك وعصى أمرك ولا أن ترضى عن أطاعك واتبع

رسلك . ولست قط مكلماً بالفعل أحداً من خلقك ولا لك قدرة على التكلم والتكليم . وليس لك في مملكتك فعل قط ولا تصرف فلست تفعل ما تشاء كما يفعل الملوك ما يشاؤون بل أنت لا حياة لك ولا مشيئة ولا قدرة على فعل مما يفعله أصحاب السلطان وكيف يتأتى أن يكون لك فعل والفعل إنما قام بغيرك وهل يقوم الفعل بغير فاعله بل حالك قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل هي هي لم يعرض لك حال صرت فيها فاعلاً ولا خالقاً ولا رازقاً ولا مدبراً فما دام هذا شأنك ولم تتصف بصفة الفعل فلست في ملكك فاعلاً لشيء ولا مدبراً لأمر كما أنك لا مكان لك ولا جهة يتجه اليك عبادك نحوها فلست داخل مملكتك ولا خارجها بل أنت إن حقق الأمر عليك لم تزد ان تكون صورة في الخيال لا حقيقة لها في عالم الواقع .

فبأي شيء إذاً تكون ملكاً علينا واجب الطاعة قاهر السلطان ، وما أنت إلا اسم و رسم لا حقيقة تحتها ، بل شأن الملوك أجلّ من هذا وأعظم .

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| هذا وثان قال أنت مليكنا | وسواك لا نرضاه من سلطان |
| إذ حزت أوصاف الكمال جميعها | ولأجل ذا دانت لك الثقلان |
| وقد استويت على سرير الملك واسـ | توليت مع هذا على البلدان |
| لكن بابك ليس يغشاه امرؤ | إن لم يجيء بالشافع المعوان |
| ويذلّ للبواب والحجاب والشـ | فعاء أهل القرب والإحسان |
| أفيستوي هذا وهذا عندهم | والله ما استويا لدى إنسان |
| والمشركون أخف في كفرانهم | وكلاهما من شعبة الشيطان |
| إن المعطل بالعداوة قائم | في قالب التنزيه للرحمن |

الشرح: وأما الثاني وهو المشرك فإنه أقر لله بتام الربوبية والانفراد بالملك والسلطان لأنه حائز لجميع صفات الكمال التي لا بد منها في تمام الملك ومن أجلها خضع له جميع الخلق ودان له الثقلان من الجن والإنس فهو ملك مستو على

سرير ملكه عال على جميع خلقه قاهر لهم مستول عليهم، بيده أزمة أمورهم ولا يخرج شيء منهم عن قهره وسلطانه، وهو عظيم في سلطانه لا يستطيع أحد من خلقه ان يصل اليه ولا ان يغشى بابه إلا إذا التمس اليه الشفعاء والوسطاء فيذل لهم ويتملقهم ويقوم لهم بأنواع العبادة حتى يدخلوه على الملك فهل يستوي هذا الذي أقر الله بتام الربوبية وأثبت له ما أثبت لنفسه من صفات الكمال ولم يحدد منها شيئاً لكنه جعل له أنداداً من خلقه. ومن عطله عن صفات كماله فلم يثبت علوه على خلقه ولا كلامه لأحد من خلقه ولا رحمته ولا غضبه ولا حكمته ولا أمره ولا نهيه، لا شك أن المشركين أهون في كفرانهم من هؤلاء المعطلة وإن كان الفريقان من أحزاب الشيطان فالمعطل عدو لله قد ناصب ربه العداوة ولكنه يتظاهر بأنه يقصد تنزيهه عما لا يليق به من التشبيه والتجسيم.

★ ★ ★

فصل

فيا أعد الله تعالى من الإحسان للمتمسكين بكتابه

وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان

هذا وللمتمسكين بسنة المختار عند فساد ذي الأزمان
 أجر عظيم ليس يقدر قدره إلا الذي أعطاه للإنسان
 فروى أبو داود في سنن له ورواه أيضاً أحمد الشيباني
 أثراً تضمن أجر خمسين أمراً من صحب أحد خيرة الرحمن
 اسناده حسن ومصداق له في مسلم فافهمه بالإحسان
 إن العبادة وقت هرج هجرة حقاً إلي وذاك ذو برهان
 هذا فكم من هجرة لك أيها السني بالتحقيق لا بأمان
 هذا وكم من هجرة لهم بما قال الرسول وجاء في القرآن
 ولقد أتى مصداقه في الترمذي لمن له أذنان واعيتان
 في أجر يحي سنة ماتت فذا ك مع الرسول رفيقه بجنان

الشرح: وردت أحاديث كثيرة تدل على ما أعد الله سبحانه من أجر عظيم للمتمسكين بسنة نبيه المختار ﷺ عند فساد الزمان وانحلال عرى الدين. فروى أبو داود رحمه الله في سننه، وروى أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه في مسنده أثراً تضمن أن للعامل من هذه الأمة عند فساد الزمان أجر خمسين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ولفظ الحديث عند أبي داود.

وعن أبي أمية الشعباني قال: « سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت: يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك - يعني بنفسك - ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر فيها مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله، وزاد في غيره، قالوا يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم، وله شاهد يقويه فيما رواه مسلم رحمه الله من أن العبادة في وقت الهرج - أي القتل والفتن - تعدل هجرة إلى رسول الله ﷺ.

هذا ولأهل السنة هجرات كثيرة لا بالأمانى والأحلام ولكن بالتحقيق والتثبيت فلهم هجرة إلى الله عز وجل بالإخلاص والتوحيد، ولههم هجرة إلى رسول الله ﷺ بالاعتداء والاتباع، ولههم هجرة من البدع إلى السنن ومن المعاصي إلى الطاعات ومن الأقوال والآراء إلى ما قاله الرسول ﷺ وما جاء في القرآن وله شاهد أيضاً فيما رواه الترمذي من أن الذي يجي سنة من سنن رسول الله ﷺ ماتت يكون رفيقه في الجنة.

★ ★ ★

هذا ومصدق له أيضاً أتى في الترمذي لمن له عينان تشبيهه أمته بغيث أول منه وآخره فمشتبهان فلذلك لا يدري الذي هو منها قد خص بالتفضيل والرجحان

ولقد أتى أثر بأن الفضل في الطرفين أعني أولاً والثاني
 والوسط ذو ثبج فاعوج هكذا جاء الحديث وليس ذا نكران
 ولقد أتى في الوحي مصداق له في الثلاثين وذاك في القرآن
 أهل اليمن فتلة مع مثلها والسابقون أقل في الحسبان
 ما ذاك إلا أن تابعهم هم الغرباء ليست غربة الأوطان
 لكنها والله غربة قائم بالدين بين عساكر الشيطان
 فلذاك شبههم به متبوعهم في الغربتين وذاك ذو تبيان
 لم يشبهوهم في جميع أمورهم من كل وجه ليس يستويان
 فانظر إلى تفسيره الغرباء بالمحيين سنته بكل زمان

الشرح: وروى كذلك الترمذي مصداقاً لهذا الأثر الدال على فضل أهل
 الغربة العاملين بالسنة عند فساد الأمة قوله عليه السلام فيما رواه عنه عمار بن
 ياسر رضي الله عنه « مثل أمي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره ».

قال ابن كثير رحمه الله بعد روايته لهذا الحديث :

(فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج
 إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في
 أواخرها، وتثبيت للناس على السنة وروايتها، والفضل للمتقدم وكذلك الزرع
 هو محتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول
 واحتياج الزرع إليه أكد فإنه لولاه ما نبت في الأرض ولا تعلق أساسه بها).

ولقد ورد أثر آخر يدل على أن الخير في طرفي هذه الأمة، يعني في أولها
 وآخرها، وأما وسطها فذو ثبج، أي أحذب معوج.

ولقد أتى مصداق لهذه الآثار في القرآن عند قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ
 السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ
 مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة : ١٠ ، ١٤] .

وقوله من نفس السورة في شأن أصحاب اليمين ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ [الواقعة : ٣٩ ، ٤٠] فلما ذكر أصحاب اليمين جعلهم ثلثين ، ثلثة من أول هذه الأمة وثلثة من آخرها . وعندما ذكر السابقين جعلهم ثلثة من الأولين وقليلًا من الآخرين . وليس ذلك إلا لأن التابع لهؤلاء السابقين في آخر الزمن يكونون أهل قلة وغربة كما قال صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه مسلم عن أبي هريرة « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

ووردت روايات عدة في تفسير هؤلاء الغرباء ، ففي بعضها أنهم النزاع من القبائل . وفي أخرى أنهم الذين يصلحون إذا فسد الناس . وفي رواية أنهم الذين يفرون بدينهم من الفتن . وفي أخرى أنهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنة رسول الله ﷺ .

فهذه الغربة المذكورة في هذا الحديث ليست غربة عن الأهل والأوطان ولكنها غربة المتمسك بدينه العاص عليه بناجذيه بين جنود الشيطان ، فلذلك شبههم الرسول ﷺ في غربته الأولى والثانية في قلة الأعوان والأنصار . يقول العلامة ابن رجب الحنبلي في تفسيره لهذا الحديث :

قوله : « بدأ الإسلام غريباً » يريد به أن الناس كانوا قبل مبعثه على ضلالة عامة كما قال النبي ﷺ في حديث عياض بن حمار الذي خرج به مسلم « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم - عربهم وعجمهم - إلا بقايا من أهل الكتاب » ، فلما بعث النبي ﷺ ودعا إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة ، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الأذى وينال منه وهو صابر على ذلك في الله عز وجل ، وكان المسلمون إذ ذاك مستضعفين يشردون كل مشرد ويهربون بدينهم إلى البلاد النائية ، كما هاجروا إلى الحبشة مرتين ، ثم هاجروا إلى المدينة ، وكان منهم من يعذب في الله ومنهم من يقتل ، فكان الداخلون في الإسلام حينئذ غرباء ، ثم ظهر الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة وعز وصار أهله ظاهرين كل الظهور ، ودخل الناس بعد ذلك

في دين الله أفواجاً، وأكمل الله لهم الدين وأتم النعمة عليهم.

وتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك وأهل الإسلام على غاية من الاستقامة في دينهم، وهم متعاضدون متناصرون، وكانوا على ذلك في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ثم عمل الشيطان مكائده على المسلمين، وألقى بأسهم بينهم وأفشى فيهم فتنة الشبهات والشهوات، ولم تنزل هاتان الفتنتان تتزايدان شيئاً فشيئاً حتى استحكمت مكيدة الشيطان وأطاعه أكثر الخلق، فمنهم من دخل في طاعته في فتنة الشبهات، ومنهم من دخل في فتنة الشهوات، ومنهم من جمع بينهما، وكل ذلك مما أخبر النبي ﷺ بوقوعه: إلى أن يقول:

(فلما دخل أكثر الناس في هاتين الفتنتين أو إحداهما أصبحوا متقاطعين متباغضين بعد أن كانوا إخواناً متحابين متواصلين، فإن فتنة الشهوات عمت غالب الخلق ففتنوا بالدنيا وزهرتها وصارت غاية قصدهم، لها يطلبون وبها يرضون ولها يغضبون ولها يوالون وعليها يعادون فقطعوا لذلك أرحامهم وسفكوا دماءهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك.

وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة، فسيبها تفرق أهل القبلة وصاروا شيعاً وكفر بعضهم بعضاً، وأصبحوا أعداء وفرقاً وأحزاباً، بعد أن كانوا إخواناً قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» وهم في آخر الزمان الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس، وهم الذين يصلحون ما أفسد الناس من السنة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النزاع من القبائل لأنهم قلوباً، فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والإثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد، كما كان

الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك. وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث) أهـ.

★ ★ ★

طوبى لهم والشوق يحدوهم إلى
طوبى لهم لم يعبأوا بنحاة الأ
طوبى لهم ركبوا على متن العزا
طوبى لهم لم يعبأوا شيئاً بذى الآ
طوبى لهم وامامهم دون الورى
والله ما ائتموا بشخص دونه
أخذ الحديث ومحكم القرآن
فكار أو بزبالة الأذهان
ثم قاصدين لمطلع الإيمان
راء إذ أغناهم الوحيان
من جاء بالإيمان والفرقان
إلا إذا ما دهم ببيان

الشرح: فالعاقبة الطيبة والنهية الحميدة في جنة الخلد التي عرضها السموات والأرض لهؤلاء الغرباء الذين حدا بهم الشوق إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأكبوا عليها دراسة وفقهاً وتأملاً، وعولوا عليها في كل أمورهم، ولم يكثرثوا لسواها من هذه الآراء القذرة التي هي نحت أفكار معوجة ووساخة أذهان منحرفة، فهؤلاء الغرباء لم يلتفتوا إلى شيء منها بل امتطوا صهوات العزائم إلى حيث مطلع الإيمان ومشرق النور، فاستغنوا بالوحيين عن كل ما سواها، ولم يتخذوا إماماً لهم رسول الله ﷺ الذي بعثه الله معلماً للإيمان ومبيناً للفرقان. ووالله ما عرفوا لهم اماماً غيره إلا رجلاً يدلم على ما قاله وجاء به من الهدى والعلم والإيمان.

★ ★ ★

في الباب آثار عظيم شأنها
إذ أجمع العلماء أن صحابة ال
ذا بالضرورة ليس فيه الخلف بي
فلذاك ذي الآثار أعضتل أمرها
أعيست على العلماء في الأزمان
مختار خير طوائف الإنسان
من اثنين ما حكيت به قولان
وبغوا لها التفسير بالإحسان

فاسمع إذا تأويلها وأفهمه لا
إن البدار برد شيء لم تحط
الفضل منه مطلق ومقيد
والفضل ذو التقييد ليس بموجب
لا يوجب التقييد أن يقضي له
إذ كان ذو الإطلاق حاز من الفضل
فإذا فرضنا واحداً قد حاز نو
لم يوجب التخصيص من فضل عليه
ما خلق آدم باليدين بموجب
وكذا خصائص من أتى من بعده
فمحمد أعلاهم فوقاً وما
فالحائز الخمسين أجراً لم يحز
هل حازها في بدر أو أحد أو الـ
بل حازها إذ كان قد فقد المعـ

الشرح: وقد حار العلماء في كل عصر في تفسير هذه الآثار العظيمة التي دلت
على زيادة أجر العاملين في آخر الزمان على الصحابة رضي الله عنهم، إذ كانوا
قد أجمعوا على أن الصحابة هم أفضل خلق الله بعد النبيين. وهذا أمر معلوم
بالضرورة لم يختلف فيه اثنان ولا حكي فيه قولان، فلذاك أشكل أمر هذه
الآثار على العلماء، وحاولوا التوفيق بينها وبين ما هو متفق عليه من ذلك، فإذا
أردت أن تعرف تأويل هذه الآثار وأن تقف على جلية الأمر فيها فاسمع لما يقال
لك من ذلك وحاول أن تفهمه ولا تعجل برد هذه الآثار وإنكارها، فإن من
أسباب الخيبة والحرمان أن يتعجل الإنسان رد ما لم يحط به علماً من الأمور.
فالفضل قسمان: أحدهما مطلق غير مقيد بعمل أو صفة أو وقت أو نحوها.
والثاني مقيد بشيء من ذلك.

فالفضل للتقيد لا يوجب لصاحبه فضلاً مطلقاً، فلا يصح أن يحكم له

بالمساواة مع صاحب الفضل المطلق، فضلاً عن أن يكون راجحاً عليه، فإن ذا الفضل المطلق قد أحرز من الفضائل والمناقب ما لم يجززه صاحب الفضل المقيد، فإذا فرضنا واحداً من الناس قد حاز نوعاً من الفضائل لم يجزه الذي هو أفضل منه لم يوجب تخصيصه بهذا النوع فضلاً عليه ولا مساواة له.

فخلق الله آدم بيديه ميزة لآدم عليه السلام، لم توجب له أن يكون أفضل من نبينا عليه السلام. وكذا خصائص الرسل بعد آدم، كتخصيص موسى بالتكليم وعيسى بأنه روح الله وكلمته، لم يوجب لهم أن يكونوا أفضل من محمد، بل هو أعلاهم شرفاً وأرفعهم عند الله درجات، فكذلك الحائز لأجر خمسين رجلاً من الصحابة لم يجزها في جميع الأعمال الإيمانية حتى يكون أفضل أو مساوياً للصحابة فإنه لم يجزها في بدر ولا أحد، ولا في فتح مكة ولا بيعة الرضوان تحت الشجرة، وإنما حازها بسبب غربته وفقده للناصر المعين، على حين كانوا هم يجدون على الحق أعواناً.

★ ★ ★

المتحملون لأجله من شأن
فيض العدو وقلّة الأعوان
ومحبة وحقيقة العرفان
نصار بين عساكر الشيطان
ترجع يوافيه الفريق الثاني
يلقاه بين عدا بلا حسابان
عهد الذي هو موجب الإحسان
أحشاه عن حرّ ذي النيران
يكفيه علم الواحد المنان
إلا الذي آتاه للإنسان
والشكر والتحكيم للقرآن

والرب ليس يضيع ما يتحمل
فتحمل العبد الوحيد رضاه مع
مما يدل على يقين صادق
يكفيه ذلاً واغتراباً قلّة الأ
في كل يوم فرقة تغزوه ان
فسل الغريم المستضام عن الذي
هذا وقد بعد المدى وتطاول ال
ولذا كان كقابض جمرأً فسل
والله أعلم بالسذي في قلبه
في القلب أمر ليس يقدر قدره
بر وتوحيد وصبر مع رضا

سبحانه قاسم فضله بين العبا
 فالفضل عند الله ليس بصورة الأ
 وتفاضل الأعمال يتبع ما يقو
 حتى يكون العاملان كلاهما
 هذا وبينهما كما بين السما
 ويكون بين ثواب ذا وثواب ذا
 هذا عطاء الرب جل جلاله
 د فذاك مولى الفضل والإحسان
 عمال بل بحقائق الإيمان
 م بقلب صاحبها من البرهان
 في رتبة تبدو لنا بعيان
 والأرض في فضل وفي رجحان
 رتب مضاعفة بلا حسابان
 وبذاك تعرف حكمة الرحمن

الشرح: والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يضع ما يتحملة عبده لأجله من
 شئون، فتحمله مرارة الرضى والصبر مع كثرة الأعداء وقلة الأنصار مما يدل على
 صدق يقينه بالله عز وجل وقوة معرفته ومحبته له، فبحسبه من الذل والغربة قلة
 أنصاره بين جحافل الشرك التي تغزوه فرقة بعد فرقة، كلما رجعت عنه فرقة
 وأفته فرقة أخرى، فسل هذا الكسير المهيض الجناح عما يلقاه من أعدائه الذين لا
 حصر لهم مع تطاول الأمد وبعد العهد بالقرون الفاضلة. ولذلك تراه في صبر
 على أذى أعدائه كالقابض على الجمر، وترى في أحشائه ناراً متقدة من الحزن
 والألم، والله سبحانه هو الذي يعلم ما في قلبه من أمور عظيمة لا يقدر قدرها إلا
 هو سبحانه، إذ هو موليتها ومعطيها فيه بر ووفاء وتوحيد، وإخلاص وصبر
 ورضا وشكر وعرفان وتحكيم للسنة والقرآن، فسبحان مولى الفضل والإحسان
 الذي قسم الفضل بين عباده بالقسط والميزان والفضل عنده ليس بظواهر الأعمال
 بل بما تقوم عليه من حقائق الإيمان، فهي تتفاوت في الفضل بقدر ما يكون في
 قلب صاحبها من الإخلاص واليقين والخوف والمحبة والتذلل والخضوع الخ. حتى
 أن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة ركوعها واحد وسجودها واحد، وأن بين
 صلاتهما كما بين السماء والأرض، فأحداها صاحبها في خشوع وخشية وحضور
 قلبه مع الله، والأخرى أداها صاحبها وهو ساه غافل عن صلاته، إنما يؤديها
 حركات بالجوارح وأقوالاً باللسان دون أن يكون حاضر الجنان.

وبين هاتين الدرجتين من المراتب ما لا حصر له، فيكون بين ثواب هذه

وتلك من الدرجات ما لا يخصه إلا الله، فهذا عطاؤه وفضل الذي قسمه بين أهل الفضل من خلقه، وهذه حكمته البالغة في تفاوت درجات الأعمال في الإحسان وتفاوتها تبعاً لذلك في الجزاء. قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿هُمْ دَرَجَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣].

فصل

فما أعد الله تعالى في الجنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| يا خاطب الحور الحسان وطالبا | لوصالهن بجنة الحيوان |
| لو كنت تدري من خطبت ومن طلب | ت بذلت ما تحوي من الأثمان |
| أو كنت تدري أين مسكنها جعل | ت السعي منك لها على الأجنان |
| ولقد وصفت طريق مسكنها فان | رمت الوصال فلا تكن بالواني |
| أسرع وحث السير جهدك إنما | مسراك هذا ساعة لزمان |
| فأعشق وحدث بالوصال النفس واب | ذل مهرها ما دمت ذا إمكان |
| واجعل صيامك قبل لقيهاها ويو | م الوصل يوم الفطر من رمضان |
| واجعل نعوت جالها الحادي وسر | تلقني المخاوف وهي ذات أمان |

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من بيان عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة التي تقوم على إثبات كل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ وبعد أن دحض عقائد أهل الزيغ والتعطيل أخذ في بيان ما أعد الله من الجزاء العظيم في جنة النعيم للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ.

فهو ينادي من يريد التزوج بالحور الحسان وينشد الخطوة بوصالهن في جنة الحيوان التي هي الحياة الحقة ومنزل الكرامة والرضوان فيقول له: لو كنت تعلم

قدر مخطوبتك ونفاستها لبذلت لها كل ما تقدر عليه من أثمان، ولو كنت تعلم أي دار تسكنها، وأنها الدار التي حوت من صنوف النعيم والسرور كل ما تشتهيهِ الأنفُس وتلذه الأعين، ومما لم يخطر على قلب إنسان لجعلت السعي منك إليها على الأروُس إن لم تسعف القدمان.

ولقد دلتك على الطريق المؤدي إلى هذا المسكن الطيب، وهو العمل بالسنة والقرآن، فإن كنت طالباً للوصول حقاً فإن الطريق لا يقطعه كسلان بل شمر عن ساعد جدك وأغد السير على مطية عزمك ولا تستطل الطريق، فما سيرك إلا ساعة من زمان فتذكر قدر مخطوبتك وعلق بها قلبك وحدث بطيب وصالها نفسك ولا تبخل عليها بغالي المهور والأثمان ما دمت ذا قدرة وإمكان، ولا تبال بما تلقاه في هذه الدنيا من بؤس وحرمان، بل قدر كأن عمرك هو شهر رمضان. فأنت تصومه لعدته وتجعل يوم فطرك هو يوم وصال الأحبة والخلان، وتغن بأوصاف حسننها في سيرك، وأتخذ منه حذاء يلهب شوقك ويجدد نشاط عزمك، وهناك تزايلك المخاوف كلها وتصبح في سَكينة وأمان.

★ ★ ★

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| لا يلهينك منزل لعبت به | أيدي البلا من سالف الأزمان |
| فلقد ترحل عنه كل مسرة | وتبدلت بالهم والأحزان |
| سجن يضيق بصاحب الإيمان لـ | كن جنة المأوى لذي الكفران |
| سكانها أهل الجهالة والبطا | لة والسفاهة أنجس السكان |
| وألذهم عيشاً فأجلهم | بحق الله ثم حقائق القرآن |
| عمرت بهم هذي الديار وأقفرت | منهم ربوع العلم والإيمان |
| قد آثروا الدنيا ولذة عيشها الـ | فاني على الجنات والرضوان |
| صحبوا الأمانى وابتلوا بمحظوظهم | ورضوا بكل مذلة وهوان |
| كدحا وكدا لا يفتر عنهم | ما فيه من غم ومن أحزان |

الشرح: فلا يشغلنك عن السير إلى غايتك والجد للقاء محبوبتك هذا المنزل

الفاني الذي عصفت به ريح البلى من قديم الزمان، وهو خلو من كل ما يسر القلب ويبهج النفس، بل ليس حشوه إلا الهموم والأحزان، وهو حبس للمؤمن يضيق به لأنه يلقي فيه المكاره ويصم فيه النفس عن مراتع الشهوات ويثقلها بقيود الطاعات، ولكنه جنة للكافرين يرتع فيها منطلقاً من كل قيد متبعاً للأهواء والشهوات وسكان هذا المنزل المحشو بالآفات هم أهل البطالة الذين لا يشعرون بالمسؤوليات ولا يقدرّون التبعات، وأهل الجهالات الذين رضوا لأنفسهم أن يلتحقوا بغمار والعجاوات وأهل السفالة الذين هجروا معالي الأمور وأخلدوا إلى المحقرات والدناءات، وبالجملة فهم أنجس الحيوان وأخبث البريات. وأطيبهم عيشاً في هذه الدنيا هو أشدهم جهلاً بحقوق الله العظيم وحقائق كتابه الكريم فهو كما يقول الشاعر:

ذو العقل يشقى في النعم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
ولقد عمروا هذه الدنيا وافتنوا في عمارتها، حتى لم يتركوا باباً للرفاهة إلا وجوه ولا طريقاً للشهوة إلا سلكوه، فقد يخيل لمن يراهم يلهثون وراءها ويمنعون في عمارتها وتزينها أنهم يعملون في دار خلد ومنزل إقامة، لا في دار بلى ومنزل نفاذ وهم مع ذلك هجروا مجالس العلم وأقفرت منهم ربوع الإيمان، لأنهم استحبوا الحياة الدنيا ونعيمها الزائل على ما عند الله للمتقين من جنات ورضوان. وغرّتهم الأمانى الباطلة فعاشوا فيها سعيّاً وراء الحظوظ العاجلة ورضي بكل هوان ومذلة مع بذل غاية التعب والجهد في تحصيلها، فإذا وقع بهم مكروه من مكارهها اغتموا لذلك أعظم الغم، وإذا فاتهم شيء من محبوباتها حزنوا أشد الحزن، فهم دائماً يتقلبون في غموم وأحزان.

★ ★ ★

والله لو شاهدت هاتيك الصدو ر وأيتها كمر اجل النيران
ووقودها الشهوات والحسرات والآ لام لا تجبو مدى الأزمان
أبدانهم أجدات هاتيك النفو س اللائي قد قبرت مع الأبدان
أرواحهم في وحشة وجسومهم في كدحها لا في رضا الرحمن

هربوا من الرق الذي خلقوا له
لا ترض ما اختاروه هم لئفوسهم
لو سارت الدنيا جناح بعوضة
لكنها والله أحقر عنده
ولقد تولت بعد عن أصحابها
لا يرتجى منها الوفاء لصبها
طبعت على كدر فكيف ينالها
يا عاشق الدنيا تأهب للذي
أوما سمعت بل رأيت مصارع الـ

فلبوا برق النفس والشيطان
فقد ارتضوا بالذل والحرمان
لم يسق منها الرب ذا الكفران
من ذا الجناح القاصر الطيران
فالسعد منها حل بالدبران
أين الوفا من غادر خوان
صفو أهذا قط في الامكان
قد ناله العشاق كل زمان
عشاق من شيب ومن شبان

الشرح: ووالله لو كشف لك ما في صدور أهل الدنيا من شهوات وأحقاد لرأيتها تغلي كغلي المراحل، تحتها نار شديدة الإيقاد، لأنها تمد دائماً بجذب من الشهوات المستعرة والحشرات المضطربة والآلام الموجهة، فهي لا تنطفئ أبداً ولا يخمد لها رماد: وهم قد حبسوا أنفسهم في سجن أبدانهم حتى صارت هذه الأبدان قبوراً لهذه النفوس التي قبرت مع الأبدان، وأرواحهم تعيش في غربة معهم لأنهم عزلوها عن عالمها الأصيل وحرموها غذاءها من الإيمان والمعرفة، وعاشوا لهذه الأجسام يتعبون في تحصيل ما تتطلبه من متع وشهوات، فكدهم دائماً في صيانة هذه الأبدان لا في رضى الرحمن.

والعجيب أنهم هربوا من العبودية التي خلقوا لها، وهي العبودية لله التي تورث صاحبها العز والشرف، فرماهم الله بالعبودية للنفس والشيطان فلا ترض أيها العاقل اللبيب أن تسلك سبيل هؤلاء ولا تختار لنفسك ما اختاروه لأنفسهم من ذل وحرمان، ومن إيثار هذه الدنيا الفانية التي يقول فيها الرسول عليه السلام « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء » فدل هذا على أنها أهون على الله من ذلك الجناح الضعيف الذي لا يقوى على الطيران.

وهي غرارة خداعة تتزين لخطابها حتى إذا أنسوا إليها وظنوا أن قد طاب لهم
وصالها كشرت عن أنيابها وقلبت لهم ظهر المجن وأدبرت عنهم مولية، فهي لا
تقبل إلا لتدبر ولا يتسم إلا للتجهم، ولا تعد إلا لتخلف، وهي دار لا يؤمل
منها الوفاء لعشاقها الذين أغرموا صباة بها، وكيف ينتظر الوفاء ممن طبيعته
الغدر والاختلاف، أي كيف يرجى الصفو ممن هو ممتزج بالأقذاء والأكدار.

فيا عشاق الدنيا وخطابها انتظروا غدرتها بكم ووثبتها عليكم كما فعلت
بعشاقها قبلكم، فلقد سمعتم من أخبار صرعاها الغابرين، ورأيتم من مصائر
قتلاها الكثيرين ما فيه عبرة لكم إن كنتم من المستبصرين.

★ ★ ★

فصل في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

فاسمع إذاً أوصافها وصفات ها تيك المنازل ربة الإحسان
هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفسان
دار السلام وجنة المأوى ومن زل عسكر الإيمان والقرآن
فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي الغفران

الشرح: فإذا كنت مشوقاً إلى معرفة أوصاف تلك الدار التي هي مسكن
الخور الحسان ومستقر الرحمة والرضوان، وأوصاف منازلها وغرفها صاحبة الجمال
والإحسان، فأعلم أنها جنة طيبة قد تمحض طيبها، فلا يلحقها خبث ولا أذى،
وطاب نعيمها فهو باق لا يبديد ولا يفنى، وهو صاف من كل شوب فلا يمازجه
كدر ولا يعرض له عطب ولا عفن، ولا تبلى جدته ولا تذبل نضارته.

ومن أجل أن الجنة طيبة كانت دار الطيبين، فلا يدخلها إلا من صلح وطاب

كما قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣] وكما قال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣١، ٣٢].

وكقوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] وهي تسمى دار السلام لأن أهلها سالمون من كل مكروه لا يمسهم فيها نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن، ولأن تحيتهم فيها السلام، يسلم عليهم ربه، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وتسلم عليهم الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وتسمى أيضاً جنة المأوى كقوله تعالى: ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩] ومعنى المأوى المستقر والمسكن، فهي مأوى الأبرار من عباد الله ومسكن جنده الذين هم عساكر القرآن والإيمان.

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| درجاتها مائة وما بين اثنتي | من فذاك في التحقيق للحسبان |
| مثل الذي بين السماء وبين هذي | الأرض قول الصادق والبرهان |
| لكن عاليها هو الفردوس مسـ | قفوف بعرش الخالق الرحمن |
| وسط الجنان وعلوها فلذاك كا | نت قبة من أحسن البنيان |

منه تفجر سائر الأنهار فالـ ينبوع منه نازل بجنان

الشرح: هذا بيان لدرجات الجنة ومنازلها، وهي من الكثرة والتفاوت بحيث لا يعلم عظمها وتباهيها إلا الله عز وجل قال تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ولها أيضاً من حديث سهل بن سعد: «أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء».

وفي المسند من حديث أبي سعيد يرفعه: «أن في الجنة مائة درجة، ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم».

وفي المسند عنه أيضاً مرفوعاً: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه».

وهذا صريح في أن درجات الجنة أزيد من مائة، وأما تحديدها بمائة كما في الحديث الذي قبله وفي غيره فلعل المراد به كما قال المؤلف في كتابه (حادي الأرواح) أن هذه المائة هي نهاية الدرجات، وفي ضمن كل درجة درجة دونها، أو المراد بها الدرجات الكبار التي تتخللها درج صغار.

وورد أن بين كل درجتين مسيرة مائة عام، وورد خمسمائة عام ولا تناقض بينهما، فإن ذلك محمول على اختلاف السير في السرعة والبطء قاله المؤلف وأعلى

درجات الجنة هو الفردوس، فهو وسط الجنة وأعلاها، وسقفه عرش الرحمن، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة».

وأعلى درجات الفردوس هي الوسيلة التي خص بها نبينا ﷺ، وسميت وسيلة لأنها أقرب الدرجات الى العرش، فهي أقرب الدرجات إلى الله عز وجل روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي».

فصل

في أبواب الجنة

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| أبوابها حق ثمانية أتت | في النص وهي لصاحب الإحسان |
| باب الجهاد وذاك أعلاها وبا | ب الصوم يدعي الباب بالريان |
| ولكل سعي صالح باب ورب | السعي منه داخل بأمان |
| ولسوف يدعى المرء من أبوابها | جمعاً إذا وفى حلى الإيمان |
| منهم أبو بكر هو الصديق ذا | ك خليفة المبعوث بالقرآن |

الشرح: ورد في القرآن ذكر أبواب الجنة من غير نص على عددها. قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠].

وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

ولكن السنة المطهرة بينت أن عددها ثمانية أبواب، وأن أعلاها هو باب الجهاد، ولها باب يقال له الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق، فلا يدخل منه أحد غيرهم. ولكل نوع من الأعمال الصالحة باب يدخل منه أهله المبرزون فيه، وقد يدعى المرء من الأبواب كلها إذا وفى بجميع شعب الإيمان. ومن هؤلاء صديق هذه الأمة وأفضل الناس جميعاً بعد النبيين أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ، فقد جاء في الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب، باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون».

وفيها أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة؟ فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، فقال نعم وأرجو أن تكون منهم».

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

★ ★ ★

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

سبعون عاماً بين كل اثنين من ها قدرت بالعد والحسبان
هذا حديث لقيط المعروف بال خبير الطويل وذا عظيم الشأن
وعليه كل جلالة ومهابة ولكم حواه بعد من عرفان

الشرح: يعني أن المسافة التي تفصل بين كل بابين من أبواب الجنة هي مسيرة سبعين عاماً مقدرة بالعد والحساب كما ورد في حديث لقيط بن عامر الذي رواه الطبراني في معجمه أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ، قال قلت يا رسول الله فما الجنة والنار، قال: « لعمر إلهك أن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينها سبعين عاماً، وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينها سبعين عاماً » .

والحديث طويل وهو عظيم القدر جداً وفيه من أنواع المعرفة ما ينبغي ان يجد كل أحد في تحصيله ، فليرجع اليه من أراد .

★ ★ ★

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب

لكن بينهما مسيرة أربعين من رواه جبر الأمة الشيباني
في مسند بالرفع وهو لمسلم وقف كمرفوع بوجه ثان
ولقد روى تقديره بثلاثة ال أيام لكن عند ذي العرفان
أعني البخاري الرضي هو منكر وحديث راويه فذو نكران

الشرح: أما المسافة بين مصراعي باب الجنة وهما عضاداته، فقد قدرت بمسيرة أربعين سنة في عدة أحاديث بعضها مرفوع وبعضها موقوف، أما المرفوع

فروي الإمام أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قال: سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وله كظيظ ».

وأما الموقف فما رواه مسلم عن خالد بن عمير العدوي قال (خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يصبها صاحبها، وأنكم منقلبون عنها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم، ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وقد روي تقدير المسافة بثلاثة أيام، فعن سالم بن عبدالله عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » رواه عنه أبو نعيم.

وقد اختار المصنف رحمه الله هذا الرأي لأنه مطابق لما جاء في حديث الشفاعة المتفق على صحته عن أبي هريرة من قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى ».

قال المصنف: (فإن الراكب المجد غاية الإجابة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريباً منه) لكن هذا الحديث رغم ذلك أنكره البخاري رحمه الله وقال عن راويه أن أحاديثه مناكير فالله أعلم.

فصل

في مفتاح باب الجنة

هذا وفتح الباب ليس بممكن إلا بمفتاح على أسنان
مفتاحه بشهادة الإخلاص والتو حيد تلك شهادة الإيمان
أسنانه الأعمال وهي شرائع ال إسلام والمفتاح بالأسنان

لا تلغين هذا المثال فكم به من حل اشكال لذي العرفان
الشرح: لكن هذه الأبواب لا تفتح إلا لمن يملك مفتاحها، ولا بد لهذا
المفتاح من أسنان حتى يصلح للفتح، فمفتاح هذه الأبواب هي كلمة التوحيد
وشهادة الإخلاص التي هي لا إله إلا الله.

وأما أسنان هذا المفتاح فهي شرائع الإسلام كلها، من الصلاة والزكاة
والصيام والحج والعمرة والجهاد وبر الوالدين وأداء الأمانة والإحسان إلى الجار
الخ. والمفتاح يكون بأسنانه، فقد ذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه
أنه قيل له: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال بلى ولكن ليس من مفتاح إلا
وله أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك.

وهذا المثال الذي ضربه وهب يجب اعتباره لأن فيه حلاً لمشاكل كثيرة
وردت في بعض الأحاديث، حيث علق دخول الجنة فيها على قول لا إله إلا الله
أو الموت على التوحيد، فيجب أن لا يفهم منها أن لا إله إلا الله بمجردا كافية
في دخول الجنة والنجاة من النار، بل لا بد معها من حقوقها التي هي أسنان
المفتاح.

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها

هذا ومن يدخل فليس بداخل
وكذاك يكتب للفتى لدخوله
إحداها بعد المات وعرض أر
فيقول رب العرش جل جلاله
ذا الاسم في الديوان يكتب ذاك ديد
ديوان عليين أصحاب القرا
فإذا انتهى للجسريوم الحشريع

إلا بتوقيع من الرحمن
من قبل توقيعان مشهوران
واح العباد به على الديان
للكاتين وهم أولو الديوان
وان الجنان مجاور المنان
ن وسنة المبعوث بالقرآن
طى للدخول اذا كتاب ثنان

عنوانه هذا الكتاب من عزيز
 فدعوه يدخل جنة المأوى التي ار
 هذا وقد كتب اسمه مذ كان في ال
 بل قبل ذلك هو وقت القبضتي
 سبحان ذي الجبروت والملكوت وال
 والله أكبر عالم الأسرار وال
 والحمد لله السميع لسائر ال
 وهو الموحد والمسبح والممج
 والأمر من قبل ومن بعد له

ز راحم لفلان ابن فلان
 تفعت ولكن القطوف دوان
 أرحام قبل ولادة الإنسان
 من كلاهما للعدل والإحسان
 إجلال والإكرام والسبحان
 إعلان واللحظات بالأجفان
 أصوات من ستر ومن إعلان
 مد والحميد ومنزل القرآن
 سبحانك اللهم ذا السلطان

الشرح: يعني أن من كان من أهل السعادة وكتب له دخول الجنة، فإنه لا يدخلها حتى يأتي توقيع من الله وإجازة له بالدخول، كما روى الطبراني في المعجم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية ».

وكذلك يكتب له من قبل هذا التوقيع، فهما توقيعان معلومان أحدهما بعد الموت عند عرض روحه على الله عز وجل، فيقول سبحانه للملائكته، اكتبوا كتاب عبدي في عليين. والثاني إذا انتهى إلى الصراط يوم الحشر يعطى لدخول الجنة كتاباً آخر عنوانه ما سبق في حديث الطبراني.

هذا وقد كتب اسمه عند نفخ الروح فيه، وهو لا يزال جنيناً في بطن أمه، حيث يؤمر الملك بأربع كلمات - يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي هو أم سعيد، بل هناك كتب سابقة على ذلك أيضاً، وهو عندما أخرج الله ذرية آدم من صلبه فقبض منها قبضة بيمينه وقال: هؤلاء للجنة وقبض قبضة بشماله وقال: هؤلاء للنار.

روى الامام أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال:

(خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة، فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال أعوذ بالله من عذاب القبر - ثلاث مرات - ثم قال: إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه ملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فجلسوا منه مد بصره، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الحنوط وذلك الكفن، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها - يعني على ملأ من الملائكة - الا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله، فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت. قال فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول له: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء

ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتغرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها: فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأتنت ريح جيفة وجدت على الأرض، فيصعدون بها فلا يميرون بها على ملاً من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتطرح روحه طرحاً. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار: فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول له أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول أنا عمك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة ورواه أبو داود بطوله بنحوه.

فهذا هو التوقيع والمنشور الأول، وأما المنشور الثاني فهو ما ذكرنا من حديث الطبراني.

فصل

في صفوف أهل الجنة

هذا وان صفوفهم عشرون مع مائة وهذى الأمة الثلثان

يرويه عنه بريدة إسناده وله شواهد من حديث أبي هريرة أعني ابن عباس وفي إسناده ولقد أتانا في الصحيح بأنهم إذ قال أرجو أن تكونوا شطرهم أعطاه رب العرش ما يرجو وزا شرط الصحيح بمسند الشيباني رة وابن مسعود وحبر زمان رجل ضعيف غير ذي إتقان شطر وما اللفظان مختلفان هذا رجاء منه للرحمن د من العطاء فعال ذي الإحسان

الشرح: روى الامام أحمد والترمذي بإسناد صحيح عن بريدة بن الحصيب قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً».

ولهذا الحديث شواهد من حديث أبي هريرة الذي رواه عبد الله بن احمد قال: «لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله ﷺ: أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني: تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري.

وله شاهد أيضاً من حديث ابن مسعود عند الطبراني قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: كيف أنتم وثلثها؟ قالوا: ذاك أكثر، قال كيف والشرط لكم؟ قالوا ذاك أكثر، فقال رسول الله: «أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً».

ورواه الطبراني أيضاً عن حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لكن في إسناده خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه.

وورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: اني لأرجو أن تكونوا شطر

أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك : ما المسلمون في الكفار إلا كشجرة بيضاء في ثور
أسود أو كشجرة سوداء في ثور أبيض» .

ولا تنافي بين هذا الحديث وبين ما سبق من كونهم ثلثا أهل الجنة،
لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة، فأعطاه الله سبحانه رجاءه
وزاد عليه سدساً آخر، وفضل الله واسع، وهو سبحانه وتعالى ذو الجود
والإحسان.

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

هذا وأول زمرة فوجوههم كالبدر ليل الست بعد ثمان
السابقون هم وقد كانوا هنا أيضاً أولى سبق إلى الإحسان

الشرح: جاء في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صور القمر
ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يتمخطون فيها ولا يتغوطون فيها، أنبتهم
وأمشطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم
زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا
تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشياً» .

وهؤلاء هم السابقون الذين سبقوا في الدنيا إلى الخيرات وسبقوا في الآخرة
إلى الجنات، فإن سبق هناك على قدر سبق هنا .

فصل

في صفة الزمرة الثانية

والزمرة الأخرى كأضوء كوكب في الأفق تنظره به العينان

أمشاطهم ذهب ورشحهم فمسك خالص يا ذلة الحرمان
الشرح: وأما الجماعة التي تلي هؤلاء المقربين في دخول الجنة، فإن أحدهم يرى كأشد الكواكب إضاءة في أفق السماء، وتكون أمشاطهم من ذهب وعرقهم مسك خالص، فما أعظم هذا النعيم، ويا ذلة من حرمه ولم يظفر به، إن ذلك هو الخسران المبين.

وفي الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخضون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء ». »

★ ★ ★

فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

ويرى الذين بذيلها من فوقهم مثل الكواكب رؤية بعيان ما ذاك مختصاً برسول الله بل لهم وللصديق ذي الإيمان

الشرح: سبق أن روينا ما ورد في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ». »

★ ★ ★

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

هذا وأعلامهم فناظر ربه
لكن أدناهم وما فيهم دني
فهو الذي تلقى مسافة ملكه
فيرى بها أقصاه حقا مثل رؤ
أو ما سمعت بأن آخر أهلها
أضعاف دنيانا جميعا عشر أم

في كل يوم وقته الطرفان
إذ ليس في الجنات من نقصان
بمئيننا ألفان كاملتان
يته لأدناه القريب الداني
يعطيه رب العرش ذو الغفران
شال لها سبحان ذي الإحسان

الشرح: روى الترمذي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية » ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢] وكذا رواه الطبراني في معجمه بلفظ: « إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه » الحديث.

وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: « أن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له ادخل الجنة، فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رب، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب. قال رب فأعلامهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إني لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار جبوا، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل

إليه أنها ملائ، فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائ، فيقول الله له اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملائ، فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملائ، فيقول له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشر أمثالها أو أن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك قال ابن مسعود: لقد رايت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه، قال فكان يقول: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة» فسبحان واسع الفضل والإحسان.

★ ★ ★

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

هذا وسنهم ثلاث مع ثلاثين التي هي قوة الشبان
 وصغيرهم وكبيرهم في ذا على حد سواء ما سوى الولدان
 ولقد روى الخدري أيضاً أنهم أبناء عشر بعدها عشران
 وكلاهما في الترمذي وليس ذا بتناقض بل ها هنا أمران
 حذف الثلاث ونيف بعد العقو د وذكر ذلك عندهم سيان
 عند اتساع في الكلام فعندما يأتوا بتحرير فبالميزان

الشرح: يعني أن أهل الجنة جميعاً على تفاوت أسنانهم في الدنيا يكونون على هذه السن الواحدة التي هي وقت اكتمال الشباب وعنفوانه، وهي ثلاث وثلاثون سنة، ولا يستثنى من ذلك إلا الولدان الذين هم خدم الجنة، فقد جاء في جامع الترمذي من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرماً مرداً مكحليين أبناء ثلاث وثلاثين» وقال هذا حديث حسن غريب وكذلك روى مثله من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرماً مرداً مكحليين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم».

لكن روى الترمذي في جامعه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار ».

قال المؤلف رحمه الله في كتابه حادي الأرواح (فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين تارة يذكرون النيف للتحريير وتارة يحذفونه، وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم) أهـ.

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

والطول طول أبيهم ستون لـ
الطول صح بغير شك في الصحيح
والعرض لم نعرفه في احداها
هذا ولا يخفى التناسب بين هـ
كل على مقدار صاحبه وذا
كن عرضهم سبع بلا نقصان
حين اللذين هما لنا شمسان
لكن رواه أحمد الشيباني
ذا العرض والطول البديع الشان
تقدير متقن صنعة الإنسان

الشرح: يعني أن أهل الجنة يكونون على طول أبيهم آدم ستين ذراعاً في السماء، وهذا أمر مقطوع به لوروده في صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أوثق كتب السنة. وأما العرض فلم يرد فيها، لكن روى أحمد رحمه الله أن عرضهم سبعة أذرع كاملة، ولا يخفى ما بين هذا الطول والعرض من التناسب والإنسجام وأن كلاً منها موافق لصاحبه على التمام، فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقن صنعة الإنسان.

فصل

في لحاهم وألوانهم

ألوانهم بيض وليس لهم لحى جعد الشعور مكحلوا الأجفان
هذا كمال الحسن في أبشارهم وشعورهم وكذلك العينان
الشرح: يعني أن أهل الجنة يدخلونها بيضاً جرداً ليس لهم لحى، جعد
الشعور، في شعورهم تكسر وليست سبطة، مكحلي الأجفان. وهذا هو تمام
الحسن في هذه الأشياء الثلاثة، فتمام الحسن في اللون أن يكون أبيض صافياً،
وتمامه في الشعر أن يكون جعداً، وتمامه في العينين أن تكونا مكتحلتين.
روى الإمام أحمد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:
قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحليين
أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ».

فصل

في لسان أهل الجنة

ولقد أتى أثر بأن لسانهم بالمنطق العربي خير لسان
لكن في إسناده نظراً ففيه -ه راويان وما هما ثبتان
أعني العلاء هو ابن عمرو ثم يحيى يحيى الأشعري وذان مغموزان

الشرح: ولقد ورد أثر بأن أهل الجنة يتكلمون فيها باللسان العربي الفصيح
فإن لغة العرب هي التي أنزل الله بها أفضل كتبه، واختار من العرب أكرم رسله
لأعظم رسالة إلى خلقه، فالأثر معقول المعنى وإن كان في إسناده ضعف لوجود
راويين فيه ليسا بحجة، وهما العلاء بن عمرو ويحيى الأشعري، فإنها مغموران،
أي مطعون فيهما، وفي بعض النسخ مغموران بالراء، أي مجهولان.

روى ابن أبي الدنيا بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول
الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك، على

حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة وعلى لسان محمد ﷺ جرد
مرد مكحلون» .

وروى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: « لسان أهل الجنة
عربي » وقال عقيل قال الزهري: « لسان أهل الجنة عربي » .

★ ★ ★

فصل

في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد

والريح يوجد من مسيرة أربعين
وكذا روى سبعين أيضاً صح هـ
ما في رجالها لنا من مطعن
ولقد أتى تقديره مائة بخم
إن صح هذا فهو أيضاً والذي
أما بحسب المدركين لريحها
أو باختلاف قرارها وعلوها
أو باختلاف السير أيضاً فهو أن
ما بين ألفاظ الرسول تناقض

من وإن تشأ مائة فمرويان
ذا كله وأتى به أئران
والجمع بين الكل ذو إمكان
س ضربها من غير ما نقصان
من قبله في غاية الإمكان
قرباً وبعداً ما هما سيان
أيضاً وذلك واضح التبيان
واع بقدر إطاقاة الإنسان
بل ذاك في الأفهام والأذهان

الشرح: وردت آثار متعددة في مقدار المسافة التي تشم منها رائحة الجنة،
فقد قدرت في بعضها بأربعين خريفاً، وفي بعضها بمائة عام، وفي بعضها بسبعين
وبخمسائة، ونحن نورد ههنا بعض هذه الآثار، ثم نبين ما حاوله المؤلف من
التوفيق بينها .

روى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « من قتل
قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام »
ورواة البخاري في الصحيح بإسناده أيضاً إلى عبد الله بن عمرو قال: « ليوجد
من مسيرة أربعين عاماً » .

وروى الترمذي بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً ».

وروى أبو نعيم بإسناده عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام ».

وكذلك روى أبو داود الطيالسي في مسنده، حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: « من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ».

وأما التوفيق بين هذه الآثار فقد يكون اختلاف المسافة باختلاف المدركين لرائحتها في القرب والبعد، فليسوا كلهم في ذلك بدرجة واحدة أو بحسب قرارها الذي هو أرضها وعلوها، وهي كما ذكرنا درجات كثيرة بعضها فوق بعض فبعضها يشم من مسيرة أربعين، وبعضها من مسيرة سبعين الخ.

أو يكون اختلاف المسافات راجعاً إلى اختلاف السير في السرعة والبطء، فتكون الأربعون بالنسبة للجواد الراكض مثلاً، والسبعون بالنسبة لما هو دونه وهكذا. والحاصل أنه لا تناقض أصلاً بين ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما التناقض حاصل في الأفهام بحسب إدراكها لما يقصده من الكلام.

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

ونظير هذا سبق أهل الفقر للمائة بجمس ضربها أو أربعين فابو هريرة قد روى أولاهما هذا بحسب تفاوت الفقراء في اسـ جنات في تقديره أئران من كلاهما في ذاك محفوظان وروى لنا الثاني صحابييان تحقاق سبقهم إلى الإحسان

أو ذا بحسب تفاوت في الأغنيا
 هذا وأولهم دخولاً خير خلد
 والأنبياء على مراتبهم من الت
 هذا وأمة أحد سباق با
 وأحقهم بالسبق أسبقهم إلى ال
 وكذا أبو بكر هو الصديق أس
 ء كلاهما لا شك موجودان
 ق الله من قد خُصَّ بالقرآن
 فضيل تلك مواهب المنان
 قي الخلق عند دخولهم بجنان
 إسلام والتصديق بالقرآن
 بقهم دخولاً قول ذي البرهان

الشرح: وشبهه هذا التفاوت في تقدير المسافة التي تنشق منها رائحة الجنة واختلاف الآثار فيها، تفاوت المدة التي يسبق بها الفقراء الأغنياء إلى دخول الجنة فقد ورد تقديرها بخمسمائة عام، وورد تقديرها بأربعين خريفاً، وكلها آثار محفوظة معلومة .

روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام » وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورجال اسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً » .

وكذلك روى الترمذي عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: « يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائها بأربعين خريفاً » . وحينئذ يقال أن الذي في الصحيح أن الفقراء يسبقون بأربعين خريفاً، فيجب التعويل عليه أو نوفق بين هذه الآثار كما وفقنا من قبل فنقول: إن مدة السبق تختلف بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مكث العصاة من الموحددين في النار بحسب أحوالهم والله أعلم .

هذا وأول الناس دخولاً الجنة على الاطلاق هو رسولنا عليه الصلاة والسلام فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال:

« أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يقرع باب الجنة » .

وله كذلك عن أنس : « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح ، فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بلى أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » .

وروى الترمذي كذلك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا ، وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون » .

ثم الأنبياء بعد ذلك على درجاتهم في الفضل كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [الإسراء : ٥٥] وقال : ﴿ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٢١] . ثم أمة محمد ﷺ هي أول الأمم دخولاً الجنة . ففي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن السابقون الأولون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم »

وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » .

وأما أول هذه الأمة دخولاً الجنة فهو صديقها وأفضل الناس بعد النبيين أبو بكر رضي الله عنه ، فقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ، فقال أبو بكر : يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه ، فقال رسول الله ﷺ : « أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي » .

★ ★ ★

وروى ابن ماجة أن أولهم يصا
ويكون أولهم دخولا جنة الـ
فاروق دين الله ناصر قوله
لكنه أثر ضعيف فيه مجـ
لو صلح كان عمومه المخصوص بالصـ
هذا وأولهم دخولاً فهو حـ
إن كان في السراء أصبح حامداً
هذا الذي هو عارف بإلهه
وكذا الشهيد فسبقه متيقن
وكذلك الملوك حين يقوم بالـ
وكذا فقير ذو عيال ليس بالـ

فحه إله العرش ذو الإحسان
فردوس ذلك قامع الكفران
ورسوله وشرائع الإيمان
روح يسمى خالداً ببيان
ديق قطعاً غير ذي نكران
ساد على الحالات للرحمن
أو كان في الضرا فحمد ثان
وصفائه وكماله الرباني
وهو الجدير بذلك الإحسان
حقين سباق بغير توان
ملحاح بل ذو غفة وصيان

الشرح: وأما الحديث الذي رواه ابن ماجة في سننه عن سعيد بن المسيب عن
أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: « أول من يصفحه الحق عمر، وأول من
يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » فهو حديث شديد النكارة. قال
الإمام أحمد: داود بن عطاء ليس بشيء، ولو سلم فعمومه مخصوص بالصديق
قطعاً، فيكون المراد أن عمر أول من يدخل من هذه الأمة بعد صديقها فهي
أولية نسبية. هذا وقد وردت آثار بسبق بعض الطوائف من هذه الأمة إلى الجنة،
فمنهم الحمادون الذين يكثرون حمد الله عز وجل في جميع الحالات، من عسر
ويسر، ومنشط ومكره، لا يفترون عن حمده والثناء عليه.

روى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال، قال رسول الله ﷺ: « أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة
الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » فهؤلاء هم الذين كملت
معرفتهم بالله عز وجل وصفات كماله فلهجوا بحمده، ومنهم كذلك ما رواه
الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « عرض عليّ أول ثلاثة

من أيمتي يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة، فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأمر مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله من ماله وفقير فخور».

فصل

في عدد الجنات وأجناسها

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة
 ذهبتان بكل ما حوتاه من
 وكذلك أيضاً فضة ثنتان من
 لكن دار الخلد والمأوى وعد
 أوصافها استدعت اضافتها إلي
 لكنما الفردوس أعلاها وأو
 أعلاه منزلة لأعلى الخلق من
 وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة
 جدا ولكن أصلها نوعان
 حلى وأنية ومن بنيان
 حلى وبنيان وكل أوان
 ن والسلام اضافة لمعان
 ها مدحة مع غاية التبيان
 سطها مساكن صفوة الرحمن
 زلة هو المبعوث بالقرآن
 خلصت له فضلا من الرحمن

الشرح: والجنة إذا أفردت فإنما يراد بها اسم الجنس الذي يندرج تحته ما لا يحصى من الجنات الخاصة، ولكنها مع كثرتها ترجع إلى أصلين، أولهما جنتان ذهبتان بكل ما اشتملتا عليه من آنية وحلى وقصور، والثاني جنتان فضيتان كذلك بكل ما احتوتاه من حلى وآنية وبنيان.

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء، وهي أم حارثة بن سراقه، أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر، أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وأن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». وفي الصحيحين من حديث أبي موسى

الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: « جنتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيها، وجنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ».

وأما تسمية الجنة بدار الخلد والمأوى والسلام وعدن والحيوان والمقامة ونحوها، فهي ليست أسماء لجنات مختلفة، ولكنها أسماء الجنة باعتبار صفاتها، فالإضافة فيها من قبيل إضافة الموصوف لصفته، فالمسمى واحد باعتبار الذات، وهي من هذا الوجه مترادفة، ولكنها تتغير بتغير الصفات، فتكون من هذا الوجه متباينة، وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى وأسماء كتبه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار ونحو ذلك.

والفردوس هو أعلى الجنة ووسطها، وهي مساكن الصفوة المختارة من خلق الله من النبيين والصديقين والشهداء.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ».

وروى الطبراني في معجمه بسنده إلى أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم تره عين أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر ». وأعلى منزلة في الفردوس هي الوسيلة التي خص الله بها نبينا ﷺ

الذي هو أعلى الخلق منزلة، فهي خالصة له من دون الناس فضلاً من الله عز وجل على حبيبه وأكرم خلقه.

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: « إذا سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ، فإن من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو. »

★ ★ ★

ولقد أتى في سورة الرحمن تفصيل الجنان مفصلاً ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان ثم يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السياق وجدتها فيه تلوح لمن له عينان

الشرح: ولقد أتى في سورة الرحمن تفصيل للجنان في غاية البيان، فذكر الآيات أنها أربع جنان، منها جنتان فاضلتان، وهما المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ * تَجْرِيَانِ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَكَيِّفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ * وَجَنَّتِ الْجَنَّتَيْنِ * دَانِ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ * لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبَهُنَّ * إِنْسٌ * قَبْلَهُمْ * وَلَا جَانٌ * فِيهَا آيَاتٌ * رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [٥٨، ٤٦] فهاتان الجنتان قد فصلتا على الآخرين بعشرة أوجه يصعب ذكرها في النظم، ولكنها لا تخفى على المتأمل في سياق الآيات، وهاتان الجنتان هما المخصوصتان بالمقربين. وأما الأخريان المفضولتان فهما لأصحاب اليمين، فالأوليان من ذهب والثانيتان من فضة.

★ ★ ★

سبحان من غرست يدها جنه ال
ويداه أيضاً أتقنت لبنائها
هي في الجنان كآدم وكلاهما
لكنما الجهمي ليس لديه من
ولد عقوق عوق والده ولم
فكلاهما تأثير قدرته وتأ
آلاهما أو نعمتهاه وخلقه

فردوس عند تكامل البنيان
فتبارك الرحمن أعظم بان
تفضيله من أجل هذا الشأن
ذا الفضل شيء فهو ذو نكران
يثبت بذنا فضلا على شيطان
ثير المشيئة ليس ثم يدان
كل بنعمة ربه المنان

الشرح: ورد في بعض الآثار أن الله عز وجل غرس الفردوس بيده بعد أن
تم بناؤها، وأنه سبحانه بناها فأحسن البناء وجعلها في غاية الجمال والبهاء، فقد
روى الحسن بن سفيان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله
بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر ».

وروى الدارمي من حديث عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ :
« خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس
بيده، ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث » قال ابن القيم:
المحفوظ أنه موقوف. وذكر الحاكم عن مجاهد قال: « إن الله تعالى غرس جنات
عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت، فهي تفتح في كل سحر فينظر الله إليها فتقول
قد أفلح المؤمنون ».

وبهذا فصلت جنة عدن على سائر الجنات، كما فضل به آدم على سائر البشر،
لكن الجهمي الذي ينكر أن يكون لله يد يخلق بها ما يشاء لا يعترف بهذا الفضل
لأبيه آدم، بل ينكره غاية الإنكار، فهو ولد عاق يجحد فضل أبيه وخصوصيته
ويرى أنه لا فضل له على الشيطان، لأن كلا منهما مخلوق بقدره الله ومشيئته،
وليس هناك يدان أمتاز آدم على غيره بأنه خلق بهما، بل يفسر اليدين بالقدرة
أو النعمة أو نحوهما، ولو تأمل الجهمي قوله تعالى لإبليس حين امتنع من السجود
لآدم عليه السلام: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص: ٧٥]

لاستحيا من نفسه وأدرك أن سر الأمر بالسجود لآدم هو تلك الخصوصية التي أمتاز بها ، ولو كان آدم مخلوقاً بمجرد القدرة والمشية ، وأن اليدين هنا بمعنى القدرة لكان إبليس أعلم من هذا الجهمي بما يجب به حيث يقول : « وأنا أيضاً خلقتني بيديك ، فأني خصوية لآدم علي » .

★ ★ ★

لما قضى رب العباد العرش قـا
 قد أفلح العبد الذي هو مؤمن
 ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذا
 يهتز قلب العبد عند سماعه
 ما مثله أبداً يقال برأيه
 فيه النزول ثلاث ساعات فاحـ
 يحو ويثبت ما يشاء بحكمة
 فترى الفتى يمسي على حال ويصـ
 هو نائم واموره قد دبـرت
 والساعة الأخرى إلى عدن مسا
 الرسل ثم الأنبياء ومعهم الصـ
 فيها الذي والله لا عين رأت
 كلا ولا قلب به خطر المشا
 والساعة الأخرى إلى هذي السما
 أو داع أو مستغفر أو سائل
 حتى يصلى الفجر يشهدا مع الـ
 هذا الحديث بطوله وسياقه

ل تكلمي فتكلمت ببيان
 ماذا أذخرت له من الإحسان
 ك عوير أثراً عظيم الشأن
 طرباً بقدر حلاوة الإيمان
 أو كان يا أهلاً بذا العرفان
 داهن ينظر في الكتاب الثاني
 وبعزة وبرحة وحنان
 بح في سواها ما هما مثلان
 ليلا ولا يدري بذاك الشأن
 كن أهله هم صفوة الرحمن
 ديق حسب فلا تكن ببيان
 كلا ولا سمعت به الأذنان
 ل له تعالى الله ذو السلطان
 ء يقول هل من تائب ندمان
 أعطيه اني واسم الإحسان
 أملاك تلك شهادة القرآن
 وتمامه في سنة الطبراني

الشرح : ذكر البيهقي من حديث البغوي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال :
 قال رسول الله ﷺ : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ،

وغرس عرشها بيده وقال لها تكلمي ، فقالت قد أفلح المؤمنون ، فقال طوبى لك منزل الملوك .

وأما حديث أبي الدرداء فقد سبقت الإشارة إليه ، وهو أثر عظيم يطرب له قلب المؤمن ، ومثل هذا لا يقال بالرأي ، بل لا بد أن يكون أبو الدرداء سمعه من رسول الله ﷺ وهو من علماء الصحابة الأجلاء . وفي هذا الحديث يخبر الرسول ﷺ عن ربه عز وجل أنه ينزل لآخر ثلاث ساعات بقين من الليل ، وأنه في الساعة الأولى ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ويثبت ، ولهذا ترى المرء يبیت على حال ويصبح على أخرى مخالفة لها ، فيكون نائماً وأموره تدبر من حيث لا يدري ولا يشعر ، فسبحانه من كل يوم هو في شأن ، وفي الساعة الثانية ينظر في جنة عدن التي هي مسكنه ومسكن خواص خلقه من الرسل والأنبياء والصدیقین ، حيث أعد لهم فيها ما لم يخطر مثاله بقلب أحد وأما في الساعة الثالثة فينزل إلى خلقه يبسط لهم يد رحمة وعفوه حتى تصلى الفجر التي يشهدها الله وملائكته ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

★ ★ ●

فصل

في بناء الجنة

وبناؤها اللبنيات من ذهب وأخرى فضة نوعان مختلفان وقصورها من لؤلؤ وزبرجد أو فضة أو خالص العقيان وكذلك من در وياقوت به ونظم البناء بغاية الانتقان والطين مسك خالص أو زعفران ن جابذا أثيران مقبولان ليسا بمختلفين لا تنكرها فيها الملاط لذلك البنيان الشرح: روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: (قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقتنا أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد. قال: لو بقيتم في كل حال على الحال التي أنتم عليها

عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذبوا لجاؤ الله
 بقوم يذنبون كي يغفر لهم، قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟
 قال لبنة ذهب، لبنة فضة وملاطها المسك وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتراها
 الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى
 شبابه).

وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: (سئل
 رسول الله ﷺ عن الجنة فقال: من يدخل الجنة يحيا لا يموت، وينعم لا يبأس
 لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، قيل يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال لبنة من ذهب
 ولبنة من فضة وملاطها مسك أذفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتراها
 الزعفران) هكذا جاء في هذه الأحاديث أن تراها الزعفران، وقد ورد في
 بعضها أن تراها المسك، ولا تعارض بينها إذ يجوز أن تكون تربتها متضمنة
 للنوعين. كما قال بعض السلف: ويجوز أن يكون التراب من زعفران، فإذا عجن
 بالماء صار مسكاً، والطين قد يسمى تراباً، ويحتمل أن يكون زعفراناً باعتبار
 اللون - ومسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون البهجة والإشراق
 لون الزعفران والرائحة رائحة المسك. وكذلك ورد تشبيهها بالدرمكة، وهي
 الخبزة الصافية التي يضرب لونها إلى الصفرة مع لينها ونعومتها.

فصل

في أرضها وحصانها وتربها

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| والأرض مرمرة كخالص فضة | مثل المرات تناله العينان |
| في مسلم تشبيهها بالدرمك الص | افي وبالمسك العظيم الشان |
| هذا لحسن اللون لكن ذا لطية | ب الريح صار هناك تشبيهان |
| حصاؤها در وياقوت كذا | ك لآلء نثرت كنشر جان |
| وتراها من زعفران أو من الم | سك الذي ما استل من غزلان |

الشرح: سئل ابن عباس رضي الله عنهما: ما أرض الجنة؟ فقال: (مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قيل له فما نورها؟ قال: أما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس؟ فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زهير). وكذلك روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلق الله الجنة بيضاء وأحب الزي إلى الله البياض، فليلبسه أحياءكم وكفنوا فيه موتاكم» وفي سنن ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا هل من مشمر للجنة، فإن الجنة لا حظر لها، هي ورب الكعبة نور يتلأأ وريحانه تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة ومقام في أيد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة، ونعمة في محلة عالية بهية قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها، قال قولوا إن شاء الله، قال القوم إن شاء الله.»

★ ★ ★

فصل

في صفة غرفاتها

غرفاتها في الجو ينظر بطنها من ظهرها والظهر من بطنان
سكانها أهل القيام مع الصيام م وطيب الكلمات والإحسان
ثنتان خالص حقه سبحانه وعبيده أيضاً لهم ثنتان

الشرح: قال الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠] وقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥] والغرفة هنا اسم جنس كالجنة وهي المنازل العالية.

روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام اعراي فقال: يا رسول الله لمن هي؟ قال: لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام.»

وروى البيهقي من حديث حفص بن عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي

رباح عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «ان في الجنة لغرفا، فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام، وواصل الصيام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام وصلى والناس نيام».

فهؤلاء هم سكان هذه الغرف، لأنهم قاموا بحق الله وحق عباده، فثنتان من هذه الخصال هما خالص حقه سبحانه، وهما أداء الصيام، والصلاة بالليل والناس نيام، وثنتان من حقوق العباد، وهما افشاء السلام وإطعام الطعام.

فصل

في خيام أهل الجنة

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| للعبد فيها خيمة من لؤلؤ | قد جوفت هي صنعة الرحمن |
| ستون ميلاً طولها في الجو في | كل الزوايا أجل النسوان |
| يغشى الجميع فلا يشاهد بعضهم | بعضاً وهذا لاتساع مكان |
| فيها مقاصير بها الأبواب من | ذهب ودر زين بالمرجان |
| وخيامها منصوبة برياضها | وشواطىء الأنهار ذي الجريان |
| ما في الخيام سوى التي لو قابلت | للتيرين لقلت منكسفان |
| لله هاتيك الخيام فكم بها | للقلب من علق ومن أشجان |
| فيهن حور قاصرات الطرف خيـ | رات حسان من خير حسان |
| خيرات أخلاق حسان أوجها | فالحسن والإحسان متفقان |

الشرح: يعني أن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوف قد صنعها له أحسن الخالقين، وأن طول هذه الخيمة ستون ميلاً، وفي كل ركن من أركانها زوجة له من أجل النساء، فيجتمع كل واحدة منهن من غير أن يرى بعضهن بعضاً، وذلك لتباعد ما بينهن.

وهذه الخيام فيها مقاصير بها أبواب مصنوعة من ذهب ودر مزين بالمرجان،

وهي غير الغرف والقصور، بل هي خيام في البساتين وعلى شواطئ الأنهار، في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: « إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً ».

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى عبد الله بن مسعود قال: (لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، وليس في هذه الخيام سوى الحور العين التي لو التقت احداهن بالشمس والقمر لأزرت بنورها ولحلت أنها منكسفات فله هاتيك الخيام كم للقلوب بها من تعلق وميل وم بها من غرام وأشجان.

فيهن قاصرات الطرف فلا ينظرن إلى غير أزواجهن وهن خيرات حسان خيرات أخلاقاً وحسان وجوهاً، كمل منهن الظاهر والباطن والخلق والخلق فاتفق لهما الحسن والجمال مع الإحسان وكرم الخلال).

فصل في أرائكها وسررها

فيها الأرائك وهي من سرر عليهن الحجال كثيرة الألوان لا تستحق اسم الأرائك دونها تيك الحجال وذاك وضع لسان بشخانة يدعونها بلسان فارس وهو ظهر البيت ذي الأركان

الشرح: الأرائك جمع أريكة. قال مجاهد عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: ٣١] لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإذا كان السرير بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فإذا اجتمعا كانت أريكة.

وقال الليث: الأريكة سرير حجلة، فالحجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك،

والحجلة هي البشخانة التي تعلق فوق السرير بلغة فارس ، وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة: وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها ، والله أعلم .

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

أشجارها نوعان منها ما له كالسدر أصل النبق مخضود مكا هذا وظل السدر من خير الظلال وثماره أيضاً ذوات منافع والطلع وهو الموز منضود كما أو أنه شجر البوادي موقرا وكذلك الرمان والأعناب التي منها القطبوف دوان

في هذه الدنيا مثقال ذان ن الشوك من ثمر ذوي ألوان ل ونفعه الترويح للأبدان من بعضها تفريح ذي الأحزان نضدت يد باصابع وبنان حلا مكان الشوك في الأغصان

الشرح: يعني أن أشجار الجنة نوعان: نوع له شبيه في هذه الدنيا ، وذلك كالسدر الذي هو شجر النبق . كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧ ، ٢٨] ومعنى مخضود . قال قتادة: الموقر الذي لا شوك ، فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر ، وفي الآخرة بالعكس من هذا ، لا شوك فيه ، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله .

روى الحافظ أبو بكر أحمد بن سليمان النجار عن عامر بن سليم قال : (كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون أن الله لينفعا بالأعراب ومسائلهم ، قال : أقبل أعرابي يوماً فقال : يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ، فقال رسول الله ﷺ : ما هي ؟ قال السدر فإن لو شوكت مؤذياً ، فقال رسول الله ﷺ : أليس الله تعالى يقول : ﴿ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ خضد الله شوكة فجعل

مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً ففتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما فيه لون يشبه الآخر).

هذا ومن فوائد السدر أن ظلاله من خير الظلال وأنفعها وأشدّها ترويحاً للأبدان كما أن الأكل من ثمرته يجلب الفرح ويذهب الأحزان.

ومنها أيضاً الطلح، وهو شجر الموز، قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] يعني نضد ثمره وتراكم فتراه في سباطته، كما نضدت الأصابع والبنان في الكف، وتفسير الطلح بالموز هو المعروف عن أبي سعيد وابن عباس وأبي هريرة وعكرمة ومجاهد وغيرهم وقيل هو شجر عظام من شجر العضاة واحدته طلحة، وهو شجر كثير الشوك، فيجعل الله مكان كل شوكة منها ثمرة فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون منها الآخر كما ورد في الحديث.

وكان علي رضي الله عنه يقرأ: ﴿فِي طَلْعٍ مَنْضُودٍ﴾ فعلى هذا يحتمل أن يكون صفة أخرى لسدر. ومنها أيضاً الرمان والنخيل والأعناب التي دنت قطفها وتدلّت ثمرتها لآكلها. قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] وقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣١، ٣٢].

★ ★ ★

هذا ونوع ما له في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان من كل فاكهة بها زوجان تلتف الطعوم فذاك ذو ألوان تلتف الطعوم فذاك قول ثان فالفحل منه ليس ذا ثيان في اسم ولون ليس يختلفان أمر سوى هذا الذي تجدان وتلذها من قبله العينان عليا سوى أسماء ما تريان وكلاهما في الاسم متفقان هذا ونوع ما له في هذه الدنيا يكفي من التعداد قول الهنا وأتوا به متشابهاً في اللون مخ أو أنه متشابه في الاسم مخ أو أنه وسط خيار كله أو أنه لثارنا ذي مشبه لكن لبهجتها ولذة طعمها فيلذها في الأكل عند منالها قال ابن عباس وما بالجنة ال يعني الحقائق لا تماثل هذه

الشرح: وأما النوع الثاني من أشجار الجنة فليس له نظير في هذه الدنيا تراه العيون وهو كثير جداً، لكن يكفي من عده قول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٌ ﴾ [الرحمن: ٥٢] ويؤتى أهل الجنة بالثمر متشابهاً، كما قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة: ٢٥].

واختلف فيم يكون التشابه؟ فقليل يكون متشابهاً في اللون مع اختلاف الطعوم قال بهذا طائفة منهم ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وغيرهم. قال يحيى بن أبي كثير (عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها، فيقولون هذا الذي جئتمونا به آنفاً، فيقول لهم الخدم: كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف)، وقيل إن التشابه في الأسماء مع اختلاف الطعم، ولا أدري من قال بهذا.

وقيل معنى (متشابهاً) أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن، فهو خيار كله لا رذل فيه. قال بذلك الحسن وقتادة وابن جريح وغيرهم، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل.

وقالت طائفة أخرى: إن معنى الآية أن ثمر الجنة يشبه ثمر الدنيا في الاسم واللون، ولكنه أبهج منه منظرًا وألذ طعمًا، فأكلها يلتذ بها عند تناولها أعظم لذة ومن قبل ذلك تلتذ عيناه بحسن مرآها. قال ابن وهب قال عبد الرحمن بن زيد (يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا، التفاح بالتفاح والرمان بالرمان، وليس هو مثله في الطعم). وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء) ومعنى هذا أن الحقائق مختلفة غير متماثلة، فليس النخل كالنخل ولا الرمان كالرمان ولا اللبن كاللبن ولا العسل كالعسل وغير ذلك، ولكن الأسماء متفقة، ولكن يجب أن يكون هناك قدر مشترك بينهما يصحح إطلاق الأسماء على كل منهما كما سيأتي.

★ ★ ★

يا طيب هاتيك الثمار وغرسها
وكذلك الماء الذي يسقى به
وإذا تناولت الثمار أتت نظيفة
لم تنقطع أبداً ولم ترقب نزو
وكذلك لم تمنع ولم تحتج إلى
بل ذلت القطوف فكيف ما
ولقد أتى أثر بأن الساق من
قال ابن عباس وهاتيك الجذو
ومقطعاتهم من الكرم الذي
وثمارها ما فيه من عجم كأم
وظلالها معدودة ليست تقى
أو ما سمعت بظل أصل واحد
مائة سنين قدرت لا تنقضي
ولقد روى الخدري أيضاً أن طو
تفتح الأكمام فيها عن لبا

في المسك ذاك الترب للبستان
يا طيب ذاك الورد للظآن
رتها فحلت دونها بمكان
ل الشمس من حمل إلى ميزان
أن ترتقي للقنو في العيدان
شئت انتزعت بأسهل الإمكان
ذهب رواه الترمذي ببيان
ع زمرد من أحسن الألوان
فيها ومن سعة من العقيان
شال القلال فجلى دو الإحسان
حرا ولا شمساً وأنى ذان
فيه يسير الراكب العجلان
هذا العظيم الأصل والأفنان
بي قدرها مائة بلا نقصان
سهم بما شاءوا من الألوان

الشرح: فما أطيب هذه الثمار التي غرست أشجارها في أرض المسك الذي هو
تراب الجنة، ثم سقيت بماء هو أظهر ماء وأنقاه، وأعذب مورد للظامىء الصادي
وأحلاه.

وهذه الثمار إذا تناولت منها ثمرة خلق الله مكانها أخرى، فثمارها لا تنقطع
أبداً، بل هي متجددة دائماً، وهي توجد حين توجد نضيجة مهيأة للقطاف، فلا
تنتظر نزول الشمس من برج الحمل إلى برج الميزان الذي هو أوان نضوج ثمار
الدنيا.

وهي أيضاً غير ممنوعة على من أراد تناولها، فلا يحتاج أن يصعد إلى قنواتها
ليقطفها، كما هو الحال في الدنيا، بل هي قطوف مذلة منقادة ودانية قريبة

يقطف منها كيف شاء ، قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً ، وينتزعها بأيسر قدرة ولقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : « ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب » .

وقال ابن المبارك حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكرهها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة لأهل أجنة ، منها مقطعاتهم وحللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى مذاقاً من العسل وألين من الزبدة ليس فيها عجم) .

وأما ظلال الجنة فضليلة ممدودة لكنها لا تحمي من حر ولا شمس ، إذ لا حر ولا شمس هناك . قال تعالى : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٣] .

روى عكرمة عن ابن عباس قال : (الظل المدودة شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها ، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها ، قال فيشتهي بعضهم ويذكر هو الدنيا ، فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل هو كان في الدنيا) .

وروى ابن وهب عن أبي سعيد الخدري قال : (قال رجل يا رسول الله ما طوبى ؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ، ثياب أهل الجنة تخرج من اكمامها) .

فصل

في سماع أهل الجنة

قال ابن عباس ويرسل ربنا
فتثير أصواتاً تلذ لمسمع الإ
يا لذة الأسع لا تتعوضى
أو ما سمعت سماعهم فيها غنا
ريحا تهز ذوائب الأغصان
نسان كالنغمت بالأوزان
بلذاذة الأوتار والعيان
ء الحور بالأصوات والألحان

واهأ لذيتاك السماع فإنه
 واهأ لذيتاك السماع وطيبه
 واهأ لذيتاك السماع فكم به
 واهأ لذيتاك السماع ولم أقل
 ما ظن سامعه بصوت أطيّب الـ
 نحن النواعم والخوالد خيرا
 لسنا نموت ولا نخاف وما لنا
 طوبى لمن كنا له وكذلك طو
 في ذاك آثار روين وذكرها
 ورواه يحيى شيخ الأوزاعي تف

ملئت به الأذنان بالإحسان
 من مثل أقمار على أغصان
 للقلب من طرب ومن أشجان
 ذيتاك تصغيراً له بلسان
 أصوات من حور الجنان حسان
 ت كاملات الحسن والإحسان
 سخط ولا ضغن من الأضغان
 بى للذي هو حظنا لفظان
 في الترمذي ومعجم الطبراني
 سيرا للفظة يجرون أغان

الشرح: سبق أن ذكرنا الأثر الذي رواه عكرمة عن ابن عباس أن أهل الجنة حين يشتهون السماع ويذكرون هو الدنيا وهم تحت شجرة طوبى يرسل الله إليهم ريحاً تهز أفنان الشجرة فتنتلق منها أنغام وأصوات هي الذ في السمع من كل أنغام الدنيا وألحانها .

فيا لذة الأسماع لا تستعصى عن هذا السماع العالي الحلو النشيد بما تسمعين في هذه الدنيا من أوتار وعيدان ، ولا تستبدلي الذي هو أدنى بالذي هو خير . ولقد وردت الآثار أيضاً بأن الحور العين يغنين في كل صباح بأعذب الألحان . روى الترمذي بإسناده عن النعمان بن سعد عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلهما ، يقلن : نحن الخالديات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له . »

وروى الطبراني من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، وأن مما يغنين به : نحن الخيِّرات الحسان أزواج قوم كرام . ينظرون بعشرة أعين ، وأن مما يغنين

به: نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمات فلا نخفنه، نحن المقيات فلا نضعنه». وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح فيصطفقن، فما سمع السامعون بصوت شيء قط أذ منه». وروى الأوزاعي عن شيخه يحيى بن أبي كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] قال الخبر السماع في الجنة.

فوالهفتا على ذلك السماع التي تمتلىء منه الآذان لذة ونشوة، ووالهفتا لذلك السماع وطيبه حين تنطلق به حناجر الحور الخيرية وتمايل عنده رؤوسهن كأنها أقمار على أغصان، ووالهفتا لذلك السماع الذي ملأ القلوب طرباً وشجناً، ولم أقل بذيالك بصيغة التصغير تحقيراً له وتهويناً من شأنه، فما ظنك بأطيب صوت في أعذب لحن يخرج من أجمل امرأة، لا شك أنه قد اجتمعت له كل عناصر اللذة والامتاع.

★ ★ ★

نزه سماعك إن أردت سماع ذبي
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتح
إن اختيارك للسمع النازل ال
والله أن سماعهم في القلب وال
والله ما انفك الذي هو دأبه
فلقلب بيت الرب جل جلاله
فإذا تعلق بالسمع اصاره
حب الكتاب وحب ألحان الغنا
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا
واللهو خف عليهم لما رأوا
قوت النفوس وانما القرآن قو

ك الغنا عن هذه الألحان
رم ذا وذا يا ذلة الحرمان
أدنى على الأعلى من النقصان
إيمان مثل السم في الأبدان
أبدأً من الإشراك بالرحمن
حبا واخلاصاً مع الإحسان
عبدا لكل فلانة وفلان
في قلب عبد ليس يجتمعان
تقييده بشرائع الإيمان
ما فيه من طرب ومن ألحان
ت القلب أنى يستوي القوتان

ولذا تراه حظ ذي النقصان كال
وألذهم فيه أقلهم من العقل
جهال والصبيان والنسوان
الصحيح فسل أخوا العرفان
يا لذة الفساق لست كلذة الـ
أبرار في عقل ولا قرآن

الشرح: فإن أردت أن تحظى بسماع ذلك الغناء العلوي العبقري النشيد فنزه سمعك عن هذه الألحان الدنسة المنطلقة بسعار الشهوة، ولا تؤثر هذا الأدنى الخسيس على الأعلى الشريف النفيس. فيكون مآلك أن تحرمها جميعاً، وما أقسى الحرمان وما أصعبه. وأن إثارك هذا السماع الدني المنحط على السماع العلوي الكريم من أمارات نقصانك في عقلك وإيمانك، فكيف يؤثر عاقل لذة حقيرة تفوت وتذهب على لذة عالية تبقى وتخلد؟

ووالله أن سماع هذه الألحان لأشد فتكاً بالقلب والإيمان من فتك السموم بالأبدان، وأن الذي يجعل هذا السماع ديدنه وهجيره ويغرم به لا ينفك أبداً من الإشراف بالرحمن، فإن القلب هو بيت الرب جل جلاله ووعاء محبته ومعرفته والإخلاص له، فهو عرش للمثل الأعلى، فإذا خلا من هذه المعالي الكريمة وتعلق بالغناء واللغو الباطل، جعله ذلك عبداً للمغنين والمغنيات لا يلهج إلا بذكرهم، ولا يفكر إلا فيهم، واعتبر بما نراه في هذه الأيام من تعلق هذه الأمة بمن نبغوا في الغناء والطرب، من أمثال أم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وصباح وغيرهم، فإنك لا تجد أغلب هذه الأمة إلا عبيداً لهؤلاء، قد فتنوا بهم أعظم فتنة، حتى أن الفتيان والفتيات يحفظون أغانيهم عن ظهر قلب، وكثير منهم قد لا يحفظ فاتحة الكتاب. فحب القرآن وحب الغناء والألحان في قلب عبد واحد لا يجتمعان. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنِيَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا، فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦، ٧] والناس قد استثقلوا القرآن لما فيه من قيود التكاليف وشرائع الإيمان، ولكنهم استخفوا اللغو والغناء لما فيه من الطرب والألحان.

أما هذا اللهو والغناء فهو غذاء النفوس المريضة الأمانة بالسوء ، ولكن القرآن هو قوت القلوب ، ولا يمكن أن يستوي القوتان . ولهذا ترى الغناء هو نصيب أهل النقص القريبين من درجة العجاوات من الجهال والغلمان والنسوان وترى أشدهم تعلقاً به ولذة فيه أقلهم حظاً من العقل السليم فاسأل به خبيراً . وأين لذة الفساق والمجان من لذة الأبرار في العقل والقرآن .

★ ★ ★

فصل

في أنهار الجنة

أنهارها في غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان
من تحتهم تجري كما شاءوا مفجدة وما للنهر من نقصان
عسل مصفى ثم ماء ثم خمير ثم أنهار من الألبان
والله ما تلك المواد كهذه لكن هما في اللفظ مجتمعان
هذا وبينهما يسير تشابه وهو اشتراك قام بالأذهان

الشرح: يعني أن أنهار الجنة تجري على وجه الأرض في غير أخاديد ، وأما قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [البقرة: ٢٥] فالمراد أنها تجري تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم ، والله سبحانه يمسكها أن تفيض على الجانيين ، وهي أنهار مطردة دائمة الجريان لا يطرأ لها غيظ ولا نقصان ، وتتفجر لهم كما شاءوا وأينما كانوا ، كما قال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٦] .

وهي أنهار تجري بأنواع مختلفة من الأشربة ، كما قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥] وليست هذه الأشربة كالمعهود منها في الدنيا ، بل بينها من التفاوت في الطعم والشكل ما لا يعلمه إلا الله ، ولا اشتراك بينها إلا في اللفظ ، كما قال ابن

عباس: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، وبينها كذلك قدر يسير من التشابه، وهو اشتراكها في المعنى الكلي الحاصل في الأذهان. قال المؤلف في (حادي الأرواح).

(فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فأفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وأفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصاً، وأفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وأفة العسل عدم تصفيته).

فصل

في طعام أهل الجنة

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| وطعامهم ما تشتهي نفوسهم | ولحوم طير ناعم وسمان |
| وفواكه شتى بحسب مناهم | يا شعبة كملت لذي الإيمان |
| لحم وخر والنسا وفواكه | والطيب مع روح ومع ريحان |
| وصحافهم ذهب تطوف عليهم | بأكف خدام من الولدان |
| وانظر إلى جعل اللذاذة للعيو | ن وشهوة للنفس في القرآن |
| للعين منها لذة تدعو إلى | شهواتها بالنفس والأمران |
| سبب التناول وهو يوجب لذة | أخرى سوى ما نالت العينان |

الشرح: يعني أن طعام أهل الجنة هو كل ما تتطلبه نفوسهم من لحوم الطير السمان والفواكه المتنوعة، كما قال تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١] وكما قال: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدْعُونَ﴾ [يس: ٥٧] ويأكلون منها وفق ما يتمنونه حتى يمتثلون شعباً، فلهم فيها لحم طيب نضيج وخر معتقة لذة للشاربين ونساء طاهرات من الحيض ومن كل قدر، وفواكه لا يصيبها عفن ولا عطب، ولهم فيها أريج الطيب وشذى الروح والريحان، فطاب لهم فيها كل شيء، من مطعوم ومشروب ومنكوح ومشموم.

ويأتي لهم الطعام في صحاف من الذهب يطوف عليهم بها غلمان لهم كأنهم
لؤلؤ مكنون. قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا
تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

وتأمل في هذه الآية الكريمة حيث جعل اللذة للعين والشهوة للنفس، لأن
العين إذا التذت شيئاً اشتتهته النفس، فلذة العين سبب داع إلى شهوة النفس،
وكلاهما باعث على التناول وهو مقتضى لذة أخرى فوق ما نالته العينان.

وروى مسلم في صحيحه من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ:
« يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم
ذلك جشاء كريح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس». وفي
المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح عن زيد بن أبي أرقم قال: (جاء رجل من
أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون
ويشربون؟ قال نعم والذي نفس محمد بيده أن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في
الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة
وليس في الجنة أذى، قال تكون أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح
المسك فيضمربطنه).

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى
الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً». وعن عبد الله بن عمرو في قوله
تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] قال:
يطاف عليهم بسبعين صحيفة من ذهب كل صحيفة منها فيها لون ليس في
الأخرى.

وروى الحاكم بإسناده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة
طيراً أمثال البخاتي، فقال أبو بكر إنها لناعمة يا رسول الله، قال أنعم منها من
يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر».

★ ★ ★

فصل في شراهم

يسقون فيها من رحيق ختمه
مع خمرة لذت لشاربها بلا
والخمر في الدنيا فهذا وصفها
وبها من الأدوية ما هي أهله
فنفى لنا الرحمن أجمعها عن الـ
وشراهم من سلسبيل مزجه الـ
هذا شراب أولي اليمين ولكن الـ
يدعى بتسليم سنام شربهم
صفى المقرب سعيه فصفا له
لكن أصحاب اليمين فأهل مز
مزج الشراب لهم كما مزجوا
هذا وذو التخليط مزجاً أمره

الشرح: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦٠].

وقال جل ذكره: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾ [الصفافات: ٤٥، ٤٧].

قال ابن عباس: ﴿بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ الخمر ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ليس فيها صداع ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾ لا تذهب عقولهم، وقال في تفسير قوله تعالى:

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبا: ٣٤] ممتلئة. وقوله: ﴿رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين: ٢٥] يقول الخمر ختم بالمسك.

فهذا شأن خمر الآخرة تحدث لصاحبها أعظم نشوة وأصفى لذة من غير أن تغتال عقله أو تصدع رأسه أو تجلب له الأمراض.

وأما خمر الدنيا فهذا وصفها: تغتال عقل شاربها حتى يهذي ويقدم على ارتكاب العظائم، وتحدث له من الأدوية والعلل ما هي جديدة به، وتورثه العدم والإملاق بعد الغنى واليسار، فنفى لنا الرحمن عز وجل كل هذه الآفات التي تحدثها خمر الدنيا عن خمر الجنة من الصداع والغول واللغو والإنزاف وعدم اللذة. وأهل الجنة فريقان: مقربون، وأصحاب يمين.

أما أصحاب اليمين فيشربون فيها من سلسيل مزج بالكافور والزنجبيل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] وقال بعد ذلك: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨] قال المؤلف رحمه الله في حادي الأرواح:

فأخبر سبحانه عن مزاج شرايهم بشيئين، بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة ما يحدث لهم باجتماع الشرايين ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده، ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر. وما أطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن شرايهم مزج أولاً بالكافور، وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى، وأنها نوعان لذيدان من الشراب، أحدهما مزج بكافور والثاني مزج بزنجبيل أهـ.

وأما المقربون فيشربون من هذه الكأس صرفاً غير مزيج كما قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦] وذلك لأنهم

أخلصوا الأعمال لله فأخلص شرابهم. وأما الأولون فمزجوا فمزج شرابهم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨] يعني أن شراب أصحاب اليمين يمزج لهم من هذه العين التي تسمى بتسنيم والتي يشرب منها المقربون صرفاً. فالمقرب أخلص سعيه وصفاء حتى صار كله لله، فلهذا أصفى له شرابه ولم يمزج، والجزاء من جنس العمل. وأما أصحاب اليمين فلما مزجوا سعيهم الصالح ببعض المكروهات التي ليست معصية مزج لهم شرابهم جزاء وفاقاً.

وهناك فريق ثالث، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] وهم الذين قصرُوا في بعض الواجبات وارتكبوا بعض المحرمات، فهؤلاء أمرهم مفوض إلى الله سبحانه، إن شاء عفا عنهم وتاب عليهم، وإن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم ثم يدخلهم الجنة.

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| عرق يفيض لهم من الأبدان | هذا وتصريف المأكَل منهم |
| ط غيره من سائر الألوان | كروائح المسك الذي مافيه خلد |
| تبغي الطعام على مدى الأزمان | فتعود هانيك البطون ضوامرا |
| مخط ولا بصق من الإنسان | لا غائط فيها ولا بول ولا |
| ن به تمام الهضم بالإحسان | ولهم جشاء ريحه مسك يكو |
| في مسلم ولأحد الأثران | هذا وهذا صح عنه فواحد |

الشرح: يعني أن طعام أهل الجنة وشرابهم لا يخلف في بطونهم فضلات تؤذيهم يحتاجون معها إلى بول أو غائط، بل تخرج عرقاً له رائحة كرائحة المسك

الخالص الذي لم يخلط به غيره، فتعود بطونهم ضوامر خاوية تتطلب الطعام وتشتهيه، وهكذا حالهم على الدوام، أكل وانهمام، وقد طهر الله الجنة وأهلها من كل قدر الدنيا وخبثها، فلا غائط فيها ولا بول، ولا تمخط ولا بصق، ولا حيض ولا نفاس. ولأهل الجنة جشاء، وهو ذلك الريح الذي يخرج من الفم، يكون كريح المسك يتم به هضمهم للطعام. وهذا كله صح عنه صلى الله عليه وسلم وقد سبق أن ذكرنا حديث مسلم في جشاء أهل الجنة.

ولأحمد رحمه الله أثران في هذا الباب يدلان على أن طعام أهل الجنة يفيض من جلودهم كرشح المسك، وقد تقدم ذكر ذلك.

فصل في لباس أهل الجنة

وهم الملوك على الأسرة فوقها
ولباسهم من سندس خضر ومن
ما ذاك من دود بنى من فوقه
كلا ولا نسجت على المنوال نس
لكنها حلل تشق ثمارها
بيض وخضر ثم صفر ثم حم
لا تقرب الدنس المقرب للبلبي
ونصيف احدهن وهو خارها
سبعون من حلل عليها لا تعو
لكن يراه من ورا ذا كله

تيك الرؤوس مرصع التيجان
استبرق نوعان معروفان
تلك البيوت وعاد ذا الطيران
ج ثيابنا بالقطن والكتان
عنها رأيت شقائق النعمان
ر كالرباط بأحسن الألوان
ما للبلبي فيهن من سلطان
ليست له الدنيا من الأثمان
ق الطرف عن مخ ورا الساقان
مثل الشراب لذي زجاج أوان

الشرح: يعني أن أهل الجنة يكونون ملوكاً فيها متكئين على أسرتهن، والتيجان المرصعة فوق رؤوسهن.

ذكر البيهقي من حديث يعقوب بن حميد بن كاسب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار، ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه الله بلحمه ودمه وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجاً، فقال يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلاناً كان يقوم آناء الليل وأطراف النهار، فيحل حلالي ويحرم حرامي، يقول يا رب فأعطه، فيتوجه الله تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: (أي القرآن) يا رب أرغب له في أفضل من هذا، فيعطيه الله الملك بيمينه والخلد بشماله، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول نعم يا رب ».

وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [فاطر: ٣٣] فقال: « إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين الشرق والمغرب ».

وأما ثياب أهل الجنة فقد قال تعالى: ﴿وَلِيَّاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وقال: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] قيل السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه، أو هو الصفيق. وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير. ولما كان أبهج الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير، فقد جمع الله لأهل الجنة بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به.

ولكن ينبغي أن يعلم أن حرير الجنة، رقيقه واستبرقه، لم تخرج خيوطه من تلك الدودة المعروفة بدودة القز التي تبنيه من فوقها ثم تخرج منه وتعود لطيرانها، وكذلك لم ينسج هذا الحرير على أنوال كهذه التي ننسج عليها ثيابنا التي نتخذها من القطن أو الكتان، ولكن هذا الحرير صنعة الرحمن تخرج حلله من شجرة في الجنة تتفتح أكمامها عنه كما تتفتح شقائق النعمان.

روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر أن رجلاً سأل رسول

الله ﷺ عن ثياب الجنة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: «أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال لها هو ذا يا رسول الله، قال لا، بل يشقق عنها ثمر الجنة ثلاث مرات.»

وعن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة الا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن.»

وهذه الخلل في بهائها وحسنها لا يمسهما الدنس والوسخ الذي يسرع بها إلى البلى والتمزق، إذ ليس للبلى عليها من سبيل، ونصيف الواحدة من نساء الجنة، وهو خارها على رأسها لا يقوم بثمن من أثمان هذه الدنيا.

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال قلت يا رسول الله: وما النصيف؟ قال الخمار.»

وروى الطبراني في معجمه من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين، على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاج البيضاء» وهذا إسناد على شرط الصحيح.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: أهدى أكيدر دومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس، فتعجب الناس من حسنها، فقال: «لناديل سعد في الجنة أحسن من هذا» والمراد سعد بن معاذ رضي الله عنه.

★ ★ ★

فصل

في فرشهم وما يتبعها

والفرش من استبرق قد بطنت ما ظنكم بظهارة لبطان
مرفوعة فوق الأسرة يتكئ هو والحبيب بخلوة وأمان
يتحدثان على الأرائك ما ترى حبين في الخلوات ينتجيان
هذا وكم زريية وغمارق ووسائد صفت بلا حسابان

الشرح: قال الله تعالى: ﴿مُتَكِّئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾
[الرحمن: ٥٤] وقال: ﴿مُتَكِّئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾
[الرحمن: ٧٦] وقال: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ
مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَائِبٌ مُبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣، ١٦].

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ يدل على أمرين،
أحدهما أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها، لأن باطنها تلي الأرض،
وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة. روى سفيان الثوري عن عبد الله في قوله
تعالى: ﴿بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر.
والثاني أنها فرش عالية لها سمك وحشو بين البطانة والظهارة، كما قال تعالى:
﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤].

وقد روى عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً أن ما بين الفراشين كما بين السماء
والأرض.

وهذه الفرش موضوعة فوق الأسرة ليتكئ عليها صاحب الجنة هو وحبيته
من الحور العين، حيث يتحدثان ويتناجيان ويتطارحان عبارات الغرام، بعيدين
عن الناس وفي مأمن من العواذل والرقباء، كما يجلس عشيقان من أهل الدنيا في
خلوة يتناجيان.

هذا وكم في الجنة من زراي، جمع زربية بمعنى البسط والطنافس، وغمارق جمع
نمرقة بضم النون. قال الواحدي: هي الوسائد. وقال الكلبي: وسائد مصفوفة

بعضها إلى بعض وقال مقاتل : هو الوسائد مصفوفة على الطنافس .

فصل

في حل أهل الجنة

والحلى أصفى لؤلؤ وزبرجد
ما ذاك يختص الإنثا وإنما
التاركين لباسه في هذه الد
أو ما سمعت بأن حليتهم إلى
وكذا وضوء أبي هريرة كان قد
وسواه أنكر ذا عليه قائلاً
ما ذاك إلا موضع الكعبين والزر
وكذاك أهل الفقه مختلفون في
والراجع الأقوى انتهاء وضوئنا
هذا الذي قد حده الرحمن في ال
واحفظ حدود الرب لا تتعدها
وانظر إلى فعل الرسول تجده قد
ومن استطاع يطيل غرته فمو
فأبو هريرة قال ذا من كيسه
ونعيم الراوي له قد شك في
وإطالة الغرات ليس بممكن

وكذاك أسورة من العقيان
هو للإنثا كذاك للذكران
نيا لأجل لباسه بجنان
حيث انتهاء وضوئهم بوزان
فازت به العضدان والساقان
ما الساق موضع حلية الإنسان
سدين لا الساقان والعضدان
هذا وفيه عندهم قولان
للمرفقين كذلك الكعبان
قرآن لا تعدل عن القرآن
وكذاك لا تجنح إلى النقصان
أبدى المراد وجاء بالتبيان
قوف على الراوي هو فوقاني
فغدا يميزه أولو العرفان
رفع الحديث كذا روى الشيباني
أبدأً وذا في غاية التبيان

الشرح : وأما حل أهل الجنة فمن أصفى الجواهر الكريمة ، وأمنها من اللؤلؤ
والزبرجد وأساور العقيان الذي هو الذهب وأساور الفضة ، قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ
فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج : ٢٣] قرىء لؤلؤاً بالنصب عطف
على محل أساور أو منصوباً بفعل محذوف ، أي ويجلون لؤلؤاً ، وقرىء بالجر
عطفاً على ذهب ، وهو يحتمل أمرين : أن يكون لهم أساور من لؤلؤ كما لهم أساور

من ذهب وأن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً، الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بمراده.

وهذه الحلى لا تختص بالإناث في الجنة، بل هي للذكور والإناث جميعاً. بل روي عن الحسن أن الحلى في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء، وهم الرجال الذين تركوا لباس الحرير والذهب في الدنيا ليظفروا بلباسها في الجنة.

وقد ورد أن حلية المؤمن في الجنة تبلغ إلى حيث يبلغ وضوءه، فقد أخرجنا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال: (كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة، فكان يمد يده حتى يبلغ إبطه، فقلت يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فروخ أنتم ها هنا؟ لو أعلم أنكم ها هنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته، وكذا غسل الساق، والصحيح أنه لا يستحب. والحديث لا يدل على الإطالة، فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف. وكذلك لا تكون زينة في الساقين ولكن في موضع الكعبين، فالصحيح أن تمام الوضوء هو غسل اليدين إلى المرفقين وغسل الرجلين إلى الكعبين، وهذا هو الذي حده الله في كتابه حيث قال في آية الوضوء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] فالواجب أن يوقف عند ما حده الله تعالى بلا زيادة ولا نقصان، ولا سيما وقد بيّنه الرسول ﷺ بفعله أحسن بيان.

وأما قوله في الحديث الآخر: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» بعد قوله: «يبعث أمي غراً محجلين من آثار الوضوء» فالصحيح أن هذه الجملة الشرطية موقوفة على أبي هريرة وأنها ليست من تمام الحديث، بل قالها أبو هريرة بناء على ما فهمه من الحديث، وقد بيّن ذلك غير واحد من الحفاظ، فقد جاء في مسند الإمام أحمد في هذا الحديث أن نعيماً راوي الحديث قال: فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل، من كلام النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنده.

قال ابن القيم (وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام الرسول ﷺ ، فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة ، إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك غرة) .

فصل

في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذة وصالحهن ومهورهن

يا من يطوف بكعبة الحسن التي
ويظل يسعى دائماً حول الصفا
ويروم قربان الوصال على منى
فلذا تراه محرماً أبداً ومو
بيغي التمتع مفرداً من حبه
فيظل بالجمرات يرمى قلبه
والناس قد قضوا مناسكهم وقد
وحدت بهم همم لهم وعزائم
رفعت لهم في السير أعلام الوصا

خفت بذاك الحجر والأركان
ومحسّر مسعاه لا العلمان
والخيف يحجبه عن القربان
ضع حله منه فليس بدان
متجرداً يبغي شفيع قران
هذى مناسكه بكل زمان
حشوا ركائبهم الى الأوطان
نحو المنازل أول الأزمان
ل فشمّروا يا خيبة الكسلان

الشرح: في هذا الفصل والذي بعده تظهر عبقرية المؤلف وترق حواشي شعره وهو يصف عرائس الجنة وخرائدها الحسان وصفا يزري بكل ما قيل من غزل ونسب، ويكثر في كلامه هنا التورية، وهو أراد معان بعيدة غير التي تعطىها ظواهر الألفاظ، فهو ينادي هذا الذي بهم في أودية الجبال وينشد وصل ربات الجبال وبينه وبينهن حواجز يعقنه عن الوصال، فيظل يسعى بين صفاء يرجوه وحسرة تلوعه، وينشد بلوغ المنى بقرب وصلها، ولكن خوفه من العواذل والرقباء يمنعه من قربانها، فيظل يقاسي ألم الحرمان، ويرى يوم الوصل منه غير دان، فهو يطلب التمتع بمحبوبه خالياً به، وينشد شفيحاً إليه يقربه منه فيظل قلبه متقدماً بنار الغرام، مشبوحاً بلواذع الهجر والحرمان، وهذه مناسكه على مدى

الأيام لا ينقضي ما بقلبه من وجد وهيام ، ولكن الأكياس الفطناء من الأنام لم يتعلقوا من هذه الدنيا بحسن زائف ولا بجمال زائل ، بل جردوا من ذلك قلوبهم ورنوا بأبصار بصائرهم إلى الغايات البعيدة ، فحثوا إليها ركائب العزائم وامتطوا صهوات الهمم وجدوا في بلوغ هاتيك المنازل التي هي المنازل الأولى والأوطان الأصلية التي كانوا يسكنونها وهم في صلب أبيهم آدم ، قبل أن يرتكب الخطيئة ويهبط الى الأرض . وقد رفعت لهم في سيرهم أعلام الوصال فقربت منهم بعيد الآمال ، وشحذت منهم الهمم ، فلم يشعروا في سيرهم بسأم ولا كلال على حين بقاء الكسلان بالخيبة والحرمان .

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| ورأوا على بعد خياما مشرفا | ت مشرقات النور والبرهان |
| فتيمموا تلك الخيام فآنسوا | فيهن أقمارا بلا نقصان |
| من قاصرات الطرف لا تبغى سوى | محبوبها من سائر الشبان |
| قصرت عليه طرفها من حسنه | والطرف في ذا الوجه للنسوان |
| أو أنها قصرت عليه طرفه | من حسنها فالطرف للذكران |
| والأول المعهود من وضع الخطا | ب فلا تحد عن ظاهر القرآن |
| ولربما دلت إشارته على الث | اني فتلك إشارة لمعان |
| هذا وليس القاصرات كمن غدت | مقصورة فهما إذا صنفان |

الشرح: وتراءت لهؤلاء الجادين المتمرين على بعد خياما عالية قد أشرق منها النور وسطع الضياء ، فقصدوا نحو تلك الخيام فأبصروا فيهن نساء كأنهن البذور ليلة التمام من كل قاصرة طرفها على محبوبها فلا تتحول عنه إلى غيره من سائر الأنام قال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقال : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [الصافات: ٤٨ ، ٤٩] وقد اتفق المفسرون كلهم على أن معنى قاصرات الطرف أنهن حبسن أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم

لحسنهم عندهن. فالطرف هنا طرف النساء لا طرف الرجال. وقيل قصرن طرف أزواجهن عليهن، فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن، وهذا الوجه صحيح من جهة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل، وأصله قاصر طرفهن، أي ليس بطامح متعد، فالوجه الأول هو المؤلف من وضع الخطاب وهو ظاهر الآيات الكريمة فلا يجوز أن يعدل عنه، وإن كان هو قد يدل بالإشارة على المعنى الثاني، فإن قصر المرأة طرفها على زوجها من شأنه أن يجمله على قصر طرفه عليها. هذا وقد ورد في وصفهن كذلك قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] وفرق بين القاصرات والمقصورات، فإن شأن التي قصرت طرفها على زوجها أعظم ممن قصرها، أي حبسها غيرها، فهما إذاً نوعان من النساء، النوع الأول للمقربين، لأنهن ذكرن في وصف الجنتين الفضيلين. وأما الثاني فهو لأصحاب اليمين لأنهن ذكرن في وصف الجنتين اللتين من دون الأولين والله أعلم.

★ ★ ★

جردن عن حسن وعن احسان
 الداء الدوي تبوء بالخسران
 شيطانة في صورة الإنسان
 أكفأؤها من دون ذي الإحسان
 خلق ولا خوف من الرحمن
 تركته لم تطمح لها العينان
 بوفاء حق البعل قط يدان
 قالت وهل أوليت من إحسان
 تقبل سوى التعويج والنقصان
 قد حار فيه فكرة الإنسان
 ما شئت من عيب ومن نقصان
 شيء يظن به من الأثمان

يا مطلق الطرف المعذب في الألى
 لا تسيبتك صورة من تحتها
 قبحت خلالتها وقبح فعلها
 تنقاد للأنذال والارذال هم
 ما ثم من دين ولا عقل ولا
 وجمالها زور ومصنوع فان
 طبعت على ترك الحفاظ فما لها
 إن قصر الساعي عليها ساعة
 أو رام تقويمها لها استعصت ولم
 أفكارها في المكر والكيد الذي
 فجمالها قشر رقيق تحته
 نقد رديء فوقه من فضة

فالناقدون يرون ماذا تحته والناس اكثرهم من العميان

الشرح: بعد أن رغب المؤلف في عرائس الجنان اللاتي كمل حسنهن وخلاتقهن أخذ يحدّر من الانخداع بنساء الدنيا اللاتي تجردن من كل مزية، فلا حسن في الخلقة ولا إحسان في العمل، فهو يوصي صاحب الطرف الطموح المعذب الذي ينطلق وراء كل غانية هيفاء أن لا تخدعه صورة ظاهرة من تحتها الداء العياء فيرجع بكل خسارة وشقاء. وكيف ينخدع بامرأة قبحت منها الخلائق فلا أمانة ولا وفاء، ولا صبر ولا رضى، ولا طاعة ولا تواضع، وقبحت منها الفعال، بل هي شيطانة في صورة انسان، تخضع وتنقاد لمن يهواها من الأندال والأردال، لأنهم هم أشبه بها وأقرب إلى طباعها، دون أهل الخير والفضل فإنها لا تريد لهم ولا ترغب فيهم لعدم المشاكلة بينهم وبينها، وهي خالية من كل ما يدفعها إلى الخير ويحجزها عن الشر، فلا دين ولا عقل، ولا خلق ولا خوف من الله عز وجل. وجمالها ليس بالخلقة والطبيعة، ولكنه جمال مزور مصنوع من الأصباغ والألوان، حتى أنها إذا تركت التزين والتجمل زهدت فيها العيون وخلت من كل ما يثير الرغبة فيها، وهي مطبوعة على الغدر ونكران العشير وعدم الحفاظ عليه والوفاء بحقه، حتى أنه لو أحسن إليها الدهر كله ثم رأت منه شيئاً لا يعجبها ولو مرة واحدة قالت له: ما رأيت منك خيراً قط. وهي مخلوقة من ضلع أعوج، فإن أراد إصلاحها وتقويمها امتنعت عليه وأبت ألا أن تظل على عوجها ونقصها. وهي لا تعمل فكرها إلا في المكر السيء والكيد الدنيء الذي يعيا الرجل به، فهي كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ كَنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] فجها لها قشرة رقيقة تحتها من العيوب والقبائح ما شاء الله، فهو يشبه نقداً رديئاً قدموه بالفضة أو الذهب ليظن أنه منها، ولكن النقاد الصيارفة لا يروج عليهم هذا البهرج، وإن كان ينطلي على كثير من الناس.

★ ★ ★

أما جميلات الوجوه فخائنا ت بعولهن وهن للأخدان

قد أصبحت فرداً من النسوان
من قبل من شيب ومن شبان
سباقي بذا الأدنى الذي هو فان
تبغي ولم تظفر إلى ذا الآن
م مهرها ما دمت ذا إمكان
لك نسبة للعلم والإيمان
ة عيشها أو للحطام الفاني
أخرى فجئت بأقبح الخسران
فات الذي أهلك عن ذا الشأن
لتقطعت أسفاً من الحرمان
نيا وسوف تفيق بعد زمان

والحافظات الغيب منهن التي
فانظر مصارع من يليك ومن خلا
وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ
إن كان قد أعياك خود مثل ما
فاخطب من الرحمن خودا ثم قد
ذاك النكاح عليك أيسر أن يكن
والله لم تخرج إلى الدنيا للذ
لكن خرجت لكي تعد الزاد للـ
أهملت جمع الزاد حتى فات بل
والله لو أن القلوب سليمة
لكنها سكري يجب حياتها الد

الشرح: أما من رزقت منهن حظاً من جمال الوجه ورشاقة القد وسحر
العيون فقد غرها جماها فراحت تبيعه في سوق الدعارة والفتون، فسرعان ما تقع
في أحاييل المعجبين بها، فتتخذ منهم أخداناً تبيح لهم من نفسها ما حرم الله،
فتهدر شرفها وتخون بعلها وتغضب ربها، وتعيش مطية للشيطان، والقائنات
الصالحات الحافظات للغيب منهن اللاتي يرعين أزواجهن في غيبتهم، فلا يتعرضن
لأحد بفتنة ولا يأذن لأحد أن يظاً فراشهن ولا أن يدخل عليهن، فانهن في غاية
الندرة والقلة، وإن شئت أن تعرف مكائد هؤلاء النساء وما وقع بسببهن في
الدنيا من شر وبلاء فاعتبر بمصارع من حولك وانظر في مصائر من خلا قبلك
من الشيب والشبان والكبار والصغار.

وإذا كنت ذا عقل سليم وإدراك كامل فكيف يليق بك أن تبيع العالي
بالسافل وأن تستبدل العاجل الفاني بالذي هو خير وابقى وأهنأ وأصفى، إن
ذلك لا يقدم عليه إلا ذو عقل مدخول وبصيرة مغلولة وإيمان مهزول، وإن
كنت لا تزال عزباً لم تنكح النساء ولم تجد من ترغب فيها من ذوات الجمال والعفة
والدين والخلق فما عليك إلا أن تصبر عنهن بقية عمرك وأن تيمم وجهك شطر

الخرد الغيد من عرائس الجنان فتخطب لنفسك واحدة منهن من ربك الرحمن ثم تقدم لها مهرها من الإيمان والتقى ما دمت ذا قدرة وإمكان. فذلك النكاح أيسر وأخف كلفة من خطبة واحدة من نساء هذا الزمان، ولا سيما على من له نسب بالعلم والإيمان.

وأعلم أنك لم تخرج إلى هذه الدنيا لتتخذها دار قرار تعكف على لذاتها العاجلة وحطامها الهزيل الفاني، وإنما خرجت للابتلاء والامتحان لكي تكسب لنفسك زاداً يؤهلك لبلوغ دار القرار، ولكنك بدلاً من أن تشتغل بما خلقت له وقفت عند شهواتك الدنيا، وأذهبت طبيباتك في هذه الحياة، ولم تتخذ الزاد لآخرتك حتى فات العمر وذهبت الفرصة، وحتى فاتك الذي أهلك عن الاستعداد لأخراك فوالله لو أن القلوب سليمة غير معلولة لتقطعت حسرات على ما مر من أيام قضتها في التفريط والغفلات والجري وراء الأوهام والخيالات، ولكنها ثلثة يجب ما ترتع فيه من شهوات وسوف تصحو من سكرتها بعد حين، ولكن هيهات أن ينفعها ذلك هيهات.

★ ★ ★

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اخ
حور حسان قد كملن خلائقها
حتى يحار الطرف في الحسن الذي
ويقول لما أن يشاهد حسنهما
والطرف يشرب من كؤوس جمالها
كملت خلائقها وأكمل حسنهما
والشمس تجري في محاسن وجهها
فتراه يعجب وهو موضع ذاك من
تر لنفسك يا أخوا العرفان
ومحاسننا من أجمل النسوان
قد ألبست فالطرف كالحيران
سبحان معطي الحسن والإحسان
فتراه مثل الشارب النشوان
كالبدر ليل الست بعد ثمان
والليل تحت ذوائب الأغصان
ليل وشمس كيف يجتمعان

فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عند سد مجيئه حتى الصباح الثاني
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان

الشرح: فإن كنت لا تزال مفتوناً بما ها هنا من جمال، مأخوذاً بسحر عيون
ربات الحجال، فاسمع ما سأقصه عليك من صفات عرائس الجنان وما بلغنه من
كمال في باب الحسن والإحسان، ثم اختر لنفسك ما يحلو منهن أو من هؤلاء
النسوان، فهن حور حسان قد عملت خلائقهن، فلا يرى من عيب ولا نقصان،
وكملت محاسنهن حتى ليحار الطرف فيهن من رقة الجلد وشفاء الالوان، وحتى
ليرى مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد احداهن، كما ترى
الصور في المرآة، ولا تسل عن جمال العيون، ففيها كل السحر والفتون، قد زانها
الحور فاشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، والتأم كل منها بالآخر
وتناسبا حتى أصبحا يشعان الفتنة. وبالجملة ففيهن كل ما شئت من شباب وجمال
وحسن ودلال، حتى يقول صاحبها حين يشاهدها وهو مشدوه حائر الطرف:
سبحان من كملك جسماً ومعنى وأعطاك هذا الحسن والإحسان، ويظل طرفه
يشرب من كؤوس جمالها ويعبّ من معين فتنتها وسحرها، حتى يصير ثملاً نشوان
في مثل الشارب السكران. كملت خلائقها، فلا يصدر عنها إلا كل جميل من
عفة وشرف وطاعة للزوج وتجبب اليه وقصر للطرف عليه، ومناجاته بأحب
الكلام إليه، لا يبدر منها إليه ما يسوءه ولا يرى منها ما يكرهه، ولا يقع منها
دائماً إلا على كل ما يزيده حباً فيها وانجذاباً إليها، والله سبحانه قد جمع فيها
بين الليل والنهار، فالشمس تجري في محاسن وجهها، والليل تحت ذوائب شعرها
الفاحم الجميل، فاعجب لشمس وليل كيف يجتمعان، وقل سبحان من هذا
صنعه، سبحان متقن صنعة الإنسان. ومن عجب أن الشمس والليل باقيان فيها
لا يستطيع كل منهما أن ينسخ الآخر، فلا الليل بمدرک شمسها فتغيب عند
إقباله، ولا شمسها تأتي بطرد الليل وإدباره، بل هما فيها متلازمان كأنهما
أخوان.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ
الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: (ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من
المرأة، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه ليكون عليها
سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (لو أن حوراء أخرجت كفها بين
السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس
عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء
حسنها ما بين السماء والأرض).

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| وكلاهما مرآة صاحبه اذا | ما شاء يبصر وجهه يريان |
| فيرى محاسن وجهه في وجهها | وترى محاسنها به بعيان |
| حر الخدود تغورهن لآلىء | سود العيون فواتر الأجفان |
| والبرق يبدو حين يبسم ثغرها | فيضيء سقف القصر بالجدران |
| ولقد روينا أن برقاً ساطعاً | يبدو فيسأل عنه من بجان |
| فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك | في الجنة العليا كما تريان |
| لله لاثم ذلك الثغر الذي | في لثمه إدراك كل أمان |
| ريانة الأعطاف من ماء الشبا | ب فغصنها بالماء ذو جريان |
| لما جرى ماء النعيم بغصنها | حمل الثمار كثيرة الألوان |
| فالورد والتفاح والرمان في | غصن تعالي غارس البستان |

الشرح: يعني أن كلا من الرجل وزوجته في الجنة يكون مرآة لصاحبه إذا ما
شاء أن يرى وجهه فيه رآه، فهو يرى محاسن وجهه في وجهها وهي كذلك ترى
محاسنها في وجهه وهي حر الخدود، فخدودهن أصفى من لون الورود وثغورهن
حين يبسم كأنهن لؤلؤ منضود، وعندما يفتقر ثغرها عن ابتسامة حلوة يسطع
منها البرق فيضيء جوانب القصر وسقفه. ولقد روى أن أهل الجنة يشيمون برقاً

ساطعاً فيسألون عنه فيقال لهم: هذا ضوء انبعث من ثغر حوراء ضحكت لزوجها في أعلى الجنان، فطوبى للآثم ذلك الثغر ومقبله، ففي تقبيله تحقيق كل المنى. روى علقمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «سَطَعَ نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها».

وهي أيضاً طرية الجسم بضته، تكاد تتفجر شباباً وصحة وامتلاء، يجري ماء الشباب في جسمها المشوق فيزيده ليناً وطراوة وحسناً، فهي بيضاء باكرها النعيم وجرى مأؤه في غصنها الناعم الرخيم، فحمل من كل الثمار ففيه ما شئت من ورد على الخدود وتفتح على الجبين ورمان في الصدور، فتعالى الله غارس ذلك البستان الذي أودعه من كل ما تشتهي النفس وتلذه العينان.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|----------------------------|
| والقد منها كالقضيب اللدن في | حسن القوام كأوسط القضبان |
| في مغرس كالعاج تحسب انه | عالي النقا أو واحد الكثبان |
| لا الظهر يلحقها وليس ثديها | بلواحق للبطن أو بيدوان |
| لكنهن كواعب ونواهد | فتدين كألطف الرمان |
| والجيد ذو طول وحسن في بيا | ض واعتدال ليس ذا نكران |
| يشكو الحلي بعباده فله مدى الـ | أيام وسواس من الهجران |
| والمعصمان فان تشأ شبههما | بسيكتين عليهما كفان |
| كالزبد ليناً في نعومة ملمس | أصداف در دورت بوزان |
| والصدر متسع على بطن لها | حفت به خصران ذات ثمان |
| وعليه أحسن سره هي مجمع الـ | خصرين قد غارت من الأعكان |
| حق من العاج استدار وحوله | حبات مسك جل ذو الاتقان |

الشرح: وأما قدها فكالغصن الرطيب في حسن القوام واعتداله، فلم يشنه قصر ولا طول، وهذا القد المشوق والقوام المعتدل قد قام على عجيذة بيضاء كالعاج ثقيلة ممتلئة كأنها كثيب من الرمل، فليس الظهر بلاحق لها، بل هي

متميزة منفصلة عنه ، وكذلك ثدياها قد بعدا عن بطنها فليسا بلاصقين فيه ولا بقريين منه بل نساء الجنة كلهن كواعب ونواهد ، قد كعبت أنداؤهن ونهدت ، أي تمت استدارتها وبرزت وارتفعت ، فصارت كفحول الرومان الجيدة .

وأما أعناقهن فذو طول وجمال في بياض واعتدال ، فهن مثل كؤوس الفضة حتى أن الحلى وهو على الصدر يشكو من بعد جيدها ، فهو دائماً من هذا الهجر في هم وقلق .

وأما المعصمان فإن شئت فشبهما بسبيكتين اتخذتا من خالص الفضة قد ركب فيها كفان ألين من الزبد مجسأً ، وأنعم من الحرير ملمسأً ، فكأنها أصداف در قد دور على قدره .

وأما الصدر فرحيب متسع فوق بطنها يحف به من الجانبين خصران دقيقان يشكلان حرف الثماني ، وعلى البطن سرّة هي أجل السرر يلتقي عندها الخصران ، وهذه السرّة في بياضها واستدارتها وشدة غورها تشبه حقاً من العاج مستديراً ، وحوله حبات مسك أسود فجعل ربنا الذي خلقها على هذه الصورة من الإبداع والإتقان .

★ ★ ★

ما للصفات عليه من سلطان
شيء من الآفات في النسوان
فجنابه في عزة وصيان
نهما وحق طاعة السلطان
عنه ولا هو عنده بجان
فالصبّ منه ليس بالضجران
بكرًا بغير دم ولا نقصان
جاء الحديث بذا بلا نكران
قد جاء في يس دون بيان

وإذا انحدرت رأيت امرا هائلا
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا
فخذان قد جفا به حرسا له
قاما بخدمته هو السلطان بي
وهو المطاع أميره لا ينثني
وجاعها فهو الشفاء لصبها
وإذا يجامعها تعود كما أتت
فهو الشهوي وعضوه لا ينثني
ولقد رويانا أن شغلهم الذي

شغل العروس بعمره من بعدما
بالله لا تسأله عن أشغاله
واضرب لهم مثلاً بصب غاب عن
والشوق يزعجه إليه وما له
وافى إليه بعد طول مغيبه
أتلومه ان صار ذا شغل به
يا رب غفرا قد طغت اقلامنا
عبثت به الأشواق طول زمان
تلك الليالي شأنه ذو شان
محبوبه في شاسع البلدان
بلقائه سبب من الإمكان
عنه وصار الوصل ذا امكان
لا والذي أعطى بلا حسيبان
يا رب معذرة من الطغيان

الشرح: وإذا نزلت قليلاً عن السرة رأيت أمراً عظيماً لا يقادر قدره ولا
يستباح وصفه، رأيت فرجاً محصناً طاهراً من كل قدر فلا يعتريه حيض ولا
يخرج منه بول ولا شيء من الآفات التي تصيب نساء الدنيا.

وتراه وقد حف به من الجانبين فخذان مهولان كأنهما له جندان حارسان
فحرمه لا يستباح لإنسان غير صاحبه، بل هو في حماية وصيان، وهذان
الفخذان يقومان بخدمته لأنه أمير عليها ومن الواجب طاعة السلطان.

وأما جماعها فهو الراحة الكبرى واللذة العظمى لعاشقها الولهان اختص بها
واختصت به من دون الرجال والنسوان، وهو لا يميل أبداً جماعها ولا يكسل عنه
بل كلما نزل عنها تجدد له نشاطه كما كان، فهو يشتهيها دائماً وعضوه لا يعتريه
انثناء ولا غيضان، ورد الحديث بهذا ولكن فيه نكران. فقد روى خالد بن
يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول
الله ﷺ قال: « ما من عبد يدخل الجنة الا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة، ثنتان
من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا، ليس منهن امرأة إلا ولها
قبل شهى وله ذكر لا ينثني ».

فخالد بن يزيد هذا هو الدمشقي ابن عبد الرحمن قد وهاه ابن معين وقال
احمد ليس بشيء، وقال النسائي غير ثقة، وقال الدارقطني ضعيف، وذكر ابن
عدى هذا الحديث في معرض النكران.

ولكن ورد في الصحيح ما يشهد له، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع، قيل يا رسول الله أو يطبق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة » وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِيُون ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦] إن ذلك الشغل هو اشتغال كل منهم بعمره وفضاؤه إليها بعد ما قاسى من الحرمان، فقد روى سليمان التيمي عن أبي مجلز: قلت لابن عباس عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِون ﴾ ما شغلهم؟ قال افتضاض الأبقار. وقال مقاتل: (شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم) ولا ينكر على أهل الجنة شغلهم بأزواجهم وقد تمكنوا من وصالهم بعد طول الغيبة، فإن العاشق الصب من أهل الدنيا إذا غاب عن محبوبه في بلاد بعيدة وأصبح يكابد لواعج الفراق ويتجرع مرارة الأشواق وينتظر بفارغ الصبر يوم التلاق، ثم آب إليه ووافاه بعد هذا الغياب الطويل، وصار وصاله في الإمكان بعدما كان أشبه بالمستحيل، فمن ذا يلومه إذا أقبل على محبوبه يطفىء نار أشواقه بالعناق والتقبيل ويقضي منه أوطاره وحاجاته، ما على المحب المدنف من سبيل.

ولقد استشعر المؤلف رحمه الله أن قلمه قد جرى به أشواطاً بعيدة في التصريح بما لا يحسن التصريح به فاستغفر الله من جاح قلمه واعتذر إليه بما جاوز فيه حده.

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت
من فوقها ساقان ملتفان
والساق مثل العاج ملموم يرى
مخ العظام وراءه بعيان
والريح مسك والجسوم نواعم
واللون كالياقوت والمرجان

وكلاهما يسبى العقول بنغمة
وهي العروب بشكلها وبدرها
وهي التي عند الجماع تزيد في
لطفها وحسن تبعل وتغنج
تلك الخلاوة والملاحة أوجبا
فملاحة التصوير قبل غناجها
فإذا هما اجتمعا لصب وامق
زادت على الأوتار والعيوان
وتحبب للزوج كل أوان
حركاتها للعين والأذنان
وتحبب تفسير ذي العرفان
اطلاق هذا اللفظ وضع لسان
هي أول وهي المحل الثاني
بلغت به اللذات كل مكان

الشرح: يعني أن قدمي هذه الحوراء كالفضة في بياضها، وقد ركب من فوقها ساقان في غاية البياض والصفاء والانتفاف، فهي أجمل السوق، وقد بلغ من صفاتها أن مخ عظامها يرى من وراء الثياب واللحوم.

وأما ريجها فنوافج المسك يفوح أريجها من فمها وثيابها حتى يتضوع به المكان من حولها وأما جسمها فأشد نعومة من الحرير لا يرى به آثار خشونة ولا تشقق ولا يبوسة وأما اللون فهو كما قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] والمراد كما قال الحسن وغيره صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان.

وأما كلامها فيسلب اللب بحسن أنغامه وجمال تطريبه الذي يفوق كل لحن تنطق به آلات الغناء، وهي عروب بشكلها، فهي أحسن شيء صورة وبحسن عشرتها، فهي دائماً متحبة إلى زوجها مطيعة له، وبحسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع، حيث تزيد في حركات عينها وآذانها، وبالجملة فهي جامعة لكل صفات العروب من اللطف والرقّة وحسن التبعل للزوج والتغنج له والتحبب إليه فكما لذة الرجل بها بأمرين: أولها ملاحظة صورتها والثاني غناجها وحسن مودتها فإذا هما اجتمعا للعاشق الولهان بلغ من اللذة أرفع مكان.

★ ★ ★

فصل

أتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى ال محبوب من انس ولا من جان
حصن عليه حارس من أعظم ال حرّاس بأساً شأنه ذو شان
فاذا أحس بداخل للحصن ولـ سى هارباً فتراه ذا امعان
ويعود وهنا حين رب الحصن يخـ رج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة أنها تنصاغ بكرا للجماع الثاني
لكن دراجا أبا السمح الذي فيه يضعفه أولو الإتقان
هذا وبعضهم يصحح عنه في التـ فسير كالمولود من حبان
فحديثه دون الصحيح وأنه فوق الضعيف وليس ذا اتقان

الشرح: يعني أن نساء الجنة أتراب أسنانهن متماثلة، وهي سن الشباب والغضارة، كما قال: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * غُرْباً * أَتْرَاباً * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٨].

قال ابن عباس وسائر المفسرين: أي مستويات على سن واحد وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين سنة، والمراد من الأخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء، بخلاف الذكور فإن فيهم الغلمان وهم الخدم لأهل الجنة.

ونساء الجنة كلهن أبكار، حتى من كانت منهن ثيباً في الدنيا، فإن الله يخلقها خلقاً جديداً كما قال: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ وكل منهن لا يفتض بكارتها إلا محبوبها الذي اختصه الله بها، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦].

ففرجها حصن منيع يقف عليه حارس ذو بأس شديد، وهو تلك البكارة، فلا يستطيع اقتحام هذا الحصن غير من أعد هو له، فإذا أحس هذا الحارس بداخل للحصن غار بالداخل وأمعن في الهروب، فإذا قضى الرجل حاجته ونزع

عاد الحارس مكانه ، ويظل هذا شأنه مدى الأيام .

وقد جاء هذا في حديث رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : يا رسول الله أنطأ في الجنة ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً ، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكاراً » لكن الحديث فيه دراج أبو السمح ، وقد ضعفه أئمة الجرح والتعديل ، ومنهم من يصحح أحاديثه في التفسير كابن حبان ، ولكن الحق أن أحاديثه دون الصحيح وفوق الضعيف ، فهي خالية من الإلتقان وقد روى الطبراني أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبقاراً » وهو ضعيف أيضاً .

★ ★ ★

تمعت لأقوى واحد الإنسان
اذ قد يكون لأضعف الأركان
إيمان والأعمال والإحسان
م واحد مائة من النسوان
فيه وذا في معجم الطبراني
متفاوت بتفاوت الإيمان
تلك النصوص بمنة الرحمن
أفضى إلى مائة بلا خوران
أقوى هناك لزهده في الفاني
عينين واصبر ساعة لزمان
مة ظفر واحدة ترى بجنان
أخلاق مع عيب ومع نقصان
حتى الطلاق أو الفراق الثاني
شرعا فأضحى البعل وهو العاني
تفعل رجعت بذلة وهوان

يعطى الجامع قوة المائة التي اج
لا أن قوته تضاعف هكذا
ويكون أقوى منه ذا نقص من ال
ولقد روينا أنه يغشى بيو
ورجاله شرط الصحيح رووا لهم
هذا دليل أن قدر نسائهم
وبه يزول توهم الأشكال عن
وبقوة المائة التي حصلت له
وأعفهم في هذه الدنيا هو ال
فاجع قواك لما هناك وغمض ال
ما ههنا والله ما يسوى قلا
ما ههنا الا التقار وسيء ال
هم وغم دائم لا ينتهي
والله قد جعل النساء عوانيا
لا تؤثر الأدنى على الأعلى فان

الشرح: يعني أن الرجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة من أقوى أهل الدنيا في الجماع، وليس المراد أن قوته هو تضاعف مائة ضعف، إذ يكون هو ضعيف البنية في الدنيا، ويكون هناك من هو أقوى منه ولكنه أنقص منه في الأعمال والإيمان والإحسان، فيلزم أن يكون الأدنى أقدر على الجماع من الأعلى. ولقد روى الطبراني في معجمه من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: « قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال محمد بن عبد الواحد المقدسي: ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وقد حصل هنا اشكال، وهو أنه لم يرد في الأحاديث الصحيحة زيادة على زوجتين لكل واحد، فلو صح حديث الطبراني لتعين الجمع بينه وبين ما في هذه الأحاديث بأن يقال أن أهل الجنة متفاوتون في عدد نسائهم بتفاوت درجاتهم، وبهذا يندفع الأشكال بفضل الله ومنته.

ويستطيع رجل الجنة بقوة المائة التي حصلت له أن يفضي إلى مائة امرأة بلا ضعف ولا فتور. وأقوى أهل الجنة وأقدرهم على الجماع هو أعفهم في هذه الدنيا لزهده في هذا المتاع الحقير والحطام الفاني.

فإذا أردت أن تحظى بتلك المزية فما عليك إلا أن تستعد لما هنالك بحفظ فرجك وغيض بصرك وصبرك على مرارة الحرمان، وهذا أمر جدير بالعاقل أن لا يقصر فيه إذا عرف مقدار التفاوت بين ما هنا وبين ما هناك، فإن ما هنا من أجل نساء الدنيا، لا يعدل ولا قلامه ظفر واحدة من الحور العين. وماذا ها هنا إلا العراك والشجار وسوء الخلق وفحش الكلام، مع ما فيهن من النقائص والعيوب، فالرجل معها في غم دائم وهم لازب لا ينتهي إلا بالطلاق أو الموت. ومن العجيب أن الحال قد تبدل وأصبح الرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء خاضعين لسلطان النساء، فالله قد جعل النساء عوانياً في أيدي الرجال، كما قال صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع: « ألا فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان

في أيديكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك. « فأصبح الرجال الآن هم العوانى في أيدي النساء ، فلا تفضل أيها العاقل الناصح لنفسه هذا الأدنى الخسيس على الأعلى النفيس فتبوء بكل خيبة وخسران .

ورحم الله المؤلف ، فهذا كلامه في نساء زمانه وما بلغن من قحة وسوء أدب وتسلط على الرجال ، فهاذا عسى أن يقول لو بعث فينا الآن ورأى نساءنا يخرجن كاسيات عاريات مائلات مميلات ، يجبن الشوارع ويملأن الطرقات ويغشين دور السينما والمتنزهات ، ويزاحن الرجال بالمناكب في وظائف الحكومة وفي أعمال المصانع والشركات ، إذا حمد الله عز وجل على أن تقدم به الزمان ولم يشهد هذا العصر المنكود الذي انقلبت فيه كل الأوضاع واختلت كل القيم وأصبح فيه المعروف منكراً والمنكر معروفاً . فاللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

★ ★ ★

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها
تهتز كالغصن الرطيب وحمله
وتبخترت في مشيها ويحق ذا
ووصائف من خلفها وأمامها
كالبدرة ليلة تمه قد حف في
فلسانه وفؤاده والطرف في
فالقلب قبل زفافها في عرسه
حتى إذا ما واجهته تقابلا
فسل المتيم هل يحل الصبر عن
وسل المتيم اين خلف صبره

وتمايلت كتمايل النشوان
ورد وتفاح على رمان
ك لمثلها في جنة الحيوان
وعلى شمائلها وعن ايمان
غسق الدجى بكواكب الميزان
دهش وإعجاب وفي سبحان
والعرس أثر العرس متصلان
أرأيت إذ يتقابل القمران
ضم وتقبييل وعن فلتان
في أي واد أم بأي مكان

وسل المتيم كيف حالته وقد
من منطلق رقت حواشيه ووجد
وسل المتيم كيف عيشته إذا
يتساقطان لآلئنا منشورة
وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ
وتدور كاسات الرحيق عليها
يتنازعان الكأس هذا مرة
فيضمها وتضمه أرايت مع

ملئت له الأذنان والعينان
ه كم به للشمس من جريان
وهما على فرشيتها خلوان
من بين منظوم كنظم جان
محبوب في روح وفي ريجان
بأكف أقمار من الولدان
والخود أخرى ثم يتكئان
شوقين بعد البعد يلتقيان

الشرح: في هذه الأبيات يتخيل المؤلف حوراء الجنان وقد برزت في أبهى
حللها، وأخذت تختال في مشيتها وتثنى بقدها المشوق كما يتثنى العود الطري،
وقد حملت من ورد الخدود ورمات النهود، ويحق لها أن تمشي تياهة بحسنها
مزهوة بجالها، وهي في جنة الحيوان حولها كل ما يسر ويبهج، وخوادمها يحطن
بها من كل جانب وهي وسطهن كأنها البدر ليلة تمامه، قد أحيط في ظلمة الليل
بالنجوم المتألثة. هنا تملك محبوبها الدهشة ويأخذها العجب من أقطاره، فلسانه
وقلبه وعينه كل ذلك في غاية الدهش والإعجاب، والتسبيح لله الكريم الوهاب،
ولقد كان القلب منه قبل زفافها إليه في أعراس متصلة وأفراح مستمرة، حتى
إذا ما تقابلا وجهاً لوجه كما يتقابل القمران، فسله وهو العاشق الوهان هل يملك
الصبر حينئذ عن عناق وتقبيل وإسراع إلى المحبوب في لهفة وشوق، بل سله أين
خلف صبره وفي أي مكان تركه.

ثم سله كيف هو وقد امتلأت من الفتون والسحر الحلال عيناه وأذناه حين
يسمع منطلقها الرخيم وأنغامها الحلوة التي تزري بأجل الأحنان، وحين توجه إليه
ألفاظها العذاب وتبته أشواقها وحبها، وحين يرى وجهها المضيء كأن الشمس
تجري في صفحته.

ثم سله كيف عيشته الهانئة الراضية وقد اتكأ هو وعروسه على فرشيتها

منفردين يتناجان بأعذب الألحان وينثران الدر من أفواهها كأنه عقود جان .
 ثم سله كيف مجلسه مع محبوبه تحمل اليها النسائم الندية عبر الروض وشذاه ،
 تدور عليها كؤوس الرحيق المختوم على أيدي غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ،
 فيتنازعان الكأس يرشفها هو مرة وترشفها خوده مرة ، ثم يتكئان على الأسرة
 فيتضامان ويتلاصقان فما ظنك بمحبوبين بعد البين يتلاقيان .

★ ★ ★

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| غاب الرقيب وغاب كل منكذ | وهما بثوب الوصل مشتملان |
| أتراهما ضجرين من ذا العيش لا | وحياة ربك ما هما ضجران |
| ويزيد كل منها حبا لصا | جه جديداً سائر الأزمان |
| ووصاله يكسوه حبا بعده | متسلسلاً لا ينتهي بزمان |
| فالوصل محفوف بحب سابق | وبلاحق وكلاهما صنوان |
| فرق لطيف بين ذاك وبين ذا | يدريه ذو شغل بهذا الشأن |
| ومزيدهم في كل وقت حاصل | سبحان ذي الملكوت والسلطان |
| يا غافلا عما خلقت له انتبه | جد الرحيل فلست باليقظان |
| سار الرفاق وخلفوك مع الألى | قنعوا بهذا الحظ الخسيس الفاني |
| ورأيت أكثر من ترى متخلفا | فتبعتهم ورضيت بالحرمان |
| لكن أتيت بخطتي عجز وجه | ل بعد ذا وصحبت كل أمان |
| منتك نفسك باللحاق مع القعو | د عن المسير وراحة الأبدان |
| ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا | ماذا صنعت وكنت ذا امكان |

الشرح: وغاب عنها العاذل والرقيب وخلا وصالها من كل تنكيد ، وقد
 لفها ثوب الوصال وصفا لها العيش وطاب ، فهل تحسبها يملان هذا العيش أو
 يسأمانه ؟ لا وحياة ربك لا يصيبها منه ضجر ولا ملل ، بل يزيد كل منها حبا
 لصاحبه ، حبا متجدداً على الدوام لا يفتر ولا ينقطع ، فكلما حظى منها بوصال
 هفا قلبه الى وصال جديد ، ويظل هكذا ، فوصاله محفوف بحبين : حب سابق

وحب لاحق، وهما صنوان متشابهان الا أن بينهما فرقاً لطيفاً يعرفه كل من له خبرة بهذا الشأن، فإن الحب السابق حب الالهفة والشوق، والحب اللاحق هو حب أعقبه الوصال من النشوة والذكريات الحلوة. ويحصل لهم في كل وقت مزيد من الشوق والرغبة، ومن السرور والبهجة، فلا يفنى ما هم فيه ولا يبئد، بل هو دائماً في استمرار وتجديد. فيا أيها الغر الأحمق السادر في غيه الغافل عما خلق من أجله من هذه الحياة الناعمة في جوار المليك المقتدر، انتبه من غفلتك وانفض عنك ثوب الكسل ورداء الخمول، فقد جد الرحيل وشد القوم ركائبهم وأنت لا تزال تتمطى وتتئاب، وقد سار الرفاق وأدلجوا، يجدهم الشوق إلى ديار الحبيب وتركوك مع المخلفين الذين رضوا بالقيود، وقنعوا بهذا العرض الحقير. ورأيت أكثر الناس قد أخذوا إلى الأرض ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وتخلفوا عن الركب السائر إلى الله، فتبعتهم في تخلفهم ورضيت لنفسك ما رضوا لأنفسهم من الخيبة والحزمان، وسلكت أشنع خطتين يمكن أن يسلكها إنسان، وهما خطتا العجز والجهل، فبئس الخطتان، ومع ذلك تمنيت نفسك باللاحق مع هذا القعود والتخلف عن السباق، ومع إثارة الراحة والسلامة على مشقة السعي والانطلاق، ولسوف تعلم عاقبة تخلفك حين ينكشف لك الغطاء وتعض بنان الندم على ما ضيعت من فرص كنت عندها ذا قدرة وإمكان.

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا

حبل وفي هذا لهم قولان
مجاهد هم أولوا العرفان
من صاحب المبعوث بالقرآن
ليقاً بمحمد عظيم الشأن
حاق بن ابراهيم ذو الإتيان

والناس بينهم خلاف هل بها
فنفاه طاموس و ابراهيم ثم
وروى العقيلي الصدوق أبو رزي
أن لا توالد في الجنان رواه تع
وحكاه عنه الترمذي وقال اسـ

ه لكان ذاك محقق الامكان
 عن ناجي عن سعد بن سنان
 ولد الذي هو نسخة الإنسان
 فرد من الساعات في الأزمان
 ه الترمذي وأحد الشيباني
 في مسلم وهم أولو اتقان
 فرد بذا الاسناد ليس بثان
 كالنصر يقرب منه في التبيان
 شرط الذي هو منتفى الوجدان
 وأبي رزين وهو ذو إمكان
 ان اذا لتحقيق وذي اتقان
 والعكس في أن ذاك وضع لسان

لا يشتهي ولدا بها ولو اشتها
 وروى هشام لابنه عن عامر
 ان المنعم بالجنان إذا اشتهى الـ
 فالحمل ثم الوضع ثم السن في
 اسناده عندي صحيح قد روا
 ورجال ذا الإسناد محتج بهم
 لكن غريب ماله من شاهد
 لولا حديث أبي رزين كان ذا
 ولذاك أوله ابن ابراهيم بالـ
 وبذاك رام الجمع بين حديثه
 هذا وفي تأويله نظرف
 ولربما جاءت لغير تحقق

الشرح: يعني أن العلماء قد اختلفوا هل سيكون بالجنة حمل وولادة أم لا ،
 فنفاه طاوس و ابراهيم النخعي ومجاهد من أئمة العلم والحديث . وروى أبو رزين
 العقيلي : الصحابي المشهور عن النبي ﷺ أنه قال : « ان أهل الجنة لا يكون لهم
 فيها ولد » رواه عنه البخاري تعليقا ، وحكى عنه الترمذي ، وقال اسحاق بن
 ابراهيم في قوله ﷺ : « إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما
 يشتهي » أن ذلك على سبيل الفرض والتقدير ، فإن اشتهاه الولد في الجنة غير
 ممكن .

وقد روى أبو نعيم من حديث سفيان الثوري عن أبان عن أبي الصديق
 الناجي عن أبي سعيد الخدري قال : (قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة ؟ فإن
 الولد من تمام السرور ، فقال : « نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما
 يتمنى لأحدم فيكون حمله ورضاعه وشبابه » .

قال المؤلف : (إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم

فيه ولكنه غريب جداً، وتأويل إسحاق فيه نظر فإنه قال: « إذا اشتهى المؤمن الولد » وإذا للمتحقق الوقوع، ولو أريد ما ذكر من المعنى لقال: « لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة » فإن ما لا يكون أحق بأداة (لو) كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة (إذا) أهـ.

وأقول أن هذا غير لازم، فإن أدوات الشرط قد تتعاور، وهذه قاعدة أغلبية وليست مطردة، والأخذ بتأويل إسحاق متعين إذا فرض أن كلا من حديث أبي رزين وحديث أبي سعيد صحيح، فإن حديث أبي رزين نفي الولادة صريحاً وحديث أبي سعيد علقها بشرط الاشتهاء، وقد يكون الاشتهاء غير واقع والله أعلم.

★ ★ ★

نات سائر شهوة الإنسان
من أعظم الشهوات في القرآن
ولدا ولا حبل من النسوان
ملزومة أمرين ممتنعان
أمران في الجنات مفقودان
أن منيهم إذ ذاك ذو فقدان
يروى سليمان هو الطبراني
معهود في الدنيا من النسوان
إيلاد والإثبات نوع ثان
متقابلات كلها بوزان
وكذاك من أنثى بلا نكران
هي أربع معلومة التبيان
يأتي بلا حيض ولا فيضان
والقطع ممتنع بلا برهان

واحتج من نصر الولادة أن في الج
والله قد جعل البنين مع النسا
فأجيب عنه بأنه لا يشتهي
واحتج من منع الولادة أنها
حيض وإنزال المنى وذانك الـ
وروى صدى عن رسول الله
بل لا مني ولا منية هكذا
وأجيب عنه بأنه نوع سوى الـ
فالنفي للمعهود في الدنيا من الـ
والله خالق نوعنا من أربع
ذكر وأنثى والذي هو ضده
والعكس أيضاً مثل حوا أمنا
وكذاك مولود الجنان يجوز أن
والأمر في ذا ممكن في نفسه

الشرح: وأما الذين قالوا بالتوالد في الجنة فاحتجوا بأن في الجنة كل ما يشتهي الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣١] ومعلوم أن البنين من أعظم الشهوات للإنسان، كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

وأجيب عن هذا بأنه ليس كل ما يشتهي في الدنيا يشتهي في الآخرة، بل أهل الجنة لا يشتهون فيها ولداً ولا حبلاً. وأما المانعون للولادة فاحتجوا بأمور كثيرة منها: حديث أبي رزين أن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد، وأن الحمل لا يكون إلا مع الحيض وإنزال المني، ونساء الجنة مطهرات من الحيض والنفاس وكل قدر. والجماع في الجنة يكون بغير إنزال، كما جاء ذلك في حديث صدى ابن عجلان عن رسول الله ﷺ، وفي معجم الطبراني من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ سئل: (أيجمع أهل الجنة؟ قال: دحا دحا ولكن لا منى ولا منية).

وأجيب عن هذا بأن نفي الولادة في حديث أبي رزين واشتراط الحيض والإنزال فيها، إنما هو بالنسبة للولادة المعهودة في هذه النشأة، فنفيها لا يستلزم أن لا يكون هناك ولادة أصلاً، لجواز أن يكون هناك ولادة من نوع آخر لا يشترط فيها ذلك.

روى الحاكم عن أبي سهل قال: (أهل الزيف ينكرون هذا الحديث - يعني حديث الولادة في الجنة - وقد روى فيه غير إسناد. وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: يكون ذلك على نحو مما روينا. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهُى الْأَنْفُسُ وَتَلْدُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ١٧] وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته المصطفى المقرب المسلط على لذاته قررة عين وثمره فؤاد من الذين أنعم الله عليهم بأزواج مطهرة، فإن قيل ففي الحديث أنهم لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟ قلت: (الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل

على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع ملاذ الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منها مما يحذر منه ويخاف من عواقبه، وهذه خرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها الله تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة، فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد) انتهى كلامه.

ويؤيد كلام هؤلاء أن الله خلق هذا النوع الانساني على أربعة أنحاء : نوع خلق من بين ذكر وأنثى وهو أكثر الخلق. ونوع خلق بلا ذكر ولا أنثى وهو آدم عليه السلام ونوع خلق من أنثى بلا ذكر وهو عيسى روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم. ونوع خلق من ذكر بلا أنثى وهي أمنا حواء خلقها الله من ضلع آدم.

وعلى هذا يجوز أن تكون الولادة في الجنة على نوع غير المعهود في الدنيا لا يحتاج إلى حيض ولا إنزال. والذي نرجحه في هذا الباب والله أعلم بالصواب هو ما دل عليه حديث أبي رزين، فإنه صريح في نفي الولادة. وأما حديث أبي سعيد فهو كما عرفت قد علقها بشرط الاشتهاء، وهو لا يستلزم وقوع المعلق ولا المعلق عليه، وإسناده ليس بذاك، فإن أجود أسانيده ما رواه الترمذي وقد حكم بغيرته، وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي، وهو كذلك قد اضطرب لفظه، فتارة يروي بلفظ إذا اشتهى الولد، وتارة أنه ليشتهى الولد، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له الخ.

على أن الأمر في حد ذاته ممكن وقدر الله صالحه، والقطع بواحد من هذين القولين لا يمكن إلا ببرهان، فالأولى هو التفويض فيها إلى الله مع ترجيح النفي والله أعلم.

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم

ويروونه سبحانه من فوقهم هذا تواتر عن رسول الله لم وأتى به القرآن تصريحاً وتع وهي الزيادة قد أتت في يونس ورواه عنه مسلم بصحيحه وهو المزيّد كذاك فسرّه أبو وعليه أصحاب الرسول وتابعو ولقد أتى ذكر اللقاء لربنا ال ولقاؤه إذ ذاك رؤيته حكى ال وعليه أصحاب الحديث جميعهم

نظر العيان كما يرى القمران ينكره إلا فاسد الإيمان رريضاً هما بسياقه نوعان تفسير من قد جاء بالقرآن يروى صهيب ذا بلا كتمان بكر هو الصديق ذو الايقان هم بعدهم تبعية الإحسان رحمن في سور من الفرقان إجماع فيه جماعة ببيان لغة وعرفا ليس يختلفان

الشرح: والمؤمنون في الجنة يرون ربهم سبحانه من فوقهم رؤية حقيقية بأبصارهم كما يرى الشمس والقمر صحوا ليس دونها سحب ولا ضباب، وقد تواتر النقل بذلك عن رسول الله ﷺ، فلا ينكره إلا مدخول في دينه وإيمانه، روى ذلك عنه جماعة كبيرة من أصحابه، منهم أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجريير بن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك وأبو رزين وجابر الخ.

فأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة « أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر. قالوا لا يا رسول الله، قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا لا، قال فانكم ترونه كذلك» الحديث.

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري « أن أناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله ﷺ : وهل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس دونها سحب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب؟ قالوا لا يا رسول الله، قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ».

وأما حديث جرير ففي الصحيحين من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: « كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال انكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا، ثم قرأ قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليل عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

وأما حديث أبي موسى ففي الصحيحين عنه ﷺ قال: « جنتان من فضة أنيتها وما فيها، وجنتان من ذهب أنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ».

ويطول بنا القول لو ذكرنا بقية الأحاديث، وفيما ذكرنا غنية وشفاء للقلوب المؤمنة المستنيرة، والقرآن كذلك أتى بإثبات الرؤية تصريحاً تارة وتلميحاً تارة أخرى، فقد قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] وقد

فسر النبي ﷺ هذه الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله كما جاء في حديث صهيب المتقدم الذي رواه مسلم .

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] وقد فسر علي رضي الله عنه وغيره هذا المزيد بأنه النظر إلى وجه الله، روى ذلك عنه ابن جرير كما روى البزار وابن أبي حاتم عن أنس في تفسير هذه الآية أنه قال: (يظهر لهم الرب كل يوم جمعة).

ولقد ورد ذكر لقاء العبد لربه في كثير من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وكقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٨، ٧] وكقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] وكقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقد حكى بعضهم الإجماع على أن هذا اللقاء هو رؤيته سبحانه وتعالى، وهو الذي جزم به أهل الحديث جميعاً، وتفسير اللقاء بالرؤية هو المطابق للغة والعرف وقد روى امام الأئمة ابن خزيمة من حديث بريدة بن الحصيب قال، قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ».

★ ★ ★

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| وصف الوجوه بنظرة بجنان | هذا ويكفي أنه سبحانه |
| لا شك يفهم رؤية بعيان | وأعاد أيضاً وصفها نظراً وذا |
| فكر كذاك ترقب الإنسان | وأنت أداة إلي لرفع الوهم من |
| ر الوجه إذ قامت به العينان | واضافة لمحل رؤيتهم بذلك |
| ر مغيب أو رؤية لجنان | تالله ما هذا بفكر وانتظا |

ما في الجنان من انتظار مؤلم واللفظ يأباه لذي العرفان
لا تفسدوا لفظ الكتاب فليس فيه ه حيلة يا فرقة الروغان
ما فوق ذا التصريح شيء ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان
لو قال أبين ما يقال لقلتم هو مجمل ما فيه من تبيان

الشرح: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢] فوصف الوجوه أولاً بالنصرة، كما في قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤] ثم أعاد وصفها بالنظر في الآية الثانية، وهذا يفهم من غير شك أنه النظر إلى وجه الله سبحانه، ولكي يرفع توهم أن المراد بالنظر الانتظار كما يدعيه المعطلة نفاة الرؤية، أتى بالحرف إلى فقال: إلى ربها ناظره، والذي يتعدى بإلى هو النظر بمعنى الابصار، يقال نظرت إليه بمعنى أبصرته وأما النظر بمعنى الانتظار فإنه يتعدى بنفسه، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣].

كذلك أضاف الرؤية إلى الوجه الذي هو محل الرؤية، إذ هو مشتمل على العينين اللتين تقع بهما، مما ينفي كل توهم ويزيل كل لبس، فلا تحتمل الآية أبداً ما تأولها به المعطلة من قولهم أن معناها إلى ثواب ربها منتظرة، فإن الانتظار ألم شيء للنفس، والله قد وعد أهل الجنة بأنهم: لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب هذا وليس هناك أفسد للنصوص وأكبر جناية عليها من مثل هذه التأويلات السخيفة التي يعمد إليها هؤلاء المعطلة الزائفون ليروغوا بها عن الحق روغان الثعالب، مع أن الآية بلغت الغاية من الصراحة في الأفهام والدلالة على المعنى المراد، وليس بعد هذا البيان بيان أبداً، ولكن هؤلاء دأبهم مع هذه النصوص التي هي أبين وأصرح ما يكون أن يدعوا فيها الاجمال والاشتباه ما دامت لم توافق ما قضت به عقولهم المريضة بداء الإنكار والتعطيل، ومن يضلل الله فما له من سبيل.

★ ★ ★

ولقد أتى في سورة التطفيف أن
 فيدل بالمفهوم أن المؤمن
 وبذا استدل الشافعي واحد
 وأتى بذا المفهوم تصريحاً بآ
 وأتى بذاك مكذباً للكافرين
 ضحكوا من الكفار يومئذ كما
 وأثابهم نظراً إليه ضد ما
 فلذاك فسرهما الأئمة أنه
 لله ذاك الفهم يؤتيه الذي
 القوم قد حجبوا عن الرحمن
 من يرونه في جنة الحيوان
 وسواها من عالمي الأزمان
 خرها فلا تخدع عن القرآن
 من الساخرين بشيعة الرحمن
 ضحكوا هم منهم على الإيمان
 قد قاله فيهم أولو الكفران
 نظر إلى الرب العظيم الشأن
 هو أهله من جاد بالإحسان

الشرح: قال الله تعالى في سورة المطففين في شأن الفجار والمكذبين: ﴿كَلَّا
 إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فهذا يدل بمفهومه على
 أن المؤمنين لا يحجبون عنه سبحانه، بل يرونه في جنة الخلد التي وعدّها عباده
 المتقين، وبهذا احتج الشافعي وأحمد رحمهما الله وغيرهما من علماء أهل السنة.

روى الحاكم قال: حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن
 ادريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها (ما تقول في قول الله عز
 وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فقال
 الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه
 في الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال نعم وبه أدين لله، ولو
 لم يوقن محمد بن ادريس أنه يرى الله لما عبد الله عز وجل).

ولقد ورد التصريح بهذا المفهوم في آخر السورة حيث يقول سبحانه:
 ﴿قَالِئَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ
 تُؤْتِبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٦].

فقد جاءت هذه الآيات تكذب الكفار في سخريتهم من المؤمنين ورميهم
 إياهم بالضلال، فهم يضحكون يومئذ من الكفار، كما كان الكفار يضحكون

منهم، ويتغامزون عليهم في الدنيا، ولما صبروا في الدنيا على ما كانوا يسمعون من الأذى وسوء القالة والغمز واللمز، جزاهم الله على ذلك بالنظر إلى وجهه الكريم فلهذا ذهب أئمة العلم إلى أن المراد بقوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ [المطففين: ٣٥] أنه النظر إلى وجه الله سبحانه، فله ما أحسن هذا الفهم لآيات الكتاب وإشاراته الذي يؤتيه الله من هو أهل له من ذوي الفضل والإحسان.

★ ★ ★

| | |
|---|--|
| <p>وروى ابن ماجة مسنداً عن جابر بيناهم في عيشتهم وسرورهم وإذا بنور ساطع قد اشرفت رفعوا إليه رؤوسهم فأروه نور وإذا برهم تعالى فوقهم قال السلام عليكم فيرونه مصدّق ذا يس قد ضمنته عند من ردّ ذا فعلى رسول الله رد في ذا الحديث علوه ومجيئه هذي أصول الدين في مضمونه</p> | <p>خبرنا وشاهده ففي القرآن ونعيمهم في لذة وتمان منه الجنان قصيها والداني الرب لا يخفى على انسان قد جاء للتسليم بالإحسان جهرًا تعالى الرب ذو السلطان يد القول من رب بهم رحمن وسوف عند الله يلتقيان وكلامه حتى يرى بعيان لا قول جهم صاحب البهتان</p> |
|---|--|

الشرح: روى ابن ماجة في سننه من حديث محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره» ومصدّق هذا الحديث في سورة يس عند قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾.

فمن ردّ هذا الحديث فقد ردّ على رسول ﷺ ودفع كلامه وسوف يكون خصمه يوم القيامة، وقد تضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من عقائد الدين، فأثبت علوه سبحانه على خلقه ومجيئه وتكليمه ورؤية عباده المؤمنين له بأبصارهم. وهذه هي أصول الدين التي تضمنتها الآيات والأحاديث لا قول المعطلة قبحهم الله الذين ينفون علوه سبحانه وكلامه ورؤيته.

★ ★ ★

وكذا حديث أبي هريرة ذلك الـ فيه تجلى الرب جل جلاله وكذلك رؤيته وتكليم لمن فيه أصول الدين أجمعها فلا وحكى رسول الله فيه تجدد الـ إجماع أهل العزم من رسل الـ لا تخدعن عن الحديث بهذه الـ أصحابها أهل التخرص والتنا يكفيك انك لو حرصت فلن ترى إلا إذا ما قلدا لسواهما ويقودهم أعمى يظن كمبصر هل يستوي هذا ومبصر رشده

وخبير الطويل أتى به الشيخان ومجيئه وكلامه ببيان يختاره من أمة الإنسان تخدعك عنه شعبة الشيطان غضب الذي للرب ذي السلطان إله وذاك إجماع على البرهان آراء فهي كثيرة الهذيان قض والتهاثر قائلو البهتان ففتين منهم قط يتفقان فتراهم جيلا من العميان يا محنة العميان خلف فلان الله اكبر كيف يستويان

الشرح: روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس عليكم بآدم

فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده
 ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى
 ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم
 يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت،
 نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون:
 يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا
 إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح إن ربي قد
 غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وأنه قد كانت لي
 دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى
 ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون: يا ابراهيم أنت نبي الله وخليه من أهل الأرض
 اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول أن ربي قد
 غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته،
 نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه
 السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبكلامه
 على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟
 فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
 بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أوامر بقتلها، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى
 غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله
 وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد صبياً فاشفع لنا إلى
 ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد
 غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً،
 نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتون
 محمداً ﷺ، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك
 ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى
 ما قد بلغنا؟ فأقوم فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله

علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً ما لم يفتحه علي أحد قبلي ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي يا رب أمّتي يا رب ، فيقال يا محمد أدخل من أمّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفس محمد بيده أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى « أخرجاه في الصحيحين .

فهذا الحديث قد تضمن أصولاً كبيرة من وجود الله فوق عرشه وتجليه وتكليمه لخير خلقه وأشرف رسله محمد ﷺ ، وقد أخبر الرسول فيه عن أخوانه من أولي العزم أنهم يخشون غضب الرب الذي بلغ من الشدة مبلغاً لم يبلغه من قبل ولن يبلغه من بعد ، فلا تخدع أيها السني عن هذه الأحاديث العظيمة التي تملأ القلب نوراً وبصيرة ، ولا تنصرف عنها إلى هذه الآراء الضالة الكثيرة السقط والهراء ، وهي لم تصدر عن أحد ممن يعتد بهم في العلم والمعرفة ، ولكن عن قوم كثر تحرصهم في دين الله وعظم تناقضهم واضطرابهم أنك لن تجد طائفتين منهم تلتقيان عند رأي واحد إلا إذا كانا قد قلدا غيرها فيه بلا بينة ولا دليل ، فهم كجماعة من العميان يقودهم أعمى مثلهم يحسب أنه بصير ، فياحنة هؤلاء مما يقودهم إليه هذا الأحق الغرير ، فهل يستوي هذا الضال المضل : ومن ألهمه الله رشده ، فهو يمشي على هدى من الله ونور ، كلا لا يستويان أبداً في عقل المتأمل البصير .

★ ★ ★

أَوْ مَا سَمِعْتَ مَنَادِي الْإِيمَانِ يَحْ
يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعِ
قَالُوا أَمَا بَيَضْتُ أَوْجَهَنَا كَذَا
وَكَذَاكَ قَدْ ادْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْدِ
فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ
بِرَ عَنِ مَنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
دَ وَهُوَ مَنجَزُهُ لَكُمْ بَضْمَانِ
أَعْمَالِنَا أَثْقَلْتِ فِي الْمِيزَانِ
نَ أَجْرْتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ
أَعْطَيْكُمْوه بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي

فبرونه من بعد كشف حجابيه
ولقد أتانا في الصحيحين اللذين
برواية الثقة الصدوق جريد
ان العباد يرونه سبحانه
فإن استطعتم كل وقت فاحفظوا ال
ولقد روى بضع وعشرون امراً
أخبار هذا الباب عن قد اتى
والذ شيء للقلوب فهذه الأخبار مع أمثالها هي بهجة الايمان

الشرح: أو ما سمعت منادي الإيمان وهو رسول الله صلوات الله وسلامه
عليه يخبر عن ذلك المنادي الذي ينادي أهل الجنة: «يا أهل الجنة إن ربكم
تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته، فيقولون سمعاً وطاعة وينهضون إلى
الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين
حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً وجمعوا هناك فلم يغادر
الداعي منهم أحداً أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم
منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من
فضة وجلس أدناهم - وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء - على كئبان المسك ما
يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم
واطلأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعداً يريد
أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة
ويزحزحنا عن النار، فبيننا هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا
رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم
وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم
أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب
تبارك وتعالى يضحك اليهم ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه
تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد،

فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي هذا يوم المزيد فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لا حترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول له يا فلان: أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدواته في الدنيا، فيقول يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول بمغفرتي بلغت منزلتك هذه» الحديث. ولقد جاء في صحيح البخاري ومسلم اللذين هما أصح الكتب على الإطلاق بعد كتاب الله عز وجل من رواية الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي (أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة عياناً) وقد تقدمت رواية الحديث. وبالجملة فأحاديث الرؤية متواترة في المعنى رواها أكثر من عشرين صحابياً قد ذكرنا أسماء بعضهم وأحاديثهم فيما سبق، ولا شيء ألد للقلوب ولا أهبج للنفوس من رواية مثل هذه الأحاديث التي تحرك شوق المؤمن الى شهود ذلك الجناب الأقدس التي تتضاءل دونه أنواع المتع واللذات.

★ ★ ★

جنان ما طابت لذي العرفان
وخطابه في جنة الحيوان
سبحانه عن ساكني النيران
هم فيه مما نالت العينان
لذاتهم من سائر الألوان
هذا النعيم فحبذا الأمران
بجلاله المبعوث بالقرآن
بجلال وجهه الرب ذي السلطان
دنيا ويوم قيامة الأبدان

والله لولا رؤية الرحمن في الـ
أعلى النعيم نعيم رؤية وجهه
وأشد شيء في العذاب حجابيه
وإذا رآه المؤمنون نسوا الذي
فإذا توارى عنهم عادوا إلى
فلهم نعيم عند رؤيته سوى
أو ما سمعت سؤال أعرف خلقه
شوقاً إليه ولذة النظر التي
فالشوق لذة روحه في هذه الـ

تلتذ بالنظر الذي فازت به
 والله ما في هذه الدنيا ألبذ
 وكذاك رؤية وجهه سبحانه
 لكنما الجهمي ينكر ذا وذا
 تباً له المخدوع أنكر وجهه
 وكلامه وصفاته وعلوه
 فتراه في واد ورسـل الله في
 دون الجوارح هذه العينان
 من اشتياق العبد للرحمن
 هي أكمل اللذات للإنسان
 والوجه أيضاً خشية الحدثان
 ولقاءه ومحبة الديان
 والعرش عظمه من الرحمن
 واد وذا من أعظم الكفران

الشرح: وأشد شيء في عذاب أهل النار هو احتجاب الرب تبارك وتعالى عنهم وحرمانهم من النظر الى وجهه الكريم، وإذا تجلى الرب لعباده المؤمنين في الجنة نسوا كل ما هم فيه من ألوان النعيم من أجل ما ظفرت به أعينهم من اللذة الكبرى بالنظر إلى وجه الله عز وجل، فإذا ما احتجب عنهم عادوا إلى ما كانوا فيه من ألوان السرور والنعيم، فلهم نعيمان في الجنة، نعيم عند رؤيته سبحانه وهو أجلها وأشرفها، ونعيم عند احتجابه بما هم فيه من ظلال وفواكه وحور وولدان إلى آخره، فحبذا النعيمان.

ولقد روى الامام أحد من حديث أبي مجلز قال: (صلى بنا عمارة صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك، فقال ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى، قال: أما اني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الغنى والفقر، ولذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحهما.

فالشوق إلى لقاء الله عز وجل هو لذة الروح في هذه الدنيا للمؤمن، وفي يوم القيامة يلتذ بالنظر إلى وجه الله الكريم الذي هو حظ العين من دون الجوارح

كلها. وليس في هذه الدنيا لدى أهل المعرفة بالله لذة تعدل لذة الشوق إلى لقاء الله كما أنه ليس في الآخرة لذة تعدل لذة النظر إلى وجهه سبحانه.

لكن الجهمي المعطل لا يؤمن لا بلقاء ولا بنظر ولا بوجه، لأنها عنده من مستلزمات الحوادث، فهلاكاً لهذا المغرور الذي استمسك بشبه واهية ظنها معقولات صحيحة، فنفى من أجلها ما ثبت بالنصوص الصريحة القطعية من الوجه واللقاء والمحبة والكلام والعلو وسائر الصفات، حتى عطل العرش عن أن يكون فوقه إله يعبد ورب يصلى له ويسجد، فهو بإنكاره وتعطيله في واد، ورسل الله وأتباعهم في إثباتهم لكلمات الرب كلها في واد، ومخالفة الرسل عليهم السلام ومشافتهم واتباع غير سبيلهم من أقبح أنواع الكفر الذي باء به هذا الجهمي العنيد.

★ ★ ★

فصل

في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة

أو ما علمت بأنه سبحانه فيقول جل جلاله هل أنتم أم كيف لا نرضى وقد أعطيتنا هل تم شيء غير ذا فيكون اف فيقول أفضل منه رضواني فلا ويذكر الرحمن واحدهم بما منه إليه ليس ثم وساطة لكن يعرفه الذي قد ناله ويسلم الرحمن جل جلاله وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه

حقاً يكلم حزبه بجان راضون قالوا نحن ذو رضوان ما لم ينله قط من انسان ضل منه نسأله من المنان يغشام سخط من الرحمن قد كان منه سالف الأزمان ما ذاك توبيخاً من الرحمن من فضله والعفو والاحسان حقاً عليهم وهو في القرآن سبحانه بتلاوة الفرقان

فكانهم لم يسمعه قبل ذا هذا رواه الحافظ الطبراني
هذا سماع مطلق وسمعنا ال
والله يسمع قوله بوساطة
فسماع موسى لم يكن بوساطة
من صير النوعين نوعاً واحداً
مخالفاً للعقل والقرآن

الشرح: أعلم أن تكليم الله لأوليائه في الجنة هو كرؤيته، كل ذلك حق لا ريب فيه، فإن الله عز وجل نفى تكليمه لأعدائه يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين في الجنة لكانوا هم وأعداؤه في ذلك سواء.

وتكليمه لأهل الجنة تكليم خاص للتحية والتكريم، فهو لا ينافي أنه سيكلم عباده جميعاً في عرصات القيامة. وقد جاء في حديث عدي بن حاتم (ما من عبد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجان، ولكن حين يدخل أهل النار النار يحتجب سبحانه وتعالى عنهم ولا يكلمهم، بل حين يستغيثون به ويطلبون منه الخروج من النار يقول لهم: ﴿اٰخْسَاوْا فِيْهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة، فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

وقد سبق في حديث زيارة أهل الجنة لربهم أنه سبحانه يحاضر كل واحد منهم حتى يقول له يا فلان ألم تفعل كذا يوم كذا، يذكره بغدراته لا على جهة

التوبيخ والتقريع، ولكن يذكر بفضلته وإحسانه عليه في العفو والمغفرة. وفي الصحيح من حديث ابن عمر: «أن الله عز وجل يدني المؤمن ويضع عليه كنفه ثم يقرره بذنوبه فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا، حتى إذا قرره بذنوبه وأيقن أنه قد هلك قال له سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم».

وقد ورد أيضاً أن الله عز وجل يتجلى لأهل الجنة ويسلم عليهم، كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] بل وقد ورد أنه سبحانه يقرأ القرآن لأهل الجنة بصوت نفسه يسمعون لذيذ خطابه، فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك. روى أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد الله ابن بريدة قال: إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه.

وهذا سماع مطلق وهو أكمل السماع، وأما سماعنا للقرآن في الدنيا فهو نوع آخر، لأن سماع كلام الله نوعان: نوع بوساطة القارئ له المبلغين عن الله عز وجل. ونوع بالباشرة بلا وساطة أحد، كتكليمه لموسى عليه السلام، فإنه كان كفاحاً بلا واسطة. وأما سماعنا نحن لكلامه في الدنيا فهو بواسطة التالين له. فمن جعل النوعين نوعاً واحداً وزعم أن الله لا يتكلم بكلام مسموع، وأنه لا يمكن سماع كلامه إلا بواسطة من يقرؤه من الناس، فهو مخالف للعقل الذي يقضي بأنه لا يسمى متكلماً إلا من قام به الكلام، والكلام لا يكون إلا حروفاً وألفاظاً مسموعة. ومخالف للقرآن أيضاً: فقد ذكر الله أنواع وحيه إلى رسله وجعل منها تكليمه لمن يشاء منهم من غير وساطة الملك. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١].

★ ★ ★

فصل

في يوم المزيد وما أعد لهم فيه من الكرامة

أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ
هُوَ يَوْمُ جَمَعْتَنَا وَيَوْمَ زِيَارَةِ الْ-
وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمْ الْأَوْلَى
سَبِقَ بِسَبْقِ الْمَوْخِرِ هَهُنَا
وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو
قَرَبَ بِقَرَبِ الْمُبَاعِدِ مِثْلَهُ
وَلَهُمْ مَنَابِرٌ لَوْلَوْ وَزَبْرَجِدُ
هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
فَيُرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مَحَا
هَلْ تَذَكَّرَ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
فَيَقُولُ رَبُّ أَمَّا مَنْنْتَ بِغَفْرَةٍ
فِيحْيِيهِ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي

الشرح: روى الإمام الشافعي في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « أتى جبريل رسول الله ﷺ بمراة بيضاء فيها نكته، فقال النبي ﷺ ما هذه؟ فقال هذه يوم الجمعة فضلت بها أنت وأمتك، والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير، وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له، وهو عندنا يوم المزيد، فقال النبي ﷺ وما يوم المزيد يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ في في الفردوس وادياً أفيح فيه كشب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله سبحانه وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت

والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب، فيقول الله عز وجل: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولديّ مزيد، فهم يجبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير، وهو اليوم الذي استوى فيه ربك على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة».

وذكر أبو نعيم من حديث المسعودي عن المنهال عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: «سارعوا إلى الجمعة في الدنيا، فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة في كل جمعة على كتيب من كافور أبيض فيكونون منه سبحانه في القرب على قدر سرعتهم إلى الجمعة، ويحدث لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك، فيرجعون إلى أهلهم وقد أحدث لهم.

فالسابقون إلى الصلاة يوم الجمعة هم السابقون في الذهاب إلى الله عز وجل يوم المزيد الذي هو يوم زيارة الرب تعالى، والمتأخرون هنا متأخرون هناك جزاءً وفاقاً.

وكذلك الأقربون إلى الامام في يوم الجمعة يكونون هم أهل الزلفى والقرب عند الله، فقربهم هناك بحسب قربهم من الامام، وبعدهم بحسب بعدهم كذلك.

ولهم هناك في هذا الوادي الذي يسمى وادي المزيد مناير من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد، والذهب وأدناهم منزلة وليس فيهم دنيء ولا ناقص يجلسون على كئيبان المسك ولا يجردون لأهل المناير فضلاً عليهم، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويطلب إليهم أن يسألوه.

وقد ذكرنا فيما سبق محاضرة الرب جل شأنه لهم، وأنه يسأل أحدهم فيقول يا فلان ابن فلان ألم تفعل كذا يوم كذا - من غدراته في الدنيا - فيقول يا رب ألم تغفره لي؟ فيقول بلى فمغفرتي لك التي أوصلتك إلى ما أنت فيه.

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

ويظلمهم إذ ذاك منه سحابة تأتي بمثل الوابل الهتان
بيناهم في النور إذ غشيتهم سبحان منشيها من الرضوان
فتظل تمطرهم بطيب ما رأوا شهبها له في سالف الأزمان
فيزيدهم هذا جمالا فوق ما لهم وتلك مواهب المنان

الشرح: روى بقية بن الوليد عن كثير بن مرة قال: (ان من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم؟ فلا يتمنون شيئا إلا أمطروا).

وروى عبد الله بن المبارك من حديث شفي بن ماتع قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانهم».

ويزيدهم هذا حسنا فوق ما بهم حتى أن الرجل منهم ليرجع إلى أهله بعد الزيارة فتقول له: لقد خرجت من عندنا على صورة ورجعت على غيرها.

فصل

في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس

فيقول جل جلاله قوموا إلى ما قد ذخرت لكم من الإحسان
يأتون سوقا لا يباع ويشترى فيه فخذ منه بلا أثمان
قد أسلف التجار أثمان المي ع بعقدهم في بيعة الرضوان

لله سوق قد أقامته الملا
 فيها الذي والله لا عين رأت
 كلا ولم يخطر على قلب امرئ
 فيرى امرأ من فوقه في هيئة
 فإذا عليه مثلها اذ ليس يد
 واهما لذا السوق الذي من حله
 يدعى بسوق تعارف ما فيه من
 وتجارة من ليس تلهيه تجا
 أهل المروة والفتوة والتقى
 يا من تعوض عنه بالسوق الذي
 لو كنت تدري قدر ذلك السوق لم

ثكة الكرام بكل ما احسان
 كلا ولا سمعت به اذنان
 فيكون عنه معبرا بلسان
 فيروعه ما تنظر العينان
 حق أهلها شيء من الأحزان
 نال التهاني كلها بأمان
 صخب ولا غش ولا ايمان
 رات ولا بيع عن الرحمن
 والذكر للرحمن كل أوان
 ركزت لديه راية الشيطان
 تركزن إلى سوق الكساد الفاني

الشرح: يعني أن أهل الجنة بعد انتهاء زيارتهم للرب جل شأنه يقول لهم قوموا إلى ما ذخرت لكم من الكرامة، فيصرفون إلى سوق لا بيع فيه ولا شراء فتأخذ منها ما شئت بلا عوض ولا ثمن، لأن التجار هناك قد دفعوا ثمن البيع مقدما عند مبايعتهم للرب جل شأنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١] الآية.

فله در ذلك السوق الذي نصبته الملائكة لأولياء الله وحزبه، كم فيه من تحف وهدايا مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ويرى الرجل من هو أعلى منه منزلة في هيئة من الحلى والحلل تروجه وتدهشه ويتمنى لو كان له مثلها، فإذا هو قد ألبس منها، وذلك لأن الجنة ليست دار حزن بل يجد الإنسان فيها كل ما يشتهي. فوالهفتا على هذه السوق التي من ظفر بها وصل إلى منتهى البغية وأطيب الأمل.

وهو سوق تعارف بين أهل الجنة، فلا صخب ولا غش ولا أيمان فاجرة ولا غير ذلك مما يجري في أسواق الدنيا.

روى الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: (أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، فقال سعيد أو فيها سوق؟ قال نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم بمقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله تبارك وتعالى، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم - وما فيهم من دنيء - على كئبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بافضل منهم مجلساً. قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا، قال فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حضره الله محاضرة، حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول بلى ألم تغفر لي؟ فيقول بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه. قال فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سخابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط.

قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة، فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب.

قال فيحمل لنا ما أشتيناه ليس يباع فيه ولا يشتري، وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء، فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يجزن فيها.

قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً بجنابنا، لقد جئت وأن بك من الجلال والطيب افضل مما فارقتنا عليه، فنقول أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل وبحقنا أن نقرب بمثل ما أنقلبنا).

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم

فإذا هم رجعوا إلى أهلهم
قالوا لهم أهلاً ورحباً ما الذي
والله لازددتم جمالا فوق ما
قالوا وأنتم والذي أنشأكم
لكن يحق لنا وقد كنا اذا
فهم إلى يوم المزيد أشد شو
بمواهب حصلت من الرحمن
أعطيتم من ذا الجمال الثاني
كنتم عليه قبل هذا الآن
قد زدتم حسنا على الاحسان
جلساء رب العرش ذي الرضوان
قا من محب الحبيب الداني

الشرح: يعني أن أهل الجنة حين يرجعون إلى أهلهم بعد زيارة الرب تبارك وتعالى يقولون لهم أهلاً ومرحباً بجننا، ما هذا الجمال الذي أضفي عليكم فوق ما كنتم عليه قبل مفارقتنا، لقد ازددتم في أعيننا جمالاً وحسناً، فيقولن لهم وأنتم كذلك والذي أنشأكم، لقد ازددتم في أعيننا جمالاً وملاحة، لكننا يحق لنا أن نرجع اليكم بهذه الصور، فقد كنا قبل قليل جلساء رب العرش، فخلع علينا من نوره وجماله ما ملأ عيونكم وقلوبكم، فأهل الجنة يشتاقون ليوم المزيد أشد مما يشتاق المحب لقرب حبيبه، وذلك لما يخلع الله عليهم من كرامته.

روى مسلم في صحيحه من حديث ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «ان في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم حسناً وجمالاً فيقولون والله وأنتم لقد ازددتم حسناً وجمالاً».

فصل

في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة النوم والموت عليهم

هذا وخاتمة النعيم خلودهم
أو ما سمعت منادي الإيمان يخ
لكم حياة ما بها موت وعا
ولكم نعيم ما به بؤس وما
كلا ولا نوم هناك يكون ذا
هذا علمناه اضطراراً من كتا
والجهم أفناها وأفنى أهلها
طرداً لنفي دوام فعل الرب في ال
وأبو الهذيل يقول يفنى كلما
وتصير دار الخلد مع سكانها
قالوا ولولا ذاك لم يثبت لنا
فالقوم أما جاحدون لربهم

أبدا بدار الخلد والرضوان
بر عن مناديتهم بحسن بيان
فيه بلا سقم ولا أحزان
لشبابكم هرم مدى الأزمان
نوم وموت بيننا اخوان
ب الله فافهم مقتضى القرآن
تبا لذاك الجاهل الفتان
ماضي وفي مستقبل الأزمان
فيها من الحركات للسكان
وثمارها كحجارة البنيان
رب لأجل تسلل الأعيان
أو منكرون حقائق الإيمان

الشرح: هذا وتمام نعيم أهل الجنة خلودهم فيها وبقاؤهم أبد الآباد ولا
يفنون ولا يخرجون، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، فإن الآيات
والأحاديث في هذا الباب من الكثرة والصراحة بحيث لا تقبل جدلاً ولا تأويلاً
كقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾
[التوبة: ٢١] ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ [هود:
١٠٨] ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿أَكَلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا
[الرعد: ٣٥] إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى كثرة.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجاء

بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مریم: ٣٩].

قال المؤلف في (حادي الأرواح) (وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعابنة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً، وقال الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح، فإن الله ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معابنة يثاب بها ويعاقب، والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى) أهـ.

وأهل الجنة كذلك في عافية دائمة لا تصيبهم الآفات ولا الأمراض ولا الآلام والأوصاب، كما قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥] ونعيمهم باق فلا يلحقهم بؤس ولا شقاء، وشبابهم لا يفنى ولا يحول ولا تنسخه شيخوخة ولا فناء وهم كذلك لا ينامون، فإن النوم والموت فيما بيننا أخوان.

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون».

وهذا الذي ذكرناه من دوام حياة أهل الجنة ونعيمهم وسرورهم وشبابهم وانتفاء الموت والنوم والأسقام والأحزان والتعب والنصب عنهم هو ما علم بالأضطرار من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ولكن جهماً قبحه الله قضى بفناء الجنة وأهلها محتجاً بأن كل ما له ابتداء

لا بد أن يكون له انتهاء، وبأن التسلسل في الحوادث كما هو ممتنع في الماضي،
فكذلك في المستقبل فلا بد أن يأتي وقت لا يكون فيه إلا الله عز وجل وحده
وتفنى الجنة والنار وأهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو
امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوها بها
على حدوث الأجسام وحدث ما لم يخل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في
حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في
المستقبل، فدوام الفعل عنده ممتنع على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو
ممتنع عليه في الماضي، وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل،
لكن قال أن هذا يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء، فقال
بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم
على حركة).

وقال الجهم وأبو الهذيل ومن وافقهما في امتناع دوام فاعلية الرب في الماضي
والمستقبل جميعاً أنه لولا القول بحدوث العالم وامتناع التسلسل لما كان لنا طريق
إلى إثبات وجود الله عز وجل، فإن إثباته إنما هو من طريق حدوث العالم
المحوج له إلى محدث يخرج من العدم إلى الوجود، فوقعوا بهذا بين أمرين
أحلاهما مر فهم إما جاحدون منكرون لوجود الله تعالى، وأما منكرون لحقائق
الإيمان الثابتة المعلوم ثبوتها بالضرورة.

فصل

**في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال
إن الذبح لملك الموت وإن ذلك مجاز لا حقيقة له**

أو ما سمعت بذبحه للموت يـ من المنزلين كذبح كبش الضان
حاشا لذا الملك الكريم وإنما هو موتنا المحتوم للإنسان

يوم المعاد يرى لنا بعيان
 بالعكس كل قابل الامكان
 د تحط يوم العرض في الميزان
 رى ذاك في القرآن ذو تبيان
 والكفتان إليه ناظرتان
 محسوس حقاً عند ذي الإيمان
 د وذكرهم وقراءة القرآن
 دل عنه يوم قيامة الأبدان
 ش الرب ذو صوت وذو دوران
 ويذكرون بصاحب الاحسان
 في القبر للملفوف في الأكفان
 سن الشباب كأجل الشباب
 حن كي ينجيك من نيران
 حب يا حبذا ذاك الشفيح الداني

والله ينشئ منه كبشاً أملحاً
 ينشئ من الأعراض أجساماً كذا
 أفها تصدق أن أعمال العبا
 وكذلك تثقل تارة وتخف أخ
 وله لسان كفتاه تقيمه
 ما ذاك أمراً معنوياً بل هو ال
 أو ما سمعت بأن تسبيح العبا
 ينشيه رب العرش في صور يجا
 أو ما سمعت بأن ذلك حول عر
 يشفعن عند الرب جل جلاله
 أو ما سمعت بأن ذلك مؤنس
 في صورة الرجل الجميل الوجه في
 يأتي يجادل عنك يوم الحشر لل
 في صورة الرجل الذي هو شا

الشرح: تقدم حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في أنه (يجاء بالموت
 على هيئة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار، ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت
 ويا أهل النار خلود فلا موت).

وقد ذكرنا كلام المؤلف رحمه الله في أن الذي يذبح هو الموت حقيقة، بأن
 ينشئ الله منه صورة كبش. وليس هذا بممتنع على قدرة الله، فهي صالحة لأن
 تنشئ من الأعراض أجساماً وبالعكس، لأن ذلك كله ممكن مقدور، وقد
 وردت النصوص الكثيرة بانقلاب بعض الأعراض أجساماً. فمن ذلك أعمال
 العباد التي عملوها في الدنيا من خير وشر توضع يوم القيامة في ميزان حقيقي له
 لسان وكفتان وتوصف حينئذ بالخفة أو الرجحان قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
 الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا

بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [الأنبياء : ٤٧] ومعلوم أن الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، ولكن الله سبحانه يحولها يوم القيامة أعياناً محسوسة.

ومن ذلك أيضاً أن ما يقع من العبد من تسبيح وذكر لله وقراءة للقرآن ينشئه الله في صور طير لها دوي ودوران حول العرش تجادل عن صاحبها يوم القيامة.

ومن ذلك ما تقدم في حديث البراء بن عازب من أن عمل المؤمن يجيء في قبره في صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب ويقول له: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له من أنت فوجهك الذي يأتي بالخير؟ فيقول أنا عملك الصالح، ويكون مؤنساً له في قبره، وعمل الكافر بعكس ذلك.

ومن ذلك أن ما نتلوه من القرآن في الدنيا يأتي يوم القيامة في صورة رجل شاحب اللون يجادل عن صاحبه لكي ينجيه من النار، فياحبذا القرآن من شفيق مقرب نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل شفاعته.

★ ★ ★

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| أتى في سورتين من أول القرآن | أو ما سمعت حديث صدق قد |
| شرق ومنه الضوء ذو تبيان | فرقان من طير صواف بينها |
| بغياتين هما لذا مثلان | شبهها بغامتين وإن تشأ |
| كتلاوة القرآن بالإحسان | هذا مثال الأجر وهو فعالنا |
| خلاقه حتى يرى بعيان | فالموت ينشيه لنا في صورة |
| مخلوق يقبل سائر الألوان | والموت مخلوق بنص الوحي وال |
| رة قالب الأعراض والألوان | في نفسه وبنشأة أخرى بقد |
| أعيان من لون إلى ألوان | أو ما سمعت بقلبه سبحانه ال |
| أعيانها والكل ذو إمكان | وكذلك الأعراض يقلب ربها |
| فأتوا بتأويلات ذي البطلان | لم يفهم الجهال هذا كله |

فمكذب ومؤول ومخير ما ذاق طعم حلاوة الإيمان
 لما فسى الجهال في آذانه أعموه دون تدبر القرآن
 ففنى لنا العطفين منه تكبرا وتبخترا في حلة الهذيان
 ان قلت قال الله قال رسوله فيقول جهلا أين قول فلان

الشرح: جاء في الصحيح عن رسول الله ﷺ أن البقرة وآل عمران تجيئان
 يوم القيامة كأنهما غماتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف تحاجان عن
 قارئها يوم القيامة، وأو هنا ليست للشك من الراوي ولكنها من كلامه ﷺ
 للتخيير، والمعنى ان شئت شبهتها بهذه أو تلك، فهما مثلان لا مثل واحد وقوله:
 أو فرقان من طير صواف مثل ثالث.

وإذا ثبت أن الأعمال والقراءة وغيرهما من الأعراض يقلبها الله أعياناً توزن
 وتجيء وتتكلم فلا مانع أبداً أن ينشئ الله الموت الذي هو عرض في صورة كبش
 حتى يراه أهل الجنة والنار ليزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار غمًا وبأساً.
 فالموت مخلوق بنص القرآن، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ
 أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ولا شك أن المخلوق قابل في نفسه لكل أنحاء
 الوجود، وقابل أيضاً لأن ينشئه الله نشأة أخرى، فيحيله من عرض إلى جسم
 ومن جسم إلى عرض، بل قد قال بعض المتكلمين كالنظام: إن الجسم مجموعة من
 الأعراض ومنهم من رأى أن الأعراض من اللون والطعم والرائحة أجسام، فلا
 يمتنع على قدرة الخالق جل شأنه التصرف في عالم الإمكان بما يشاءه من الصور
 والألوان، ولكن الجهلة الأغبياء لم يقدرُوا الله حق قدره، وظنوا أن قلب
 الأعيان محال فأتوا بتأويلات باطلة متكلفة لكل ما قدمنا من النصوص، فمنهم
 من كذب بها، ومنهم من اشتغل بتأويلها، ومنهم من بقي متحيراً لا يدري ما
 يقول، لأن ترهات الجهال ملأت أذنه فأعمته عن تفهم القرآن وتدبره، وهو مع
 ذلك يظن أنه على شيء من العلم فيمشي تياها متكبراً يخال في حلل جهله
 وهذيانه، وإذا احتج له بما قال الله عز وجل في كتابه وبما قاله رسوله ﷺ لم

يقنعه هذا وراح يسأل عما قاله فلان وفلان، لأن آراء الناس عنده مقدمة على ما جاء به الوحيان، فما أقبح الجهل والغرور بالإنسان.

فصل

في أن الجنة قيعان وأن غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح

أو ما سمعت بأنها القيعان فاغ
وغراسها التسبيح والتكبير والتد
تبا لتارك غرسه ماذا الذي
يا من يقر بذا ولا يسعى له
أرأيت لو عطلت أرضك من غرا
وكذاك لو عطلتها من بذرها
ما قال رب العالمين وعبده
وتأمل الباء التي قد عينت
وأظن باء النفي قد غرتك في
لن يدخل الجنات أصلاً كادح
والله ما بين النصوص تعارض
لكن بالاثبات للتسبيح وال
والفرق بينها ففرق ظاهر

رس ما تشاء بذا الزمان الفاني
حميد والتوحيد للرحمن
قد فاته من مدة الإمكان
بالله قل لي كيف يجتمعان
س ما الذي تجني من البستان
ترجو المغل يكون كالكيان
هذا فراجع مقتضى القرآن
سبب الفلاح لحكمة الفرقان
ذاك الحديث أتى به الشيخان
بالسعي منه ولو على الأجنان
والكل مصدرها عن الرحمن
باء التي للنفي بالأثمان
يدريه ذو حظ من العرفان

الشرح: يعني أن الجنة أرض مستوية ليس فيها غراس، وأن الإنسان بسعيه وعمله في أيام عمره يغرس لنفسه ما يشاء، وقد ورد أن غراسها: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فهذه الكلمات الأربع ورد الحديث الصحيح بأنها أفضل الكلام بعد القرآن، وهن من القرآن، وصح أيضاً أنها الباقيات الصالحات التي يقول الله عز وجل في شأنها: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ

عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرًا أَمْلاً ﴿ [الكهف: ٤٦] .

فالويل لمن أهمل أن يغرس لنفسه في أيام قدرته وإمكانه، لقد ضيع على نفسه أعظم فرصة .

فيا من يؤمن إيماناً جازماً بأنه سيجني هناك ما قدم لنفسه هنا ثم لا يسعى لذلك سعيه ولا يهتم له اهتمامه بأمر دنياه، قل لي بربك كيف يجتمع إيمان وإهمال رأيت لو كان لك بستان فعطلته من الغراس هل كنت تجني منه شيئاً، وكذلك لو كان لك أرض فعطلتها من البذر، فهل كنت ترجو أن تغل لك غلة كثيرة؟ ما قال الله هذا ولا قاله رسوله عليه الصلاة والسلام، بل جعل الله الأعمال سبباً للجزاء، وجعل الجزاء من جنس العمل وعلى وفاقه وقدره، قال تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤] ولا تعارض بين هذا وبين ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه الشيخان « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، فقيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ فقال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل » .

فإن باء الإثبات في مثل الآية السابقة هي باء السبب، فالأعمال أسباب فقط في دخول الجنة، وباء النفي التي في الحديث للمقابلة، يعني أن الأعمال لا تصلح أن تكون ثمناً للجنة ولا سبباً لدخولها لو لا فضل الله ورحمته .

قال المؤلف رحمه الله في حادي الأرواح:

(وها هنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله تعالى، وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً، ولهذا أثبت الله دخولها بالأعمال في قوله: ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] ونفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » ولا تنافي بين الأمرين لوجهين: أحدهما ما ذكره سفيان وغيره قال: كانوا يقولون النجاة من

النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال .

والثاني أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاضضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر ، والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً بمصوله ، وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله : « سددوا وقاربوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » .

ومن عرف الله تعالى وشهد مشهد حقه عليه ومشهد تقصيره وذنوبه وأبصر هذين المشهدين بقلبه عرف ذلك وجزم به ، والله سبحانه وتعالى المستعان .

فصل

في إقامة المآثم على المتخلفين عن رفقة السابقين

بالله ما عذر امرئ هو مؤمن بل قلبه في رقدة فإذا استفا تالله لو شاقتك جنات النعيم وسعيت جهدك في وصال نواعم جليت عليك عرائس والله لو رقت حواشيه وعاد لوقته لكن قلبك في القساوة جاز حد لو هزك الشوق المقيم وكنت ذا أو صادفت منك الصفات حياة قلد خود تزف إلى ضرير مقعد شمس لعين تزف إليه ما

حقاً بهذا ليس باليقظان ق فلبسه هو حلة الكسلان سم طلبتها بنفائس الأثمان وكواعب بيض الوجوه حسان تجلي على صخر من الصوان ينهال مثل نقي من الكئبان الصخر والحصباء في أشجان حس لما استبدلت بالأهوان سب كنت ذا طلب لهذا الشأن يا محنة الحسنة بالعميان ذا حيلة العينين في الغشيان

الشرح: بعد أن أفاض المؤلف في وصف الجنان وعرائسها من الحور العين

وأتى في ذلك بما يهز الشوق ويشير الأشجان ويطيّر بالأرواح إلى بلاد الأفراح التي صاغها ربنا جل وعلا لأوليائه فأحسن صوغها، ونقاها من كل دنس وصفها من كل كدر، ووفر لهم فيها كل رفاهية ومنتعة لأبدانهم، في المطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمناظر البهيجة والملك الكبير وكل سرور ولذة لأرواحهم وقلوبهم برضوانه والنظر إلى وجهه.

وما أروع قوله صلى الله عليه وسلم في وصف الجنة فيما رواه عنه أسامة رضي الله عنه: «ألا هل من مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، وهي ورب الكعبة نور يتلأأ ويريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضر، وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية».

أقول: بعد أن صاغ المؤلف هذه الأبيات من أشواق قلبه ونظمها من فيض عواطفه وآهات وجدته قال: أي عذر لمن صدق بهذا النعيم والبهجة والعاقبة الحميدة الحسنة، ثم ظل قلبه فيما هو فيه من رقدة وغفلة، فإذا أفاق وصحاً لم يصح إلى جدّ وتشمير وعمل، بل إلى خمود وبلادة وكسل. أليس هذا دليلاً على جود قلبه وبيسه وأنه لم يتحرك فيه الشوق إلى بلوغ هاتيك المنازل الرفيعة والجنات الناعمة إذ لو شاقته لبذل في سبيلها كل غال ونفيس، وسعى جهده في وصال عرائسها المجلوة الناعمت وكواعبها البيض الفاتنات اللائي يتفجرن شباباً ويتألقتن جلالاً ويفضن رقة وعذوبة، واللائي لو جليت صفاتها ومحاسنها لجلمود صخر لرقت جوانبه وعاد من فوره كثيراً مهياً، لكن القلوب أصبحت في قساوتها وجودها وبيسها أشد من الصخر، فلا تهتز بشوق ولا تتحرك بعاطفة، إذ لو هزك الشوق وكنت ذا حس مرهف لما تعوضت عن هذا النعيم الأعلى بالحقير الدون من متاع هذه العاجلة ولو صادفت منك هذه الصفات قلباً ينبض بالحياة والحركة ويدرك مقدار هذا المطلوب الأعظم لجد غاية الجد في طلبه وسعى إلى تحصيله بكل ممكن وإلا فهل يليق بتلك الخود أن تزف إلى ضرير مقعد، فما أشد حينئذ محنتها به وما أنكد عيشها معه، وهل يليق بشمس تتفجر

حياة وبضاضة أن تزف إلى عينين لا حركة له ولا شهوة؟ كلا والله لن تزف
هذه الشموس إلا لخطابها الحقيقيين الذين دفعوا أثمانها غالية وقدموا هن المهور
المجزية .

★ ★ ★

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن ليس يناها في الألف إلا واحد لا اثنان
يا سلعة الرحمن ماذا كفؤها إلا أولو التقوى مع الإيمان
يا سلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سفلة الحيوان
يا سلعة الرحمن أين المشتري فلقد عرضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ خطاب عنك وهم ذوو إيمان
يا سلعة الرحمن لولا أنها حجبت بكل مكاره الإنسان
ما كان عنها قط من متخلف وتعطلت دار الجزاء الثاني
لكنها حجبت بكل كريمة ليصد عنها المبطل المتواني
وتناها المهمم التي تسمو إلى رب العلى بمشيئة الرحمن

الشرح: صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ
المنزل ألا أن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة » .

فالمؤلف يخاطب سلعة الرحمن التي هي جنته بأنها ليست رخيصة مبتذلة ولا
مزهوداً فيها، بل هي غالية جداً على أهل الكسل والبلادة الذين لم يقدموا من
السعي ما يرشحهم للظفر بها، وهي لعلوا وتمنعها وغلاء مهرها لا يستطيع أن
ينالها من كل ألف إلا واحد فقط، كما ورد في الحديث الصحيح: « إن الله عزَّ
وجل يقول لآدم عليه السلام: يا آدم اذهب فأخرج بعث ذريتك إلى النار،
فيخرج من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون » .

وليس من خاطب كفوء لسلعة الله الغالية، بل لا يناها من عباده إلا أولو

التقوى والإيمان، فهذا ثمنها الذي لا تنال إلا به من دون سائر الأثمان، ولكنها سلعة بائرة عند الأخساء من أهل الكفر والفجور والعصيان.

فيا سلعة الرحمن أين مشتريك، فقد عرضك مولاك بأيسر الأثمان، ولكنه ليس يسيراً إلا على كل موفق ذي ثقة، ولا يستطيعه أهل الخيبة والخذلان. وأين خطابك الذين يقدمون لك المهر في حال الحياة، فإنه قبل الموت ذو إمكان. وكيف سلو هؤلاء الخطاب واصطبارهم عنك إذا كانوا بك ذوي إيمان، فوالله لولا أنك حفت بالمكارة والشدائد لما تخلف عنك إنسان ولتعطلت النار التي هي دار الجزاء الثاني وختت من السكان، ولكن الله حجبك بكل كريمة حتى لا يطيقك إلا كل مشمر مقدم غير متوان ولا جبان، وحتى يعرض عنك كل مبطل كسلان. وهل ينالك في علاك إلا كل عالي الهمة غير مخلد إلى الأرض والحطام الفاني، بل ساعياً إلى ربه بمشيئة الرحمن.

★ ★ ★

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| فاتعب ليوم معادك الأدنى تجد | راحاته يوم المعاد الثاني |
| وإذا أبت ذا الشأن نفسك فات | همها ثم راجع مطلع الإيمان |
| فإذا رأيت الليل بعد وصبحه | ما انشق عنه عمودة لأذان |
| والناس قد صلوا صلاة الصبح وان | تظروا طلوع الشمس قرب زمان |
| فاعلم بأن العين قد عميت فنا | شد ربك المعروف بالإحسان |
| واسأله إيماناً يباشر قلبك الـ | محجوب عنه لتنظر العينان |
| واسأله نورا هاديا يهديك في | طرق المسير إليه كل أوان |
| والله ما خوفي الذنوب فانها | لعلى طريق العفو والغفران |
| لكنما أخشى انسلاخ القلب من | تحكيم هذا الوحي والقرآن |
| ورضا بأراء الرجال وخرصها | لا كان ذاك بمنة الرحمن |

الشرح: وإذا كانت الجنة لا ينالها إلا من شمر لها وسعى لها سعيها وجد في طلبها، فكن ممن يؤثر الآجلة على العاجلة ويتحمل كل ما يصادفه في سيره إلى

الله من المتاعب والآلام إلى يوم معاده القريب بالموت لتعقبه الراحة الكبرى يوم معاده الثاني بالبعث والنشور، وإذا استعصت عليك نفسك وأبت لا الركون والاخلاد إلى عرض هذا الأدنى ولم ترد إلا الحياة الدنيا، فأسىء بها الظن واتهمها وامتحن إيمانك فلعله أن يكون مدخولاً، فإذا رأيت نفسك لا تزال تعيش في ليل لم ينشق فجره ولم يسفر صبحه، والناس من حولك قد صلوا صلاة الصبح وأخذوا يرقبون طلوع الشمس، فاعلم بأن عينك قد أصابها العمى وجعلت عليها غشاوة تمنعها من الرؤية، فاضرع إلى ربك ذي الكرم والجود وأسأله أن يهبك إيماناً صادقاً يباشر قلبك حتى تنفتح عينك على الحق وترى الأشياء رؤية صحيحة وأسأله نورا يهديك وأنت سائر إليه حتى لا تضل ولا تعوج، فليس الخوف على العبد من ذنوب يلم بها، فإنها مهما عظمت في معرض العفو والمغفرة ولكن الخوف كل الخوف من أن يزيغ قلبه، فيخرج عن تحكيم الكتاب والسنة ولا يرضى بحكمهما، بل يرضى بآراء الرجال وظنونهم الكاذبة فلا قدر الله علينا ذلك بفضلِهِ ورحمته ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

★ ★ ★

فبأي وجه التقى ربي إذا
وعزلته عما أريد لأجله
صرحت أن يقيننا لا يستفاد
أوليته هجراً وتأويلاً وتح
وسعت جهدي في عقوبة ممسك
يا معرضاً عما يراد به وقد
جدلان يضحك آمناً متبخترا
خلع السرور عليه أوفى حلة
يختال في حلال المسرة ناسيا
ما سعيه إلا لطيب العيش في الد

أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
عزلاً حقيقياً بلا كتمان
به وليس لديه من إتقان
ريفاً وتفويضاً بلا برهان
بعراه لا تقليد رأي فلان
جد المسير فمنتهاه دان
فكأنه قد نال عقد امان
طردت جميع الهم والاحزان
ما بعدها من حلة الأكفان
نيا ولو أفضى إلى النيران

قد باع طيب العيش في دار النعيم
 اني أظنك لا تصدق كونه
 بل قد سمعت الناس قالوا جنة
 والوقف مذهبك الذي تختاره
 أم تؤثر الأدنى عليه وقالت الذ
 أتبيع نقداً حاصلًا بنسيئة
 لو انه بنسيئة الدنيا لها
 دع ما سمعت الناس قالوه وخذ

الشرح: يعرض المؤلف في هذه الآيات الأولى بخصومه الذين أعرضوا عن
 حكم الوحي ورضوا بالتقليد والتبعية الذليلة وعزلوا نصوص الوحي عما أريد بها
 من الإرشاد والبيان عزلاً حقيقياً صرحوا به بلا حياء ولا كتمان، وقالوا أنها
 ظواهر لفظية لا يستفاد منها الإيقان، وهي خطابات لم تسم إلى درجة البرهان
 فأوسعوها هجراً وتعطيلاً، وساموها تحريفاً وتأويلاً، وتفويضاً وتجهيلاً بلا بينة
 ولا برهان، ولم يكتفوا بذلك الجرم الشنيع ولا بالجناية على النصوص، بل سعوا
 كذلك جهدهم في عقوبة أهلها المتمسكين بها الذين ربأوا بأنفسهم عن مهانة
 التقليد ولم يقبلوا وقد خلقهم الله أحراراً أن يكونوا من جملة العبيد.

ثم يلتفت بعد ذلك إلى أهل الغرور والغفلة الذين مد لهم الشيطان في حبل
 الأمان والأمان، فأذهلهم عما يراد بهم وعن قافلة الحياة التي تسير بهم فتطوى
 أعمارهم طياً وتدنيهم من نهايتهم، ترى الواحد منهم يمشي بين الناس جذلان
 ضاحكاً ملء شذقيه متبخترًا في حلله مزهواً بنفسه كأنه قد أمن العاقبة واتخذ
 عند الله عهداً أن لا يعذبه، وتراه دائماً مفعماً بالسرور والنشوة خالي القلب من
 جميع الهموم والأحزان عاكفاً على سروره ولهوه غير مفكر في عاقبة أمره، كل
 همه وسعيه إنما هو في هناءة هذا العيش ورغده، ولو أفضى به إلى جهنم في غده
 فهو قد باع حظه من نعيم الجنة وصفو سرورها بمبتاع هذه الحياة القليل الذي لا
 يلبث أن يتلاشى ويزول. والظن بهذا الأحق الغرير أنه لم يصدق بقرب وقوع ما

وعد به من الثواب وأوعد به من العقاب، بل هو ممن قال الله خبراً عنهم ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِقِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

بل هو قد سمع الناس يذكرون الجنة والنار وقد افترقوا في شأنها بين كفر وإيمان، فاختر الوقف له مذهباً، فلا صدق ولا كذب، بل وقف متحيراً مؤثراً للأدنى على الأعلى، تزين له نفسه السوء، وتمد له في حبل الغرور، وتركب له من منطقتها السقيم قياساً فاسداً غير مستقيم، وتقول له أتبيع ما في يدك من هو الحياة ومتعها بشيء بينك وبينه أهوال ثقال وآماد طوال، فهو لا يجيء إلا بعد الموت وخراب هذه الدنيا وحصول نشأة أخرى لا يدري ماذا سيكون من حالك فيها. فلو أن هذا الجزاء الآجل يحصل في الدنيا لكان الأمر وخف البيع على ما فيه من مخاطرة، ولكن كيف الإقدام وهذا الجزاء إنما يتم في حياة آخرة، فدع ما يقوله الناس ويمنون به أنفسهم، واقطف زهرة هذه الحياة واطرح ذكر العواقب جانباً فإن هذا بيع ظاهر غبته غير مأمون العاقبة.

★ ★ ★

| | |
|--|--|
| <p>وبحثتها بحثاً بلا روغان أمنت لألقته إلى الآذان تارت عليه العاجل المتدان منها ولم يحصل لها بهوان الدار بعد قيامة الأبدان كن حظها في حيز الإمكان موجود مشهود برأي عيان هتها قياسات من البطلان أدنى على الموعود بعد زمان لمرادها يا رقعة الإيمان</p> | <p>والله لو جالست نفسك خاليا لرأيت هذا كامنا فيها ولو هذا هو السر الذي من أجله اخ نقد قد اشتدت اليه حاجة أتبعه بنسيئة في غير هذي هذا وإن جزمت بها قطعاً ول ما ذاك قطعياً لها والحاصل ال فتألفت من بين شهوتها وشب واستنجدت منها رضا بالعاجل ال وأتى من التأويل كل ملائم</p> |
|--|--|

الشرح: وهذا الذي تعلله به النفس من باطل هذا العيش وغروره ومطالبتها

إياه أن يحرص عليه وأن لا يضحى به في سبيل آجل غير مضمون ليس أمراً فرضياً تقديرياً، بل لو أنه خلا بنفسه وبحث أغوارها في غير مخادعة لوجده مستقراً في أعماقها ولكنها تخفيه خوفاً من الاتهام بالإلحاد والزندقة، ولو أنها أمنت لتحدثت به في غير موارد ولا خفاء، وهذا هو حقيقة السر الذي جعلها تختار هذا العاجل القريب على المؤمل البعيد، فهو متاع حاضر قد اشتدت رغبتها فيه وتعبت في تحصيله، فكيف تطيب أن تبيعه بنسيئة، لا في هذه الدنيا ولكن في دار أخرى لا تجيء إلا بعد فناء هذه الأجسام وقيامها من قبورها في نشأة أخرى. هذا ولو أنها جازمت بوجود هذا النعيم في العقبى لكنها لا تدري إن كانت ستكون من أهله أم لا، فنصيبها منه غير مقطوع به، بل هو في حيز الإمكان، فكيف يقاس عندها بالحاصل الموجود الذي تحسه وتراه.

وهكذا استطاعت النفس من بين الشهوات والشبهات أن تؤلف هذه الأقيسة الباطلة وأن تستنتج منها هذه النتيجة الكاذبة، وهي اختيار هذا العاجل والرضا به على المؤمل الموعود الذي لن يجيء إلا بعد زمان بعيد، ثم وجدت من تأويلات الباطنية والفلاسفة لنصوص الوعد واعتقاد أنها أمور متخيلة لا حقيقة لها ما يناسب مرادها في الإنكار والجحود، فجرت وراءها وتعللت بها لرقدة دينها وضعف يقينها.

وهذا والله حال أغلب الناس وإن كانوا لا يتحدثون به، ولكن أعمالهم وتصرفاتهم تشهد عليهم بما يكتُمونه في صدورهم، فإن الواحد منهم يدأب ليله ونهاره في عمل دنياه وخدمة جسده، ولكنه يميل ويستثقل أن يطول عليه إمام في خطبة أو صلاة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

★ ★ ★

وصغت إلى شبهات أهل الشرك والد
واستنقصت أهل الهدى ورأيتهم
ورأت عقول الناس دائرة على
ستعطيل مع نقص من العرفان
في الناس كالغرباء في البلدان
جمع الخطام وخدمة السلطان

وعلى المليحة والمليح وعشرة الـ
فاستوعرت ترك الجميع ولم تجد
فالقلب ليس يقر ألا في انا
يبغي له سكنا يلذ بقربه
فيحب هذا ثم يهوى غيره
لو ناله كل مليحة ورياسة
بل لو ينال بأسرها الدنيا لما
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى
فالقلب مضطر الى محبوبه الـ
وصلاحه وفلاحه ونعيمه
فإذا تخلى منه أصبح حائرا

أحباب والأصحاب والأخوان
عوضا تلذ به من الإحسان
ء فهو دون الجسم ذو جولان
فتراه شبه الواله الخيران
فيظل منتقلا مدى الأزمان
لم يطمئن وكان ذا دوران
قرت بما قد ناله العينان
واختر لنفسك أحسن الانسان
أعلى فلا يغنيه حب ثان
تجريد هذا الحب للرحمن
ويعود في ذا الكون ذا هيمان

الشرح: والنفس حين يكون فيها شهوة خفية إلى الاقتناع بشيء من الأشياء
فإنها تتلمس كل الوسائل التي تبرر هذا الاقتناع، فتراها تنزع وتميل إلى شبهات
أهل الشرك والتعطيل ممن لا يؤمنون بجزر الأجساد ولا يقرون بنعيم حسي ولا
بالأم جسدية ستجري على العباد، هذا مع نقصها في العلم والعرفان وعدم قدرتها
على إدراك ما في هذه الآراء من فساد وبطلان وتراها كذلك تستنقص أهل
لهدى والإيمان وتزدويهم حين تشاهد قلتهم وغربتهم بين الأهل والأوطان. ثم
مي مع ذلك تأتسي بمن حولها من الناس الذين لا هم لهم إلا جمع هذا الحطام
لفاني، والسعي في خدمة من تشد الزلفى لديه من أمير أو سلطان، والحرص على
لظفر بما تعلقت به النفس من مليحة حسناً أو مليح حسن، وعشرة ما أنست به
من الأصحاب والخلان.

فهي تستوحش أن تفارق هذا كله وأن تقطع كل هذه العلائق وتعيش
وحدها في عزلة، لا سيما وهي فارغة ليس فيها من المعاني ما يعوضها عما فارقت
ويصلح أن يقوم بدله.

وشأن القلب ليس كشأن الجسم، بل هو دائم القلق والاضطراب لا يستقر على حال الا ويتطلع إلى أحسن منها، فهو يطلب ما يسكن اليه وينعم بقربه، كمثّل العاشق الهلّان، ولكنه لا يسكن إلى شيء أبداً، بل يجب هذا الآن ثم ينتقل منه إلى غيره مما هو أطيّب وألذ، وهكذا يظل متنقلاً على مدى الأزمان، بل لو ظفر بكل مليحة ورياسة لم يقر قراره وظل في اضطراب وجولان، بل لو حيزت له الدنيا كلها بما فيها من متع ورغائب لما قرت منه العينان، فلا قرار للقلب ولا سكن إلا بالوصول إلى محبوبه الأول وهو الله جل شأنه، فبمعرفة القرب منه هو غذاء القلوب وقوتها وسكنها وراحتها وغاية مطلوبها الذي لا تطمح إلى شيء وراءه. فمهما جلت بفؤادك بين مغاني الهوى وارتدت له آنق المرعى، وجلبت له كل ما على الأرض من حسن فهو شاعر بالفقر والحرمان، لأنه مضطر إلى محبوبه الأعلى جل شأنه، فلا يتعوض عنه بأي حب كان. فصلاحه وفلاحه ونعيمه وأنسه وراحته وسكنه في توحيد حبه للرحمن، فإذا ما أقفر من هذا الحب عاودته الحيرة والاضطراب ورجع إلى حاله من الاضطراب والجولان.

★ ★ ★

فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني

لكن ذا الإيمان يعلم أن هـ
كخيال طيف ما استم زياره
وسحابة طلعت بيوم صائف
وكزهرة وافى الربيع بحسنها
أو كالسراب يلوح للظآن في
أو كالأماني طاب منها ذكرها
وهي الغرور رؤوس أموال المفا

ذا كالظلال وكل هذا فان
الا وصبح رحيله بأذان
فالظل منسوخ بقرب زمان
أو لامعا فكلأها أخوان
وسط الهجير بمستوى القيعان
بالقول واستحضارها بجنان
ليس الألى اتجروا بلا أثمان

أو كالطعام يلذ عند مساعه لكن عقباه كما تجدان
هذا هو المثل الذي ضرب الرسو ل لها وذا في غاية التبيان

الشرح: أما أهل العلم والإيمان فهم يعرفون هذه الدنيا على حقيقتها فلا
يغرم منها بهرج ولا يخدعهم منها رواء، وهم يضربون لها الأمثال التي تكشف
عن جوهرها وتدل على قصر عمرها، فهم يشبهونها بتلك الأفياء التي تكون
ممتدة ثم تتقلص رويداً رويداً حتى تذهب وتزول، أو بخيال طيف ألم برأس نائم،
فما استتم زورته حتى آذن بالرحيل.

أو بسحابة طلعت في يوم قيظ، فما أن انتشر ظلها حتى طلعت عليها الشمس
فمحت هذا الظل القليل، أو بزهرة في الروض أقبل الربيع بنضرتها وإزدهارها
ثم آل أمرها إلى تصوح وذبول.

أو ببرق لمع من خلال السحاب فأضاء الأفق ثم انطفأ فانتشر بعده ظلام
ثقيل أو بسراب يترأى في القيعان فيهرع إليه الظمان يحسبه ماء، فإذا جاءه لم
يرو منه الغليل، أو بالأمانى الحلوة ينعم بذكرها اللسان ويستحضر صورتها
الجنان، ثم لا يرى لها في الواقع تأويل، والدنيا هي متاع الغرور كما سماها الله عز
وجل، وهي رأس مال العجزة المفاليس الذين أفقرت نفوسهم من كل معنى
ببيل، وهي أشبه بالطعام يخلو لآكله عند مضغه ويجده له حلاوة على لسانه، ثم
كون نهايته عند غائط أو بول.

هذا هو المثل الذي ضربه لها الرسول ﷺ، وهل هناك بعد القرآن أوضح
وأبين من أمثال الرسول؟

وإذا أردت ترى حقيقتها فخذ
أدخل بجهدك أصبعاً في ألم وان
هذا هو الدنيا كذا قال الرسو
وكذاك مثلها بظل الدوح في
منه مثالا واحداً ذا شان
ظرم ما تعلقه إذا بعيان
ل ممثلاً والحق ذو تبيان
وقت الحرور لقائل الركبان

هذا ولو عدلت جناح بعوضة
لم يسق منها كافراً من شربة
تالله ما عقل امرئ قد باع ما
هذا ويفتي ثم يقضي حاكماً
اذ باع شيئاً قدره فوق الذي
فمن السفية حقيقة ان كنت ذا
والله لو أن القلوب شهدن من
نفس من الأنفاس هذا العيش إن
يا خسة الشركاء مع عدم الوفا
هل فيك معتبر فيسلو عاشق
لكن على تلك العيون غشاوة

عند الإله الحق في الميزان
ماء وكان الحق بالحرمان
يبقى بما هو مضمحل فان
بالحجر من سفه لذا الانسان
يعتاضه من هذه الأثمان
عقل واكن العقل للسكران
ما كان شأن غير هذا الشأن
قسناه بالعيش الطويل الثاني
ء وطول جفوتها من الهجران
بمصارع العشاق كل زمان
وعلى القلوب أكنة النسيان

الشرح: وإذا أردت أن تعرف حقيقة الدنيا وخسة قدرها وقلة متاعها فخذ
لها مثلاً واحداً ضربه الرسول ﷺ بقوله: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل
أحدم إصبه في اليم فلينظر بم يرجع » فإذا يعلق بإصبه من ماء البحر إن هو
أدخله فيه، إن ذلك لا يعدو أن يكون قطرة لا تقاس بذلك الخضم الكبير
وكذلك شبهها ﷺ بظل شجرة قال تحتها الراكب ثم انصرف عنها قال عليه
الصلاة والسلام: « مالي وللدنيا إنما أنا فيها كراكب قال تحت شجرة في يوم
صائف ثم راح وتركها » وقال صلوات الله وسلامه عليه فيما صح عنه: « لو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء » فجعلها أهون
شأناً عند الله من أحقر المحقرات وهو جناح البعوض.

فبالله أي عقل يمكن أن يدعى لرجل باع ما يبقى أبد الآباد فما له من نفاذ
بعرض قصير الأمد سريع الزوال، ثم هو مع ذلك يفتي ويقضي على فلان بالحجر
والمنع من التصرف في ماله لأنه سفية وسفاهته أنه باع شيئاً من ماله بأقل مما
يستحقه من ثمن، فمن الأحق باسم السفية إذا؟ أنت يا من بعت أشرف اللذات
وأدومها بلعاعات من الدنيا وتفاهات من العيش، أم ذاك الذي حكمت بسفیهه

الحجر عليه لأنه غبن في دراهم معدودات ووالله لو أن بصائر القلوب مفتوحة
شهد هذه الحقائق وتدبرها لكان شأننا غير هذا الشأن، فإن من الحمق والسفه
ياس فان بياق، ولو جاز لنا أن نقيس لقلنا أن هذا العيش في عيش الآخرة
كنفس واحد من الأنفاس، فهو متاع خسيس لا وفاء لأهله ولا حفاظ على
ودة ولا رعاية لعشير أو شريك، فيا موله القلب في حب الدنيا أما لك معتبر
يمن مضى قبلك من عشاقها وقد شهدت مصارعهم وسمعت عنها، ولكن على
بصير منك غشاوة وعلى قلبك غطاء من النسيان.

★ ★ ★

أخو البصائر حاضر متيقظ
سمو إلى ذاك الرفيق الأرفع الأ
الناس كلهم فصبيان وإن
إذا رأى ما يشتهييه قال مو
إذا أبت الا الجباح أعضها
يرى من الخسران بيع الدائم الـ
يرى مصارع أهلها من حوله
تسراتها هن الوقود فإن خبت
ءاءوا فرادى مثل ما خلقوا بلا
ما معهم شيء سوى الأعمال فهـ
سعى بهم أعمالهم سوقاً إلى الد
سبروا قليلاً فاستراحوا دائماً
مدوا التقى عند الممات كذا السرى
حدث بهم عزماتهم نحو العلى
اعوا الذي يفنى من الخزف الخسيـ
فعت لهم في السير اعلام السعا
نتسابق الأقوام وابتدروا لها

متفرد عن زمرة العميان
على وخلي اللعب للصبيان
بلغوا سوى الأفراد والوحدان
عدك الجنان وجد في الأثمان
بالعلم بعد حقائق الإيمان
بباقي به يا ذلة الخسران
وقلوبهم كمراجل النيران
زادت سعيراً بالوقود الثاني
مال ولا أهل ولا اخوان
بي متاجر للنار أو لجنان
ارين سوق الخيل بالركبان
يا عزة التوفيق للإنسان
عند الصباح فحبذا الحمدان
وسروا فما نزلوا إلى نعمان
س بدائم من خالص العقيان
دة والهدى يا ذلة الخيران
كتسابق الفرسان يوم رهان

وأخو الهوينا في الديار مخلف مع شكله يا خيبة الكسلان

الشرح: وأما أخو البصيرة فهو دائماً حاضر القلب يقظان لا يجري مع أهل اللهو في لهوهم، ولا يسير مع جماعة السكارى والعميان، ولا ينحط إلى طلب هذا المتاع الأرضي الحقير الفاني، بل يسمو دائماً بهمته وروحه إلى الرفيق الأرفع في أعلى الجنان، وقد ترك اللعب في هذه الدنيا وخلاه للصبيان، والناس كلهم صبيان العقول وإن كبرت أجسامهم إلا أفراداً قليلين في كل زمان.

وإذا رأى العاقل البصير ما تشتهيه نفسه لم ينقد لها ولم يسرع إلى تلبية نداءها ولكنه يقول لها موعذك الجنان، ثم يجد في تحصيل ما تتطلبه الجنة، تلك السلعة الغالية من مهر وأثمان.

وإذا أبت نفسه إلا العناد والجحاح ولم تستم لهذه العدة الكريمة أعاضها عن ذلك بلذة العلم والعرفان، ويرى بحق أن يبع الدائم الباقي بذلك العرض الفاني من أفحش الغبن وأقبح الخسران.

ويشاهد مصارع أهل الدنيا من حوله وما تغلي به صدورهم من سعير الشهوات ولاذع الحشرات وجرم الأحقاد والعداوات، فكلما خبت وضعف لهبها جاءها الوقود فازدادت به اشتعالاً واتقاداً، ثم أن هؤلاء الأكياس الفطناء تخففوا من هذه الدنيا، فجاءوا إلى الله فرادى كما خلقهم أول مرة، لا مال ولا أهل ولا اخوان بل ليس معهم سوى أعمالهم التي هي متاجر وأثمان للجنان أو للنيران. فأعمالهم هي التي تسعى بهم وتسوقهم أما إلى هذه الدار أو تلك، كما تساق الخيل قد امتطأها الفرسان، فهم صبروا قليلاً على لأواء هذه الدنيا وشدتها فاستراحوا الراحة الكبرى بتوفيق العزيز المنان، حمدوا عند الممات استمساكهم بعرى التقوى، كما يحمد القوم عند الصباح السري، فيا لها حمدان.

ونهضت بهم عزائمهم نحو العلا فسروا إليها مدلجين ولم ينزلوا بشيء من منازل الطريق مستريحين، ولكنهم واصلوا السير إلى غايتهم معرضين عن هذا الخنزف الخسيس مؤثرين عليه الذهب النفيس. وقد رفعت لهم في سيرهم رايات

السعادة والهداية فتبينوا معالم الطريق، فساروا قاصدين غير متعثرين ولا معوجين ولا وانين ولا متخلفين حتى وصلوا إلى غايتهم سالمين.

وأما البطيء الكسلان الذي قعدت به همته فلم يستطع اللحاق بركب الصاعدين بل بقي مخلفاً في الديار مع المخلفين، إن هذا هو الخسران المبين.

فصل

في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن

يتجرد لله

ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان، فإن رأى حقاً قبله

وحدد

الله عليه وإن رأى باطلاً عرف به وأرت إليه

| | |
|-----------------------------------|----------------------------|
| يا أيها القاريء لها اجلس مجلس الـ | حكّم الأمين أتى له الخصمان |
| واحكم هداك الله حكماً يشهد الـ | عقل الصريح به مع القرآن |
| واحبس لسانك برهة عن كفره | حتى تعارضها بلا عدوان |
| فإذا فعلت فعنده أمثالها | فنزال آخر دعوة الفرسان |
| فالكفر ليس سوى العناد ورد ما | جاء الرسول به لقول فلان |
| فانظر لعلك هكذا دون الذي | قد قالها فتفوز بالخسران |
| فالحق شمس والعيون نواظر | لا تختلفي إلا على العميان |
| والقلب يعمى عن هداه مثل ما | تعمى وأعظم هذه العينان |

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من نظم هذه القصيدة الجامعة التي عالج فيها القضايا الإيمانية ونصر مذهب السلف بما لا يحصى من البراهين العقلية والنقلية ودحض مذاهب المعطلة النفاة ورد عليهم بأدلة حاسمة قوية، توجه إلى من قرأها

وتأمل أبياتها أن ينصب من نفسه حكماً أميناً منزهاً من الهوى والتعصب، وأن يحكم لها أو عليها حكماً قائماً على العقل الصريح الخالي من شوائب الوهم وعلى النصوص القرآنية الواضحة.

ثم طلب إليه أن لا يتسرع في رمي قائلها بالكفر حتى يقوم بمعارضتها معارضة نزيهة لا يقصد بها إلا وجه الحق في غير ظلم ولا عدوان، فإن هو فعل ذلك ولا أخاله يفعل، فسيجد عنده من أمثاله ما يهدم معارضته ويفل غربها، لأنه مستعد لقراع الأبطال ومنازلتهم في مضمار الحجاج والجدال، على أنه لا يستحق أحد أسم الكفر إلا إذا عاند الحق ورد ما جاء به الرسول ﷺ من أجل آراء الناس وأقوالهم. فانظر إذاً أيها المتسرع بالتكفير لعلك أن تكون أنت المتصف بما يوجب الكفر دون قائلها فترجع بالخيبة والخذلان، فالحق في ظهوره ووضوحه كالشمس في رآد الضحى صحواً ليس دونها قتر ولا سحب، والعيون السليمة تراها وتنظر إليها فلا تخفى إلا على العميان، وكذلك بصيرة القلب في إدراكها للحق إذا كانت سليمة غير مدخولة، ولكنها أحياناً تعمى وتنطمس مثل ما تعمى العينان، بل أشد وأعظم، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] فقوله: (أعظم) عطف على (مثل) وقوله: (هذه العينان) فاعل تعمى.

بعة وكلهم ذوو أضغان
ضخم العمامة واسع الأردن
صلع وذو جلع من العرفان
زاج من الايهام والهذيان
من جهله كشكايه الأبدان
ويحيل ذاك على قضا الرحمن

هذا واني بعد ممتحن بأر
فظ غليظ جاهل متعلم
متفیهق متضلع بالجهل ذو
مزجى البضاعة في العلوم وأنه
يشكو إلى الله الحقوق تظلمًا
من جاهل متطبب يفتي الورى

وحقوقهم منه إلى الديان
 بديع والتضليل والبهتان
 يد تقابل الفرسان في الميدان
 حكموا وألا أشكوه للسلطان
 هذا يزيل الملك مثل فلان
 به بقوة الاتباع والأعوان
 فادعوه كلكم لرأي فلان
 والغوا اذا ما احتج بالقرآن
 قد أصلحت بالرفق والاتقان
 وبأي وقت بل بأي مكان
 بل أصلحوها غاية الإمكان
 تصغوا لقول الجراح الطعان
 لسنا نعارضها بقول فلان
 فالطعن فيها ليس ذا إمكان
 ظهرا كمثل حجارة الصوان
 أتردها بعداوة الديان

عجت فروج الخلق ثم دماؤهم
 ما عنده علم سوى التكفير والت
 فإذا تيقن أنه المغلوب عن
 قال اشتكوه إلى القضاة فانهم
 قولوا له هذا يحل الملك بل
 فاعقره من قبل اشتداد الأمر من
 وإذا دعاهم للرسول وحكمه
 وإذا اجتمعتم في المجالس فالغوا
 واستنصروا بمحاضر وشهادة
 لا تسألوا الشهداء كيف تحملوا
 وارفوا شهادتهم ومشوا حالها
 وإذا هم شهدوا فزكوهم ولا
 قولوا العدالة منهم قطعية
 ثبتت على الحكام بل حكموا بها
 من جاء يقدر فيهم فليخذ
 وإذا هو استعدادهم فجوابكم

الشرح: يذكر المؤلف في هذه الأبيات والتي بعدها كيف امتحن بتألب
 الخصوم والأعداء عليه وعلى شيخه العظيم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمها الله،
 وكيف كانوا يدبرون لها المكاييد ويستعدون عليها الشعوب والحكام فلله كم لقي
 هذان الامامان الجليلان من عداوات واحن صنعها الجهل والتعصب الأعمى من
 الفقهاء الجامدين وزنادقة المتكلمين والصوفية المارقين، ومن كان يسمع لهم من
 الأمراء والسلاطين وكثير غير هؤلاء من العامة والدهاء الذين كانوا يدينون دين
 الخرافة من عبادة القبور والعكوف عليها وتأليه شيوخ الصوفية والخضوع لهم.
 فصبروا على ما امتحنوا وثبتوا في وجه الباطل وتحملا الاضطهاد والخبس حتى أقاما
 حجة الله في أرضه، وتركوا من بعدها ثروة علمية، هي لباب العلم وخلاصة

المعرفة وهي الإسلام نقياً من كل شائبة، فجزأها الله عن كل من انتفع بعلمها خيراً ما يجزي به العلماء العاملين.

يذكر المؤلف أنه امتحن بأربعة أصناف من الناس وكلهم ذوو ضغن وأحقاد عليه، أما الأول فهو من ذلك النوع الذي يستر جهله بالكبر والنفخة ويتوارى وراء الثياب الواسعة الفضفاضة والكلمات الفخمة الطنانة، فهو كما يقول فظ غليظ الطبع، جاهل يتظاهر بالعلم، حسن المظهر والرواء، فهو ضخم العمامة واسع الأكمام متفیهق يتشدد بالكلام، وهو راسخ في الجهل، ومع ذلك من يراه يظنه من أهل المعرفة لصلع رأسه، وهو قليل البضاعة في العلم، ولكنه ذو ثروة هائلة من الأوهام والخرافات. وهو إذا كان قاضياً لا يعرف وجوه القضاء، فكم ضيع من حقوق، حتى أن الحقوق لتشكو إلى الله متظلمة من جهله، كما تشكو الأبدان من طيبب جاهل لا يعرف كيف يشخص الداء ليصف له الدواء المناسب فهو يقتل الناس بجهله ويحمل ذلك على القضاء والقدر. وكم ضجت منه فروج الناس ودمائهم وحقوقهم التي ضيعها إلى الله الملك الديان.

وقصارى علمه رمي خصومه بأشنع التهم من التكفير والتبديع والتضليل وبتهم بالأثم والعدوان، فإذا دعى إلى المناظرة وأيقن أنه منهزم مغلوب لجأ إلى حيلة العاجز الضعيف، وهي الجأ بالشكوى مرة إلى القضاء ومرة إلى السلطان وهو يستعدي عليه السلطان بأن كلامه هذا يثير فتنة تحل عقد الملك، بل تزيله وأن الواجب هو عقره والقضاء عليه قبل أن يجتمع عليه الناس ويكثر أتباعه وأعدائه. وهو يوصي من معه ويرسم لهم الخطط، فيقول إذا دعاكم إلى الكتاب والسنة، فادعوه إلى ما قال الغزالي والرازي وغيرها، وإذا اجتمعتم معي في مجلس فشوشوا عليه حتى لا يسمع كلامه، وإذا ما ساق حجج القرآن فالغوا فيها وردوها عليه بأنها ظواهر لفظية لا تفيد اليقين، ثم استنصروا عليه بما حرر ضده من محاضر وبشهادات الزور التي أدبت ضده بإحكام وإتقان، ولا تسألوا هؤلاء الشهود كيف تحملوها ولا عن وقت تحملها ومكانه، بل أصلحوا ما فيها من خلل وسووها تسوية حتى تقبل، وإذا هم شهدوا عليه بالزور فكوا شهادتهم ولا

تلفتوا إلى قول من يجرحهم أو يطعن فيهم، وقولوا له أن عدالتهم قطعية قد حكم بها الحكام وقبلها القضاة، فالطعن فيها مستحيل، ومن أراد أن يقدر في عدالتهم فليستند على ظهر متين.

فصل

في حال العدو الثاني

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| أو حاسد قد بات يغلي صدره | بعداوتي كالمرجل الملان |
| لو قلت هذا البحر قال مكذبا | هذا السراب يكون بالقيعان |
| أو قلت هذي الشمس قال مباحثا | الشمس لم تطلع إلى ذا الآن |
| أو قلت قال الله قال رسوله | غضب الخبيث وجاء بالكتان |
| أو حرف القرآن عن موضوعه | تحريف كذاب على القرآن |
| صال النصوص عليه فهو بدفعها | متوكل بالدأب والديدان |
| فكلامه في النص عند خلافه | من باب دفع الصائل الطعان |
| فالقصد دفع النص عن مدلوله | كيلا يصول اذا التقى الزحفان |

الشرح؛ وأما الصنف الثاني من الخصوم فهو حاسد شانيء قد رأى تفوق المؤلف في العلم وبزه للأقران، فامتلاً قلبه منه بالحسد والشنان وباتت مراجل غيظه تغلي منه كغلي المرجل الملان، فجعل همه ووكده دفع كلامه وردّه ولو كان في غاية الوضوح والبيان وكان صدقه بادياً للعيان، فلو قال هذا هو البحر، لقال هذا العدو الكاشح إنه ليس بجرأ، بل هو سراب بقية، ولو قال هذه الشمس طالعة تملأ الأفق، لقال هذا الخبيث مباحثاً إننا لا نزال بليل وأن الشمس لم تطلع بعد، ولو أورد المؤلف النصوص من الكتاب والسنة محتجاً بها، عمد هذا الشرير إلى كتانها أو حرف الكالم عن مواضعه تحريف مكذب بها، فهو ينجس صولة النصوص على آرائه المتهافئة فيبادر إلى ردها.

ويجعل ذلك هجيراً وديدنه، فكلامه في النص بالتحريف والتأويل عند

مخالفته لرأيه المهزبل من قبيل الدفع للصائل الطعان، فقصده كله هو دفع النص ورده عن مدلوله كي لا يصل عليه اذا التقت الفئتان وتناجز الخصمان.

فصل

في حال العدو الثالث

والثالث الأعمى المقلد ذينك الر
فاللعن والتكفير والتبديع والت
فاذا هم سألوه مستنداً له قال اسمعوا ما قاله الرجلان

الشرح: وأما الصنف الثالث فأعمى القلب والبصيرة لا علم عنده ولا معرفة بل رضي أن يعيش ذليلاً لذينك الرجلين السابقين ويقلدهم فيما يقولونه، وهو يقود جماعة من الجهلة المتعصين مثله، وهذا الصنف لجهله وقلة بضاعته من العلم لا شغل له إلا أن يردد اتهامات السابقين باللعن والتكفير والتبديع والتضليل والرمي بالفسوق ظلماً وعدواناً في غير تخرج ولا حياء.

فاذا سئل دليلاً على ما يقول لم يجد حيلة إلا أن يحيل سائله على ما قاله الرجلان السابقان فيه.

فصل

في حال العدو الرابع

هذا ورابعهم وليس بكلبهم
خنزير طبع في خليقة ناطق
كالكلب يتبعهم يشمش أعظما
يتفكهون بها رخيصاً سعرها
هو فضلة في الناس لا علم ولا
فاذا رأى شراً تحرك يتبغي

حاشا الكلاب الآكلي الأنتان
متسوف بالكذب والبهتان
يرمونها والقوم للحمان
ميتا بلا عوض ولا أثمان
دين ولا تمكين ذي سلطان
ذكرا كمثل تحرك الشعبان

ليزول منه أذى الكساد فينفق الـ
فبقاؤه في الناس أعظم محنة
هذي بضاعة ضارب في الأرض يبـ
وجد التجار جميعهم قد سافروا
الا الصعافقة الذين تكلفوا
فهم الزبون لها فبالله ارحموا
يا رب فارزقها بحقك تاجرا
ما كل منقوش لديه أصفر
وكذا الزجاج ودرة الغواص في

كلب العقور على ذكور الضان
من عسكر يعزى إلى غازان
غني تاجراً يبتاع بالأثمان
عن هذه البلدان والأوطان
أن يتجروا فينا بلا أثمان
من بيعة من مفلس مديان
قد طاف بالآفاق والبلدان
ذهبا يراه خالص العقيان
تمييزه ما إن هما مثلان

الشرح: وأما الصنف الرابع فهو رذل خسيس الطبع كالخنزير الذي يتقمم
المزابل وإن كان في صورة انسان ناطق، يتسول القوم ويجري وراءهم كالكلب
عسى أن يصيب منهم عظماً يفرح به وينهش فيه، تاركاً لهم قطعان اللحم وافرة
من عرض المؤلف، فهم يتمتعون بها رخيصة السعر، كالميت الذي لا عرض له
ولا ثمن. وهذا الصنف من سقط الناس وحشومهم ليس له حيثية ولا قدر، فلا
علم ولا دين ولا سلطة، ولكنه يبغى الظهور والشهرة، فإذا هاج الشر وثار
الفتنة تحرك نحوها كما تتحرك الحية، لينفق سوقه ويزول عنه معرفة الكساد، كما
ينفق الكلب العقور هجم على ذكور الضأن. فهذا الصنف وجوده في الناس أعظم
بلية وأقسى محنة، بل هو شر من وجود عسكر التتار، فهو يضرب في الأرض
يبغى مشترياً لشره وفساده، فلما وجد التجار جميعاً قد رحلوا عن هذه الأوطان
ولم يبق فيها إلا هؤلاء المفاليك الذين يتجرون في أعراض أفاضل الناس بلا
عوض ولا أثمان، قدم نفسه زبوناً لهم يشتري منهم ويروج لتجارتهم. فيا من
يرحم هذه الأعراض واللحمان من أن تباع ببيع السماح لعاجز مفلس قد ركبت
الديون.

فيا رب ارزقها بتاجر بصير قد جوب الآفاق وطاف بالأمصار حتى اكتسب

خبرة ومهارة، فهو يستطيع أن يميز الجيد من الزيف، فليس كل منقوش أصفر
يعده ذهباً، ولا يسوي بين الزجاج ودرة الغواص.

فصل

في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعبادة المؤمنين

هذا ونصر الدين فرض لازم
بيد وأما باللسان فان عجز
ما بعد ذا والله للإيمان حب
بجياة وجهك خير مسئول به
وبحق نعمتك التي أوليتها
وبحق رحمتك التي وسعت جميع الـ
وبحق أسماء لك الحسنى معا
وبحق حمدك وهو حمد واسع الـ
وبأنك الله الإله الحق معـ
بل كل معبود سواك فباطل
وبك المعاذ ولا ملاذ سواك أنـ
من ذاك للمضطر يسمعه سوا
إننا توجهنا إليك لحاجة
فاجعل قضاها بعض انعمك التي

لا للكفاية بل على الأعيان
ت فبالتوجه والدعا بجنان
ه خردل يا ناصر الإيمان
وبنور وجهك يا عظيم الشأن
من غير ما عوض ولا أثمان
خلق محسنهم كذاك الجاني
نيها نعوت المدح للرحمن
أكوان بل أضعاف ذي الأكوان
جود الورى متقدس عن ثان
من دون عرشك للثرى التحتاني
ست غياث كل ملدد لهفان
ك يجب دعوته مع العصيان
ترضيك طالبها أحق معان
سبغت علينا منك كل زمان

الشرح: بعد أن فرغ المؤلف من ذكر صنوف أعداء التوحيد والسنة وطريق
سلف الأمة من أهل الزيغ والضلال والإلحاد والبدعة توجه إلى إخوانه من أهل
السنة المحمدية وأنصار الطريقة السلفية التي هي الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام

الساعة موصياً لهم بالدفاع عن الإسلام والجهاد لاعلاء كلمته ضد خصومه من سائر فرق الضلال وأشياء الباطل، مبيناً أن هذا فرض حتم على كل أحد، وليس فرضاً على الكفاية حتى يكفي قيام جماعة به ويسقط الحرج عن بقيتهم.

وهذا النصر للإسلام والجهاد لإزالة كل ما يخالفه له ثلاث مراتب: فأولها وأعلاها أن يكون باليد مع القدرة والإمكان. وأوسطها أن يكون بالإرشاد والنصح والبيان لمن عجز عن إزالته باليد. وأدناها أن يكون إنكاراً بالقلب وتوجها بالدعاء إلى الله أن ينصره ويعليه.

وقد بين النبي ﷺ هذه المراتب بقوله في الحديث الصحيح: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

وبقوله في الحديث الصحيح الآخر: «خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

ولما كان المؤلف رحمه الله ومن معه من إخوانه الموحدين ليس في مقدورهم القيام بالدرجة الأولى، وهي نصر دين الله بالسيف والسنان، وذلك لقلتهم وضعفهم وسط جيوش الجهل والظلم التي لها الصولة والدولة، فقد توجه إلى الله عز وجل بهذا الدعاء الضارع والنداء الذليل، متوسلاً إليه بأحب الوسائل لديه وهي أسماؤه الحسنی وصفاته العلیا، فهو يسأله بحياة وجهه ونوره وبعظمة جلاله وشأنه وقديم سلطانه وبحق نعمه وآلائه التي أولاهها ووهبها من غير سابق عمل ولا سعي تكون جزاء له، وبحق رحمته التي وسعت جميع خلقه في الدنيا، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وبحق أسماؤه الحسنی كلها الدالة على صفات كماله التي يمدح ويثنى عليه بها. وبحق حمده الذي ملأ الأكوان كلها، بل هو أضعاف

أضعافها . ويسأله كذلك بحق إلهيته التي تفرد بها وتنزه عن أن يكون له شريك فيها ، فليس معه إله غيره ، بل كل ما عبد سواه فعبادته محض الباطل وعين الضلال والافتراء من العرش إلى الفرش ، وبه وحده العوذ والتحصن من كل شر وسوء ، وهو الملاذ لعبده من كل خوف ومكروه . وهو الغياث لكل مكروب وملهوف ، فمن غيره للمضطر يسمعه ويحيب دعوته مع عصيانه ومخالفته .

ثم قال بعد هذه التوسلات القوية التي تزيح الجبال من أماكنها ، إننا قد توجهنا اليك بجاجة فيها حبك ورضاك ، وطالبها أحق بعونك من كل من دعاك ، فاجعل قضاءها من جملة النعم التي أوليتها في جميع الأوقات .

★ ★ ★

| | |
|---------------------------|-------------------------------|
| عالي الذي أنزلت بالبرهان | أنصر كتابك والرسول ودينك الـ |
| ت مقيم من أمة الإنسان | واخترته ديناً لنفسك واصطفـ |
| هذا الوري هو قيم الأديان | ورضيته ديناً لمن ترضاه منـ |
| دين الخنيف بنصره المتدان | وأقر عين رسولك المبعوث بالـ |
| قد كنت تنصره بكل زمان | وانصره بالنصر العزيز كمثل ماـ |
| حزب الضلال وعسكر الشيطان | يا رب وانصر خير حزيننا علىـ |
| لخيارهم ولعسكر القرآن | يا رب واجعل شر حزيننا فدىـ |
| ل تراحم وتواصل وتدان | يا رب واجعل حزبك المنصور أهـ |
| قد أحدثت في الدين كل زمان | يا رب وارحمهم من البدع التيـ |
| تفضي بسالكها إلى النيران | يا رب جنبهم طرائقها التيـ |
| يصلوا اليك فيظفروا بجنان | يا رب واهداهم بنور الوحي كيـ |
| واحفظهم من فتنة الفتان | يا رب كن لهم ولياً ناصراـ |
| أنزلته يا منزل القرآن | وانصرهم يا رب بالحق الذيـ |

الشرح: هذه هي الحاجة التي يريد المؤلف من الله عز وجل قضاءها ، وهي أن ينصر كتابه المبين ، فيقيض له من يظهر حججه ويوضح أغراضه ومقاصده ،

وينفي عنه تحريف الزائعين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وينصر رسوله الأمين بنصر سنته وإظهارها وتأييد العاملين بها، وينصر دينه القويم الذي أنزله مؤيداً بالحجة والبرهان، واختاره لنفسه ديناً، واصطفى من جاء به، وأقامه على الخلق أجمعين، ورضيه ديناً لمن رضي عنهم من خلقه، وجعله مهيمناً على الدين كله، وأن يقر عين رسوله الذي بعثه بهذا الدين الخنيف بنصره العاجل القريب وأن ينصره النصر العزيز المؤزر، كما نصره في كل العصور، وأن ينصر من يعلم أنه خير الحزبين وأفضل الفريقين منا ومن حزب الضلال وعسكر الشيطان، وأن يجعل شر الحزبين فداء لخيرهم من جند الايمان وعسكر القرآن، وأن يؤلف بين قلوب أوليائه من أهل التوحيد، فيجعلهم متواصلين متراحين متقاربين، وأن يقيم شر المحدثات والبدع المضلة، وأن يجنبهم مسالكها وشعابها التي تفضي بأصحابها إلى النار، وأن يهديهم بنور الوحي حتى يستقيموا على صراط الله فيظفروا برحته ورضاه، وأن يكون وليهم وناصرهم وحافظاً لهم من كل فتنه، وأن ينصرهم بالحق الذي أنزله، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

★ ★ ★

لجأوا اليك وأنت ذو الإحسان
هذا الخلق إلا صادق الإيمان
دنيا اليهم في رضا الرحمن
نال الأمان ونال كل أماني
تضوا بسواه من آراء ذي الهذيان
علمهم هذاة التائه الخيران
إثبات أهل الحق والعرفان
أنصار وانصرهم بكل زمان
وارزقهم صبرا مع الايقان
ودعوا اليه الناس بالعدوان

يا رب انهم هم الغرباء قد
يا رب قد عادوا لأجلك كل
قد فارقوهم فيك أحوج ما هم
ورضوا ولايتك التي من نالها
ورضوا بوحيك من سواه وما ار
يا رب ثبتهم على الإيمان واج
وانصر على حزب النفاة عساكر ال
وأقم لأهل السنة النبوية ال
واجعلهم للمتقين أئمة
تهدي بأمرك لا بما قد أحدثوا

وأعزَّهم بالحق وانصرهم به
 واغفر ذنوبهم وأصلح شأنهم
 ولك المحامد كلها حدّاً كما
 ملك السموات العلى والأرض وال
 بما تشاء وراء ذلك كله
 وعلى رسولك أفضل الصلوات والت
 وعلى صحابته جميعاً والألى
 نصراً عزيزاً أنت ذو السلطان
 فلأنت أهل العفو والغفران
 يرضيك لا يفنى على الأزمان
 موجود بعد ومنتهى الإمكان
 حدّاً بغير نهاية بزمان
 سليم منك وأكمل الرضوان
 تبعوهم من بعد بالإحسان

الشرح: يذكر المؤلف من أحوال أهل التوحيد والسنة وما هم فيه من ضعف
 وقلة، ما يستدر به رحمة الله عليهم ونظره اليهم، فيقول: يا رب أنهم هم الغرباء في
 أوطانهم وبين أهليهم، وقد لجأوا إلى بابك وأنزلوا حاجاتهم بكرم رحابك وأنت
 مولى الفضل والإحسان. وقد عادوا من أجلك كل الناس حتى الآباء والأبناء
 والأهل والعشيرة والوالا فيك من كان على شاكلتهم من أهل طاعتك وتوحيدك،
 وقد فارقوا الناس وهم أحوج ما يكونون اليهم ليعينوهم على شئون دينهم التي
 فيها رضاك، ولم يتخذوا من دونك ولياً يتولونه، بل رضوا بولايتك التي تنيل
 صاحبها أمنه وأمانه، واكتفوا في دينهم بوحيك لم يعابوا بغيره ولا اتخذوا بديلاً
 منه آراء الهاذين والمخلطين.

فثبتهم يا رب على الإيمان، فأنت مقلب القلوب كلها بين أصبعيك تحولها كما
 تشاء، واجعلهم هداة كل تائه وضال، وانصر حزبك من أهل الإثبات أهل الحق
 والمعرفة على حزب النفاة الزائعين، وهيء لأهل السنة النبوية الجند والأعوان
 وانصرهم في كل مكان، واجعلهم للمتقين إماماً وارزقهم ما به يستأهلون منصب
 الإمامة في الدين من الصبر واليقين، كما قلت سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً
 يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

نعم يهدون الناس بأمرك ووحيك لا بما أحدثه أهل البدع والضلال ودعوا
 إليه الناس بالعدوان، وأعزهم بعزة الحق وانصرهم به النصر العزيز فأنت رب

العزة والسلطان. وصل اللهم على رسولك محمد وصحابته. والحمد لله رب العالمين.

خاتمة ورجاء

وبعد: فهذا مبلغ ما يسر الله من الجهد في شرح هذه القصيدة الجامعة التي حوت من أبواب العلم وعويص المسائل وفنون الحجاج والجدل وصنوف المذاهب والمقالات ما جعلها فريدة في بابها، وهو شرح لا أدعي أنه بلغ درجة الكمال ونهاية الإتقان، فإن درك الكمال في هذا المجال محال، ولكنه على كل حال محاولة فيها النجاح أغلب من الفشل والنصر أكبر من الهزيمة، رغم قلة الوسائل وكثرة العوائق والشواغل، فهو تمهيد صالح لمن يريد أن يسلك الطريق إلى زيادة أو إجادة ويعلم الله كم من مرة وقفت أمام عصى شمس من أبياتها أقلب فيه الفكر وأجبل الخاطر حتى سلس لي مقاده واطمأن نافرته.

وقد التزمت في هذا الشرح ما سبق أن وعدت به في المقدمة، وهو أن لا يكون طويلاً إلى حد الإملال، ولا قصيراً إلى درجة الإخلال، كما توخيت فيه بساطة الأسلوب وسهولة التعبير، حتى يتيسر فهمه لكل قارئ مهما كانت درجته من الثقافة، وسيجد القارئ فيه أحياناً نوعاً من السجع الذي لم أتكلفه، وإنما كان يجيء عفواً، فتزيد العبارة به حسناً والأسلوب رونقاً، وإذا كان لي ما أرجوه من القارئ الكريم، فهو أن يقرأه قراءة منصف، وأن يحاول جهد الطاقة أن يطابق بين الأبيات وبين شرحها، فسيجد الثوب على قدر الجسد، اللهم إلا في بعض الأحيان قد يفيض ويتسع إذا وجدت حاجة إلى الزيادة والاستطراد، وقد يقصر عنه إذا ركدت ريح الفهم وجنحت الملكة إلى الشراد، فما وجدت أيها القارئ من عيب أو قصور فلا تعجل باللوم والتثريب، فإننا بشر نخطيء ونصيب، ولا تفعل بفعل الجاهل المغرور، إذا رأى هفوة طار بها فرحاً، واتخذها مادة للطنع والتشهير. وما وجدت من حسن فهو من فضل الله

وتوفيقه ، فاذكره بالخير لصاحبه ولا تحاول غمطه وإلتهوين من شأنه ، كما يفعل
الحاقد الموتور .

والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه وأن يجعله مرآة تنعكس عليها ما حوته
هذه القصيدة من حقائق مطوية فلا تتردد عنها إلى بصيرة القلب ألا وهي ظاهرة
جلية .

والله أسأل أن يغفر لنا وإخواننا انه سمع الدعاء ؟

المؤلف

فهرس

الجزء الثاني من شرح القصيدة النونية للإمام ابن القيم

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| فصل في شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إله يعبد | ٣ |
| فصل في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم | ٤ |
| فصل فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور | ١٠ |
| فصل في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة | ١٢ |
| فصل في المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلاً بعد جيل | ٢٣ |
| فصل في احكام هذه التراكيب الستة | ٣٣ |
| فصل في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين | ٤٣ |
| فصل في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد | ٤٨ |
| فصل في النوع الثالث من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد | ٥٠ |
| فصل في النوع الرابع من التوحيد لأهل الإلحاد | ٥٢ |
| فصل في بيان توحيد الأنبياء والمرسلين ومخالفته لتوحيد الملاحدة والمعطلين | ٥٤ |

| | |
|-----|---|
| | بيان أن هذا التوحيد ينقسم إلى قسمين: |
| | الأول: توحيد قولي اعتقادي (توحيد الأسماء والصفات) |
| ٥٥ | الثاني: توحيد فعلي (توحيد الإلهية والعبادة) |
| | بيان أن التوحيد ينقسم أيضاً إلى قسمين: |
| | الأول: سلب أي نفي للنقائص |
| ٥٥ | الثاني: إثبات صفات الكمال له سبحانه |
| ٥٥ | فصل في بيان ان التوحيد القولي الذي يرجع إلى سلب النقائص نوعان |
| | فصل في النوع الثاني من النوع الأول وهو إثبات صفات الكمال له |
| ٦٣ | سبحانه |
| | فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر ان سام |
| ١٢٥ | الملحدين |
| | فصل في النوع الثاني من نوعي توحيد الأنبياء والمرسلين المخالف لتوحيد |
| ١٣١ | المشركين والمعطلين |
| ١٣٤ | فصل في بيان الشرك الأكبر |
| ١٣٩ | فصل في بيان ما يفعله القبوريون من شرك أكبر |
| | فصل في صف العسكريين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان |
| ١٤٢ | وتصاؤل الأقران |
| ١٥٩ | فصل في مصارع النفاة والمعطلين بأسنة أمراء الإثبات الموحدين |
| | فصل في بيان أن المصيبة التي حلت بأهل التعطيل والكفران من جهة |
| ١٦٥ | الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان |
| ١٧٧ | فصل في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبروت |
| ١٨٣ | فصل في مبدأ العداوة الواقعة بين المشبتين الموحدين وبين النفاة المعطلين. |
| | فصل في بهت أهل الشرك والتعطيل في رميهم أهل التوحيد والإثبات |
| ٢٠١ | بتنقيض الرسول |

الموضوع

الصفحة

- فصل في تعيين أن اتباع السنة والقرآن طريقة النجاة من النيران ٢٢١
- فصل في تيسير السير إلى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين
والمشركين ٢٢٥
- فصل في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه إلا على من ليس بذي
عينين ٢٣١
- فصل في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين ... ٢٣٣
- فصل في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال
والآراء ٢٣٩
- فصل في بيان شرط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين ٢٥٠
- فصل في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا ؟ ٢٥٥
- فصل في الرد عليهم في تكفيرهم أهل العلم والإيمان وذكر انقسامهم إلى
أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران ٢٦١
- فصل في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان ٢٦٨
- فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول الله ﷺ ولا يبغض الأنصار
- رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ٢٧٤
- فصل في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضاً من
الأمصار إلى بلدته عليه السلام ٢٨٠
- فصل في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين ٢٨٧
- فصل في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفين
للرحمن ٢٩٢
- فصل في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها جهرًا على رؤوس منابر
الإسلام ٢٩٩
- فصل في تلازم التعطيل والشرك ٣٠٧
- فصل في بيان أن المعطل شر من المشرك ٣١٠

| | |
|-----|--|
| ٣١٧ | فصل في مثل المشرك والمعطل |
| ٣٢٩ | فصل فيما أعد الله تعالى في الجنة لأولياته المتمسكين بالكتاب والسنة . |
| ٣٣٣ | فصل في صفة الجنة التي أعدها الله ذو الفضل والمنة لأولياته المتمسكين بالكتاب والسنة |
| ٣٣٤ | فصل في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين |
| ٣٣٦ | فصل في أبواب الجنة |
| ٣٣٨ | فصل في مقدار ما بين الباب والباب منها |
| ٣٣٨ | فصل في مقدار ما بين مصراعي الباب |
| ٣٣٩ | فصل في مفتاح باب الجنة |
| ٣٤٠ | فصل في مشوار الجنة الذي يوقع به لصاحبها |
| ٣٤٣ | فصل في صفوف أهل الجنة |
| ٣٤٥ | فصل في صفة أول زمرة تدخل الجنة |
| ٣٤٥ | فصل في صفة الزمرة الثانية |
| ٣٤٦ | فصل في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى |
| ٣٤٧ | فصل في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم |
| ٣٤٨ | فصل في ذكر سن أهل الجنة |
| ٣٤٩ | فصل في طول قامات أهل الجنة وعرضهم |
| ٣٥٠ | فصل في لحاهم وألوانهم |
| ٣٥٠ | فصل في لسان أهل الجنة |
| ٣٥١ | فصل في ريح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد |
| ٣٥٢ | فصل في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة |
| ٣٥٦ | فصل في عدد الجنات وأجناسها |
| ٣٦١ | فصل في بناء الجنة |
| ٣٦٢ | فصل في أرضها وحصبائها وتربها |

| | | |
|-----|-------|--|
| ٣٦٣ | | فصل في صفة غرفاتها |
| ٣٦٤ | | فصل في خيام أهل الجنة |
| ٣٦٥ | | فصل في أرائكها وسررها |
| ٣٦٦ | | فصل في أشجارها وثمارها وظلالها |
| ٣٧٠ | | فصل في سماع أهل الجنة |
| ٣٧٤ | | فصل في أنهار الجنة |
| ٣٧٥ | | فصل في طعام أهل الجنة |
| ٣٧٧ | | فصل في شرابهم |
| ٣٧٩ | | فصل في مصرف طعامهم وشرابهم وهضمه |
| ٣٨٠ | | فصل في لباس أهل الجنة |
| ٣٨٣ | | فصل في فرشهم وما يتبعها |
| ٣٨٤ | | فصل في حلّي أهل الجنة |
| ٣٨٦ | | فصل في صفة عرائس الجنة وحسنهن وجمالهن ولذّة وصلهن ومهورهن |
| ٤٠٥ | | فصل في ذكر الخلاف بين الناس هل تجبل نساء أهل الجنة أم لا ؟ .. |
| ٤١٠ | | فصل في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى ونظرهم إلى وجهه الكريم |
| ٤٢٢ | | فصل في كلام الرب جل جلاله مع أهل الجنة |
| ٤٢٥ | | فصل في يوم المزيد وما أعد لهم فيه من الكرامة |
| ٤٢٧ | | فصل في المطر الذي يصيبهم هناك |
| ٤٢٧ | | فصل في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس |
| | | فصل في خلود أهل الجنة ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم واستحالة النوم |
| ٤٣١ | | والموت عليهم |
| | | فصل في ذبح الموت بين الجنة والنار والرد على من قال أن الذبح لملك |
| ٤٣٣ | | الموت وأن ذلك مجاز لا حقيقة له |
| ٤٣٧ | | فصل في أن الجنة قيضان وأن غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح |

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| فصل في إقامة المآثم على المتخلفين عن رفقة السابقين | ٤٣٩ |
| فصل في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف | |
| الفاني | ٤٤٨ |
| فصل في رغبة قائلها إلى من يقف عليها من أهل العلم والإيمان أن يتجرد | |
| لله ويحكم عليها بما يوجبه الدليل والبرهان | ٤٥٣ |
| فصل في حال العدو الثاني | ٤٥٧ |
| فصل في حال العدو الثالث | ٤٥٨ |
| فصل في حال العدو الرابع | ٤٥٨ |
| فصل في توجه أهل السنة إلى رب العالمين أن ينصر دينه وكتابه ورسوله | |
| وعبادته المؤمنين | ٤٦٠ |
| خاتمة ورجاء | ٤٦٥ |